مقدمة

في الآثار الإسلامية

تأليف

الدكتور/ عبد الله عبد السلام الحداد
أستاذ الاثار والعمارة الإسلامية المساعد
قسم الاثار - كلية الاداب - جامعة صنعاء

دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع

مقدمة

في الآثار الإسلامية

تأليف

الدكتور/ عبد الله عبد السلام الحداد

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية المساعد

قسم الآثار- كلية الآداب- جامعة صنعاء

دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع

- عنوان الكتاب: مقدمة في الآثار الإسلامية.
- المؤلف: د. عبد الله عبد السلام الحداد.
- عدد الصفحات: 238
- قياس الصفحة: 17×24.
- رقم الإيداع بدار الكتب: 283/2003
- حقوق الطبع محفوظة – للمؤلف .
- الناشر: دار الشوكاني للطباعة والنشر والتوزيع
- عنوان الناشر: الدائري الغربي - خلف جولة القادسية

تلفاكس : 209638

صنعاء – الجمهورية اليمنية.
- الطبعة الأولى: 1424هـ/2003م

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

(سورة التوبة)

۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

(سورة النور)

{ صدق الله العظيم}

الإهـــداء

إلى والدي الكريمين

أطال الله في عمرهما ومتعهما بالصحة

****

إلى زوجتي وأولادي الأعزاء

***

معذرة منكم وإليكم عما قصرت فيه بحقكم

أثناء انشغالي بتأليف الكتاب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، القائل وهو أصدق القائلين: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا [1])، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، إمام المسلمين وقائدهم وإمامهم وحبيبهم وقدوتهم، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا كتاب يتناول بشكل موجز وشامل في الوقت نفسه موضوع الآثار الإسلامية بخصائصها، ومميزاتها، ومنشآتها المتعددة، وعناصرها المعمارية، وفنونها الزخرفية، التي أنتجها كل من المعمار والفنان المسلم في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية التي امتدت وانتشرت بامتداد الأرض الإسلامية وانتشار الإنسان المسلم على سطح الكرة الأرضية، فحيثما حل المسلمون أنتجوا فناً إسلامياً وعمارة إسلامية تمتاز عن فنون وعمارة غيرهم من الأمم بمميزات صبغت بالصبغة الإسلامية والروح الإسلامية، والتقاليد الإسلامية، وقبل كل ذلك بالعقيدة الإسلامية، والبساطة الإسلامية.

ونظراً لتعدد موضوعات الآثار الإسلامية، فقد تم تقسيم الكتاب إلى تمهيد وستة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: المنشآت الدينية، الفصل الثاني: منشآت الرعاية الاجتماعية، الفصل الثالث: المنشآت المدنية، الفصل الرابع: المنشآت العسكرية، الفصل الخامس: العناصر المعمارية، الفصل السادس: الفنون الزخرفية.

تناول التمهيد معنى الآثار عموماً والآثار الإسلامية على وجه الخصوص، ونشأة علم الآثار بفرعيه القديم والإسلامي، فيما تناول كل فصل من الفصول الأربعة الأولى نوعاً معيناً من المنشآت المعمارية، من حيث النشأة والتطور، ومصنفاً كل نوع منها إلى أنواع

---

[1]- سورة المائدة، جزء من آية 3.

أخرى حسب وظيفة المنشأة الأساسية، ومختتماً الحديث عن كل نوع بوصف موجز لنموذج واحد أو أكثر من تلك المنشآت.

أما الفصل الخامس فقد تناول العناصر المعمارية بأنواعها وطرزها المتعددة، ووظائفها، وأمثلة لأماكن وجودها، فيما تناول الفصل السادس الفنون الزخرفية الإسلامية من حيث النشأة، ومواد الصناعة وطرقها، وطرق زخرفتها، والأساليب الزخرفية التي انتشرت في العالم الإسلامي، والعناصر الزخرفية النباتية والهندسية والخطية والكائنات الحية.

إن الهدف من تأليف هذا الكتاب يسعى بالدرجة الأولى إلى تعريف أبناءنا طلاب الآثار بالآثار الإسلامية وعناصرها المعمارية والزخرفية لإيجاد معرفة عامة وشاملة لدى الطلاب، وهو إلى جانب ذلك كتاب عام لكل من يريد معرفة الآثار الإسلامية ونشأتها وأنواعها وطرزها المعمارية والفنية.

ولهذا السبب حرص المؤلف على تضمين الكتاب مادة علمية ومفيدة تتناسب مع مستويات الطلاب، وفي الوقت نفسه لا يستغني عنها الباحثون والمثقفون، وتجنب أسلوب السرد العام والكم والتعقيد، والوصف الممل للآثار الذي اتبع في كثير من المؤلفات المماثلة.

وفضلاً عن ذلك حرص المؤلف على تزويد الكتاب برسوم وصور فوتوغرافية توضح كل نوع من أنواع العمارة والفنون وعناصرها، وتساعد على فهم المعلومة وتثبيتها في ذهن القارئ.

ختاماً أتمنى أن أكون قد وفقت في تحقيق ما هدفت إليه من تأليف الكتاب، فإن كان ذاك فلله الحمد والمنة، وإن كان الآخر فأسأل الله العفو عنه، والسداد في غيره.

د. عبد الله الحداد

صنعاء

2003/8/15م

التمهيد

تعريف علم الآثار:

علم الآثار Archaeology هو العلم الذي يختص بدراسة الأشياء التي خلفها الإنسان من مدن ومساكن ومنشآت دينية ومدنية وعسكرية وتجارية وغيرها، وكذلك الأثاث والأدوات التي صنعها الإنسان وخلفها وراءه، ويتضمن علم الآثار أفرعاً كثيرة منها: الطبوغرافيا (علم توزيع السكان)، والهندسة المعمارية، وهندسة المدن، والرسم والنحت والحفر والفنون التطبيقية كالخزف والزجاج والنسيج والأختام وعلم النميات وعلم النقوش وعلم البردي وعلم اللغات القديمة وعلم الموازين والمقاييس، وعموماً يمكن تقسيم علم الآثار إلى قسمين رئيسيين هما: علم الآثار القديمة، وعلم الآثار الإسلامية.

الآثار القديمة:

تشمل كل ما خلفه الإنسان من آثار في الحقب الزمنية المختلفة ومنها آثار ما قبل التاريخ بعصورها المختلفة القديم والوسيط والحديث، وآثار العصور التاريخية بقسميها أيضا وهما: آثار ما قبل الميلاد، وآثار ما بعد الميلاد، كما تتفرع الآثار القديمة حسب الأقطار والدول والمناطق كالآثار المصرية، والآثار اليونانية، والآثار اليمنية ..الخ، وكل من هذه الفروع يتفرع إلى فروع أخرى، فعلى سبيل المثال تتفرع الآثار اليمنية إلى آثار سبئية، وآثار معينية، وآثار حميرية وهكذا.

الآثار الإسلامية:

تحتل الآثار الإسلامية مركزاً مهماً بين الآثار الأخرى، ذلك أن رقعة الإسلام تمتد من إندونيسيا شرقاً إلى بلاد المغرب غرباً، ومن بلاد التركستان شمالاً إلى اليمن ووسط أفريقيا جنوباً.

وتشمل الآثار التي خلفها الإنسان المسلم بدءاً من بعثة الرسولﷺ وحتى نهاية القرن التاسع عشر حسب قانون الآثار الذي ينص على أن كل شئ مر عليه مائة عام يعد من الآثار.

ومن المعلوم أن الآثار الإسلامية تتميز بوحدة تسود إنتاجه مهما تعددت الأقطار والدول ومهما اختلفت الأجناس وتباعدت العصور، وترجع هذه الوحدة بصفة أساسية إلى وحدة العقيدة الإسلامية التي انتشرت في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، حيث استوحى الفن مبادئه من الإسلام وخضع لتعاليمه في معظم الأحيان[1].

وقد اصطلح على نسبة الطرز الفنية والمعمارية الرئيسية إلى الدول الإسلامية بمختلف عصورها، ومنها: طرز آثار صدر الإسلام والعصر الراشدي، وطرز العصور الأموية والعباسية والعثمانية وطرز آثار الدول التي استقلت عن الخلافتين العباسية والعثمانية، أو نشأت تحت ظلهما، أو كانت معاصرة لهما، ومنها: الطرز السلجوقية، والمغولية، والصفوية، والفاطمية، والأيوبية، والمملوكية، والأندلسية، والمغولية الهندية، كذلك طرز آثار أقاليم العالم الإسلامي المختلفة كآثار اليمن ومصر والعراق وسوريا والمغرب[2] ...الخ.

نشأة علم الآثار الإسلامية:

اهتم المسلمون بدراسة الآثار منذ فترة مبكرة، وكان الهدف من دراستها لأجل التفكر والاعتبار وإبراز تراث الأجداد وأدوارهم الحضارية ومخلفاتهم المادية والفكرية، عملاً بقوله تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[3])، وقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي أسماء كثير من الكتاب الذين عنوا بدراسة الآثار والتحف ومنهم: الأزرقي في

1- حسن الباشا(د)، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، 1990م، ص32.
2- حسن الباشا، المدخل، ص33.
3- سورة غافر، آية82.

كتابه آثار مكة، والهمداني في كتابيه صفة جزيرة العرب والإكليل، وغيرهم كثير[1]، وإن أتت دراستهم للآثار الإسلامية عرضاً وضمن كتاباتهم الجغرافية أو كتابات الرحلات.

أما دراسة الآثار الإسلامية كعلم متفرع عن علم الآثار بشكل عام، وكتخصص أكاديمي، فقد كان عمادنا في دراستها أول الأمر على أعمال الأثريين الأوربيين، الذين استوقفتهم العمائر والتحف الإسلامية وما تحتويه من جمال معماري وزخرفي، وكانت البدايات الأولى لدراسة الآثار الإسلامية على يد الإنجليز إبان احتلالهم للهند في القرن 17م، ثم على يد الحملة الفرنسية على مصر، حيث حرص الفرنسيون منذ دخولهم مصر والمغرب على دراسة الآثار الإسلامية فيهما، وقد أدى ذلك إلى ظهور مدرسة جليلة من الأثريين الفرنسيين المتخصصين في العمارة الإسلامية من أمثال: جورج مارسيه، وبول ريكار، وهنري لويس، ثم دخل ميدان العمارة الإسلامية عدد من علماء الآثار من مختلف الدول الأوروبية أمثل: دوسو، وجاستون فييت، وإيلي لامبير، وجان سوفاجيه، والكابتن كريسويل، وتالبوت رايس، والألماني إرنست كونل، وهيرمان ديتس، وسرجنت، وغيرهم من علماء الآثار الأوروبيين[2].

أما من العرب فكان أقدم من درس الآثار الإسلامية عميد الأثريين العرب حسن عبد الوهاب، ثم ظهر جيل جديد من الأثريين العرب الذين تتلمذوا على يد علماء أوروبا بعد إنشاء معهد الآثار الإسلامية في القاهرة ومنهم: أحمد فكري، وزكي حسن، وحسن الباشا وسعاد ماهر وفريد شافعي، وغيرهم، وعلى يد هؤلاء وتلاميذهم انتشرت دراسة علم الآثار الإسلامية في مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وبفضل هؤلاء وتلاميذهم في مختلف البلاد العربية والإسلامية أصبحت الآثار الإسلامية علماً أصيلاً يدرس في معظم الجامعات والمعاهد.

وتنقسم الآثار الإسلامية إلى نوعين رئيسيين هما:

- الآثار الثابتة: ويقصد بها المنشآت المعمارية بأنواعها المختلفة، وكذلك

1- حسن الباشا، المدخل، ص11.

2- حسين مؤنس(د)، المساجد، عالم المعرفة، عدد37، 1981م، ص 49، 50.

عناصرها المعمارية المكونة لها.

- الآثار المنقولة: وتضم التحف المختلفة المصنوعة من الخزف والخشب والمعدن والعاج والنسيج والسجاد..الخ.

وسوف نتحدث عن النوع الأول في الفصول الخمسة الأولى، فيما اختص الفصل السادس والأخير بآثار النوع الثاني.

الفصل الأول

المنشآت الدينية

الفصل الأول
المنشآت الدينية

سيتم في هذا الفصل تناول المنشآت المعمارية الدينية بأنواعها المختلفة: ومنها منشآت الصلاة، والمنشآت الجنائزية، والمنشآت التعليمية، وكل نوع من هذه الأنواع لا ينفصل عن الأنواع الأخرى، بل هناك اتصال وثيق من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة، فمثلاً المسجد وهو من منشآت الصلاة إلاّ أنه كان يقوم بالوظيفة التعليمية مثله مثل المدرسة، والعكس أيضاً، لذلك فإن تصنيف هذه المباني إلى الأنواع المذكورة إنما جاء وفقاً للوظيفة الأساسية للمبنى أو الوظيفة الأشهرله.

المبحث الأول: منشآت الصلاة:

تأتي عمارة المنشآت الخاصة بالصلاة في مقدمة أنواع العمائر الإسلامية عامة لعدة عوامل منها: أنها تخدم الغرض من إنشائها في إقامة الشعائر الدينية[1]، وثانيها أن بنائها يعد قربة يتقرب بها العبد إلى الله لينال صاحبها الأجر والثواب، ولذلك تحتل منشآت الصلاةة المقام الأسمى بين العمائر الدينية خاصة والعمائر الإسلامية عامة، سواء من حيث العدد أو من حيث درجة الحفظ وجمال الزخرفة ومهارة الصنعة ودرجة الفخامة، وتنقسم هذه المنشآت إلى ثلاثة أنواع هي: المسجد الجامع، مساجد الفروض، المصلى.

أولاً: المسجد الجامع:

يعد المسجد من أجمل ما تقع عليه عين الإنسان في عالم الإسلام، لأن المساجد بمآذنها الدقيقة السارحة في عنان السماء وقبابها الأنيقة تضيف عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها[2].

والمساجد هي بيوت الله في الأرض، فيها تتم عبادة الله وذكره والتضرع إليه، ومنها يتم الاتصال بالخالق جل وعلا دون واسطة، المساجد هي رمز الإسلام، وعلامة الإيمان، يقولﷺ (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ (إِنَّمَا

1- مصطفى شيحة (د)، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1992م، ص13.

2- حسين مؤنس، المساجد، ص31.

يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاة [1])، ولأهمية المسجد في الإسلام وفي حياة المسلم ذكره الله في القرآن وذكره الرسول ﷺ في أحاديثه، وألف العلماء عشرات الكتب عن المسجد وعمارته ووظيفته وأهميته للمسلم.

فقد ورد ذكر المسجد في القرآن 28 مرة، في آيات تتحدث عن عمارته وأحكامه، ويرد تارة باسم المسجد وتارة باسم البيت، ومنها: قوله تعالى: (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذي غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا[2])، وقوله (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد الله من ءامن بالله واليوم الأخر وأقام الصلاة وءاتي الزكاة ولم يخش إلاّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[3])، وقوله (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين 4)، وقوله(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا[5])، وقوله(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله قوي عزيز[6])، وقوله (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال[7]).

وورد ذكر المسجد في السنة المطهرة في أحاديث كثيرة جداً نذكر منها:قوله ﷺ (جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ[8]) وقوله ﷺ (خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ[9])، وقوله ﷺ (لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى[10])، وقوله ﷺ (مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ[11])، وقوله ﷺ (مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ

1- رواه الترمذي.

2- سورة الكهف، آية18.

3- سورة التوبة، آية17، 18.

4- سورة البقرة، آية113.

5- سورة الجن، آية18.

6- سورة الحج، آية40.

7- سورة النور، آية36.

8- رواه البخاري في حديث طويل.

9- رواه الإمام أحمد.

10- رواه البخاري.

11- رواه مسلم.

كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ[(1)]).

تعريف المسجد الجامع:

سمي المسجد بهذا الاسم لأنه المحل الذي يسجد الإنسان فيه إلى الله عز وجل دون سواه، ومصدره "سجد" بمعنى انحنى وخضع ووضع جبهته بالأرض خاضعاً متعبداً، والمسجد لغة: على وزن مَفعِل بالكسر اسم لمكان السجود، والمسجَد بالفتح جبهة الرجل لأنها تصيب الأرض حال السجود[2].

والمسجد شرعاً: كل موضع من الأرض لقولهﷺ (جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ[(3)]) ولما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه أشتق اسم المكان منه فقيل مسجد ولم يقل مركع[4].

أما الجامع بمعنى المسجد: هو المكان المخصص للعبادة، والجامع في اللغة: من المصدر "جمع"، والجمع تأليف المتفرق وضم الشيء إلى الشيء، والجمع جماعة الناس، ومنها اشتق اسم يوم الجمعة أي يوم يجمع الناس كثيراً، وأمر جامع أمر يجمع الناس، والجامع يطلق على المسجد الذي تصلى فيه الجمعة لأنه يجمع الناس في يوم معلوم ووقت معلوم[5]، وشرعاً: المكان الذي يجمع الناس ويجتمعون فيه للعبادة، وأداء صلاة الجمعة والأعياد.

وهناك ثلاثة استعمالات في العرف واللغة بين الجامع والمسجد[6]:

الأول: الاستعمال على سبيل الترادف، كأن نطلق على المكان المخصص للعبادة تارةً اسم مسجد كما في بلدان الجزيرة العربية، وتارة أخرى اسم جامع كما في العراق وشمال أفريقيا.

الثاني: يقال المسجد الجامع بإضافة أل التعريف إلى المسجد، والجامع هنا نعت للمسجد

1- رواه الإمام أحمد.

2- الزركشي، محمد بن عبد الله، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الرابعة القاهرة، 1996م، ص26، زكي الميلاد، الجامع والجامعة والجماعة، دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى1998م، ص7.

3- رواه البخاري في حديث طويل.

4- الزركشي، إعلام الساجد، ص28.

5- محمد محمد أمين(د)، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ، ص27.

6- زكي الميلاد، الجامع، ص6.

لأنه علامة الاجتماع، أي أن المسجد هو الذي يجمع الناس، وهو سبب الاجتماع مع أنه المكان وليس السبب.

الثالث: يقال مسجد الجامع بإضافة أل التعريف إلى لفظ الجامع فقط دون لفظ المسجد، ويراد من الجامع هنا الإضافة، ويعني مسجد اليوم الجامع.

وكل هذه الاستعمالات صحيحة وشائعة، والتفريق بينها هو قولنا تارة: المسجد الجامع بمعنى أن كل مسجد بالأصالة هو جامع، أي يجمع الناس ويجتمعون فيه، ونقول تارة أخرى مسجد الجامع تمييزاً لهذا المسجد باعتبار ما يقام فيه من صلاة الجمعة والعيدين دون غيره، لذلك يطلق عليه أحياناً المسجد الكبير أو الجامع الكبير.

كما يمكن القول إن المسجد هو مفهوم خاص ومضمونه عبادي يدل على علاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى، فهو بيت الله في الأرض خاص لعبادته والتقرب إليه وحده، وهي وظيفته الأساسية، وما عدا ذلك من الوظائف الأخرى هي متفرعة أو ثانوية لهذا الأصل، وأما الجامع فهو مفهوم عام ومضمونه اجتماعي، يدل على علاقة الناس بعضهم ببعض، فهو المكان الذي يجمع الناس ويجتمعون فيه، أي أنه جامع لهم، بكل فئاتهم المهنية، وطبقاتهم الاجتماعية، ومذاهبهم الدينية[1].

-وظيفة المسجد الجامع:

إن المسجد هو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها بعضهم ببعض، يتلاقون فيه للصلاة والتلاوة والذكر والاستغفار، وهذه هي الوظيفة الأساسية للمسجد أي الصلاة والعبادة قال تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه[2])، وإلى جانب العبادة استخدم المسلمون مساجدهم مراكز للحكم والإدارة والتشاور، ودوراً للقضاء والإفتاء لا لأن الدول كانت عاجزة عن إنشاء دور للقضاء بل لأن القضاة أرادوا أن يسير القضاء في طريقه بعيداً عن تأثير الدولة ورجالها، كما استخدموا مساجدهم معاهد للتعليم لأن العلم كان دائماً من اختصاص الجماعة إذ لم تكن الدول مسئولة عن التعليم وإنما كان من اختصاص الأفراد والجماعة، وظل على ذلك منذ بداية الإسلام وحتى منتصف القرن5هـ/11م عندما قامت المدارس في المشرق الإسلامي ومن ثم انتشارها في بقية أقاليم العالم الإسلامي، وقد

1- زكي الميلاد، الجامع، ص10.

2- سورة التوبة، آية 108.

ضمن اتخاذ المساجد في التعليم كفاءة العلماء من ناحية وحرية أهل العلم من ناحية أخرى، وكان المسجد أيضاً وسيلة للدعوة ونشر الإسلام في البلدان غير المسلمة إذ كان التجار يبنون المساجد في مواطن نزولهم وتجارتهم فلا يلبث أهل الموضع أن يقبلوا على الجامع ويدخلوا في الإسلام، وكان المسجد مأوى الغرباء عن البلد فيه يقيمون وفيه يعرف الناس غربتهم فيضيفونهم، وكان أيضاً وسيلة للإعلام وتبليغ الأخبار والمراسيم (القرارات) للناس، وغير ذلك من أمور الدين والدولة[1].

وبذلك كان المسجد وسيظل ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية وضرورة تعليمية وضرورة ثقافية لكل مسلم على حده ولجماعة المسلمين جملة، فالمسجد هو بيت الله، وهو أيضاً بيت الجماعة، وبيت كل فرد في الجماعة، وهو الشيء الوحيد الذي كانت تملكه الجماعة مشتركة وإن كان الذي بناه هو السلطان أو الخليفة أو الدولة[2].

أما اليوم فإن المسجد في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة فقد الكثير من عناصر قوته التي كانت تكسبه محورية في حياة المجتمع ووظائفه العامة، وحجم كثيراً في ميادين أنشطته وفعالياته، حيث فقد دوره العلمي وهو من أهم الأدوار الحيوية التي كان ينهض بها الجامع في حضارة الإسلام، مما أدى إلى الإنفكاك بين الجامع والجماعة، فلم يعد للجامع وظيفته الأساسية في حقل العلم بعد أن كان بمثابة الجامعة يلتقي فيه العلماء للتدارس والتشاور والمناظرة، وفقد دوره في المجال الثقافي حيث توقفت أنشطته الثقافية أو قلصت، فلا توجد فيه مكتبات عامة للمطالعة والتأليف والكتابة والبحث، ولتقام فيه الندوات والمحاضرات الثقافية إلا في القليل النادر، وكذلك الأنشطة الاجتماعية والتربوية[3].

لذلك إذا أردنا أن ينهض الجامع بوظيفته من جديد، لابد أن تعود إليه وظائف ثلاث على الأقل وهي: الوظيفة الدينية بكل فروعها فلا تقتصر على العبادة فقط، الوظيفة العلمية، والوظيفة الاجتماعية، ولكي يقوم بها خير قيام لابد من تأهيله بما يلزمه من أدوات وخدمات وأجهزة إدارية، وهذه الوظائف ليست جديدة عليه ولا طارئة ولا خارجة عن اهتمامه، بل كانت متكاملة فيه في ظل الحضارة الإسلامية، ولم تنقطع عنه أو تضيق إلا مع التراجع الحضاري للعالم الإسلامي الذي جمد فعاليات الأمة وطاقاتها، وفكك

1- حسين مؤنس، المساجد، ص34، 35، 37، 40، حسن الباشا، المدخل، ص24.

2- حسين مؤنس، المساجد، ص34

3-زكي الميلاد، الجامع، ص47.

وظائف الجامع وسلبها منه حيث كان المسجد إبان النهضة الحقيقية للعالم الإسلامي حجر الزاوية في اتجاهات ثلاثة: كان مكان اجتماع الجماعة المؤمنة، وكان قاعدة الدولة بوظائفها المتعددة العلمية والجهادية والإعلامية والسياسية والثقافية..الخ، وكان مركز المدينة وميدانها الرئيسي الذي تمتد منه الأحياء والشوارع والأسواق[1].

وحتى مع قيام الدولة ببناء المؤسسات وأنظمتها، ما كان ينبغي أن يسلب من المسجد هذه الوظائف والخدمات المتعددة لأن المسجد في الأصل مؤسسة أهلية وليست رسمية، وأنشطته وخدماته موجهة إلى المجتمع دون أي تعارض مع أنشطة الدولة وخدماتها وأنظمتها وقوانينها.

ونخلص مما سبق إلى حقائق ثلاث[2] هي:

الحقيقة الأولى: أن المساجد كانت مراكز اتصال بين أفراد الجماعة المسلمة، ففيها كان يلتقي الغرباء من أبناء المسلمين، وهناك كانوا يتجمعون ويتعارفون، هناك كانوا يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة هي أمة الإسلام، وبفضل المساجد لم يكن المسلم يشعر بأنه غريب في بلد إسلامي.

الحقيقة الثانية: أن المساجد كانت النواة التي نشأت حولها جماعة إسلامية جديدة في مجتمع غير مسلم، لمجرد أن يقوم شخص ببناء مسجد في منطقة ما يتحول المسجد إلى مكان لجذب الناس إلى الإسلام، وهكذا انتشر الإسلام في نواحي كثيرة من أفريقيا وشرق آسيا.

الحقيقة الثالثة: أن المساجد في ذاتها مراكز للدعوة والإرشاد والتوعية والتعليم والتثقيف والإعلام بين الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم من خلال المحاضرات والندوات ومجالس الفتوى وحلقات العلم، ومجالس القضاء..الخ.

دور العقيدة في تخطيط المسجد:

ما إن دخل رسول الله ﷺ المدينة المنورة عقب الهجرة حتى شرع في بناء المسجد النبوي الذي كان له أبلغ الأثر في عمارة المسجد في العصر الإسلامي كله، حيث مهدت الأرض وأعدت مواد البناء من الحجارة واللبن وجذوع النخل وغير ذلك، ثم وضع الرسول ﷺ بيديه الشريفتين أول لبنة وأعظمها أثراً في تخطيط المسجد، واقتدى به أصحابة

1- زكي الميلاد، الجامع، ص54.

2- حسين مؤنس، المساجد، ص42، 43.

الراشدون فأخذوا يشرعون في أعمال البناء حتى اكتمل المسجد، والذي كان الأساس الأول لقيام الدولة المسلمة والنواة الأولى للدعوة الإسلامية، كما كان أول عمل معماري هام في الإسلام، فعندما كان الرسولﷺ والمسلمون معه يضعون أساس المسجد كانوا في الوقت نفسه يضعون أساس فن العمارة الإسلامية للعالم أجمع، فعلى غرار تصميم المسجد النبوي (شكل1) واقتداءً برسول اللهﷺ بنيت مساجد الأمصار الإسلامية كصنعاء والبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان ودمشق، كما صار طرازه أهم الطرز المعمارية لبناء المساجد في مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

ومن هنا يمكننا القول إن تخطيط المسجد خضع بشكل كلي للعقيدة الإسلامية فكانت البوائك والعقود تبنى موازية أو عمودية على جدار القبلة حتى تتيح أكبر مساحة للناس لأداء الصلاة وحتى لا تقطع صفوف المصلين سواء أكان تخطيطها على شكل بوائك رأسية (بلاطات) أو موازية لجدار القبلة (أساكيب).

وبما أن الدين الإسلامي يحث المصلين على أداء الصلاة في الصفوف الأولى لقول الرسول ﷺ "الصف الأول فالأول" وقوله"إن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج" وقوله"من وصل صفاً وصله الله ومن قطع صفاً قطعه الله"، لذلك قام المعمار بجعل بلاطة المحراب أوسع من بقية البلاطات، وجعل أسكوب المحراب أوسع من بقية الأساكيب وجعل مواقع الأعمدة على نظام خاص بحيث لا تقطع الصفوف.

الأصول المعمارية للمسجد (والمسجد الجامع)

دأب المستشرقون على إرجاع تخطيط المسجد إلى تأثره بالمباني المسيحية والحضارات القديمة حتى أنهم سموا أجزاء المسجد على غرار المعابد والكنائس حيث قدس الأقداس ومكان الكهنة والمذبح ..الخ، وأرجعوا المسميات والوظائف إلى العقيدة المسيحية لأنهم لا يعترفوا بكلمة مسجد فقالوا في تسمية مسجد المدينة أنه بيت الصلاة أو بيت محمد،لا لشيء إلا لأن مساكن أزواج الرسولﷺ كانت في بداية الأمر مجاورة للمسجد رغم وجود شارع صغير يفصل بينها وبين المسجد، وعندما تم توسعة المسجد في عهد عمر بن الخطابؓ التصقت بيوت أزواج الرسولﷺ بالمسجد، كما أنهم قالوا إن ظلة القبلة أو جناح المقدم هي بيت الصلاة وهكذا.

وإذا كان لا بد من تأثر المسلمين بغيرهم فقد كان الأولى بهم أن يتأثروا بما حولهم من المباني في الجزيرة العربية، كأن يتأثروا ببناء الكعبة ذات الشكل المربع أو بأبنية

الحضارات العربية في اليمن وجزيرة العرب، لا أن يتأثروا بالمعابد الرومانية غير الموجودة في الجزيرة العربية، وهنا يتبين لنا نية المستشرقين الخبيثة في إصباغ النشأة والتخطيط المسيحي على كل مساجد المسلمين بهدف تجريد المسلمين من أي جهد حضاري أو حتى القدرة على الابتكار.

وقد تمكن علماء الآثار المسلمون من خلال دراستهم للآثار ومن خلال كتابات الرحالة والمؤرخين الأوائل إثبات أن كل جزء من أجزاء المسجد كانت ذات نشأة إسلامية خضعت لأساس واحد هو الدين الإسلامي ويمكن إجمال تخطيط المساجد إلى ما يلي:

أ- التخطيط ذو الصحن والأساكيب:

يتكون من مساحة مربعة أو مستطيلة يضم صحناً مكشوفاً في الوسط تحيط به أربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة المكونة من بوائك مكونة من صفوف من الأعمدة تحمل عقوداً تسير موازية لجدار، وفوق العقود يقع سقف المسجد، وقد يلحق بالمسجد منشآت أخرى كالميضأة، ومن أمثلة مساجد هذا النوع: المسجد النبوي بالمدينة المنورة، والجامع الكبير بصنعاء، وجامع عمرو بن العاص بالقاهرة (شكل2)، والجامع الأموي بدمشق، وجامع أحمد بن طولون والجامع الأزهر بالقاهرة، والجامع الكبير بزبيد، وغيرها من المساجد في مختلف مناطق العالم الإسلامي.

وبناء على تخطيطات المساجد المذكورة يمكننا القول إن تخطيط المسجد هو تخطيط إسلامي بحت وضع تصميمه رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة وعليه سارت جميع مساجد المسلمين مع اختلافات طفيفة بزيادة أو نقصان في عدد الظلات أو الملحقات، وليس كما اعتقد المستشرقون أنه متأثر بالمعابد الرومانية والكنائس المسيحية، فتخطيط المسجد جاء موافقاً لأحاديث الرسول ﷺ التي تدعوا المصلين إلى انتظام صفوفهم أثناء الصلاة.

ب ـ التخطيط ذو الصحن والبلاطات:

يتكون من مساحة مربعة أو مستطيلة تنقسم من الداخل إلى صحن مكشوف محاط بأربع ظلات أكبرها وأعمقها ظلة القبلة، قسمت كل ظلة منها إلى عدد من البلاطات العمودية على جدار القبلة بواسطة عدد من البوائك المعقودة، ومن أمثلته جامع عقبة بن نافه بالقيروان الذي بني سنة55هـ الذي يتكون من صحن مكشوف محاط بأربع ظلات أكبرها ظلة القبلة التي تشتمل على سبع عشرة بلاطة عمودية على جدار القبلة أوسعها وأعلاها سقفاً بلاطة المحراب، كذلك الجامع الكبير بمدينة قرطبة الأندلسية(شكل3)،

والذي يتكون من صحن مكشوف وظلة واحدة هي ظلة القبلة المكونة من 19 بلاطة عمودية على جدار القبلة، والجامع الكبير بمدينة ذي أشرق، والجامع الكبير بمدينة شبام كوكبان 225هـ المكون من صحن وأربع ظلات مكونة من بلاطات عمودية على جدار القبلة.

وتخطيط هذا النوع من المساجد أثار جدلاً واسعاً بين علماء الآثار حيث يعتقد المستشرقون أن هذا الطراز متأثر بنظام التخطيط البازيلكي الثلاثي، وهذا غير صحيح فالتخطيط هو تخطيط إسلامي بحت فرضه الخضوع للعقيدة الإسلامية في تحديد اتجاه القبلة، وفرضه الموقع المراد بناء المسجد عليه، وفرضته المواد المتوفرة اللازمة لبنائه.

ج- التخطيط ذو الصحن والأساكيب والبلاطات:

يتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة مقسمة من الداخل إلى صحن أوسط مكشوف تحيط به أربع ظلات، مقسمة إلى عدد من الأساكيب والبلاطات، حيث تحمل الدعامات أو الأعمدة عقوداً عمودية على جدار القبلة وعقوداً موازية في نفس الوقت، ومن أمثلة ذلك الجامع الكبير بسوسة 236هـ (شكل4) المكون من مساحة مستطيلة 60×90م تضم صحناً مكشوفاً وأربع ظلات أعمقها ظلة القبلة، قسمت كل ظلة إلى أساكيب وبلاطات بواسطة دعامات مربعة تحمل عقوداً موازية وعمودية على جدار القبلة، ومن الأمثلة الأخرى مسجد أبو فتاتة بسوسة، والجامع الأقمر بالقاهرة.

د ـ التخطيط ذو الأساكيب من دون صحن:

يتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة مقسمة من الداخل إلى عدد من الأساكيب الموازية لجدار القبلة، ويخلو هذا النوع من الصحن وإن قد يشتمل على فناء خارجي يحيط بالمسجد أو بجزء منه، ومن أمثلته جامع ثلا، وجامع ذي بين (شكل5).

هـ - التخطيط ذو البلاطات من دون صحن:

يتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة مقسمة من الداخل بواسطة البائكات إلى عدد من البلاطات العمودية على جدار القبلة، وهذا الطراز يخلوا من الصحن المكشوف، ومن أمثلته: المسجد الأقصى بالقدس المكون من مساحة مستطيلة طولها من الشرق إلى الغرب 85م وفي الشمال إلى الجنوب 55م (شكل6) ، وكان المسجد الأقصى في العصر العباسي مكوناً من 26 بلاطة عمودية على جدار القبلة، وهذا يعني أن الدعامات والأعمدة كانت تحمل عقوداً عمودية على جدار القبلة فقط، وقد تهدم المسجد الأقصى أكثر من مرة

وفي عصور مختلفة وأعيد ترميمه وتجديده في كل مرة وفي كل تجديد يقل عدد البلاطات حيث أصبح في العصر الفاطمي مكوناً من سبع بلاطات بدلاً من 15 بلاطة في بداية العصر الفاطمي، أكبر البلاطات أتساعاً وارتفاعاً هي البلاطة الوسطى أي بلاطة المحراب.

و – الشكل المثمن:

يتكون من مثمنين الأول خارجي يحيط بالمثمن الثاني الداخلي الذي يحيط بدوره بكرسي القبة، وخير مثال له قبة الصخرة بالمسجد الأقصى بالقدس والتي أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة 72هـ ورصد لبنائها خراج مصر لسبع سنوات متصلة وعهد بالبناء إلى اثنين من المهندسين هما رجاء بن حيوه الكندي ويزيد بن سلام وقد شرع في بناء القبة عام 66هـ/685م وفرغ من بنائها عام 72هـ/691م (شكل7).

يتكون المسقط الأفقي لقبة الصخرة من مثمن داخلي أصغر حجماً من المثمن الخارجي ويتوسط المثمن الداخلي كرسي القبة الذي يحيط بالصخرة، تتكون كرسي القبة من أربع دعامات تحصر فيما بينها 12عمود من الرخام موزعة ثلاثة على جانب كل دعامة وتحمل كل من الدعامات الأربع والأعمدة ال12 ستة عشر عقد تحمل القبة ويحيط بكرسي القبة الداخلي 8 دعائم مشطورة منصوبة في أركان المثمن الخارجي من الداخل وبين كل دعامة وأخرى عمودين من الرخام يحملان مع الدعامتين ثلاثة عقود يبلغ مجموعها 24 عقد محمولة على 16 عمود وثمان دعائم، ويلي هذا المثمن من الخارج مثمن أكبر حجماً يمثل الجدران الخارجية لمثمن القبة ويبلغ طول ضلع المثمن 21م وارتفاعه 9م.

ي – البنية:

البنية نوع من المساجد انفردت اليمن ببناءه، تخطيط البنية مكون من مسجد للصلاة مربع أو مستطيل مقسم من الداخل إلى بلاطات أو أساكيب، ويحيط بالبنية من جميع الجهات أو يتقدمها من جهة واحدة فناء (صوح عند أهل اليمن) مكشوف تشغل بعض جهاته ملحقات البنية كالمطاهير والمئذنة والقبة الضريحية إن وجدت، ويتم الوصول من الصوح إلى البنية عبر باب واحد أو أكثر، مما يعني أن البنية محجوبة عن الفناء أو الصوح بجدران تتخللها أبواب وشبابيك، ومن أمثلتها: مسجد الجلاء، ومسجد الوشلي (شكل8)، ومسجد طلحة بصنعاء..الخ.

ثانيا: مساجد الفروض:

يقصد بها المساجد التي يتم فيها أداء الصلوات الخمس المفروضة دون صلاة الجمعة حيث كانت الأخيرة تصلى فقط في المسجد النبوي الشريف، وهذه المساجد موجودة منذ أيام الرسول ﷺ، فقد كان لكل حي من أحياء المدينة مسجداً خاصاً للصلاة، لذلك احتوت المدينة المنورة في عهد الرسولﷺ وعهد خلفاءه الراشدين على33 مسجد منها: مسجد علي بن أبي طالب، ومسجد عمر، ومسجد أبو بكر، ومسجد عثمان، ومسجد الفضيخ.

وفي اليمن وغيرها من البلدان كانت مساجد الصلوات منتشرة في أحياء المدن المختلفة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: مسجد الشهيدين ومسجد صلاح الدين، ومسجد المدرسة، ومسجد الفليحي بصنعاء، ومسجد صرحة، ومسجد تمور، ومسجد تيثد، ومسجد خاو، ومسجد العباس بأسناف خولان، ومسجد العدني بزبيد، ومسجد المعجار، ومسجد الخامري، ومسجد ركيز بحيس ومسجد البخاري (الحضرمي) بحيس (شكل9).

ثالثاً: المصلى:

المصلى: مشتق من الصلاة، فهو مكان الصلاة، إي المكان الذي يجتمع فيه الناس في الأعياد لأداء صلاة العيد، أي مصلى العيد وهو ما يعرف حالياً باسم الجبانة (شكل10)، كما يطلق على الأماكن المخصصة للصلاة في المنشآت الأخرى كالمدارس (شكل10ب) والأربطة ومصليات النساء في المساجد والمنازل، ومنها ما جاء في قوله تعالى(وإذ جعلنا البيت الحرام مثابةً للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود[1])، فمقام إبراهيم مصلى جزئي من مسجد كلي هو المسجد الحرام.

1- سورة البقرة، آية125

المبحث الثاني: المنشآت الجنائزية:

يقصد بها المنشآت التي خصصت لدفن موتى المسلمين، ومنها: القبر وإن لم يكن منشأة يمكن وصفه معمارياً، والضريح، والقبة، والمشهد، والتربة، والمقام.

1- الضريح[1]:

الضريح في اللغة العربية مشتق من الفعل "ضرح" ويقصد به الشق أو اللحد وسط القبر، وقيل هو القبر بلا لحد، وقيل الضريح القبر كله لأنه يشق في الأرض شقاً، وقد أطلقت تسمية الضريح تجوزاً على البناء المقام على القبر من باب إطلاق تسمية الجزء على الكل، لأن الأصل في الشيء هو الدفن، كما أطلقت كلمة الضريح على التوابيت الخشبية والتراكيب التي تعلوا القبور.

والضريح في البلاد الإسلامية من العمائر التي اعتنى المسلمون بتشييدها وتخصص لدفن الخلفاء والملوك وأهل الفضل والصلاح، ويقصد بها البناء الذي يقام على رفات شخص ما ذي مكانة دينية أو سياسية تخليداً لذكراه.

وكانت الأضرحة تبنى على شكل مربع أو مستطيل أو مثمن تعلوه قبة .أو عدة قباب كما في مصر واليمن، أو على شكل برج مخروطي كما في العراق، كما قد تبنى الأضرحة مستقلة عن أي بناء أو ملحقة بمبان أخرى.[2]

وتعد قبة الصليبية في العراق 248هـ/862م (شكل11) أقدم ضريح باق في العالم الإسلامي، وهي من بناء أم الخليفة العباسي المنتصر بالله ودفن فيها هو والخليفتين المعتز والمهتدي، وتتكون من مساحة مثمنة تضم مثمنين من البناء الداخلي منهما يضم بداخله رفات الخلفاء.

وفي اليمن يعد ضريح قبة الشهيدين الملحق بمسجد الشهيدين بصنعاء والذي دفن فيه قثم وعبد الرحمن ابني عبيد الله بن عباس بعد أن قتلهما بشر بن أرطأة قائد جيش معاوية بن أبي سفيان عقب استيلائه على صنعاء أقدم الأضرحة ليس في اليمن فحسب وإنما في العالم الإسلامي إذا صدقت المعلومات التاريخية التي تقول إنه بني عام 41هـ.

1- علي سعيد سيف، الأضرحة في اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة صنعاء، 1999م ص28، 29.

2- محمد أمين، المصطلحات، ص74، علي سعيد، الأضرحة، ص8-10.

2- المشهد[1]:

المشهد بالفتح من الفعل شهد، والمشهد محضر الناس ومجتمعهم، وكل مكان يشهده الناس ويحتشدون فيه فهو مشهد، والمشهد هو المرادف لكلمة ضريح، لكن المشهد خاص بالمتوفين من آل البيت من العلويين والفاطميين، وربما كانت له علاقة بالشهادة في سبيل الله مما يعني أن المشهد هو المكان الذي يدفن فيه الشهيد، وربما أخذ مصطلح المشهد من مرقد الإمام علي (كرم الله وجهه) بمدينة النجف العراقية، حيث يجتمع الناس حوله للزيارة والتبرك، ولذلك عرف باسم مشهد الإمام علي، وإن كان الأرجح أن المشهد مأخوذ من المشاهدة والمعاينة كل الأماكن التي شوهد فيها الإمام علي سميت بالمشهد، ومن ذلك ما ذكره ناصر خسرو عن وجود 13 مشهد باسم الإمام علي في مدينة البصرة ولكل منها اسم، لذلك ربما اقترن اسم المشهد بالمشاهدة أي الأماكن التي شوهد فيها الإمام علي ولو بالمنام، وكذلك مأخوذة من زيارة الزوار لهذه المشاهد من أجل مشاهد مراقد الأئمة.

وعلى ذلك فإن الضريح والمشهد اسمان لمسمى واحد، لكن الأول يبنى على القبور العامة التي قد يجتمع إليها الناس للزيارة، أما الثاني أي المشهد فهو الذي يبنى على قبور آل البيت بغض النظر عن كونهم استشهدوا أم ماتوا ميتة طبيعية، وسواء أكانوا رجالاً أم نساءً، حيث يجتمع إليه الناس لزيارة المدفونين فيه.

أما عن بناء المشهد فإنه لا يختلف عن بناء الضريح، حيث يتكون من مبنى مستطيل أو مربع مستقل أو ملاصق لأحد المساجد يضم بداخله رفات صاحبه، ومن أشهر المشاهد: مشهد الإمام علي بالنجف، ومشهدا الإمام الحسين في العراق ومصر، ومشهد السيدة رقية (شكل12)، ومشهد السيدة نفيسة ومشهد السيدة زينب، ومشهد الإمام الشافعي في القاهرة.

3- التربة[2]:

التربة وجمعها ترب في اللغة من الفعل "ترب"، وأترب الشيء وضع عليه التراب، والتربة الأرض، وتربة الأرض ظاهرها، وتربة الإنسان رمسه أي بقاياه، ويستخدم مصطلح التربة في الآثار للدلالة على مبنى القبر كله بما في ذلك الجزء المدفون في باطن الأرض (الشق واللحد)، المكون من حفرة بسيطة متجهة نحو القبلة، وما هو ظاهر فوق

1- علي سعيد، الأضرحة، ص2-15، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص20.

2- محمد أمين، المصطلحات، ص26، علي سعيد، الأضرحة، ص11، 12.

الأرض من بناء بسيط يحدد مساحة القبر قد لا يزيد ارتفاعه عن بضعة سنتيمترات، و قد تكون التربة عبارة عن بناء مجسم أو وحدة معمارية تضم غرفاً وملحقات وعدة قبور، تربة أبناء قايتباي (865هـ) وتقع خلف مدرسة السلطان قايتباي بجبانة المماليك بالقاهرة، وتعرف باسم التربة القديمة، ومدفن أولاد السلطان، وقد حددت وثيقة الوقف الخاصة بها وظيفة التربة بأنها مخصصة لينتفع بها هو وزوجته وأولاده من نسله ومن يلوذ به من الأقارب، ولذلك اشتملت التربة على مدرسة لطيفة – أي صغيرة – ذات إيوانين ودور قاعة، وقبة ضريحية، وأروقة ومطبخ، وإسطبل، وسبيل وكتاب، ومساكن للعاملين بها، ولأن التربة كانت تستخدم من قبل قايتباي وأسرته عند زيارتهم لمقابر موتاهم فقد احتوت أيضاً على مقعد يستقبل فيه ضيوفه[1] (شكل13).

وكانت التربة تقام مستقلة أو في مبنى خاص يغطيها قبة ملحقة بمصلى أو مدرسة أو مسجد، وقد تكون التربة غنية بالزخارف الفنية تفوق أحياناً المسجد الملحقة به.

4- المقام[2]:

من الأسماء التي أطلقت على أبنية القبور، وهو من الفعل قام، والمقام لغة الموضع الذي تقيم فيه، والمقامة بالضم الإقامة وبالفتح المجلس والجماعة من الناس، والمقام الكريم في القرآن هو المنبر وقيل المنزلة الحسنة، ومقام إبراهيم في الكعبة هو الحجر الذي فيه أثر قدمي إبراهيم عليه السلام والذي وقف عليه أثناء بناء الكعبة، وللإمام عليﷺ مقامات كثيرة، والمقام البناء حول القبر كمقام الإمام علي ومقام الإمام الحسين أي مشهديهما في النجف وكربلاء، ومقام الإمام الشافعي أو ضريحه أو مشهده – حسب اختلاف المسميات– بالقاهرة، ومقام ابن علوان ضريحه الموجود بجامع يفرس بتعز.

1- حسني نويصر (د)، العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، 1996م، ص 647-664.

2- علي سعيد، الأضرحة، ص16.

المبحث الثالث: المنشآت التعليمية:

هناك نوعين من المنشآت التي قامت بوظيفة التعليم وهما المدرسة والكتاب، وإن كانت المنشآت الدينية والاجتماعية كالمسجد والخانقاة والرباط والزاوية قامت أيضاً بوظيفة التعليم لكنها كانت وظيفة استثنائية ولم تكن الوظيفة الأساسية، وقد سبق أن تناولنا المنشآت الدينية، وفيما يلي دراسة للمنشآت التعليمية:

أولاً: المدرسة:

المدرسة وجمعها مدارس: هي مكان الدرس والتعليم، والمِدْرَاس والمِدْرَس الموضع الذي يُدْرَس فيه، وهي مشتقة من دَرَسَ الكتاب يدْرُسُه درساً ودِراسة أي قرأه.(1)

والمقصود بالمدارس الأماكن التي بنيت لغرض نشر نوع من المعرفة بإشراف جهة معينة تقوم بإنفاق المال عليها من ريع الأوقاف الموقوفة عليها، وتقوم باختيار وتعيين المدرسين والطلاب المرتبين فيها.

نشأة المدرسة:

قبل بناء المدارس قام المسجد منذ نشأته بالعديد من الوظائف ـــ إلى جانب وظيفته الأساسية وهي إقامة الصلاة فيه ـــ من أهمها: أن المسجد كان يمثل داراً للقضاء، ومقراً للحكومة، وداراً للتعليم، يلتقي بين جوانبه المعلمون والمتعلمون ليتدارسوا أمور دينهم اقتداءً برسول الله ﷺ الذي كان يجلس في مسجده النبوي ليعلم الناس أمور دينهم ودنياهم، وبعد وفاته ﷺ انتشر الصحابة والتابعين في أرجاء الأرض يجلسون في مساجد الأمصار ويلتف حولهم المسلمون لينهلوا من علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة وأحكام الدين، فضلاً عن اتخاذ بعض الصحابة والتابعين لبعض دورهم كأماكن لنشر العلم ومنهم عبدا لله بن عباس الذي اتخذ من منزله بالطائف مكاناً لإلقاء الدروس، فكان ذلك بداية ظهور فكرة اتخاذ الدور والقصور للتدريس.

وكان لازدياد أعداد الداخلين في الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية وارتقاء نظمها وتطور حضارتها، وزيادة عدد السكان وإقبال الناس بأعداد كبيرة على التعليم،

1- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ج1، ص280، ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف مصر، ج3، ص1360، الفيروزآبادي القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1986م، ص701.

فضلاً عن انتشار المذاهب الدينية والفكرية في العالم الإسلامي، دوراً كبيرا في ظهور فكرة إنشاء مبان تعليمية متخصصة في محاولة من أتباع كل مذهب نشر مذهبهم والقضاء ـ أو على الأقل تحجيم ـ المذاهب الأخرى، أي أنه كانت هناك حاجة ملحة وضرورية إلى إنشاء مؤسسات خاصة تخفف الحمل الثقيل عن المسجد، لذلك ظهرت بيوت الإمارة ودور القضاء ودواوين الجيش والكتابة والمال، ومكاتب الأيتام ثم تلا ذلك ظهور مؤسسات ثقافية أكبر ومنها بيوت الحكمة في العصر العباسي ودور العلم في العصر الفاطمي بالإضافة إلى دور القرآن والحديث وزوايا العلم، وقد مهد ذلك لظهور مؤسسة تعليمية متخصصة ومنفصلة عن المسجد تمثلت في المدرسة التي قامت بالوظيفة التعليمية جنباً إلى جنب مع المسجد الذي لم يفقد مكانته التعليمية بعد ظهور المدرسة وإنما ظل يقوم بهذه الوظيفة إلى جانب وظيفته الأصلية حتى عهد قريب، وقد ظهرت أول مدرسة بمعناها اللفظي والمعماري قد ظهرت في العالم الإسلامي سنة 345هـ عندما بنى الإمام أبو حاتم البستي مدرسته في بلدته بست، وتلتها المدرسة التي شيدها الشافعيون في نيسابور للإمام النيسابوري سنة349هـ، ثم مدرسة الإمام الحاتمي في طهران سنة362هـ، ثم المدرسة الصادرية بدمشق سنة391هـ، ثم مدرسة الإمام الإسماعيلي ببغداد سنة393هـ، فالمدرسة الرشائية بدمشق لنيف وأربعمائة للهجرة، فالمدرستان اللتان أسسهما فقهاء نيسابور سنة411هـ، ثم المدرسة السعيدية التي بناها سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوي سنة450هـ، والمدرسة البيهقية في نيسابور سنة450هـ أيضاً، ثم مدارس الوزير نظام الملك في نيسابور وبغداد سنة457هـ، ومدرسة طوس، والمدرسة العوفية في الإسكندرية سنة532هـ، والمدرسة السلفية بها سنة 546هـ، على أن أقدم مدرسة باقية حتى الآن هي مدرسة الأربعين بمدينة تكريت العراقية التي بنيت في القرن 5هـ/11م[1] (شكل14).

وقد تواكب ظهور المدارس كمنشآت تعليمية متخصصة في اليمن مع نشأة المدارس في بقية أقطار العالم الإسلامي الأخرى، بالإضافة إلى ظهور الخانقاوات كمنشآت للتربية

1 - أحمد فكري(د)، مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، ص101، ج2، العصر الأيوبي، دار المعارف مصر، ص49، 50، 151، 154، سعيد عبد الفتاح عاشور(د)، العلم بين المسجد والمدرسة، بحث منشور في كتاب: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين رقم51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص16-18، محمد سيف النصر أبو الفتوح(د)، نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام ، صنعاء، العدد الأول، السنة الثالثة، 1406هـ/1985م، ص99.

الصوفية، وكذلك هجر العلم[1] كمنشآت أو مراكز تعليمية خاصة بأصحاب المذهب الزيدي، وهذا يفسر لنا سبب انتشار المذاهب السنية في المناطق الوسطى والشرقية والغربية والجنوبية من اليمن في حين تركز المذهب الزيدي في المنطقة الشمالية منها.

وقد أجمع مؤرخو اليمن القدماء كالخزرجي وابن الديبع وكذلك من رأى رأيهم من المؤرخين وعلماء الآثار المعاصرين كالقاضي إسماعيل الأكوع والدكتور مصطفى شيحة، والدكتور محمد سيف النصر، على أن نشأة المدارس في اليمن ترجع إلى فترة الحكم الأيوبي لها فيما بين سنة 569ـ 626هـ/1173ـ1229م، حيث يذكرون أن المعز إسماعيل بن طغتكين كان أول من بنى المدارس في اليمن[2].

ولكن من خلال الاطلاع على المصادر والمراجع التاريخية أمكن العثور على العديد من الإشارات التي تدل على وجود المدرسة في اليمن قبل العصر الأيوبي، فقد ذكر ابن سمرة الجعدي في كتابه " طبقات فقهاء اليمن" لفظ المدرسة، ما يزيد على خمس عشر مرة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند ترجمة الإمام القاسم بن محمد بن عبد الله الجمحي المتوفى سنة 437 هـ بقوله: "وكانت مدرسته في سهفنة"[3]، وذكر المؤرخ عمارة اليمني (ت569هـ) أنه كان يدرُس في مدرسة زبيد[4]، وذكر أيضاً أن الوزير النجاحي أبو منصور منُّ الله الفاتكي 517-524هـ/1123-1130م تصدق على مدارس الفقهاء

1- الهجر مفردها هجرة وهي قرية أو مدينة يهاجر إليها أحد العلماء فيقصده طلاب العلم إليها ومن أشهرها هجرة صعدة وهجرة دبر في سنحان وهجرة فلله في بني جماعة وهجرة الكبس،(أنظر) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة دكتوراه(غير منشورة) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1986م ص91، 92.

2- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي بن عمر (ت944هـ) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء الطبعة الأولى،1979م، ص76، إسماعيل الأكوع(القاضي)، المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء،الطبعة الأولى 1400هـ/1980م، ص7، مصطفى عبد الله شيحة(د)، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، الطبعة الأولى1987م، ص85، محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص100 ، فاروق أحمد حيدر، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ص108.

3- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات الزمن، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة 1957م، ص318

4- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء، الطبعة الثالثة 1985م،ص185.

الحنفية والشافعية بمدينة زبيد[1]، ونستدل مما سبق على وجود المدارس المخصصة للمذهبين الحنفي والشافعي منذ عهد هذا الوزير إن لم يكن قبل ذلك، كما أن القاضي إسماعيل الأكوع ــ وهو أول من ذكر من المؤرخين المعاصرين أن المدارس في اليمن نشأت في عصر الدولة الأيوبية ــ أورد لنا في كتابه" المدارس اليمنية" ثلاث مدارس تعود إلى ما قبل العصر الأيوبي وهي: مدرسة ابن أبي النهى في مخلاف الشوافي، ومدرسة ابن أبي الأمان في مدينة جبلة، ومدرسة الساتي في قرية الساتي[2]

ومن خلال النصوص السابقة يمكن القول إن المدارس في اليمن وجدت منذ القرن الخامس الهجري أي منذ ما قبل العصر الأيوبي في اليمن ، سواء أكانت المدارس المذكورة ملحقة بالمساجد أو بمنازل العلماء أو مستقلة عنها، هذا من الناحية التاريخية أما من الناحية الأثرية فإن عدم وجود بقايا لمدارس ما قبل العصر الأيوبي في اليمن جعل من افتراض وجودها قبل هذا العصر مشكلة بدون حل حتى ظهور دراسات جديدة أكثر تمحيصاً وتدقيقاً تعتمد على شواهد أثرية يمكن استخراجها من باطن الأرض عن طريق الحفريات الأثرية لمواقع المدارس المذكورة، لأن الاعتماد على النصوص التاريخية فقط فيه شئ من عدم المصداقية، لأن هذه المصادر التاريخية هي نفسها التي ذكرت أن المدرسة ظهرت في العصر الأيوبي وفي الوقت نفسه ذكرت أسماء مدارس وتنسبها لعلماء عاشوا قبل العصر الأيوبي.

تخطيطات المدرسة الإسلامية:

تتميز المدارس بوجود عناصر مشتركة فيما بينها وإن اختلف التخطيط المعماري أو كبر حجم المدرسة أو صغر من مدرسة إلى أخرى، ومن أهم العناصر المشتركة هو جدار القبلة الذي يسير مع خط القبلة، حيث من الضروري أن يوجد في كل مدرسة مصلى يتميز بموقعه الذي يتصدر المدرسة وبأن تخطيطه روعي فيه أن يمتد في موازاة جدار القبلة، وأنه أكثر أجزاء المدرسة أهمية واتساعاً، والعنصر المشترك الثاني هو الصحن الذي يتوسط المدرسة سواء أكان مربعاً أم مستطيلاً، والعنصر الثالث هو مساكن

1- عمارة اليمني، تاريخ اليمن، ص216.

2 - تنسب الأولى إلى الحسين بن علي بن عمر بن أبي النهى (ولد لنيف وعشرين وخمسمائة)، والثانية إلى الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن أبي الأمان "ت558هـ"، والثالثة لمحمد بن أحمد بن هندوة السيفي المرادي (عاش في القرن 5هـ)، (أنظر)،إسماعيل الأكوع، المدارس، ص15، 16.

الطلاب وهي عبارة عن حجرات صغيرة تعرف في مصر باسم الخلاوي، وفي اليمن باسم المنازل، والتي قد تكون في طابق واحد أو في عدة طوابق حسب حجم المدرسة وعدد الطلاب الدارسين فيها، كما قد تحتوي المدارس على وحدات معمارية أخرى كالخانقاوات والكتاتيب والقباب الضريحية وقاعات الاستذكار وخزانات الكتب وصالات الأكل والمطابخ والحمامات ..الخ[1].

أما عن طرز تخطيط المدرسة في العصر الإسلامي فكان على ثلاثة طرز:

أ- التخطيط المماثل لتخطيط المسجد:

تطور نظام المدرسة في العالم الإسلامي من نظام المسجد حيث احتوت على عدد من عناصر المسجد كالمصلى والصحن والميضات وغيرها، مما يعني أن المدارس كانت في بدايتها عبارة عن مساجد أدخلت عليها تعديلات طفيفة كي تلائم الوظيفة الأساسية للمدرسة وهي التعليم[2]، ومن أمثلتها مدرسة سودون بن زاده بالقاهرة (شكل15).

ب- المدرسة الإيوانية:

تتكون المدرسة في هذا الطراز من صحن مكشوف وعدد من الإيوانات تتراوح بين إيوان واحد يقع في اتجاه القبلة كما في مدرسة الأمير أيتمش البجاسي785هـ، ومدرسة قانيباي المحمدي 816هـ، ومدرسة فيروز الساقي 830هـ، أو إيوانين أحدهما في اتجاه القبلة والآخر مقابل له كما في مدارس السادات الثعالبة والكاملية والمنصور قلاوون وإينال اليوسفي وغيرها بالقاهرة، أو أربعة إيوانات تشغل أضلاع الصحنين كما في المدرسة الصالحية أو أضلاع الصحن الأربعة كما في المدرسة الخاتونية بأرضروم651هـ، ومدرسة الظاهر بيبرس بالقاهرة662هـ، وقد بلغت المدارس رباعية الإيوانات قمة تطورها في مدرسة السلطان حسن بالقاهرة757هـ (شكل16)، وكما قلنا سابقاً فإن الإيوان الواقع باتجاه القبلة يكون أكبر الأواوين نظراً لاستخدامه مصلى، ونظراً لكبر حجمه فإنه يستخدم لتدريس أكثر المذاهب عدداً من الطلاب.

وعن أصل تخطيط المدرسة الإيوانية أسفرت بحوث المستشرقين عن تحديد ثلاث نظريات لاشتقاقه: الأولى أنه مشتق من الكنائس السورية البيزنطية، والثانية أنه مشتق من القاعات المصرية، والثالثة أنه مشتق من المساكن والمباني الفارسية أو السورية.

1- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج1، ص118-120.

2- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج1، ص189.

وهذه النظريات الثلاث غير صحيحة لأن أصحابها لم يدركوا الوظيفة الحقيقية للمدارس، ولم يربطوا بين هذه الوظيفة ونظام البناء، واعتقدوا أن عدد الإيوانات مرتبط بعدد المذاهب الدينية التي تدرس، ولم يدر في خلدهم أن تعدد الإيوانات مرتبط بعدد العلوم التي تدرس أيضاً، كما أن مئات المدارس في العالم الإسلامي لم تكن ذات تخطيط إيواني متعامد ومنها المدرسة المستنصرية ببغداد على سبيل المثال[1] (شكل17).

وإن كان من المرجح أن تطور التخطيط الإيواني للمدرسة جاء لأسباب ثلاثة[2]:

الأول: جاء وفق الطراز المعماري السائد في بناء المساجد ذات الصحن والظلات الأربع، مما يعني أن المدارس بنيت كتقليد لتخطيط المساجد مع مراعاة استبدال ظلات المسجد بقاعات للدرس وتخصيص المساحات بين القاعات لبناء خلاوي الطلبة ومرافق المدرسة الأخرى.

الثاني: الوظيفة التعليمية: من حيث تعدد المذاهب أو من حيث تعدد العلوم التي سوف يتم تدريسها في المدرسة.

الثالث: الظروف البيئية التي نشأت فيها المدرسة من حيث البرودة والحرارة والموقع، حيث إن تعدد القاعات أو الأواوين وبنائها في اتجاهات متقابلة ربما كان سببه الحاجة إلى التدريس في أماكن توفر الحرارة في الشتاء البارد، والبرودة في الصيف الحار.

ويمكن إضافة سبب رابع يتمثل في عدم القدرة على بناء المدرسة مع توفر الرغبة لبنائها مما أدي إلى قيام كثير العلماء في مصر وفي اليمن وغيرها بتحويل منازلهم إلى مدارس إما في حياة أصحابها أو بعد وفاتهم، وإذا ما علمنا أن تخطيط المنزل الإسلامي كان يحتوي على إيوانات كما في منازل مدينة الفسطاط، فإن اشتقاق التخطيط الإيواني للمدرسة يصبح أمراً معروفاً (شكل18).

هذا بالنسبة لطرز المدارس الإسلامية في البلاد الإسلامية عامة، أما تخطيطات المدارس اليمنية فلها ثلاثة طرز معروفة حتى الآن:

1 ــ المدارس الكبرى:

تتكون من مصلى وصحن ودهاليز تكتنف كل من المصلى والصحن من الجهات الشرقية والغربية كما في مدارس المعتبية والأشرفية (شكل19) والظاهرية الرسولية بتعز،

1- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج1، ص167-182.

2- حسن الباشا(د)، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطبط المتعامد، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، 1989م، ص51-56.

والمنصورية الطاهرية بجبن، والمدرسة البغدادية الطاهرية برداع، أو تكتنف المصلى من الشمال والشرق والغرب كما في المدرسة العامرية الطاهرية برداع، بالإضافة إلى قاعات الدرس التي تكتنف الصحن من الشرق والغرب، وكذلك ممرات الاستطراق والوحدات المعمارية الخاصة بالكتاتيب والخانقاوات والمقصورات والميضات وحجرات المخازن، وخلاوي الصوفية وحجرات سكن المدرسين والطلاب، وقد تحتوي بعض المدارس على طابق أرضي يضم دكاكين تطل على الشارع ومخازن داخلية كما في المدرسة الأشرفية بتعز، والمدرستين المنصورية بجبن والعامرية برداع، وتحتوي أيضاً بعض المدارس على أماكن لدفن المنشئ وأسرته كما في المدرسة الأشرفية بتعز، وإلى هذا النوع من المدارس ينتمي الجامع الكبير بمدينة حيس الذي بناه السلطان المظفر يوسف الرسولي سنة 682هـ، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لم يبن كجامع فقط وإنما كان عبارة عن مسجد ومدرسة وخانقاة كما هو مذكور في نص تأسيسه على المدخل الجنوبي للجامع، ويلاحظ أن معظم أجزاء هذا النوع من المدارس مغطى بقباب وأقبية مدببة، فضلاً عن احتوائها على مدخلين محوريين أو أكثر[1].

2 ـ المدارس الصغرى:

تتميز بصغر حجمها وبساطة تخطيطها المكون من مصلى مغطى بقبة أو أكثر أو بأسقف مسطحة أو أقبية، وفناء أوسط مكشوف، ويقابل المصلى أو في أحد جوانب الصحن الأخرى قاعة للدرس أو أكثر وميضأة ومئذنة، ومقصورة وحجرة للمؤذن وحجرة أو أكثر لسكن بعض المدرسين أو الطلاب.

وهناك عدة عوامل فرضت هذا التخطيط تتمثل في:

1- ضيق المساحة المراد البناء عليها.

2- قلة إمكانيات المنشئ.

3- غلبة تدريس المذهب الواحد.

4- تعدد العلوم التي تدرس في المدرسة.

1ـ محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص107، مصطفى شيحة(د)، دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص444-449، عبد الله عبد السلام الحداد، مساجد ومدارس مدينة حيس اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية وحتى نهاية عصر الدولة الطاهرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1995م، ص217

وهذه العوامل الأربعة وغيرها كان لها أثرها الكبير في شيوع المدارس التي تحتوي على قاعة واحدة للدرس بالإضافة إلى المصلى.

وتذهب بعض الآراء إلى أن تعدد المذاهب كان سبباً في تعدد القاعات، وهذا رأي غير دقيق، فقد وجدت مدارس تضم قاعة واحدة أو تضم أكثر من قاعة للدرس ومع ذلك خصصت لتدريس مذهب واحد، بينما خصصت القاعات الأخرى لتدريس العلوم الأخرى كالحديث والقرآن، ومنها مدارس: المنصوريتان العليا والسفلى (شكل20)، والفاتنية والدعاسية، والزاتية، والجبرتية، والفرحانية، والجوهرية، والمزجاجية، والزكارية، والعلوية الشرقية بزبيد، ومدارس الهتاري والمعجار والياقوتية بحيس[1].

ونخلص مما سبق إلى القول إنه لا توجد علاقة بين عدد القاعات وعدد المذاهب التي تدرس في المدرسة.

3 ـ المدارس الإيوانية:

تتكون من مصلى مكون من دور قاعة مغطاة بقبة مركزية يكتنفها من الشرق والغرب إيوانان مقبيان، ويقابل المصلى إيوان أو قاعة مغطاة بقباب، يفصل بينه وبين المصلى فناء مكشوف، بالإضافة إلى احتواء هذا النوع من المدارس على ميضأة ومئذنة، ومن أمثلتها: المدرسة الوهابية بزبيد، ومدرسة في مدينة موزع، والمدرسة السكندرية (شكل21) ومدرسة التكية بحيس، والمدرستين السكندرية والكمالية بزبيد وإن كانتا تختلفان عن هذا الطراز باستبدال الإيوانين المقبيين بجناحين يغطي كل منهما قبتان أو أكثر، وإحاطة الصحن برواق ذي بوائك معقودة وسقف مسطح أو مقبب.

وتتميز مدارس الطرازين الثاني والثالث باستقلالية المصلى الذي حجب عن الفناء أو الصحن بجدار كان الهدف منه تخصيص المصلى للعبادة فقط، كما تتميز هذه المدارس باستخدام قاعات الدرس للإرتفاق ونوم الطلبة على عكس مدارس العالم الإسلامي التي كانت تخصص فيها خلاوي أو حجرات خاصة لإقامة الطلبة[2].

1- محمد سيف النصر، نظرة عامة، ص109، مصطفى شيحة، دراسة مقارنة، ص444، المدخل، ص96-98عبدالله إبراهيم الراشد، المنشآت المعمارية الرسولية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض، 1992م، ص275، عبد الله الحداد، مساجد ومدارس حيس، ص217.

2- حسني نويصر(د)، عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص 224، عبد الله الحداد، مساجد ومدارس حيس، ص218، عبد الله الراشد، المنشآت المعمارية، ص276.

وظائف المدرسة:

حرص منشئو المدارس على ترتيب أوضاعها وتحديد العاملين والعلوم التي تدرّس بها، وطرق التدريس وأجور العاملين من موظفين ومدرّسين وطلاب على النحو التالي:

أ ـ الوظائف:

* **الهيئة الدينية:** مهمتها القيام بأمور الدين من وعظ وإرشاد وخطبة وصلاة وفتوى ويقوم بها كل من: الإمام، المؤذن، قارئ القرآن.
* **الهيئة الإدارية:** مهمتها القيام بجميع أمور المدرسة الإدارية والخدمية، وكان يشترط فيهم المواظبة على العمل ومباشرته بأنفسهم ولا يستنيبوا أحداً إلاّ لعذر، ومن يخالف ذلك يتولى الحاكم معاقبته[1]، وتتكون هذه الهيئة من: الناظر، ونائب الناظر، وحافظ الكتب، والقيم، والنازح.
* **الهيئة التعليمية**: وتتكون من المدرّسين والمعيدين والطلاب:

1 ـ **المدرّسين:** كان المدرّسون يختارون من المتخصصين في العلوم الدينية واللغوية وعلوم الحساب والفلك والمنطق والطب وغيرها من العلوم، وكان يطلق على كل مدرّس صفة العلم الذي يدرّسه على النحو التالي:مدرّس القرآن ويعرف باسم المقرئ، ومدرّس الفقه ويعرف باسم الفقيه، ومدرّس الحديث ويعرف باسم المحدث، ومدرّس النحو ويعرف باسم النحوي، كما اشتملت بعض المدارس على مدرّسين لعلوم التاريخ وعلم الكلام وعلم الفلسفة والجبر والحساب والفلك والطب والفرائض.

2 ـ **المعيد:** يقوم المعيد بإعادة ما ألقاه المدرّس على الطلبة بعد انصرافه ليفهموه ويحسنوه، وعلى هذا فإن مستوى المعيد العلمي والوظيفي كان أقل من مستوى المدرّس وأكبر درجة من الطلبة.

3 ـ **الطلاب:** كان المنشئ يرتب في مدرسته عدداً من الطلبة بعضهم لدراسة الفقه والبعض الآخر لدراسة الحديث أو النحو أو حفظ القرآن ..الخ، وكان عدد الطلبة يتفاوت من مدرسة إلى أخرى حسب قدرة الواقف، وحسب حجم المدرسة، والعلوم والمذاهب التي تدرّس بها.

1- محمد سيف النصر(د)، المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد، مجلة كلية الآداب، قنا، جامعة أسيوط، العدد2، 1992م، ص89.

ب ـ الأجور:

كان الواقف يحدد في وقفيته مقدار ما يصرف شهرياً لكل موظف في المدرسة، وكانت المرتبات تصرف عيناً أو نقداً، أوعيناً ونقداً، فالراتب العيني كان يصرف من الحبوب أو من العوائد السنوية للموقوفات بالإضافة إلى الكسوة، وأما الراتب النقدي فكان يصرف بالدرهم أو الدينار حسب ما يحدده الواقف، وكان يتم جمع الأموال اللازمة للإنفاق على المرتبين في المنشآت وعلى إصلاحاتها من ريع أوقاف المدرسة من الأراضي والمحلات، ومن منح وعطاءات السلاطين، ومن هبات وإعانات أغنياء المجتمع، ومن أموال الزكاة والصدقات وخراج الأرض وجزية اليهود(1).

ج ـ العلوم التي كانت تدرّس في المدارس:

احتلت العلوم الدينية والشرعية موضع الصدارة في المناهج التي كانت تدرّس في المساجد المدارس وغيرها من أماكن التعليم، نظراً لارتباطها بالدين من ناحية وبالدولة وحياة الناس من ناحية أخرى[2]، ثم يليها في الأهمية علوم اللغة وعلوم الطبيعة كالمنطق والفلسفة وعلم الكلام والجبر والحساب والهندسة والفلك والطب..الخ.

د ـ طرق التدريس:

لم تكن هناك طرق محددة متعارف عليها في التدريس في المساجد والمدارس اليمنية، وإنما كان لكل مدرس أو شيخ أسلوبه الخاص في توصيل معلوماته إلى الطلاب، ونادراً ما كان المنشئ يتدخل في تحديد طرق التدريس في مدرسته[3]، ومن أهم طرق التدريس:

* **طريقة الحفظ أو التلقين:** وتقوم على تلقين المتعلم ما يراد حفظه عدة مرات[4].

1- الخزرجي، علي بن الحسن، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، الطبعة الثانية 1981م، ص499، إسماعيل الأكوع، المدارس، ص192، 299، محمد سيف النصر، المدرسة الدعاسية، ص91، فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص130،عفاف سيد صبرة(د)، المدارس في العصر الأيوبي، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص192

2 – عفاف صبرة، المدارس، ص170.

3 – فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص87، عفاف صبرة، المدارس، ص187.

4- فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص88-90، محمد عبده محمد السروري، مظاهر الحضارة في الدول المستقلة في اليمن 439-626هـ، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1990م، ص224، عبد العزيز بن راشد السنيدي، المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد بن سعود، 1990م، ص254-255.

* طريقة العرض: يقرأ الطالب على المدرس من حفظه أو من كتابه ويتابعه المدرس معتمداً على حفظه أو مقابلاً ذلك على كتاب بين يديه.

* طريقة الشرح: حيث يكلف المدرس أحد طلابه بالقراءة من كتاب ويقوم المدرس بشرح الغامض منها[1].

* طريقة الإملاء: وتعتبر من أقدم طرق التعليم وتستخدم كثيراً في حلقات المساجد والمجالس العلمية حيث يملى المدرس محاضراته على طلابه الذين يكتبون خلفه ما يمليه عليهم[2].

* طريقة الوجادة: ويقصد تبنى الدارس شيئاً قرأه في كتاب أو تعليق ولم يطلب الإجازة من كاتبه ولم يسمعه منه، وهو ما يعرف بالتحصيل الذاتي عن طريق قراءة الكتب[3].

* طريقة المناظرة والحوار: وتكون بين عدد من العلماء بحيث يتولى الطلاب والمستمعون تدوين ملاحظاتهم وقد تكون بين المدرس وطلابه أو بين الطلاب وبعضهم بإشراف المدرس.

* طريقة السؤال والجواب: قام بعض العلماء بتأليف كتبهم على هيئة أسئلة وأجوبة تسهيلاً على الدارسين في حفظها[4].

*الرحلة في طلب العلم: بعد أن يأخذ الطلاب العلم من علماء بلدانهم كانوا يرحلون إلى البلدان الأخرى للأخذ بها عن علمائها حسب شهرة العالم.

*طريقة الشعر التعليمي: حيث نظمت عدد من كتب العلم وخاصة النحو على هيئة قصائد وأراجيز ليسهل على الطلاب حفظها، وكذلك

* طريقة التعليم بالمراسلة: حيث يقوم الطالب بإرسال خطاب إلى أحد العلماء المشهورين في العالم الإسلامي للاستفسار منه عن بعض المسائل التي تهمه

هـ ـ أوقات الدراسة ومدتها:

كانت الدراسة في المدارس والكتاتيب تتم في الغالب من بعد صلاة الفجر حتى أذان الظهر وقد تنتهي بانتهاء المدرس من درسه، وكان بعض المدرسين يقعدون للدرس لمدة ثمان ساعات في اليوم أربع أول النهار وأربع آخره، وفي الكتاتيب كان الطلبة يعودون

1- الأكوع، المدارس، ص19، السنيدي، المدارس، ص255.

2- فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص91، محمد السروري، مظاهر الحضارة، ص225.

3- فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص92.

4- فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص94.

للدراسة بعد تناول الغداء وحتى صلاة المغرب، وأما مدة الدراسة فكانت تستمر لمدة تسعة أشهر تبدأ من أول المحرم وتنتهي في آخر ذي القعدة مع إعطاء الطالب إجازة سنوية لمدة ثلاثة شهور هي شعبان ورمضان وذي الحجة، فضلاً عن أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية الأخرى والرسمية، كما كان طلاب المدارس الريفية يأخذون إجازتهم في مواسم الحصاد ومدتها شهرين[1] .

2- المعلامة (الكُتاب):

الكتاب: من الفعل كتب، وهو المكان الذي يتم فيه تعليم الصغار من أطفال المسلمين وخاصة الأيتام[2] وتحفيظهم للقرآن الكريم، ويعرف في اليمن باسم المعلامة من الفعل علم، وتوجد الكتاتيب أو المعلامات غالباً كملحقات للمساجد والمدارس والأسبلة حيث استغل مبنى السبيل وأضيف له طابق آخر خصص لتعليم الأطفال ومنذ ذلك أصبح الكتاب مقترناً بالسبيل، ولذلك يقال له مكتب السبيل أو كتاب السبيل.

وفي اليمن وجدت الكتاتيب والمعلامات في كثير من المدارس والمساجد وما زالت حتى اليوم، وكان يخصص لها حجرة صغيرة على يمين أو يسار المدخل كما في الجامع الكبير بحيس، أو إيوانين صغيرين يكتنفا دركاة المدخل كما في المدرسة الأشرفية بتعز (شكل19)، كما أن كثير من معلمي القرآن الكريم كانوا يعلمون الأطفال في منازلهم أو يبنوا معلامات خاصة مجاورة للمنازل.

1- الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، جزءان، تحقيق القاضي محمد الأكوع، 1989م، ج2، ص211، فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص127،126، السنيدي، المدارس، ص253

2- حسني نويصر (د)، السبيل تاريخه وأنواعه، مذكرات لم تنشر بعد، ص167.

الفصل الثاني

منشآت الرعاية الاجتماعية

الفصل الثاني
منشآت الرعاية الاجتماعية

تعرف الرعاية الاجتماعية عند علماء الخدمة الاجتماعية بأنها " نسق منظم للخدمات الاجتماعية والمؤسسات ينشأ لمساعدة الأفراد والجماعات لتحقيق مستويات ملائمة للمعيشة والصحة، وهي تستهدف العلاقات الشخصية والاجتماعية التي تسمح للأفراد بتنمية أقصى قدراتهم وتحقيق تقدمهم وتحسين حياتهم بحيث تنسجم وتتوافق مع حاجات المجتمع"، أو هي كل الأنشطة الخدمية الحكومية أو الأهلية التي تستهدف رفاهية الناس عامة وتوفير الرعاية لغير القادرين خاصة[1].

والمقصود بالمنشآت الاجتماعية في الآثار هي المباني التي تؤدي خدمات لعامة الناس سواء أكانت خدمة الإيواء والإنفاق كالخانقاة والرباط والزاوية والتكية، أو العلاج كالبيمارستان، أو العلاج والنظافة كالحمام، وتستمد هذه المنشآت ما يلزمها من نفقات من عدة أوجه، أولها الأوقاف التي يوقفها منشئ الأثر، وثانيها هبات الأغنياء وصدقاتهم، وثالثا من الزكاة التي يخصص جزء منها للفقراء والمحتاجين، ورابعها من إعانات الدولة في حالة ظهور العجز في النفقات الخاصة.

المبحث الأول: منشآت الصوفية:

1- الخانقاة:

الخانقاة أو الخانكاه وجمعها خوانق كلمة فارسية من مقطعين تعني بيت أو مكان للعبادة، وهي نوع من المباني ذات الوظيفة المزدوجة، فهي مكان للعبادة ومكان لانقطاع الصوفية فيها للعبادة والذكر حيث وفرت المأوى والإعاشة لعدد كبير من الفقراء المعدمين سواء المقيمين فيه أو المترددين عليه، وكان لكل خانقاة شيخ من الصوفية، وعدد من الموظفين والطباخين، وكان أول ظهور لهذا النوع من المباني في القرنين 3-4هـ/9-10م في إيران، وكانت أول أمرها لا تقام فيها صلاة الجمعة حيث كان الصوفية يؤدونها في المسجد الجامع، وتعد خانقاه سعيد السعداء 569هـ أقدم الخانقاوات في مصر

1- محمد سيف النصر أبو الفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، 1980م، ص26.

(شكل22)، وهي مكونة من صحن مستطيل مكشوف تتوسطه ميضأة، وتتعامد عليه أربعة إيوانات، وقد انتشر بناء الخانقاوات كثيراً في العصر المملوكي على يد السلاطين والأمراء والتجار ومشايخ الصوفية وغيرهم من الأثرياء[1].

وفي اليمن عرفت الخانقاة أحياناً باسم الخانقاة وأحياناً أخرى باسم دار المضيف والتي كانت منتشرة في العصر الرسولي626-858هـ وخاصة في طرق الحج والطرق التي تربط بين عواصم الدولة الشتوية والصيفية كتعز وزبيد، ومن أمثلتها دار المضيف بحيس، وهي تؤدي نفس وظيفة الخانقاة.

تخطيط الخانقاة في الغالب مكون من صحن مكشوف محاط بأربعة إيوانات، وحول الإيوانات حجرات لسكن المتصوفة فضلاً عن عدد من الملحقات الثانوية الأخرى التي تتناسب مع حجم الخانقاة ومساحته وأعداد المتصوفة فيه وكذلك قدرة المنشئ، ومن هذه الملحقات قبة ضريحية ومطبخ وحمام وحوض للدواب وسبيل ومدفن للصوفية ومكتبة وميضأة، وقد تكون الخانقاة مكونة من طابق واحد وقد تتعدد الطوابق[2]، ومن أمثلتها: خانقاه بيبرس الجاشنكير بالقاهرة 706هـ، المكون من صحن مستطيل يكتنفه من جهة القبلة والجهة المقابلة لها إيوانان معقودان، ويكتنف الصحن من الجهتين الشرقية والغربية عدد من خلاوي (حجرات) الصوفية يتوسط كل جهة منها إيوان صغير[3]، على أن أجمل أمثلة الخانقاوات وأكملها هو خانقاه فرج بن برقوق بقرافة القاهرة، والذي يحتوي إلى جانب الخانقاة على قبتين ضريحيتين وسبيل (شكل23).

2- الرباط:

ربط الشيء يربطه أي يشده، والرباط وجمعها ربط وأربطة ومرابطة معناها ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد خيله ثم صار معناها ملازمة الثغر، ومنها أصبح الرباط معناها المواظبة على الأمر، والرباط في الآثار نوع من العمائر الاجتماعية والدينية كانت نشأتها على مرحلتين:

المرحلة الأولى: عسكرية كأماكن لإقامة المجاهدين في سبيل الله وخاصة في مناطق

1- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية، ص400-406، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص19، محمد أمين، المصطلحات، ص39، أمال العمري(د)، علي الطايش(د)، العمارة في مصر الإسلامية، مكتبة الصفا والمروة 1996م، ص135-138.

2- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص20.

3- حسن الباشا، المدخل، ص137-138.

الثغور وأطراف الدولة الإسلامية المتاخمة للعدو، وكانت المرابطة نوعاً من الجهاد لنشر الدين والدفاع عن بيضة الإسلام استجابة لقوله تعالى " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم[1]"، وقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون[2]" وعلى ذلك فإن الرباط في الأصل منشأة عسكرية انتشرت في مختلف أطراف الدولة الإسلامية المواجهة للعدو كمصر والشام وشمال العراق وساحل الخليج العربي وخراسان وغيرها من البلاد الإسلامية، وأقدم الأربطة الباقية رباط المانستير الذي بني سنة 180هـ، والذي يتكون من ساحة مربعة محاطة بعدد من الغرف المفردة على طابقين ويتقدم الغرف في الطابق الأرضي ظلة تمثل ممراً لغرف الطابق الأعلى، ويحيط بالرباط سور ضخم ذو أبراج دائرية أو مربعة، ويحتوي الرباط إلى جانب حجرات السكن على مسجد للصلاة، ويلي رباط المانستير في القدم والشهرة رباط سوسة المشابه لرباط المانستير في التخطيط[3] (شكل24).

المرحلة الثانية: تطورت فيها الأربطة لتصبح منشأة دينية واجتماعية مخصصة لإقامة الصوفية، أو لفقراء الناس من الرجال أو النساء، وقد حدث ذلك بعد توقف الفتوحات الإسلامية أو تجاوز حدود الدولة لموقع الرباط، فتحولت الأربطة العسكرية إلى أربطة دينية، ولم يكتف بذلك بل أصبحت الأربطة تبنى في المدن وفي خارجها حيث انتشرت انتشاراً كبيراً في مختلف بلدان العالم الإسلامي مع بقاء الاسم نفسه رغم مدلوله الجهادي[4].

وقد وجدت في اليمن في كثير من المناطق ومنها زبيد وما زالت قائمة حتى اليوم، ومن أشهر الأربطة في اليمن رباط البريهي قرب مدينة ذي السفال بلواء إب.

تخطيط الرباط مكون مساحة مستطيلة جدرانه الخارجية مزودة بأبراج المراقبة والدفاع، ويتوسط الرباط صحن محاط بحجرات صغيرة على طابقين أو أكثر لسكن المجاهدين ثم لسكن الصوفية بعد ذلك، كما يحتوي الرباط على مسجد للصلاة وفناء وعدد من الأواوين الصغيرة وحجرات السكن وحوض للمياه أو أكثر، ولم تقتصر الأربطة على الرجال فقط، فقد وجدت أربطة خاصة بالنساء وخاصة الأرامل والمطلقات اللاتي لا مأوى

1- سورة الأنفال، آية 6.

2- سورة آل عمران، آية200.

3- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية، ص356-359، حسن الباشا، المدخل، ص133- 136.

4- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية، ص362، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص19.

لهن حيث وفرت لهن المأكل والملبس والمأوى والرعاية مع مواظبتهن على العبادة، ومن أقدم أربطة النساء رباط دار الشط الذي بناه الخليفة المستعصم بالله العباسي ببغداد سنة 652هـ وكانت شيخته الشريفة ابنة الخليفة المهتدي بالله[1].

3- التكية:

التكية نوع من العمائر الدينية والاجتماعية ظهر في العصر العثماني، وكانت مخصصة لإقامة دراويش الصوفية، ثم تطورت إلى أن خصصت للكسالى من الناس والذين عرفوا باسم" تنابلة السلطان" وهم الذين وفدوا إلى البلاد وأقاموا فيها بدون عمل حيث تم تسكينهم في التكايا، التي يتكون تخطيطها من مصلى وفناء متسع مكشوف تحيط به من الجهات الأربع مجموعة من الحجرات مخصصة لسكن الصوفية، يفصل بين الحجرات وبين الفناء دهليز ذو بائكة معقودة تطل على الفناء، وقد تتكون التكية من طابقين أو أكثر، وتحتوي التكية على عدد من الملحقات ومنها المطبخ والميضأة ومكان لدفن الموتى وسبيل ماء[2].

وقد عرفت التكايا في اليمن في العصر العثماني أيضاً ومن أمثلتها التكية بمدينة حيس وتتكون من مصلى مكون من در قاعة وإيوانين جانبيين، وحولهما فناء كبير تشغل أحد أركانه مئذنة صغيرة مستقرة فوق سبيل صغير للمياه (شكل25).

4- الزاوية[3]:

الزاوية وجمعها زوايا: من الفعل "زوى"، زوى الشيء يزويه أي جمعه وقبضه، ويقال زاوية البيت أي ركن البناء لأنها جمعت بين قطرين منه وضمت ناصيتين، وزاوية العلم في المساجد الكبيرة يقصد بها اشتغال العالم مع جماعة من الطلبة بالعلم في أحد أركان المسجد، وهي مأخوذة من قولهم: انزوى القوم أي انضم بعضهم لبعض.

وقد أطلق اللفظ أول الأمر على الحلقات العلمية التي كانت تعقد في الجوامع الكبرى، ومنها على سبيل المثال مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط الذي كان يحتوي في القرن4هـ/10م على110 زاوية وهي عبارة عن حلقات للعلم ومنها: زاوية الشافعي،

1- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية، ص363، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص21، غازي رجب محمد(د)، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، كلية الآداب جامعة بغداد، 1989م، ص18.

2- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص21.

4- محمد أمين، المصطلحات، ص59، محمد حمزة الحداد(د)، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، دار نهضة الشرق القاهرة، ص150، محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص373-378.

والزاوية المجدية،..الخ، ثم تطورت الزوايا بعد ذلك لتصبح منشآت مستقلة مخصصة لأحد العلماء أو الصوفية أو لجماعة منهم، وقد تخصص لتدريس مذهب معين أو علم معين أو لتعليم القرآن الكريم، وذلك حسب العلم الذي يبرع فيه صاحب الزاوية، وقد احتوت الزوايا على مساكن للصوفية وشيوخ العلماء والطلبة وعدد من الملحقات ومنها قاعات للدرس حيث يتحلق حول العلماء مريدوهم وتلاميذهم، فيقوم شيخ الزاوية بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد على تلاميذه ومن انضم إليهم، واحتوت بعض الزوايا على مسجد أو مصلى.

كما قد تخصص الزاوية لطائفة معينة من الأغراب الوافدين إلى البلد ومن أمثلتها زاوية الشيخ رجب التي أنشأها السلطان لاجين سنة 687هـ/1297م وأوقفها على فقراء الأعاجم المنقطعين، وزاوية عبد الرحمن كتخدا، وزاوية الشيخ سعود بالقاهرة (شكل26).

أما عن حجم الزاوية وتخطيطها فقد تنوع حسب رغبة المنشئ ومساحة الأرض المبنية عليها الزاوية، فقد كانت بعض الزوايا عبارة عن قاعة وحجرة وحمام، والبعض الآخر ضمت أروقة وإيوانات وملحقات أخرى كمساكن الطلبة والمطابخ وغيرها.

ولم تكن الزوايا في بداية نشأتها تحتوي على مساجد بل كانت الصلوات الخمس تؤدى في أقرب مسجد، وصلاة الجمعة تؤدى في الجامع الكبير، وفي فترة لاحقة أي بعد ازدياد عدد السكان وضيق الجوامع والمساجد بالمصلين استخدمت الزوايا كمساجد للصلوات الخمس اليومية فقط، أي دون صلاة الجمعة حيث خلت الزوايا من المنابر والمآذن كما في زاوية الخدام الأحباش بالقاهرة والتي كانت تحتوي على مسجد بإمام ومؤذن وقيم، وفي العصر العثماني ازداد انتشار الزوايا ذات المساجد انتشاراً كبيراً واستخدمت كمساجد للصلاة اليومية في الحارات والشوارع الضيقة.

ومع الزيادة السكانية في العصر الحديث زودت الزوايا بمنابر للخطابة وأصبحت تؤدى فيها صلاة الجمعة لذلك كثيراً ما نرى خطيباً يخطب في زاوية لا تتسع لأكثر من 15-20 مصلي بينما بقية المصلين في الفناء أو في الشوارع المحيطة بها.

المبحث الثاني: منشآت الصحة العامة:

1- البيمارستان:

بيمارستان: بفتح الراء أو كسرها كلمة فارسية مركبة تتكون من مقطعين: "بيمار" ويعني مريض أو عليل أو مصاب، و"ستان" ويعني مكان أو دار أو محل، فهي دار المرضى وتعني المستشفى المخصص للعلاج وإقامة المرضى، ثم اختصرت الكلمة

فصارت بيمرستان ومرستان، وهو مستشفى عام لمعالجة كافة الأمراض، وقد اعتنى بتشييده الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير لمداواة المرضى[1]، ولذلك يعد واحداً من أهم المنجزات الحضارية التي ارتبطت بانتشار الإسلام وقوته، حيث لم يكن البيمارستان معروفاً في الجزيرة العربية قبل الإسلام رغم معرفة أعداد قليلة من الناس بالطب إما عن طريق الخبرة، أو عن طريق التعلم والدراسة كما فعل الحارث بن كلدة الثقفي وابنه النظر – وكان معاصراً للرسولﷺ- حيث درس الطب في بيمارستان جنديسابور في خوزستان الذي أنشأه كسرى الأول[2].

وكان الرسولﷺ أول من اتخذ البيمارستانات في الإسلام وكانت عبارة عن خيمة نصبها في صحن المسجد لعلاج الجرحى في معركة الخندق، وكانت رفيدة الأسلمية أول طبيبة في الإسلام تقوم بمداواة الجرحى في تلك الخيمة، فقد كان ﷺ إذا أصيب أحد المسلمين يقول" اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب"، وبذلك سن رسول اللهﷺ سنة إقامة المستشفيات مهما كانت بساطتها[3].

وبعد فتح فارس استفاد المسلمون من بيمارستان كسرى في العلاج وفي تخريج عدد من الأطباء، وفي اقتباس طريقة البناء ونظام الدراسة والعلاج والعمل وطبقوها في البيمارستانات التي بنوها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ومنها: دار المرضى الذي أنشأها الوليد بن عبد الملك بدمشق سنة 88هـ، وكانت تحتوي على جناح خاص" معازل" لمرضى الجذام المعدي، وفي العصر الأموي أيضاً أنشأ بيمارستاناً بمدينة الفسطاط بمصر وكان في دار أبي زبيد، وفي العصر العباسي بني الفتح بن خاقان وزير الخليفة المتوكل سنة 247هـ بيمارستان ثان في الفسطاط بدرب المعافر عرف باسم بيمارستان المعافر، على أن أعظم البيمارستانات هو البيمارستان العتيق الذي بناه أحمد بن طولون بمدينة الفسطاط بالقاهرة سنة259هـ وخصصه للفقراء وعامة الناس دون غيرهم من الجند، وقد عرف باسم البيمارستان الأعلى تمييزاً له عن البيمارستان الأسفل الذي بناه كافور الإخشيدي سنة 346هـ، كما بنيت في العصر العباسي مدرسة خاصة للطب في بغداد في عهد الخليفة المقتدر بالله (تولى الخلافة سنة295هـ) وكانت تضم ألف طالب، واستمر إنشاء البيمارستانات في العصور: الإخشيدي والفاطمي الأيوبي والمملوكي، وأشهرها

1- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص37، محمد أمين، المصطلحات، ص24، أحمد عيسى(د)، تاريخ البيمارستان في الإسلام، دار الرائد العربي بيروت، الطبعة الثانية 1981م، ص4.

2- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص40-42.

3- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستان، ص9.

البيمارستان المنصوري الذي بناه السلطان قلاوون في شارع المعز لدين الله على أنقاض قاعة ست الملك ابنة الخليفة الفاطمي العزيز بالله من القصر الفاطمي الغربي، وما زال باقياً حتى الآن، وهو مكون من فناء كبير محاط بأربعة إيوانات وعدد من الأجنحة فيما بين الإيوانات[1] (شكل27).

وظائف البيمارستان:

تتفق وظيفة البيمارستان وأقسامه الرئيسية قديماً[2] مع وظائف المستشفى الحديث وأقسامه، حيث احتوى البيمارستان على عدة أقسام مزدوجة أحدها مخصص للرجال والآخر للنساء ومنها: أقسام الدراسة وتتكون من مدرسة لتدريس مختلف أنواع علوم الطب وتدريب المعيدين والأطباء والممرضين، وأقسام العلاج وتتكون:

1- قسم علاج المرضى وخروجهم في اليوم نفسه حيث خصص لكل مرض طبيب معين أو عدة أطباء، ولذلك ينقسم إلى عدة قاعات لمختلف الأمراض كالباطنة، والجراحة، والعيون، والعظام، وكل قاعة وكل قاعة منها فسيحة التخطيط حسنة البناء، وفي كل قاعة ساقية ماء جارية ونافورة، تنقسم كل قاعة منها إلى عدة أقسام، فقاعة الأمراض الباطنة تنقسم إلى: قسم للمحمومين (الحمى)، وقسم للممرورين (الجنون السبعي)، وقسم للمبرودين، وقسم للمسهولين (الإسهال).
2- قسم رقود المرضى وعلاجهم.
3- قسم علاج المسجونين.
4- أقسام العزل: للمصابين بالأمراض المعدية كل حسب نوع مرضه، أو للمجانين ومرضى الأمراض النفسية.

وكل قسم من هذه الأقسام مجهز بما يحتاج من آلة وخدم وفراشين ومشرفين، وصيدلية خاصة لصناعة الدواء وصرفه مجاناً.

وعند شفاء المريض الذي يرقد في البيمارستان ويتقرر خروجه منها تعطى له كسوة جديدة ومبلغ من المال ليتدبر أمر عودته إلى أهله وشراء العلاج اللازم، حتى يتمكن من قضاء فترة النقاهة دون الحاجة إلى العودة إلى عمله بمجرد خروجه من المستشفى مما قد يؤدي إلى عودة المرض إليه.

1- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص43-48، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص30-31.
2- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص49-64، أحمد عيسى، تاريخ البيمارستان، ص18-21.

وفضلاً عن أقسام العلاج هناك أقسام الخدمة وتتكون من: قسم تغذية المرضى، وقسم نظافة البيمارستان سواء نظافة المبنى وإنارته أو نظافة ملابس المرضى، فضلاً عن أقسام توفير مستلزمات المرضى كالمطابخ ومعامل الخياطة، والمكتبة، وكانت يتم تدفئة البيمارستان شتاءً وتبريدها صيفاً.

وكان قسم الأمراض العقلية والنفسية يحتوي على حدائق خاصة غنية بالأشجار والزهور والطيور والجداول والتي يتجول فيها المريض، كما كانت تتواجد فرق موسيقية ومسرحية لعزف الموسيقى وتقديم التمثيليات الفكاهية لتحسين حالة المريض.

وكانت البيمارستانات على نوعين ثابت وهو المنفذ بالبناء، والمحمول أو المتنقل من مكان إلى آخر بين المدن والقرى حسب ظروف الأمراض والأوبئة والحروب[1]، وكان يحمل على ظهور الإبل، ويشتمل على الأسرّة والأطعمة والدواء والمقاصير المخصصة لإجراء العمليات والعزل، والأطباء والممرضين والمساعدين والموظفين والخدم.

2- الحمام[2]:

الحمة: العين الحارة يستشفي بها الناس، وحممت الماء سخنته، والحميم والحميمة الماء الحار، وكل ما سخن فقد حم، والاستحمام الاغتسال بالماء الحار، ثم أطلق اللفظ على الاستحمام بالماء الحار أو البارد، وكلمة "حمام" ترد في النصوص التأسيسية مؤنثة وليست مذكرة وتجمع على حمامات.

والحمام وجمعها حمامات في الآثار مباني خاصة يتم الاستحمام والعلاج فيها، أي أنها تتكون من وحدات معمارية، وهي ليست من ابتكار المسلمين فقد وجدت قبل ذلك في حضارات ما قبل الإسلام كما في مصر الفرعونية، وفي الحضارات اليونانية والرومانية واشتهرت كثيراً في الحضارة البيزنطية، ونظراً لأهمية الحمام في الإسلام فقد تم تطويره بما يتوافق مع طبيعة طقس البلاد الإسلامية وكذلك العادات والتقاليد والأوامر الإسلامية، فقد كان دخول الحمام قبل الإسلام مختلطاً بين الرجال والنساء، وإذا خصصت بعضها للرجال والبعض الآخر للنساء فقد كان الداخلون إلى الحمامات لا يتورعون عن كشف عوراتهم، لذلك نظم الإسلام عملية دخول الحمام حيث نهى الرسولﷺ بداية الأمر عن دخول النساء والرجال الحمام حيث روت أم المؤمنين عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ نهى

1- أحمد عيسى، تاريخ البيمارستان، ص10، 11.

2- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية، ص158-223، حسني نويصر(د)، الآثار الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، 1996م، ص86-89، محمد أمين، المصطلحات، ص37.

الرجال والنساء عن دخول الحمام ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر، وفي مرحلة تالية أباح رسول الله ﷺ دخول الحمام للنساء بعذر شرعي كالمرض أو النفاس فيما أباحه للرجال بشرط لبس المئزر فقال ﷺ" ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلاّ بإزار وامنعوا منها النساء إلاّ لمريضة أو نفساء[1]"، وقال ﷺ "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار[2]"، وقال ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُدخل حليلته الحمام إلاّ عن عذر[3]"

وقد لعبت الحمامات دوراً مهماً في المجتمع الإسلامي منذ بداية العصر الإسلامي وحتى اليوم، فكما كان الجامع والقصر والسوق هي النواة الأولى لنشأة أي مدينة كان الحمام هو المكمل لهذه النواة، إذ كان الحمام واحداً من المؤسسات العامة وكان بمثابة المنتدى الذي يقضي فيه الأصدقاء وقتاً طيباً، ولذلك كانت كثرة الحمامات أو قلتها دليل على تقدم المدينة الإسلامية، ولهذا السبب كان الحمام ومازال عنصراً تقليدياً في حفلات الزواج والختان والطهارة والنفاس، حيث ارتبط الحمام ارتباطاً عضوياً بالحياة اليومية والتقاليد الاجتماعية حيث تكاد زيارة كلا العروسين للحمام قبل يوم أو أيام من الزفاف جزءاً من مراسم الزواج، وكانت له أهمية كبيرة في العلاج من الأمراض والوقاية منها، والحفاظ على مستوى النظافة كإزالة القذارات والنجاسات والجنابة في الوقت الذي كانت تفتقر فيها كثير من المنازل للحمامات الخاصة بها.

تخطيط الحمام:

وجدت الحمامات في البلاد الإسلامية منذ عصر ما قبل الإسلام، أما في العصر الإسلامي فإن أقدم حمام إسلامي هو حمام قصير عمرا (شكل28) في بادية الشام على بعد 50 ميل شرق عمّان الحالية والذي أنشأه الوليد بن عبد الملك فيما بين 86-96هـ، والذي يعد نموذجاً للحمام الإسلامي حيث بنيت كثير من الحمامات على غراره ومنها حمام الصرخ107- 111هـ، وحمام قصر خربة المفجر، والحمام الطولوني المعروف بحمام أبي السعود بالفسطاط (شكل29).

التخطيط المعماري للحمام مكون من ثلاثة أقسام رئيسية هي: الحجرة الباردة aboditarium وتعرف باسم حجرة المخلع أو المشلح، بيت أول وتعرف باسم الحجرة

1- أبو داود، السنن، ص10.

2- ابن ماجة، السنن، ص38.

3- ابن ماجه، السنن، ص38

الدافئة tepidariub، بيت الحرارة وتعرف باسم الحجرة الساخنة calidarium، ومن أجمل الأمثلة على تخطيط الحمام هو حمام قصير عمرا المكون من قاعة استقبال كبرى مستطيلة الشكل مغطاة بثلاثة أقبية طولية ، يشغل صدر القاعة حنية للعرش، وعلى يسار القاعة حمام من ثلاث حجرات الأولى: الحجرة الباردة أو حجرة المخلع وهى مغطاة بقبو برميلي، تليها حجرة مربعة مغطاة بقبو متقاطع وتعرف باسم الحجرة الدافئة ، ومنها إلى الحجرة الساخنة مربعة الشكل مغطاة بقبة ضحلة يتوسطها حوض ماء مثمن الشكل، ويكتنف الحجرة مساحتان نصف دائريتان يغطي كل منها نصف قبة وفي أرضية كل منها حوضان للمياه وتتخلل جدران الجحرة الساخنة وأرضيتها أنابيب فخارية مغيبة مخصصة لمرور الماء الساخن إلى الأحواض وكذلك أنابيب أخرى لمرور الهواء الساخن الآتي من الموقد لتسخين الحجرة، كما يحتوي الحمام على عدد من الملحقات: مصدر المياه (البئر)، بيت النورة، المرحاض، المستوقد (الفرن)، الساقية.

وقد وجدت الحمامات في اليمن منذ فترة مبكرة من الإسلام، وانتشرت في معظم المدن اليمنية كصنعاء وتعز وزبيد وعدن وغيرها، ومازال هناك تسعة حمامات في صنعاء وحدها من أصل اثني عشر حماماً يقال إن بعضها يعود إلى عصر ما قبل الإسلام، ومن أهم حمامات صنعاء: حمام السلطان، حمام شكر، حمام الغزالي، حمام سبأ، حمام الأبهر، حمام الطواشي، حمام ياسر، حمام الميدان، حمام القوعة (شكل30).

خطوات الاستحمام:

يدخل المستحم من باب الحمام إلى دهليز طويل ومنه إلى قاعة المسلخ أو المخلع وتعرف باسم القاعة الباردة والتي يتوسطها نافورة لتلطيف الجو، وفيها يسلم الحمامي جميع ما لديه ويأخذ منه ما يلزمه للاستحمام ويمكث في القاعة فترة من الوقت على مساطب معدة للجلوس، ثم يخرج عبر ممر إلى القاعة الدافئة حيث يمكث بها فترة من الوقت حتى يتعود بالتدريج على حرارة الحمام، ثم ينتقل بعدها إلى القاعة الثالثة الساخنة وفيها عدد من الأحواض التي يتصاعد البخار منها حيث يسخن الجسم ويتم أثناء الجلوس فيها عمليات التدليك والعلاج، وحول القاعة الساخنة حجرات صغيرة ذات أحواض تخصص كل حجرة منها لواحد من المستحمين حيث يقوم بالاغتسال والغطس في حوض الحجرة، وبعد الخروج من تلك الحجرات يبقى في القاعة مستلقياً على إحدى المساطب للتدليك، وهكذا تتكرر العملية حسب حاجة المستحم، وبعدها يخرج المستحم بالتدريج وعكس الترتيب الذي دخل فيه إلى الحمام.

وظائف الحمام:

اشتمل الحمام على وظائف عديدة بلغت في بعضها أربعين وظيفة ومن أهمها: الحمامي أو المعلمة: وهو مستغل الحمام ومديره، القيم: ويطلق عليه المدلك أو المكيساتي أو اللاونجي ومهمته تعهد أرض الحمام بالكنس والغسيل، وتدليك أجساد المستحمين وتجميلهم، الناطور أو الناطورة: وهو الحارس الذي يقف في باب الحمام للحراسة وتقديم المآزر وأدوات الاستحمام للمستحمين وتحية الداخلين والخارجين والدعاء لهم، المزين: ويعرف باسم البلان أو البلانة وهو الذي يقوم بالحلاقة والحجامة والختان لمن يريد من الزبائن، الماشطة: وتوجد خاصة في حمامات النساء ومهمتها تزيين النساء وتصفيف الشعر وتسريحه ..الخ[1]، الوقاد: مهمته إشعال النار في الحمام لتسخين الماء، السواق: مهمته إدارة ساقية الماء وإصلاح أدوات الماء، الزبال: مهمته إحضار وقود الحمام.

1- آمال العمري، العمارة في مصر، ص201-206.

الفصل الثالث

المنشآت المدنية

الفصل الثالث
المنشآت المدنية

تنقسم المنشآت المدنية إلى ثلاثة أنواع هي: المنشآت السكنية، المنشآت التجارية، المنشآت المائية.

المبحث الأول: المنشآت السكنية:

تتفرع أيضاً إلى ثلاثة أنواع هي: المدينة، المنزل، القصر.

المدينة:

المدينة في اللغة مشتقة من الأصل" دين" وهي كلمة ذات أصل آرامي سامي وتعني القضاء، والمدينة في القرآن هي الموضع الذي عليه حكام وملوك، وفيها الصيغة القضائية والدينية والإدارية والسياسية، ولذلك جاء تمييز المدينة عن القرية في القرآن على أساس سمة التقاضي، والمدينة في الفقه الإسلامي هي المصر الذي تقام فيه صلاة الجمعة، حيث إن صلاة الجمعة إنما تختص بها الأمصار دون غيرها، والمصر في الفقه هو المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وقاض ينفذ الأحكام، والمدينة عند المؤرخين هي التي يتوسطها حصن أو قلعة، ويعرف القزويني المدينة بقوله: لو اجتمع البشر في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا في الخيام لم يأمنوا مكر اللصوص والعدو، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب كما في القرى لم يأمنوا صولة ذي بأس، فأكرمهم الله باتخاذ السور والخندق والفصيل، فحدثت المدن والأمصار والقرى والديار، واتخذوا للمدن سوراً حصيناً وللسور أبواب عدة حتى لا يتزاحم الناس بالدخول والخروج.. واتخذوا المساجد والجوامع والأسواق والخانات والحمامات ومراكض الخيل ومعاطن الإبل ومرابض الغنم، وتركوا باقي مساكنها لدور السكن فأكثر ما بناها الملوك والعظماء على هذه الهيئة[1].

نشأة المدينة الإسلامية وتخطيطها:

المدينة الإسلامية لقاء بين الزمان والمكان، واختيار المكان لا يتم عشوائياً بل طبقاً

1- محمد عبد الستار عثمان(د)، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 1999م، ص17-19.

لمواصفات البقعة التي يستقر فيها البشر والتي تخدم أغراضهم ومقاصدهم، ولما كان وضع الإنسان في العالم كما حدده الإسلام أنه سيد الكون، وخليفة الله في أرضه، كل شيء مسخر له، فإن اختيار المكان يتحدد طبقاً لهذا التصور سواء أكان ذلك المكان في أواسط البقاع بهدف السيطرة على الأطراف كما هو الحال في العواصم، أو على الأطراف والسواحل للدفاع كما هو الحال في لثغور البرية، والبحرية (الموانئ).

وقد بدأت نشأة المدينة الإسلامية من يثرب بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، وكما سبق وأن ذكرنا أن من تعريفات المدينة أنها المكان الذي في سلطان وقضاء، لذلك وفرت هجرة الرسول ﷺ ليثرب هاتين السلطتين: الحاكم والقاضي واللذان تجسدا في شخص الرسول ﷺ الذي سعى من أول وهلة إلى تحقيق أمرين: الأول بناء مجتمع الناس وملتقاهم ألا وهو المسجد، والثاني تذويب القبلية والقضاء على العصبية بعدة وسائل أساسها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، لذلك تغير اسم يثرب مباشرة إلى المدينة المنورة، كما أن أرض يثرب من حيث الموقع عبارة عن سهل فسيح تحيط به الحرات من جهاته الأربع، يتميز بخصوبة التربة وكثرة المياه، كما تتوفر في المدينة الأسواق والآطام "الحصون" والسقائف "الدواوين" التي يجتمع الناس فيها، وخصصت بالمدينة دور للضيافة لاستقبال الوفود، كما اتخذ معسكرات الجند خارج المدينة ومنها معسكر الجرف، وبلغ حرص الرسول ﷺ على نظافة المدينة درجة حدد معها مواضع لقضاء الحاجة تعرف بالمناصع، إضافة إلى بيوت الخلاء في المنازل[1].

لقد كان العمل الذي قام به الرسول ﷺ لتطوير وتمصير يثرب سنة اقتدى به كل منشئو المدن بعد ذلك ومنها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وزبيد، وأصبحت الأعمال والأمور التي حددها رسول الله ﷺ في المدينة شروطاً لإنشاء المدن في الإسلام.

إذاً فقد كان بناء المدينة طبقاً للتصور الإسلامي للعالم، محورها ومركزها في الغالب هو الجامع الكبير، الذي به يخطب الحاكم ويوجه الأمة ويرعى مصالحها، وحول وسط المدينة تنتشر الأسواق والمنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية ومنشآت الدولة.

وسوف نتناول نموذجين من المدن أحدهما في اليمن والآخر خارجه كي نتعرف من خلاله على هذه الشروط ومدى التزام المعمار المسلم بها، هذا النموذج يتمثل في مدينتي بغداد عاصمة الخلافة العباسية وزبيد اليمنية التي أنشأها محمد بن عبد الله بن زياد كعاصمة لدولته الزيادية سنة 204هـ/819م.

1- محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص51-61.

موقع مدينة بغداد وتخطيطها:

تعد مدينة بغداد من مفاخر المسلمين في مجال العمارة والتخطيط، وقد اختار الخليفة المنصور العباسي موقع مدينة بغداد بنفسه حيث خرج إلى عدة مواقع يبحث عن أنسبها فكان موقع بغداد غرب دجلة وفي نقطة يقترب منها نهري دجلة والفرات، وهذا الموقع تتوفر فيه المياه من نهرين يتفرعان من نهر دجلة، وتتوفر فيه وسائل الغذاء من الأراضي الزراعية القريبة، وتتوفر فيه شروط الصحة العامة من حيث عدم انخفاضه فيكون وبيئاً ولا عالياً فيكون ذو تيارات هوائية شديدة وبرودة أيضاً، فضلاً عن توسطه بين ولايات الدولة العباسية، وكذلك تتقابل في الموقع طرق التجارة عبر البحر والنهر والبر. وقبل بناء المدينة خططت مساحتها وشوارعها ومساكنها بواسطة الرماد ثم وضعت على خطوط البناء كرات قطنية مشبعة بالنفط وأحرقت لكي يرى الخليفة المنصور تخطيط المدينة، وعلى التخطيط المذكور حفرت الأساسات وبدأ البناء سنة145هـ[1] (شكل31).

تتكون المدينة من مساحة دائرية محيطه 16000ذراع، وللمدينة سوران يدعم كل منهما 113برج، وللمدينة ثلاثة فياصل اثنان بعد السورين من الداخل، والثالث فيما بين المساكن وقصر الخليفة المعروف بقصر الذهب، وللمدينة أربعة أبواب رئيسية ذات تخطيط منكسر يغلق على كل منها باب حديدي منزلق، و يحيط بالسور الخارجي خندق يملأ بالمياه عند الخطر وأمام كل بوابة جسر متحرك فوق الخندق[2].

موقع مدينة زبيد وتخطيطها[3]:

تقع مدينة زبيد على خط طول 43 درجة شرقاً وخط عرض 25 درجة شمالاً، وفي موقع متوسط من سهل تهامة الذي يحتل القسم الغربي من اليمن، ويمتد من عدن جنوباً حتى حدود السعودية شمالاً، وتبعد عن العاصمة صنعاء بحوالي "233 كم" باتجاه الجنوب الغربي، كما تبعد عن مدينة تعز بحوالي "161 كم" باتجاه الشمال الغربي، وعن مدينة الحديدة "95 كم" باتجاه الجنوب الشرقي، كما أن زبيد تحتل موقعاً متوسطاً بين البحر الأحمر الواقع غرب المدينة، وسلسلة الجبال الواقعة إلى الشرق منها، حيث تبعد عن كل منهما مسافة "25 كم.

1- طاهر مظفر العميد(د)، تخطيط المدن العربية الإسلامية، جامعة بغداد، 1986م، ص306، 328، 354.

2- حسن الباشا، المدخل، ص63، 64.

3- عبد الله عبد السلام الحداد، المنشآت العسكرية بمدينة زبيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 2000م ص24، 26-28.

وكان موقعها قبل إنشائها أرضاً زراعية كثيرة الأشجار تابعة لوادي زبيد ووادي رمع، وحولها عدد من القرى الصغيرة من أهمها قرية الحصيب وساكنوها ينتمون إلي قبيلة الأشاعر قوم الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ الذي بنى جامع الأشاعر ـــ نسبة إلي القبيلةـــ فكان أول مسجد بني في تهامة، وثالث مسجد في اليمن بعد جامعي صنعاء والجند .

ببناء الجامع بدأ الناس يتجمعون حول قرية الحصيب وأخذت نواة القرية تكبر وتتسع، فلما كانت سنة 204هـ/819م خرجت قبيلتا الأشاعر وعك عن طاعة الخلافة العباسية فأرسل الخليفة المأمون حملة بقيادة محمد بن عبد الله بن زياد لاسترداد تهامة وأوصاه أن يحدث له مدينة في وادي زبيد من بلاد الأشاعر، وبعد وصوله إلي تهامة واستيلائه عليها اختط مدينة زبيد يوم الاثنين الرابع من شهر شعبان سنة 204هـ/ 819/1/23م، ومنذ ذاك بدأت شهرة زبيد كعاصمة لدولة بني زياد.

ويرجع السبب في اختيار ابن زياد لموقع زبيد إلي ما يلي:

1 ـــ موقعها المتوسط من سهل تهامة حيث تقع في منتصف امتداد السهل من الشمال إلى الجنوب، وكذلك موقعها المتوسط بين البحر والجبل مما يجعلها تتحكم بقسمي تهامة الشمالي والجنوبي وكذلك الجبال والموانئ البحرية.

2 ـــ وجود قرية سابقة هي قرية الحصيب، ووجود أقدم جامع في تهامة وهو جامع الأشاعر الذي بناه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري ﷺ وذلك في حياة الرسول ﷺ.

3 ـــ توفر الأرض الخصبة الصالحة للزراعة في وديان زبيد ورمع وسهام والوديان المجاورة أمَّن لها احتياجاتها من المواد الغذائية للإنسان والحيوان على السواء، حيث إن طيب المرعى وقرب المزارع من الشروط التي يجب توافرها لإنشاء المدن عند كثير من علماء الإسلام[1].

4 ـــ توفر التربة الطينية التي ساعدت المعمار على استخدام الطين واللبن والآجر في بناء

1- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: حامد عبد الله ربيع(د)، دار الشعب القاهرة، 1983م، ص420، ابن الأزرق، أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد (ت896هـ/1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: سامي النشار(د)، منشورات وزارة الإعلام- الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التراث (45)، 1977م، ج2، ص278، 279، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون الإسكندرية، ص245، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، ص29، 97، خالد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف قطر، عدد58، السنة17، الطبعة الأولى 1997م، ص72، 73.

مدينة زبيد بمنشآتها المعمارية المختلفة.

5 ــ وقوعها على طريق الحج الرئيسية المعروفة باسم الجادة السلطانية(1) جعل منها محطة لاستراحة الحجاج القادمين من الهند عبر عدن، وهذا بدوره يمثل مصدراً من مصادر الانتعاش الاقتصادي من خلال ما ينفقه الحجاج من أموال وما يقومون به من تجارة أثناء ذهابهم إلى مكة والعودة منها.

6 ــ قربها من البحر وفر لها مصدراً رئيسياً للغذاء ، وجعل من ميناء غلافقة ثم ميناء البقعة ــ بعد ذلك ــ الميناء الرئيسي والمنفذ البحري لتجارة زبيد مع البلدان الأخرى، وهذا يعد شرطاً من شروط إنشاء المدن بهدف وصول البضائع إليها من البلاد الأخرى(2).

7 ــ قرب المدينة من الجبال ــ الواقعة إلى الشرق منها ــ ذات الكثافة العالية من الأمطار وفر لها مصدراً دائما من المياه التي تتجمع على هيئة سيول تسقي المزارع وتملأ الخزانات والسدود، وتغذي مياه العيون والآبار الجوفية، حيث إن توفر الماء شرط لازم من شروط إنشاء المدن(3).

تخطيط مدينة زبيد[4]:

عندما ولي ابن زياد اليمن سنة 204هـ/819م اختار موقع قرية الحصيب في تهامة لبناء مدنته وسماها باسم زبيد نسبة إلى الوادي الذي تقع فيه، وجعل تخطيطها دائرياً، ومن هنا جاء وصف كل من: الخزرجي وابن الديبع(5) للمدينة بأنها "مدورة الشكل عجيبة الموضع" أي أن تخطيطها الدائري، قريب من تخطيط مدينة بغداد.

وكان جامع الأشاعر يشغل منتصف زبيد، أما دار إمارة محمد بن زياد فكانت تقع في الجزء الشرقي من المدينة إلى الجنوب من باب الشبارق، وشمال ربع المجنبذ، وكان يعرف باسم دار الملك، وهو نفسه موقع الدار الناصري (قلعة زبيد) حالياً الذي بناه

1- الجادة السلطانية: الجادة في اللغة معظم الطريق،(أنظر)، الفيروزابادي، القاموس المحيط، مادة جدد، ص246، يوسف محمد عبد الله (د)، المدينة اليمنية التاريخية، الموقع والتاريخ، مجلة اليمن الجديد، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، عدد1، سنة16، جمادى الأول1407هـ/يناير1987م،ص32.

2- ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص420، ابن الأزرق، بدائع السلك، ج2، ص279، ابن خلدون، المقدمة، ص245، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، ص30، 97، 115، خالد عزب، تخطيط، ص72، 73.

3- ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص420، ابن الأزرق، بدائع السلك، ج2، ص278، ابن خلدون، المقدمة، ص245، محمد عبدالستار، المدينة الإسلامية، ص30، 97، 112، خالد عزب، تخطيط، ص71-77.

4- عبد الله الحداد، المنشآت العسكرية، ص51-55.

5- الخزرجي، العسجد المسبوك، ص97، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص34 .

السلطان الرسولي الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل 721-764هـ/1321-1363م حيث قام بهدم معظم دور وقصور الدول التي سبقته وبنى مكانها الدار الناصري الكبير الذي نسب إليه وذلك فيما بين سنتي 822-827هـ/1419-1424م.

وبما أن زبيد كانت منذ إنشائها عاصمة رئيسة لعدد من الدول فقد كانت محل اهتمام حكام تلك الدول الذين أحاطوها بالأسوار والأبراج والخنادق لحمايتها من غوائل الزمن، وبدأ هذا الاهتمام منذ أن اتخذها ابن زياد مقراً لولايته، ومن ثمَ عاصمةً لدولته وبذلك أصبحت زبيد تمثل مقر ملوك اليمن كما يقول المقدسي[1]، وقد استمر هذا الاهتمام خلال عصر دولتي بني نجاح 431-554هـ/1040-1159م، وبني مهدي 554-569هـ/1159-1174م، ونستدل على ذلك من خلال التوسع الذي طرأ على المدينة أكثر من مرة ـــ وما تبع ذلك من بناء أسوار جديدة لها كلما توسعت ومن ذلك:

- سور الحسين بن سلامة في أواخر دولة بني زياد فيما بين392-426هـ/1002-1035م.
- سور أبو منصور منٌ الله الفاتكي سنة 518هـ/1124م في عصر الدولة النجاحية.
- سور عبد النبي بن علي بن مهدي فيما بين 558-569هـ/1163-1174م في عهد دولة بني مهدي.

ويعد أهم بناء لسور المدينة ذلك الذي قام به سيف الإسلام طغتكين بن أيوب579-593هـ/1183-1197م حيث أمر بتجديد السور القديم سنة 589هـ/1193م، ثم أضاف لها سوراً آخر يحيط بالسور الأول وركب عليه أربع بوابات، وأمر الجند بالسكن فيما بين السورين، إلا أنه توفى قبل أن يسكن الجند بين السورين، ويرجح أنهم سكنوا في عهد ابنه المعز[2]، وكان يتخلل السور 114 برج وأربع بوابات ذات تخطيطات مختلفة هي: باب سهام، وباب النخل، وباب القرتب، وباب الشبارق (شكل32).

تنقسم المدينة من الداخل إلى أربعة أرباع نتجت عن تقاطع الشارعين الرئيسيين اللذين يمتدان بين أبواب المدينة الأربعة وهي: الرَّبْع الأعلى، رَبْع الجامع، رَبْع المجنبذ (الجزع)، رَبْع المعاصر، وكل ربع من هذه الأرباع مقسم إلى عدد من الحافات[3] من

1- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت388هـ/998م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، مطبعة بريل، ط 2، 1909م، ص 84، 85.
2- ابن المجاور، جمال الدين، أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (ت690هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور، تصحيح: أوسكر لوففرين، منشورات دار المدينة، الطبعة الثانية، 1407هـ/1986م، ص90، الخزرجي، العسجد المسبوك، ص101، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص75، محمد السروري، مظاهر الحضارة، ص368.
3- الحافات: جمع حافة، ويقصد بها في اليمن الحي السكني، أو الحارة في مصر.

أمثلتها: حافة السويقة، حافة المصلى، حافة الزيالع، حافة الدموت، حافة الهنود[1].

كما تحتوي المدينة على عدد من الأسواق موزعة على حافاتها، حيث إن السوق لازم أساسي من لوازم المدينة وشرط من شروط إنشائها عند كثير من علماء الإسلام ومنهم ابن أبي الربيع الذي يقول[2] " أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب" وكل سوق منها مخصص لنوعية معينة من السلع وجميعها تشكل السوق الكبير الذي يقع مركزه غرب جامع الأشاعر، والذي كان مسقوفاً بسقائف مصنوعة من الحصير، وتتفرع منه عدة أسواق منها: سوق المرباع، وسوق المسوادة، وسوق البَـزّ، وسوق البُرّ أو المِحْنَـاط، وسوق السَّلَب[3]، وسوق الخان، وسوق المنجارة، وسوق السمك، وسوق اللبن، وسوق التمر والخضر، وسوق الحدادين، وسوق اللحوم أو سوق الجزارين.

القصر:

يعد بناء القصر الإسلامي في مقدمة أنواع العمائر المدنية التي حظيت باهتمام واضح، نظراً لما يمثله من تعبير عن طابع الفخامة والثراء والهيبة وقوة الدولة[4]، وقد بدأ بناء القصور في العصر الأموي ولكن لم يبق من القصور الأموية إلا القليل لأنها تهدمت لا بسبب الزمن ولكن لأنها تخص أشخاص معينين بعكس المساجد التي تهم كل الناس وليست ملكاً لأحد لأنها بيوت الله على الأرض.

ونظراً لتوسع المدن والتجديد في مبانيها كانت القصور أدعى للزوال وكل حاكم أو دولة تهدم قصور الحاكم أو الدولة التي قبلها، لهذا تجد أنه لا يوجد قصر من القصور الأموية في المدن وكل ما وصلنا من القصور الأموية هو وصف المؤرخين والرحالة لها مثل قصر معاوية المسمى الخضراء وقصر هشام بن عبد الملك ودار عمر بن عبد العزيز وقصر الحجاج بن يوسف.

أما قصور البوادي فقد ظلت باقية لأنها كانت تقع في أماكن منعزلة وبعيدة لا تلفت النظر إليها ولا يحتاجها الناس للبناء بموادها أو وفي مكانها أو للسكن والعيش فيها، لذلك فإن أطلال قصور البوادي السورية والأردنية والفلسطينية ما تزال قائمة تمدنا بمعلومات

1- الدموت: نسبة إلى سكانها الذين ينتمون إلى دمقوت من بلاد الهند، والزيالع: نسبة إلى سكانها الذين ترجع أصولهم إلى مدينة زيلع في الحبشة، (انظر)، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص165، 168.

2- ابن أبي الربيع، سلوك المالك، ص422، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص30، 115، خالد عزب، تخطيط، ص74.

3- المرباع: هو المكان الذي تباع فيه الحيوانات، والمسوادة: نسبة إلى السُّود وهو الفحم عند أهل اليمن، والبز: القماش بأنواعه، والبُـرُّ: القمح، والمحناط نسبة إلى الحنطة، والسلب: يقصد بهاالحبال.

4- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص25.

كاملة عن التخطيط المعماري لتلك القصور.

وإن كان هناك سؤال يتردد في الذهن مراراً مفاده: ما السبب الذي دعا هؤلاء إلى بناء القصور خارج المدن؟.

وللإجابة على هذا السؤال يمكن القول أن هناك عدة أسباب تكشفت من خلال الاكتشافات الأثرية لمجموعة القصور التي كشفت عنها النقاب ترجع في عمارتها إلى العصر الأموي ومنها قصر المشتي قصر الطوبة، قصر الشرقي والغربي، قصر حرانه، قصر خربة المفجر، قصير عمرا، قصر حمام الصرخ. (شكل33 أ-هـ)

وقد اختلفت علماء الآثار حول سبب بناء تلك القصور في الأماكن البعيدة عن العمران والمدينة حيث ذكر الدكتور حسني نويصر خمسة أسباب هي[1]:

1ـ تفضيل الخلفاء الأمويين لحياة البادية لملاءمتها لطبيعة نشأتهم الصحراوية البدوية فأنشأ بعضهم قصور المعسكرات في الحيرة وقصور اللهو في الأردن ونقلوا إليها الماء من مسافات بعيدة.

2ـ أنشأ بني أمية هذه القصور والحمامات كاستراحات يأوون إليها بعد رحلات الصيد المرهقة التي تحتاج إلى استرخاء واستحمام بعيداً عن صخب العاصمة ومشاكلها السياسية.

3ـ أنشأت كملاجئ لملوك بني أمية عند انتشار الأمراض والأوبئة الفتاكة في المدينة.

4ـ أنشأ ملوك بني أمية هذه القصور لكي يلهون أنفسهم فيها بعد انغماسهم في حياة الترف والنعيم واللهو لأنهم في المدينة لا يستطيعون ذلك للحفاظ على هيبتهم بين رعيتهم فأنشأ هذه القصور لكي يلهو فيها بعيداً عن أعين الرقباء.

5ـ وليمارسوا فيها أيضاً النشاط البدني كالرياضة والفروسية والحياة الخشنة لكي يستطيعوا تحمل أعباء الحكم.

على أن هناك أسباب أخرى لبناء القصور الأموية في البوادي نوجزها فيما يلي:

1ـ رغبة الخلفاء من التقرب من أهل البادية التي تربطهم بالخليفة روابط العشيرة والقبلية العربية والعادات وسعى الخليفة لكسبهم.

2ـ حياة البادية كانت المدرسة الأولى لتعلم بني أمية اللغة العربية الصحيحة بعد دخول اللحن واللكنات والرطانة بسبب تعدد أجناس سكانها.

3ـ أنشئت لتكون نواة لمدن جديدة يقيم الناس حولها فتكون المدينة.

1- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص85.

4ـ أنشئت كأماكن للعزل السياسي للخارجين والمخالفين للدولة.

5ـ أنشئت كمراكز للإنماء الاقتصادي في الضياع التي يملكها بني أمية والنبلاء.

المخطط المعماري للقصر الأموي:

تشابهت القصور في مخططاتها المعمارية والتي كانت تتكون من سور خارجي يحيط بالقصر يخلو من الفتحات والزخارف، والسور محصن بأبراج لم تكن من الضرورة لأن الأمن متوفر في البوادي وولاتهم للخليفة ولذا فوظيفتها هو تدعيم الجدران وإظهار المبنى بمظهر قوي وضيع وكانت الأبراج إما دائرية أو نصف دائرية أو ثلاثة أرباع الدائرة أو مربعة أو نصف مثمنه، ويتوسط القصر صحن مكشوف تحيط به مجموعة من الأروقة تليها وحدات سكنية مستقلة ذات غرف متعددة موزعة في طابق أو طابقين.

الأصول المعمارية:

هناك عدة آراء في الأصول المعمارية منها:

1ـ قريبة الشبة بالطراز الهلينستي والبيزنطي في حير الكهف وقلعة عنتر.

2ـ متأثرة بالطراز الساساني.

3ـ مستمدة من النشأة التي أقامها العرب الأوائل في الحيرة كقصر الخورنق وقصر السدير.

ولكن رغم تأثر هذه القصور بهذه الطرز إلا أنه من المؤكد أنها قد خضعت للتقاليد والعادات وطابع المحافظة على حرفة الحياة العائلية إلى جانب العوامل الجغرافية التي أوجبت الصحة والأروقة إذ ليس بوسع المرء أن يزخر بالتمتع بمناخ قليل القسوة وسماء معدومة الضباب وشمس ساطعة إذا ما كانت الأقبية مسقوفة، ولذا فأن أصل العمارة الأموية نشأت من تقاليد الحياة العربية ووفقاً للظروف المناخية القاسية والمواد المتاحة المنسجمة مع الظروف والتقاليد، والتي استمرت أيضاً في القصور العباسية التي أنشأت أيضاً في البوادي ومنها قصر الأخيضر (شكل34).

ومن القصور اليمنية التي ما زالت باقية قصر زبيد أو ما يعرف باسم الدار الناصري الكبير أو – حالياً قلعة زبيد– والذي يتكون من مساحة بها استطالة متعددة الأضلاع، أقصى اتساع له "126م" من الشمال إلى الجنوب وأقصى عرض له "158م" من الشرق إلى الغرب، ومحيطه " 624م" محاط بالأسوار المدعمة بالأبراج، وله مدخل رئيسي في الجهة الشمالية، ومدخلان فرعيان الأول يقع في امتداد السور بين دار الضيافة ودار

الحكومة، والثاني في الركن الجنوبي الشرقي منها، وثلاثة مداخل ثانوية مستحدثة أحدهما خاص بمبنى الحكومة، والأخر خاص بدار الضيافة والثالث خاص بمحطة كهرباء مبنى المواصلات القديم، فيما يتكون القصر من الداخل من رحبة وسطى محاطة بسور وعدد من الوحدات المعمارية منها: دار الحكومة، ودار الضيافة (المحكمة) ودار المالية، والمدرسة الإسكندرية، وبئران، وسجن، ومنظرة، وحمام، ومخزن للحبوب، ومخزن للأسلحة، وعدد من ثكنات الجند[1] (شكل35).

على أن أشهر القصور الإسلامية هو قصر الحمراء بغرناطة 733-755هـ، والذي يعد من أجمل قصور الدنيا الباقية والذي يقع على ربوة عالية تطل على المدينة، يتكون تخطيطه من خمسة قصور متتابعة يتوسط كلاً منها فناء به نافورة أو حوض ماء أو بركة تحيط بها القاعات والأبهاء ومن أهمها: فناء الرياحين أو فناء البركة: ويضم قاعة البركة أو قاعة الريحان، وخلفها قاعة السفراء أو قاعة قمارش، فناء السباع: الذي تتوسطه نافورة على هيئة حوض من الرخام محمول على 12 أسد يخرج الماء من أفواهها، كما يضم القصر عدد من القصور والحمامات السلطانية، والملحقات الخاصة[2].

المنزل:

هو أحد عناصر العمارة المدنية وأكثرها انتشاراً وبناءً وعمراناً، فهو المكان الذي يعيش فيه الإنسان، ولذلك تواصلت عمارته عبر العصور وتكاملت وحداته ومخططاته عبر الزمن[3].

وقد كان المنزل الإسلامي أول الأمر بسيطاً، مساحته صغيرة وخال من الزخرفة والتأنق، وخير مثال على ذلك بيوت النبيﷺ، فبعد أن بنى مسجد المدينة شرع في بناء بيوت لأزواجه في الجهة الشرقية من المسجد وكانت أول الأمر عبارة عن حجرة لسودة بنت زمعة وفي السنة الثانية بنى بيتاً لعائشة إذ لم يكن قد تزوجها قبل هجرتهﷺ إلى المدينة[4]، مساحة كل منهما لا تزيد عن 20×20 ذراع، بنيتا من مواد بناء المسجد نفسها أي اللبن وغطيت بجريد النخل المطرور (أي المغطى) بالطين، وكان لبيت عائشةؓ مصراع واحد من عرعر أو ساج ثم بنى الرسولﷺ حجرات بقية أزواجه، كلما تزوج من

1- عبد الله الحداد،المنشآت العسكرية، ص127، 143.

2- حسن الباشا، المدخل، ص177، 178، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص26، طاهر مظفر العميد(د)، آثار المغرب والأندلس، جامعة بغداد، 1989م، ص307-311.

3- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص27.

4- أصغر قائدان، تاريخ آثار مكة والمدينة، دار النبلاء، الطبعة الأولى، 1999م، ص240.

إحداهن بنى لها حجرة بجانب حجرة عائشة باتجاه الشمال وتمتد إلى باب النبي أي ما بين القبلة والمؤخر وكان يفصل بين المسجد وبيوت النبي ﷺ شارع واسع عرضه 10 أذرع، وقد ظل هذا الشارع باقياً حتى سنة 7هـ (شكل1).

وهناك خلاف بين الباحثين حول بناء بيوت النبيﷺ فيرى كريزول أن حجرات أزواج النبي لم تكن جميعها مبنية من اللبن بل أن أربعة منها مبنية بالطين ومسقوفة والأخريات مبنية من الأغصان والنخل ومغطاة بالطين، ورأيه هذا غير صحيح لأن البيوت لم تبنى دفعة واحدة إلى جانب توفر مادة اللبن، فضلاً عن أن الحفاظ على حرمة أزواج النبيﷺ يتطلب بناء بيوته على الأقل مثل أقل بيت من بيوت المسلمين الذين كانت بيوتهم مبنية باللبن والطين والحجر، كما أن عدله ﷺ يلزمه أن يعدل بين أزواجه فلا يمكن أن يبنى بيوت بعضهن من اللبن والأخريات من العشب أو النخل فذلك ليس عدلاً، ونحن نعرف أن الرسول كان أعدل الناس بين أصحابه فما باله في أزواجه الذي أمره الله وسائر المسلمين أن يعدلوا بين النساء، ويضيف كريزول أنه كان على أبواب الحجرات ستائر من القماش الشعري الأسود كل ستارة 3×3أذرع وباستطاعة المرء لمس السقف بيده.

أما فكري فيقول أن الرسولﷺ أقام حول المسجد منازلاً لأزواجه في الشق الأيسر للمصلي وينقل عن ابن النجار عن الإمام مالك أن حجرات أزواج الرسولﷺ ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فيه وكان سبب ذلك أن الرسولﷺ عندما زاد في المسجد من الناحية الشرقية في السنة السابعة أي بعد فتح خيبر بلغت الزيادة حدود الحجرات لأن الرسولﷺ أخذ الشارع وإضافة إلى المسجد مما جعل الحجرات تلتصق بالمسجد وهذا الخبر يمكن أن نعتبره رداً على كريزول وفريد شافعي اللذان يقولان أن المسجد لم يكن مسجد وإنما بيت للنبيﷺ.

في حين يرى محمود عكوش أن الحجرات لم تكن جميعها في الجهة الشرقية من المسجد بل إن بعضها يقع في الجهة الشرقية وبعضها في الجهة الشمالية وبعضها في الجهة الغربية أيضاً.

وفي العصر الأموي تطور المنزل الإسلامي كثيراً بحيث أصبح مكوناً – في الغالب – من فناء مكشوف تتوسطه في الغالب نافورة أو فسقية وعدد من أحواض الزرع، ويطل على الفناء إيوان أو أكثر، يكتنف الإيوان حجرتان يتقدمهما سقيفة مستعرضة، وللمنزل مدخل منكسر يحجب من في الداخل عن رؤية المارة لهم في الخارج، وخير مثال على ذلك يتمثل في منازل الفسطاط بالقاهرة (شكل18).

أما منازل اليمن فتختلف منازل المناطق الحارة كزبيد عن منازل المناطق الباردة

كصنعاء، فمنازل المناطق الحارة كزبيد (شكل36) على سبيل المثال تتكون[1] في الغالب من فناء مكشوف يتوسط المنزل وتحيط به الحجرات وأجزاء الدار الأخرى كالمطابخ والحمامات والمقصورات والمربعات، ولا يزيد ارتفاع المنزل عن طابقين، وهذا التخطيط والارتفاع فرضهما الجو الحار للمدينة صيفاً، أما منازل المناطق الباردة كصنعاء[2] فلا يتوسطها فناء مكشوف بل قد يحيط بها، والمنزل مكون من عدة طوابق: الأرضي في الغالب غير مسكون وذو نوافذ ضيقة، ويضم دهليز مستطيل تحيط به عدد من الحجرات مخصصة للحيوانات ومخازن لمستلزمات الدار، الطابق الثاني يضم عدد من الحجرات مماثلة لحجرات الطابق الأرضي ومعظمها مخصصة كمخازن لأغذية الأسرة من حبوب وخلافه، والطوابق الأخرى تستخدم لسكن الأسرة وديوان المقيل، ويعلوا الدار مفرج خاص بالأسرة والمقربين (شكل37).

المبحث الثاني: المنشآت التجارية:

تتنوع المباني التجارية إلى عدة أنواع منها: السوق، الخان، الوكالة، الفندق، السمسرة، القيسارية، الربع.

السوق:

الأسواق عبارة عن أحياء تجارية مغلقة ومسقوفة تقام قرب المساجد الجامعة، وأول سوق بني في العصر الإسلامي هو سوق المدينة المنورة الذي أمر بإنشائه الرسولﷺ، بدلاً من استخدام التجار المسلمين لأسواق اليهود في المدينة خاصة بعد مضايقة اليهود للتجار المسلمين، وكان هذا السوق عبارة عن مساحة مكشوفة بنى التجار فيها حوانيتهم.

أما السوق التجارية المتكاملة فكان أول إنشاء لها بمدينة الكوفة على يد واليها خالد بن عبد الله القسري وذلك في العصر الأموي، حيث بنى عدد من الحوانيت تطل على عدد من الشوارع وجعل لكل منها سقوفاً معقودة بالآجر والجص، وخصص لكل نوع من التجارة شارعاً معيناً، وقد شاع هذا النظام في مختلف المدن الإسلامية ومنها سوق النحاسين وسوق الخيامية بالقاهرة[3]، وسوق صنعاء الواقع شرق الجامع الكبير وهو مقسم إلى أسواق فرعية كسوق المخلاص وسوق الجنابي وسوق الزبيب وسوق الملح..الخ،

1- عبد الله الحداد، المنشآت العسكرية، ص 229.

2- عبد الله عبد السلام الحداد، صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص48-68.

3- حسن الباشا، المدخل، ص155.

وكذلك سوق زبيد مقسم إلى عدة أسواق وكل سوق منها مخصص لنوعية معينة من السلع وجميعها تشكل السوق الكبير الذي يقع مركزه غرب جامع الأشاعر، والذي كان مسقوفاً بسقائف مصنوعة من الحصير، وتتفرع منه عدة أسواق منها: سوق المرباع، وسوق الخان، وسوق المسوادة، وسوق البَــزّ، وسوق البُرّ أو المِحْنَــاط، وسوق السَّلَب، وسوق المنجارة، وسوق السمك، وسوق اللبن، وسوق التمر والخضر، وسوق الحدادين، وسوق اللحوم أو سوق الجزارين.

الخان[1]:

الخان وتجمع على خانات: كلمة فارسية وتركية معربة يقصد بها باللغة الفارسية – وأصلها مشتق من اللغة الآرامية – الحانوت أو الدكان، وبإضافة الهاء (خانة) تعني البيت أو المنزل التي يسكنها التجار، وبالتركية دار العمل والتجارة، وفي اللغة العبرية كلمة "حنه" يقصد بها خيم ودكان ومنزل القوم، ثم عمم اللفظ على المنشآت ذات الوظيفة التجارية والفندقية[2]، وقد وضع المقريزي كل من الخان والوكالة والفندق تحت باب واحد نظراً لتشابه وظائفهم ومبانيهم[3].

كما أن الخان نوع من المباني التجارية داخل المدن كما يبنى خارج المدن في مراحل الطرق لمبيت التجار وقوافلهم التجارية، وكان ظهور الخان في إيران والأناضول.

وهناك نوعين من الخانات الأول خان التجارة وتخطيطه مكون من مبنى مربع أو مستطيل متعدد الطوابق، جدرانه الخارجية مدعمة بالأبراج لحراسته أثناء الليل، في حين يتكون من الداخل من صحن مكشوف يتوسطه مصلى صغير، وحول الصحن عدد من الإيوانات والحجرات مخصصة لنوم التجار، كما يحتوي على وحدات معمارية متنوعة منها المصلى والمطبخ والحمامات والأفران وحوش لمبيت الدواب.

والثاني خان البريد بني خصيصاً لمبيت واستراحة حملات البريد أثناء تنقلهم من مدينة إلى أخرى لتوزيع الرسائل، وهذا النوع في الغالب مماثل للخانات التجارية لكنه يتميز بصغر حجمه.

وقد عرفت الخانات في اليمن ومنها الخان المجاهدي بمدينة زبيد والذي بناه السلطان

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص28.

2- رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى1993م، ص25، 26.

3- محمد أمين، المصطلحات، ص39.

الرسولي المجاهد علي بن السلطان المؤيد سنة 739هـ/1338م، كما عرفت منشآت تجارية أخرى في اليمن ومنها ما يسمى بالمتجر ومن أمثلته المتجر الذي أقامه السلطان الأشرف إسماعيل الثاني بن السلطان الأفضل بزبيد سنة 798هـ/1396م[1]،

ومن أقدم الخانات في العالم الإسلامي خان عطشان 161هـ قرب الكوفة (شكل38)، والذي يتكون من مبنى مربع مدعم بالأبراج في الأركان وفي منتصف ثلاثة من جدرانه فيما يتوسط الجدار الرابع بوابة بارزة على هيئة نصفي برج، ويتميز هذا الخان بعدم وجود صحن يتوسطه وإنما فناء يلي المدخل تحيط به الحجرات من ثلاث جهات.

الوكالة[2]:

الوكالة وجمعها وكالات ووكائل، وتنطق بفتح الواو وكسرها لفظ مأخوذ من الفعل وكل ومشتقاته توكيل ووكيل، والوكالة عند المصريين مرادف للخان والقيسارية والفندق[3]، وسميت وكالة لأنها موضع التوكيل والوكلاء، وهي من حيث العمارة مماثلة لعمارة الخان والفندق، وهي مخصصة للتجار الغرباء وتجارتهم المستوردة من الخارج بناء على توكيلات[4]، أي أن الوكالة أعدت خصيصاً لسكن التجار الغرباء وحفظ بضائعهم، أما من حيث اللفظ فإن الخان لفظ استعمل في المشرق الإسلامي، فيما اقتصر استعمال لفظ الوكالة في مصر، كما أن الخان يقع في كراحل الطرق الرئيسية بين المدن أما الوكالة فتقع داخل المدن نفسها.

تخطيط الوكالة مكون من طابقين أو أكثر، يتوسطه فناء مكشوف تحيط به وحدات الوكالة، الطابق الأرضي يحتوي على مسجد وعدة حواصل -حجرات صغيرة- مغطاة بأقبية مخصصة لوضع بضائع التجار فيها، فتحات الحواصل تطل على الفناء، وقد يكون للحواصل أبواب تطل نحو الخارج على الشوارع المحيطة بالوكالة فتكون بذلك عبارة عن حوانيت لبيع البضائع، أما الطوابق العليا فتحتوي على حجرات سكن التجار وإدارة الوكالة، ومن أمثلتها: وكالة قايتباي بالقاهرة 885هـ، ووكالة بازرعة، ووكالة الغوري قرب جامع الأزهر، والأخيرة مكونة من فناء أوسط مكشوف محاط في الطابق الأرضي بحجرات مغطاة بأقبية تستخدم كمخازن للبضائع، في حين تستخدم حجرات الطابق الثاني

1- عبد الله الحداد، المنشآت العسكرية، ص62.

2- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص29.

3- رفعت موسى، الوكالات، ص52.

4- محمد أمين، المصطلحات، ص121.

للمقايضة بين تجار الجملة، وحجرات الطابق الثالث مخصصة لسكن التجار (شكل39).

السمسرة[1]:

السمسرة من الفعل "سمسر" لفظ فارسي معرب يعني التوسط بين البائع والمشترى، والسمسار وجمعه سماسرة هو الوسيط بين الشاري والمشتري لتسهيل عملية البيع، ويعرف أيضاً باسم الدلال أي الذي يقوم بالنداء على البضاعة وذكر مميزاتها لكي تباع بأعلى سعر، والسمسرة تعني حرفة التوسط وفي حديث قيس بن أبي عروة كنا قوماً نسمى السماسرة بالمدينة في عهد رسول اللهﷺ فسمانا الرسولﷺ التجار[2]، والسمسرة مصطلح يمني خاص يقصد به المبنى الذي قيم فيه التجار الغرباء وفيها يعرضون بضاعتهم لبيعها على التجار المحليين، ولأن هناك أشخاصاً يقومون بالتوسط في البيع بين التجار الأجانب والمحليين وهم السماسرة أو الدلالين فقد سمي المبنى الذي تتم فيه عملية البيع والتبادل باسم السمسرة، وهو لفظ ومبنى يرادف لفظ ومبنى الوكالة في مصر، حيث يتشابه المبنيان من حيث العمارة ومن حيث الوظيفة، حيث إن كل منهما مخصص لإقامة الغرباء من التجار وعرض بضائعهم على تجار البلاد أثناء وجودهم في البلاد هذا بالنسبة للسماسر التي بنيت في المدن، وما زالت بعض السماسر تقوم بوظيفتي إيواء التجار والغرباء وعرض بضائعهم حتى اليوم، ومنها سمسرة المجة، وسمسرة يحي بن القاسم (شكل40).

وقد ارتبطت بعض السماسر بعرض تجارة معينة دون غيرها أو تقوم بوظيفة معينة ومن أمثلتها: سمسرة الحوائج بصنعاء والتي تعرض الحوائج فقط، وسمسرة الميزان المخصصة لوزن ما يدخل السوق من بضائع، والتي أصبحت بعد ذلك مخصصة لبيع القشر حيث تغير اسمها إلى سمسرة القشر، وسمسرة العنب، وسمسرة النحاس..الخ.

وفضلاً عن السماسر الموجودة في المدن الكبرى هناك سماسر تقع على مراحل الطرق أي في نهاية المسافة التي تقطع في يوم من الطريق حيث يأوي إليها المسافرون عن حلول الظلام ويغادرونها باكرً لإكمال سفرهم، وهي بذلك تشبه الخان.

تخطيط السمسرة في الغالب مكون من: صحن مكشوف مخصص لإيواء حيوانات التجار، يحيط به في الطابق الأرضي بعدد من الغرف مخصصة كمخازن للبضائع، وحجرة للحارس تقع بجوار المدخل، وفي الجدران الخارجية للسمسرة عدد من الحوانيت

1- سيد محمود البنا، دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاءالقديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1993م، ص216-218.

2- المعجم الوسيط، ج1، مادة سمسر، ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة سمسر، رفعت موسى، الوكالات، ص72.

التجارية، وغرف الطابق الثاني مخصصة للسكن، وتحتوي السمسرة إلى جانب ذلك على مطابخ ومقاهي وحمامات وبعض السماسر تحتوي على حوش للمواشي بدلاً من بياتها في الصحن، كما أن بعض السماسر تحتوي على صحنين يربط بينهما باب واسع.

القيسارية:

القيسارية مصطلح غير عربي دخل إلى اللغة العربية، وهو مشتق من قيصر ceser أو قيصريةcesarie وتعني سوق صغير مخصص لبيع سلعة معينة، وقد تم تحريف الكلمة مع مرور الزمن واستبدل حرف الصاد بحرف السن فأصبحت قيسارية وجمعها قياسر[1].

والقيسارية في العالم الإسلامي عبارة عن وحدة معمارية تشبه السوق المستقل، وقد وجدت منذ العصر الأموي حيث ذكرت المراجع التاريخية أن الخليفة هشام بن عبد الملك بنى قيسارية عرفت باسمه، ثم توالى إنشاء القيساريات في مختلف بلدان العالم الإسلامي[2].

وكان التخطيط العام للقيسارية مكون من بناء مربع أو مستطيل مكون من عدة طوابق: واجهات الطابق الأرضي الخارجية مشغولة بعدد من الحوانيت قد تصل إلى 30-40 حانوت، فيما يتوسط القيسارية صحن أوسط مكشوف يطل عليه الطابق الأرضي بعدد من الحواصل، فيما يسكن الطوابق العليا أصحاب المحلات التجارية مع أسرهم، وهي بذلك تتشابه مع الربع في أنهما مخصصان للتجار المحليين أصحاب المحلات والورش الموجودة في الطابق الأرضي، بينما يختلفان عن الخان والوكالة المخصصان للتجار الغرباء[3].

أما في اليمن فهي عبارة عن مبنى تجاري يقع داخل المدن ومنها قيسارية زبيد، كما قد تكون مبنى عسكري يقع خارج المدينة مخصصة لسكن الجند الذين يحرسون المدينة من الخارج، ومن أمثلتها قيسارية قرية المملاح التي كانت تقع خارج سور زبيد، وقد بنيت في العصر الرسولي التي أمر ببنائها السلطان الأشرف إسماعيل الثاني بن الأفضل في شهر شوال من سنة 786هـ/1384م في قرية المملاح خارج سور زبيد ليرتفق بها العسكر[(4)].

1- رفعت موسى، الوكالات، ص37.

2- رفعت موسى، الوكالات، ص38.

3- محمد أمين، المصطلحات، ص92.

4- الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جزءان، تحقيق: القاضي محمد الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية 1983م، ج2، ص154،153، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص100.

ونظراً لأن القيسارية تقع خارج الأسوار فقد كانت معرضة لهجمات الأعراب والقبائل الخارجة عن طاعة الدولة ومن أهمها قبيلة القرشية التي هاجمت القيسارية سنه 843 هـ/1439م ونهبتها[1]. لذلك لا غرابة في أن هذه القيسارية لم يعد لها وجود ولا حتى قرية المملاح نفسها والتي ربما كان وجود القيسارية فيها سبباً في خرابهما معاً بسبب تركز هجمات القبائل والدول المناوئة لبني رسول على القيسارية والقرية نظراً لوجود كثير من الجند فيها وأيضاً لوجود كثير من الأسلحة مما يجعل منها مغنماً سهلاً للأعداء[2].

الفندق[3]:

الفندق كلمة أعجمية مأخوذة من كلمة pandokien اليونانية، وكلمة fondaco الإيطالية، وقيل بل هي كلمة فارسية ويقصد بها الخانات التي تبنى للتجار الأجانب في مراحل الطرق أو في المدن، وقد وجدت في مصر منذ العصر الطولوني، وفي العصر الفاطمي وافقت الخلافة التجار الأجانب الأوروبيين وخاصة الطليان على أن يبنوا لأنفسهم فنادق حيث كان لكل جالية فندقاً خاصاً بها، وقد ذكر الرحالة ابن جبير ثلاثة فنادق نزل بها ومنها فندق الصغار بالإسكندرية وفندق الثناء بالفسطاط.

وكان بناء الفنادق يقوم به السلطان أو الخليفة أو كبار التجار ويؤجرونها لمن يرغب من الأجانب، وكان تخطيطها المعماري مماثل لتخطيط الوكالة والخان والقيسارية.

الربع:

الربع الدار حيث كانت والمنزل والموطن، ثم خصص إطلاق اللفظ على المبنى المكون من عدد من الوحدات السكنية، وكل وحدة منها لها باب خاص وسلم خاص[4]، لذلك فإن الربع يعد من الأبنية التجارية المخصصة للصناع والحرفيين.

التخطيط المعماري للربع مكون من فناء أوسط مكشوف تحيط به عدة طوابق: الطابق الأرضي مقسم إلى محلات ودكاكين وورش للصناعات الحرفية، والطوابق العليا

1- الخزرجي، العسجد المسبوك، ص516، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص113، ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: القاضي محمد الأكوع، الطبعة الثانية 1988م، ج2، ص137 .

2- بسؤال الأهالي وخاصة كبار السن منهم عن القيسارية يتبادر إلى أذهانهم تلك القيساريات الموجودة داخل المدينة والتي هي في الأصل وكالات تجارية. أما القيسارية موضوع الدراسة فكانت مخصصة لإقامة الجند وكانت تقع خارج المدينة وليس داخلها، ويحل محلها اليوم ـــ مع القرية ـــ منشآت معمارية حديثة منها: السوق المركزي الجديد، والمعهد الصحي، ومساحة من الأرض معدة للبناء.

3- رفعت موسى، الوكالات، ص43-51.

4- محمد أمين، المصطلحات، ص52.

قسم كل منها إلى وحدات معمارية أشبه ما تكون بالمنازل يتكون كل منها من دهليز تحيط به عدد من الحجرات والمرافق، حيث إن كل وحدة منها قد تحتوي على حجرة أو أكثر وقد تحتوي الوحدة على مرافق ثانوية كالحمام والمطبخ، وهذه الوحدات مخصصة لسكن الصناع والحرفيين مع عائلاتهم.

المبحث الثالث: المنشآت المائية:

تعددت المنشآت المائية حسب وظائفها ومنها: المقياس، السقاية، السبيل، القناة، القنطرة، الساقية، البركة، السد، الحوض، البئر، الماجل، وفيما يلي وصف موجز لكل منها:

المقياس[1]:

المقياس هو منشأة معمارية مخصصة لقياس كمية مياه السدود والأنهار لتحذير الناس من قلة المياه ليتزودوا منها ويحتاطوا من قلتها، أو لوفرتها وقدومها بعد جفاف ليستبشر الناس بقدوم فصل مطير وفير المياه فيطمئنوا، ومن أشهر المقاييس المائية وأقدمها في العصر الإسلامي مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة الذي بني في العصر الأموي سنة 96هـ، ثم جدد في العصر العباسي سنة 247هـ، بأمر من الخليفة المتوكل على الله، كما تم تجديده في فترات لاحقة ومازال موجوداً حتى اليوم.

يتكون المقياس من بئر مربعة6،20×6،20م عمقه 14,5م بنيت جدرانه بأحجار مهندمة، تتكون البئر من ثلاث طبقات يزيد اتساع كل طبقة عما تحتها وفي كل طبقة فتحات تسمح بدخول الماء من النهر إلى المقياس، ويتوسط البئر عمود رخامي مثمن الأضلاع طوله 10,5م ينتصب من على طبلية خشبية سميكة في قاع البئر حتى قرب فوهتها، يشغل بدن العمود علامات تبعد كل منها بقدر ذراع عن الأخرى بموجبها يتم تحديد كمية الماء المتوفرة في النهر، وللمقياس سلم يهبط من أعلاه حتى أسفله مكون من 45درجة (شكل41).

السقاية:

السقاية وجمعها سقايات لفظة عربية مصدرها كلمة سقى، والسقاية بكسر السين الموضع الذي يتخذ لسقي الناس[2]، والسقاية في خارج اليمن هي كل ما يتخذ لسقي الناس

1- حسن الباشا، المدخل، ص169-170.

2- الفيروزابادي، القاموس المحيط، مادة سقى.

كالسبيل والبئر والصهريج القناطر وقنوات الماء وكانت معروفة منذ عصور ما قبل الإسلام[1].

أما السقاية في اليمن فهي منشأة تشبه السبيل من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة لكنها تختلف عنه من حيث الحجم، حيث إن السبيل مكون من خزان كبير للماء قد يكون تحت سطح الأرض أو فوقه، ويعلو الخزان حجرة مكونة من مبنى مربع أو مستطيل أو مثمن، بحيث يتمكن موظف السبيل من الدخول إليه لتسبيل الماء وتبريده وتعبئته في قلل فخارية ووضعها قرب الشباك لمن أراد الارتواء، أو لتنظيف السبيل وصهريجه، أما السقاية فتتكون من بناء صغير بحيث لا يمكن دخول الإنسان إليها وتتكون من خزان صغير مربع الشكل أو مستطيل قد لا يزيد حجمه عن 1×1م مبني فوق سطح الأرض ومغطى مباشرة بقبة صغيرة أو قبو، وله شباك يتم استخراج الماء من خلاله من الخزان بواسطة الأكواب، وعادة ما تبنى السقاية في أحد أركان المسجد أو المدرسة وغيرها من المنشآت، كذلك تبنى في مفارق الطرق بين المدن والقرى، كما تبنى في المدن نفسها، ومن أمثلتها سقاية مسجد الرباط برداع، ومسجد الخيامي بالسوا.

السبيل:

سبل الشيء أي جعله مباحاً في سبيل الله، السبيل مكان لاستقاء الماء، وفي اللغة أسبل المطر بمعنى هطل، وأسبل الماء أي صبه، وقد يذكر أو يؤنث، ويجمع مؤنثاً على سِبوَل وأسبلة، وعلى التذكير سبل، والسبيل من المنشآت الإسلامية المتصلة باستخدام الماء وشربه، وقد جرت عادة المسلمين على إقامته داخل المدن لسقي المارة وإروائهم من باب التقرب إلى الله، وقد عرفت سقاية الناس منذ عصر ما قبل الإسلام حيث كانت سقاية الحاج من الوظائف المهمة لقبيلة قريش، وكان أول ظهور للسبيل سنة 470هـ بمدينة دمشق، ثم تتابع بناء الأسبلة في العصور اللاحقة بحيث انتشرت في جميع أنحاء العالم الإسلامي[2].

يتكون السبيل في العادة من طبقتين الأولى تمثل صهريج مبني في باطن الأرض مغطى بقبو أو قبة يتم فيه تخزين الماء وتعلوه المزملة أو حجرة السبيل ذات تخطيط مربع أو مستطيل أو مثمن أرضيتها مبلطة بالرخام، وبواجهة الحجرة شبابيك للتسبيل، وبصدرها سلسبيل (شاذوران) وهو لوح من الرخام ذو زخارف محفورة ينساب عليها

1- سامي محمد نوار(د)، المنشآت المائية بمصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 1999م، ص69.

2- حسني نويصر، السبيل، ص144- 147، محمد أمين، المصطلحات، ص62.

الماء لتبريده ويصب داخل حوض خاص حيث يزود الحوض بمواد ملطفة كالسكر أو الزبيب أو غيرها لتعطي نكهة طيبة وطعماً لذيذاً للماء، ويقوم موظف السبيل الذي يعرف باسم السقاء[1] بتوزيع الماء المسبل على أحواض أو قلل قرب شبابيك السبيل يستقي منها المارة، وغالباً ما يعلوا السبيل طابق آخر مخصص ككتاب (معلامة) لتحفيظ الأطفال القرآن الكريم[2].

وهناك طرز عدة للسبيل حسب شكله كالسبيل المربع أو المستطيل أو المثمن أو الدائري، وحسب عدد شبابيكه ومنها: السبيل ذو الحجاب الخشبي، والسبيل ذو الشباك الواحد، والسبيل ذو الشباكين، والسبيل ذو الثلاثة شبابيك[3]، أما من حيث موقع السبيل فله ثلاثة أنواع: الأول: السبيل الملحق بمنشأة أخرى كالمسجد أو المدرسة، والثاني السبيل المستقل، والثالث السبيل الملحق به كتاب[4].

وقد وجدت الأسبلة في اليمن في مختلف المدن وفي الطرق الموصلة بين المدن، ويتميز السبيل في اليمن ببساطته المعمارية المكونة في الغالب من مساحة مربعة مغطاة بقبة، وفي أرضيته خزان صغير يتم تزويده بالماء من الآبار التي تحفر – غالباً بجواره، ومن أمثلة الأسبلة في اليمن سبيلي باب الشبارق وباب سهام بزبيد (شكل42) والذي يتكون كل منهما من: مساحة مربعة أبعادها من الخارج"1,50×1,50م" ومن الداخل "1,15×1,15م" بنيت جدرانه بواسطة قوالب الآجر بسمك "35سم" وارتفاع "1,50م" وكسيت بطبقة من ملاط النورة البيضاء من الخارج وبطبقة من ملاط القضاض من الداخل[5]، الركنان الجنوبي الغربي والشمالي الغربي مشطوفان لأنهما يجاوران الطريق العام، ويغطي السبيل قبة نصف دائرية ارتفاعها "1م" مكسوة أيضاً بملاط من النورة، يشغل الجدار الشمالي للسبيل المطل على المساحة التي تتقدم باب الشبارق من الداخل

1- السقاء: هو الذي يقوم بخدمة السبيل من تسبيل الماء وتنظيف حجرة السبيل والصهريج، وملئ الصهريج بالماء من البئر أو الساقية.

2- حسني نويصر، السبيل، ص157-162.

3- حسن الباشا، المدخل، ص163-164، مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص23.

4- حسني نويصر، السبيل، ص153-156.

5- القضاض: خليط من النورة والماء والنيس أو الحصى الصغيرة، ويتم خلطه بطريقة معينة تستمر لعدة أيام ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تدلك بأدوات خاصة تطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم لمنع تسرب المياه مع استمرار التدليك حتى يصبح السطح ناعماً جداً.(أنظر) مطهر علي الإرياني، القضاض، الموسوعة اليمنية، جزءان، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م، ص770، PONNENFANT,BAUL.
LA, QADAD, LES MAISONS TOURS DE SANAA, LES PRESSES DU CNRS 1989, P151-161.

فتحة صغيرة معقودة " اتساعها " 60سم" وارتفاعها "100سم" مخصصة لاستخراج مياه الشرب، وفي الجدار الجنوبي فتحة أخرى دائرية مخصصة لملئ خزان السبيل بالمياه التي تجلب من البئر التي كانت تقع بمحاذاة الركن الجنوبي الغربي من التكنة، وكان بجانب البئر أحواض مياه مخصصة لشرب المواشي، وقد دفنت البئر وأزيلت الأحواض ولم يبق سوى السبيل الذي كان يؤدي وظيفته حتى عهد قريب ثم أهمل لعدم الحاجة إليه خاصة بعد توصيل المياه إلى المنازل[1].

القناة:

القناة وجمعها قنوات عبارة عن أنابيب تمتد من مصدر الماء حتى المكان المراد وصول الماء إليه سواء أكانت منزلاً أم مدينة.

والقناة من حيث مادة صناعتها على ثلاثة أنواع: الأول أنابيب مصنوعة من المعدن كالرصاص أو النحاس كما في قنوات قلعة زبيد، والثاني أنابيب مصنوعة من الفخار المحروق كما في قنوات مدينة الفسطاط بالقاهرة وقنوات مدينة زبيد التي كانت تمدها بالمياه وأقدمها القناة التي أجراها القاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الأسواني (ت563هـ/1168م)[2] سنة 553هـ/1158م وكانت تأتي من الجبال الواقعة شرق زبيد وتسير غرباً باتجاه المدينة في أنبوب مغيب في باطن الأرض حتى تصب في حوض كبير يقع على بعد 3كم من زبيد، ومن الحوض تتفرع ثلاث قنوات تتجه نحو المدينة وتمر بجوار مقبرة الشيخ طلحة بن عيسى الهتار الواقعة شرق باب الشبارق، إحداها تتجه نحو الشمال الغربي حتى باب سهام ومنه يحصل سكان القرى الواقعة خارج السور على المياه اللازمة لهم، والثانية تدخل المدينة من باب الشبارق وتسير حتى قرب باب النخل، والثالثة تخترق السور الشرقي للقلعة جنوب المدرسة الإسكندرية، والنوع الثالث قنوات مبنية بالحجارة ومكسوة بملاط القضاض كما في القنوات الممتدة من بئري قلعة زبيد حتى قصر الأشرف والمدرسة الإسكندرية بالقلعة نفسها، وكذلك بعض قنوات زبيد التي بنيت في القرن 6هـ.

أما من حيث وظيفتها فلها نوعان: قنوات مخصصة لنقل الماء العذب إلى المدن كما في قنوات مدينة زبيد (شكل43)، وقنوات تصريف المياه العكرة (المجاري) من المنازل

1- عبد الله الحداد، المنشآت العسكرية، ص4.

2- الفقي، عصام الدين عبد الرؤوف (د)، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م، ص274.

إلى خارج المدينة كقنوات مدينة الفسطاط.

ومن حيث البناء هناك نوعين من القنوات: أولها القنوات الظاهرة فوق سطح الأرض، والثاني القنوات المغيبة في باطن الأرض كقنوات مدينة زبيد وقلعتها.

القنطرة[1]:

القنطرة في اللغة الجسر وما يعلو من البناء[2]، والقنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه، وكل بناء معقود بعقد، ويستوي في ذلك قناطر نقل الماء أو قناطر الجسور المخصصة لعبور الناس فوق النهر أو الوادي، ومن أمثلتها في اليمن جسور سائلة صنعاء غرب المدينة القديمة، وجسور وديان إب ومنها جسر جبلة وجسري وادي ظبا والتي بنيت بأمر السيدة بنت أحمد الصليحي (ت532هـ).

والقنطرة وجمعها قناطر من المنشآت المهمة في العمارة الإسلامية حرص على إنشاءها الخلفاء والسلاطين والملوك، وظيفتها الأساسية نقل الماء من منطقة توفره إلى حيث الحاجة إليه وخاصة من المناطق المنخفضة إلى المناطق المرتفعة.

تخطيط القناطر مكون من مأخذ للماء يقع على النهر أو العين تمتد منه عدد – قد تكون عشرات وقد تكون مئات العقود– من الدعامات تحمل عقوداً يعلوها ساقية ينساب الماء عبرها حتى المكان المحدد له.

ومن أشهر قناطر المياه في العالم الإسلامي هي قناطر أحمد بن طولون 263هـ (شكل44) التي تنقل الماء من النيل حتى مدينة القطائع، وقناطر مجرى العيون التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي لنقل الماء من النيل حتى قلعة القاهرة، ومن أمثلة القناطر في اليمن قناطر مدينة إب والتي كانت تنقل الماء من أماكن العيون حتى المدينة، وقد اندثرت هذه القنوات بسبب تطور المدينة وامتدادها.

ومن أشهر قناطر المياه في اليمن قناطر مدينة إب (شكل44ب) التي كانت تنقل الماء من أماكن تواجد العيون والغيول إلى المدينة، وقد تهدمت هذه القناطر في فترة ما بعد ثورة 26 سبتمبر 1962م.

الساقية:

الساقية وجمعها سواقي: يقصد بها الدولاب أو الآلة التي تركب فوق فوهة البئر

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص31، محمد أمين، المصطلحات، ص91.

2- الفيرزابادي، القاموس المحيط، مادة قنطر.

وتديرها الدواب لرفع الماء[1]، والساقية أيضاً مرادفة للقناة من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة، لكن الساقية في الغالب تكون مكشوفة وقد تكون غير مبنية بالحجارة وإنما عبارة عن حاجزين من التراب، وتقع في الغالب في الأراضي الزراعية حيث يتم نقل الماء إليها لريها من العيون أو من الأنهار أو من السدود والخزانات.

البركة:

البركة وجمعها برك: عبارة عن خزان يختلف حجمها من بركة إلى أخرى، وتكون محفورة في الأرض ومبنية بالحجارة ومكسوة بطبقة من ملاط القضاض أو الخافقي، وقد تكون البركة مغطاة أو مكشوفة، وغالباً ما توجد البرك وسط ميضات المساجد والجوامع والمدارس (شكل19، 21)، حيث يتم تزويدها بالماء من الآبار الملحقة بالمساجد والمدارس ومنها بركة الجامع الكبير بصنعاء وبركة جامع حيس وبركة المدرسة السكندرية بزبيد (45)، أو من العيون كبركة المدرسة الأشرفية بتعز حيث كانت بركتها تملأ من عين آتية من جبل صبر، وكثيراً ما تملأ البرك من خلال مياه الأمطار الساقطة على سطح المبنى الملحقة به البركة.

السد:

وجمعه سدود: عبارة عن حاجز مائي مبنى بالتراب الطيني أو بالأحجار، وغالباً ما يقع السد بين جبلين على جانبي الوادي، وقد يكون السد على مجرى مائي مستديم كالسدود التي تقع على الأنهار، وقد تكون على مجاري مياه الأمطار ومن أشهرها سد مأرب، كما أن السدود على نوعين: سدود تحويلية تقوم بتحويل الماء من المنطقة المنخفضة إلى المنطقة المرتفعة كما كانت عليه سدود السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري بوادي زبيد، والنوع الثاني سدود تخزينية يتم تجميع الماء فيها من مواسم المطر إلى مواسم الجفاف لري الأراضي الزراعية ومنها سد مأرب.

الحوض:

الحوض وجمعها حياض وأحواض: مجمع الماء، والحوض عبارة عن خزان صغير مكشوف يبنى بجوار المنشآت الدينية أو على مفارق الطرق في المدن أو بجوار الآبار، حيث يملأ بالمياه ويستخدم في الوضوء أو لسقي الدواب والمواشي، وهو في الغالب مبني بقوالب الآجر أو الأحجار بشكل مربع أو مستطيل وبارتفاع لا يتجاوز نصف المتر، ومن

1- محمد أمين، المصطلحات، ص61.

أمثلة ذلك الحوض المجاور لبركة الجامع الكبير بمدينة حيس، والحوض الموجود بجوار بئر قلعة زبيد (شكل46).

البئر:

البئر عبارة عن حفرة محفورة في عمق الأرض، وجدرانها مبنية بالحجارة على هيئة مداميك منتظمة، ومن أمثلتها: بئر الرملة في فلسطين: يعود تاريخها إلى عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة 172هـ/789م، وتتكون من تخطيط مربع غير منتظم مقسمة إلى ست بلاطات بواسطة خمس بوائك بكل منها أربعة عقود محمولة على دعامات مصلبة، ويغطي البئر أقبية نصف دائرية، وفي الركن الشمالي الشرقي من البئر هابط إلى قعر البئر[1] (شكل47).

ومن الأمثلة الأخرى بئر يوسف بقلعة القاهرة بمصر: وهي من الآبار التي أمر بحفرها السلطان صلاح الدين الأيوبي، وتكون البئر من طابقين الأعلى أكثر اتساعاً من الأسفل، وللبئر سلم هابط من أعلاها حتى أسفلها حيث يتم نزول الناس إليها لجلب الماء[2].

وقد وجدت الآبار بكثرة في اليمن نظراً لعدم وجود أنهار فيها، فلا تكاد تخلو قرية أو مدينة من الآبار، فعلى سبيل المثال تعد الآبار من ملامح مدينة صنعاء القديمة، فقد احتوت كثير من منازلها القديمة ومساجدها ومقاشمها على آبار للمياه، وهي على ثلاثة أنواع:

الأول: وهي آبار خاصة مكونة من حفرة دائرية عميقة لا يزيد قطر الواحدة منها عن 6م ويتم نزع الماء منها بواسطة الدلو والبكرة الخشبية التي تعلو فوهة البئر (شكل48).

النوع الثاني: آبار عامة مكونة أيضاً من حفر دائرية مماثلة لسابقتها لكنه يلحق بها منحدر (مرنع) قد يكون مكشوفاً وقد يكون مغطى بأقبية برميلية أو بسقوف خشبية مسطحة، يسير المنحدر لمسافة تتفق مع عمق البئر بحيث يكون نهايته مع وصول الدلو المملوء بالماء إلى فوهة البئر حيث يصب في حوض مجاور للبئر، وغالباً ما يتم سحب الدلو من قعر البئر بواسطة الجمال، ومن أمثلة آبار صنعاء: بئر حمام الميدان، وبئر قبة طلحة (شكل49)، وبئر مدرسة البكيرية[3].

النوع الثالث: عبارة عن حفرة دائرية كبيرة قد يتجاوز قطرها الخمسين متراً يضيق اتساعها كلما اتجهنا إلى الأسفل بحيث تنتهي عند الماء في قعر البئر بدائرة صغيرة

1- حسن الباشا، المدخل، ص168.

2- سامي نوار، المنشآت المائية، ص108.

3- سيد البنا، دراسة ترميم، ص211-213.

قطرها لا يزيد عن 6م، وتبنى جدران البئر بشكل مائل نحو الخارج، وللبئر سلم أو أكثر يهبط من أعلاها بشكل مائل نحو الأسفل ويدور مع جدران البئر حتى الماء، وكل من أراد الماء ينزل بواسطة السلم إلى أسفل البئر ويأخذ الماء ثم يصعد.

الصهريج:

بكسر الصاد وسمي بذلك نسبة إلى مادة الصاروج وهي المادة العازلة التي كان يصرج بها أي يطلى بها، والصهريج خزان للمياه يبنى بالآجر ويطلى بمادة الخافقي في تخوم الأرض لحفظ المياه، ويغطى عادة بقباب ضحلة، وقد يحتوي على سلم بغرض النزول إلى الصهريج لتنظيفه[1]، ويعرف الصهريج في اليمن وفي المغرب الإسلامي باسم الماجل، وهو عبارة عن خزان صناعي محفور في باطن الأرض بشكل دائري أو مربع أو مستطيل أو متعدد الأضلاع، ومبني بالحجارة ومطلي بمادة عازلة تعرف باسم القضاض، ومن أشهر المواجل في العالم الإسلامي مواجل القيروان التي شرع في بنائها سنة245هـ[2].

ومن أمثلتها في اليمن مواجل مدينة ثلا وحصنها وتتكون من حفر كبيرة محفورة في باطن الصخر أحيطت بجدران من الحجارة وكسيت بطبقة من ملاط القضاض، ويتم تزويدها بالماء اللازم من الأرض الصخرية المحيطة بالماجل، ومنه يأخذ الناس حاجتهم من الماء وخاصة في أوقات الحصار التي قد تطول أشهر وسنوات.

1- محمد أمين، المصطلحات، ص73.

2- طاهر العميد، آثار المغرب والأندلس، ص139.

الفصل الرابع

المنشآت العسكرية

الفصل الرابع
المنشآت العسكرية

تنقسم المنشآت العسكرية إلى خمسة أنواع هي: السور، القلعة، الحصن، الخندق، أبراج المراقبة:

المبحث الأول: الأسوار

السور في اللغة حائط المدينة وجمعها أسوار[1]، وقد شكلت أسوار المدن أهم الاستحكامات الحربية، كونها تعد من أهم المنشآت المعمارية الحربية التي يهتم الحكام بتشييدها حماية لمدنهم ودفاعاً عن أملاكهم، والسور مفرد كلمة أسوار وهو بناء يرتفع عن سطح الأرض يحيط بالمدينة كلياً في المدن التي تبنى في السهول والوديان، أو يحيط بها جزئياً كما في المدن التي تبنى في المناطق الجبلية وغالباً ما تستند المدينة على جبل عالٍ أو تل مرتفع يحميها من أحد جوانبها.

وتبنى الأسوار في الغالب بإحدى مواد ثلاث: الأحجار وخاصة في المدن الجبلية، الآجر المحروق أو الطين النيئ على شكل قوالب من اللبن المجفف بالشمس أو على شكل كتل من الطين يبنى بها مباشرة وخاصة في مدن السهول والسواحل، ويكون سمك السور وارتفاعه مناسباً لموقع المدينة لذلك يختلف من مدينة إلى أخرى، ويدعم كل سور على مسافات محددة تتراوح بين 15-40م أبراج متنوعة منها المربع والمستطيل ونصف الدائرة وثلاثة أرباع الدائرة، وتتميز هذه الأبراج بارتفاعها عن مستوى ارتفاع السور، وكذلك باحتوائها على عدد من العناصر الدفاعية كالمزاغل بأنواعها والسقاطات والممشى بجدرانه الساترة وغيرها من العناصر التي يتم الدفاع بواسطتها عن المدينة.

والأسوار لا تعود في نشأتها إلى العصر الإسلامي بل وجدت قبل ذلك في عصور ما قبل الإسلام كما في الحضارات المصرية والعراقية واليمنية واليونانية وغيرها، وفي العصر الإسلامي بنيت الأسوار حول كثير من المدن كالبصرة والكوفة والفسطاط وبغداد والقيروان وغيرها من المدن التي أنشأت في العصر الإسلامي، ومن أهم أسوار المدن الإسلامية سور مدينة بغداد وسور مدينة القاهرة:

1- محمد أمين، المصطلحات، ص68.

سور مدينة بغداد: (شكل31)

مكون من سورين مزدوجين بينهما فصيل، وقد أنشأ في السنة التي بنيت فيها بغداد سنة 145هـ واستمر البناء حتى سنة 149هـ، وكان كل من السورين دائري الشكل موافقاً لتخطيط المدينة الدائري، وقد بنيت جدران السورين بالطوب اللبن وربط بين المداميك بقصب البوص، **السور الداخلي:** سمك جدرانه 10م في الأسفل و9,5م في الأعلى، وارتفاع الجدران 30م في حين أن ارتفاع الأبراج 35م، **والسور الخارجي:** سمكه وارتفاعه أقل من السور الداخلي حتى يتمكن حراس السور الداخلي من مشاهدة ما وراء السور الخارجي، كما دعم السور بالأبراج التي يبلغ ارتفاع كل منها 20م، وقد دعم كل من السورين بـ113 برج نصف أسطواني موزعة بين المداخل الأربعة للمدينة بواقع28 برج بين كل بابين فيما عدا المسافة بين بابي الكوفة والبصرة فعدد أبراجها 29برج

سور مدينة القاهرة[1]: (شكل50)

بنيت مدينة القاهرة على يد القائد الفاطمي جوهر الصقلي سنة 358هـ لتكون عاصمة للخلافة الفاطمية في مصر وتقع إلى الشمال من العواصم القديمة لمصر الفسطاط والعسكر والقطائع، وقام الصقلي بإحاطة المدينة بسور من اللبن على هيئة مربع طول ضلعه 1200م وسمكه 2م، وفي سنة 480هـ بنى بدر الجمالي سوراً ثانياً من اللبن خارج سور جوهر فيما عدا الأبواب فكانت من الحجارة، وفي سنة569هـ بنى صلاح الدين الأيوبي سوراً ثالثاً من الحجارة أحاط به مدينة القاهرة وقلعتها والعواصم القديمة لمصر – الفسطاط والعسكر والقطائع– والتي تعرف باسم مصر القديمة، وجعل فيه عدة أبواب بقي منها ثلاثة أبواب من عهد بدر الجمالي وهي أبواب النصر والفتوح وزويلة وكل منها مكون من فتحة معقودة يكتنفها برجين مربعين كما في باب النصر أو نصفي دائرة كما في بابي الفتوح وزويلة.

وكانت كثير من مدن اليمن تحتوي على أسوار ما زال معظمها باقياً حتى الآن ومنها صنعاء، وتعز، وصعدة، وزبيد والمخاء، والحديدة، وعدن، والمكلا، وشبوة، وشبام، وغيرها مما لا نستطيع معها وصف جميع أسوار المدن لذلك سوف نكتفي بوصف أسوار ثلاث مدن كنماذج لأسوار مدن اليمن وهي: صنعاء، وزبيد، وتعز.

1- حسن الباشا، المدخل، ص148-150.

سور صنعاء: (شكل51)

تعود نشأة سور صنعاء إلى عصر ما قبل الإسلام، وظل باقياً حتى عهد الرسول ﷺ حيث يذكر الرازي أن وبر بن يحنس الأنصاري الذي بعثه الرسول ﷺ إلى صنعاء نزل عند بابها، وكان أول من جدد سور صنعاء محمد بن يعفر سنة 259هـ/871م، ثم جدده بنو حاتم ملوك صنعاء[1] وهدمه الأئمة الزيديين سنة 550هـ/1155م بعد استيلائهم عليها من يد بني حاتم، وفي سنة 570 هـ/1174م هدمه بنو حاتم قبيل استيلاء توران شاه الأيوبي على صنعاء خشية أن يتحصن بها، ثم أعادوا بناءه بعد خروجه منها، وهدموه مرة أخرى سنة 584هـ/1187م قبيل استيلاء طغتكين الأيوبي عليها والذي قام بإعادة بنائه وإضافة حي جديد غرب صنعاء القديمة يعرف باسم بستان السلطان نسبة إليه وأحاطه بسور يتصل بسور المدينة، وقد جدد هذا السور في فترة الحكم العثماني الأولى في اليمن945-1045هـ/1538-1635م، وكذلك في فترة حكمهم الثانية الممتدة بين 1289ـ1337هـ/1872ـ1918م، وفي فترة حكم الأئمة الأخيرة 1919ـ1962م دمرت أجزاء كثيرة من السور بسبب ثورات القبائل، ثم هدمت معظم أجزائه المتبقية بعد ثورة 1962.[2]

وصف السور:

كان السور يحيط بالمدينة من جميع جهاتها، وكان مبنيا بالطين اللبن من الداخل بارتفاع يتراوح بين 7ـ10متر، وسمك بين 3-5م، ومدعم من الخارج بجدار من الحجر في الأجزاء السفلية وتبرز من السور أبراج نصف دائرية عددها 124 برج، بين كل برج وأخر حوالي أربعين متر ويحتوي كل برج على مزاغل وسقاطات دفاعية، كما كان يعلوه ممشي يسمح لمرور فارسين جنباً إلى جنب، ويحمي الممشى جدار ساتر يشغله مع الأبراج مزاغل وسقاطات وفتحات للمراقبة، ولا نعرف عدد أبواب السور الأول فما ذكر منها إلى ما قبل القرن 5هـ/11م حوالي ثلاثة أبواب هي باب صنعاء الذي يقع في الطرف الشمالي الشرقي من السوق، وباب المصرع الذي يرجع إلى عهد سام بن نوح وموقعه قرب مسجد الشهيدين على الحافة الشمالية من السوق، وباب الكشوري الذي

1- الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني (ت460هـ)، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د.حسين العمري، دار الفكر العربي بيروت، ط3، 1989م، ص180.

2- السيد البنا، دراسة ترميم، ص133-135

يصعب تحديد موقعه[1].

وفي القرن 5هـ/11م فتح علي بن محمد الصليحي أربعة أبواب أخرى فصار عددها سبعة أبواب هي باب غمدان وهو خاص بقصر غمدان ويعرف حاليا باسم باب ستران، وباب دمشق في الجهة الشمالية ويحتمل أنه الباب المعروف باسم باب صنعاء أو باب شعوب، وباب السبحة في الجهة الغربية المعروف حالياً بباب السبح يطل على ميدان التحرير، وقد هدم سنة 1966م، وباب الخندق الأعلى ويدخل منه السيل يعرف باسم باب خزيمة المؤدي إلى مقبرة خزيمة جنوب غرب صنعاء القديمة، وباب الخندق الأسفل ويخرج منه السيل وكان يعرف باسم باب الشقاديف، وباب النصر وكان يؤدي إلى جبل نقم، وباب الشرعة وكان يؤدي إلى بستان السر، وقد أضيف للمدينة باب ثامن هو باب اليمن الذي يقع في الجهة الجنوبية منها[2].

ولم يتبق من هذه الأبواب سوى باب اليمن وباب ستران وجزء من باب الخندق الأسفل، وكذلك باب النصر الذي من المحتمل أنه يقع في الركن الشمالي الشرقي من قصر السلاح حيث يوجد برجين متجاورين وبينهما مساحة ـــ مسدودة حالياًـــ لا يزيد طولها عن ثلاثة أمتار، كما لم يتبق من السور سوى أجزاء بسيطة منها الجزء الذي يسير موازياً لشارع الزبيري، والذي بني مع أبراجه بالطين اللبن ومكسو بالحجارة من الخارج حتى منتصفه تقريباً فيما عدا سور قصر السلاح الذي بنى وأبراجه بأحجار البازلت والطف، كذلك الجزء الممتد من قصر السلاح جنوباً وحتى باب شعوب شمالاً بارتفاع يتراوح بين 1 ـــ 5 متر، ويحتوي هذا الجزء على عدد من الأبراج منها اثني عشر برجاً في السور الشرقي من قصر السلاح مبنية بأحجار البازلت، يليها برجان من المحتمل أنهما يمثلان برجي باب النصر المؤدي إلى جبل نقم، يلي ذلك خمسة أبراج تقع جنوب شارع البكيرية وتسعة أبراج شماله وبذلك يكون عدد أبراج السور الشرقي المتبقية 27 برجاً[3]، والجزء الشمالي من السور لم يبق منه سوى أربعة عشر برجاً، وأما الجزء الغربي فقد اندثر تماماً وحلت محله عدد من المنشآت العامة والمنازل والمتاجر.

---

(1) LEWCOCK,R & OTHERS, THE URBAN DEVELOPMENT OF SANAA' SANAA AN-ARABIAN ISLAMIC CITY' EDITED BY R. B. SERGEANT AND LEWCOCK. LONDON, 1983.P131 ,

سيد البناء، دراسة ترميم، ص136

2- عبد الله الحداد، صنعاء، تاريخها ومنازلها الأثرية، ص32.

3- سيد البناء، دراسة ترميم، ص 142 ـــ 143

سور زبيد[1]: (شكل32)

كان السور يدور حول زبيد بمحيط قدره "10900 ذراع" كما ذكر ابن المجاور سنة 624هـ/1227م، أي ما يعادل1726,86متر وكان مدعم بحوالي 109أبراج، وله أربعة أبواب تتجه نحو الجهات الأصلية هي:

باب الشبارق: ويمثل الباب الشرقي للمدينة والذي يتكون الباب من كتلة بنائية تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول "55م" وارتفاع "6,50م"، مبنية بقوالب الآجر المحروق، ويضم الباب مدخلاً ذا برجين، مبني على نمط الأبواب المورروبة بحيث يبرز البرج الشمالي عن البرج الجنوبي ويميل نحوه بحيث يظهران وكأنهما قبضتي ملاكم تدافعان عن وجهه، وهذا النوع ظهر لأول مرة في أسوار زبيد، وصنعاء، وانتشر في معظم أبواب المدن ومنها ثلا وصعدة، ويكتنف الباب تكنتين عسكريتين مستطيلتين يعرف كل منها باسم قاووش[2]، قسمت من الداخل إلى رواقين بواسطة بائكة معقودة، وقد زود المدخل ببرجيه وتكنتيه بالمزاغل والسقاطات والجدران الساترة.

باب سهام: يقع في الجهة الشمالية من المدينة ويعد بابها الرئيسي وغرتها كما ذكر المؤرخون، ويعرف بهذا الاسم نسبة إلى وادي سهام الواقع شمال زبيد، وهو مكون من كتلة بنائية تمتد من الشرق إلى الغرب بطول "65م" تضم مدخلاً معقوداً ذا برجين لم يبق منهما سوى جزء بسيط من البرج الغربي، وتخطيط الباب من النوع الموروب أيضاً، ويكتنفه تكنتين عسكريتين مستطيلتين مماثلتين لتكنتي باب الشبارق.

باب النخل: يقع في الجهة الغربية من المدينة، وكان في الأصل يعرف باسم باب غلافقة نسبة إلى الميناء الرئيسي لمدينة زبيد على البحر الأحمر، ، ثم تغيرت التسمية بعد ذلك إلى الاسم الحالي وهو باب النخل، لأن معظم مزارع النخيل تقع غرب زبيد فيما بينها وبين البحر، وهو مكون من كتلة بنائية تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول "63م"، تضم مدخلاً منكسراً ذا برج واحد وهو من النوع المعروف بالباشورة أو المدخل ذو العطف، أو المدخل ذو المرفق، وهو بذلك يختلف عن بابي الشبارق

1- عبد الله الحداد، المنشآت العسكرية، ص110-180.

2- قاووش: كلمة تركية الأصل تعني المحل أو الملتقى، واصطلاحاً بيت العسكر، وتجمع على قواويش. (انظر)، شوقي شعث(د) ، قلعة حلب وتاريخها ومعالمها الأثرية ، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م، ص79 .

وسهام، ويكتنف المدخل من الشمال والجنوب ثكنتين عسكريتين مماثلتين لثكنات بابي الشبارق وسهام.

باب القرتب: يقع في الجهة الجنوبية من المدينة، ويعرف بهذا الاسم نسبة إلى قرية القرتب من وادي زبيد، يتكون من كتلة بنائية تمتد من الشرق إلى الغرب بطول "52م" تضم مدخلاً على هيئة مبنى مستطيل يكتنفه من الجهة الشرقية برج واحد مربع، وهذا الباب من النوع المباشر الذي يختلف عن الشكل الموروب لبابي الشبارق وسهام، والشكل المنكسر لباب النخل، ويكتنف المدخل ثكنتان عسكريتان إحداهما تقع غرب المدخل والأخرى إلى الشرق.منه، وهما مماثلتان لثكنات بقية الأبواب.

بقايا سور زبيد:

يمتد السور بعد باب الشبارق شمالاً وبشكل مقوس حتى باب سهام وقد اندثرت جميع أبراج هذا الجزء فيما عدا برجي نوبة الكتف، والبرج الواقع شرق باب سهام، يتكون الأول من مبنى مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب بطول "15م" وعرض "10م" وارتفاع "9,25م" تضم برجاً مستديراً ذا ثلاثة طوابق، يتصل به من الجهة الغربية ثكنة للجنود ذات طابقين، ويتكون البرج الثاني من مبنى دائري ذو طابقين محيطه 30م، ومزود بمزاغل وسقاطات بارزة.

أما السور الممتد من باب سهام حتى باب النخل فق اندثر ولم يبق منه سوى برج واحد يعرف ببرج نوبة أبو حسين الذي يتكون من مبنى دائري الشكل محيطه "22م" الجزء الأعلى منها متهدم ولذلك لم يبق من ارتفاعه سوى "4,5م"، الجزء الأسفل من النوبة مصمت ومدعم من الجهة الجنوبية الغربية بجدار ساند مشطوف سمكه، شغل منتصف جدار النوبة ثلاثة شبابيك مماثلة لشبابيك البرج الواقع شرق من باب سهام.

في حين أن السور الممتد من باب النخل حتى باب القرتب لم يبق منه سوى أجزاء بسيطة مدفونة تحت أكوام التراب، وتحتاج إلى حفريات لكشفها.

أما السور الممتد من باب القرتب حتى باب الشبارق، فيحتوي على خمسة أبراج أولها برج نوبة الصديقية المكون من مبنى دائري الشكل محيطه "36,50م"، مقسم من الداخل إلى نصفي دائرة بواسطة دعامة مستطيلة تحمل عقدين يحملان سقف الطابق الأرضي، الأجزاء العليا من الجدران متهدمة لذلك لم يبق من ارتفاعها سوى"6م" تقريبا، وقد بنيت النوبة على هيئة جدارين ملئ الفراغ بينهما بطبقة من المونة، ويشغل جدرانها عدد من فتحات المراقبة والمزاغل، وأما بقية الأبراج فهي خاصة بالقلعة.

سور تعز: (شكل52)

بني أول سور حول مدينة تعز في عهد ملوك الدولة الأيوبية569-626هـ/1173-1229م الذين اتخذوا من تعز عاصمة لهم بدلاً من زبيد بدءاً من سنة 589هـ/1193م، وكان أول من مدنها سيف الإسلام طغتكين الأيوبي، بينما كانت قبل ذلك عبارة عن قرية صغيرة لا تكاد تذكر، حيث طغت شهرة قلعتها عليها، وكذلك شهرة مدينة الجند التي اتخذها الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ مركزاً للدعوة الإسلامية في اليمن، وقد جدد السور الأيوبي أكثر من مرة وزاد فيه ملوك الدولة الرسولية 626-858هـ/1229-1454م الذين اتخذوا منها عاصمة لدولتهم، أما السور الحالي فهو من بناء الإمام المطهر بن الإمام شرف الدين سنة 941هـ/1535م بعد استيلائه عليها من المماليك، وكان المشرف على البناء والي تعز الفقيه يحي بن إبراهيم النصيري، وبدأ البناء في شهر رجب سنة 943هـ/1536م واستمر لمدة سبع سنوات وثلاثة أشهر انتهت في شهر شوال سنة 950هـ/1543م[1].

بُني السور بالطين اللبن والزابور من الداخل بسمك5-7م وكسي من الجانبين بالحجارة، ودعم بعدد من الأبراج[2]، ولم يتبق منه سوى أجزاء بسيطة تتمثل في الباب الكبير والباب الصغير المجاور له من جهة الغرب وباب موسى وبعض أجزاء السور المتصلة بقلعة القاهرة، وكان في الأصل يحيط بالمدينة على هيئة مساحة ذات استطالة متعددة الأضلاع من الجهات الشمالية والشرقية والغربية ومعظم الجنوبية حيث يتصل بقلعتها المشهورة باسم قلعة القاهرة التي يحتضنها من الخلف جبل صبر الشامخ، ويحتوي السور على أربع بوابات اثنتان منها رئيسيتان هي الباب الكبير ويقع في الركن الشمالي الشرقي من المدينة ــ عند تقاطع شارع التحرير مع شارع26 سبتمبر، وكان يفتح في الأصل على طريق صنعاء، وباب المداجر وكان يقع في الركن الجنوبي الغربي من المدينة قريباً من جامع المظفر، والبابين الآخرين صغيرين وهما باب حدية (باب الوحدة حالياً)، وباب موسى الذي يقع في الركن الشمالي الغربي عند بداية الطريق الموصل إلى مدينة الحديدة ــامتداد شارع 26 سبتمبرــ وهذا الباب كان يحتوي على زلاقة مرتفعة في أرضيته فضلاً عن تخطيطه المنكسر المعروف بتخطيط الباشورة أو الباب ذو العطف أو

1- المجاهد، محمد محمد، مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ العربي، الطبعة الأولى1997م، ص89،87.
2- الصايدي، أحمد قائد(د)، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى1990م ص227

الباب ذو المرفق، فكانت كثير من الدواب تنزلق عليه وكذلك عدم استطاعة العربات الدخول عبر الباب فأمر الوالي العثماني محمود باشا سنة 968-972هـ/1516-1565م بإزالة انكسار الباب والزلاقة وتوسعته[1]، كما كان السور يحتوي على فتحات معقودة تسمح بمرور السيول المتدفقة من قلعة القاهرة وجبل صبر وذلك في الأجزاء الجنوبية من السور وفتحات أخرى مماثلة في السور الشمالي لخروج تلك السيول، وتعرف هذه الفتحات باسم المخاليل جمع خلة ويقصد بها الثقبة أوالفتحة الصغيرة المعقودة[2]، وما زالت فتحتان منها باقية إحداهما ما يعرف حالياً باسم الباب الصغير ويقع غرب الباب الكبير، والأخرى بجانب باب النصر[3].

السور الممتد من الباب الكبير حتى باب موسى كان يحتوي على برجين، والسور الغربي والجنوبي الممتد من باب موسى حتى قلعة القاهرة وكان على هيئة ثلاثة أربع الدائرة يحتوي على خمسة عشر برجاً، أما السور الشرقي فيحتوي على ثلاثة أبراج، والسور الجنوبي الغربي الممتد حتى قلعة القاهرة يحتوي على ثمانية أبراج، وكانت أبراج السور مبنية على هيئة مربع في الأجزاء المستقيمة من السور، أما أبراج الزوايا فكانت على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة.

المبحث الثاني: القلاع:

القلعة في اللغة الحصن على الجبل[4]، وكانت نشأة القلاع الأولى كقصر للملك أو الحاكم يشغل ركناً من أركان المدينة وغالباً ما يكون على تلة مرتفعة أو جبل عال، ومحاطاً بسور خاص يتصل بالسور الأصلي للمدينة، ويدعمه عناصر دفاعية متنوعة كالبوابات المنكسرة والسرية والأبراج ذات المزاغل والسقاطات، مع إحاطة سور القصر من الخارج بخندق يملأ بالمياه عند الضرورة، وكان اختيار موقع القلعة يتطلب عدد من المواصفات الخاصة يجب توافرها باعتبارها عنصر مهم من عناصر الاستحكامات الحربية الإسلامية، ومن أهمها: حسن اختيار الموقع، ومتانة الأسوار وتدعيمها بالأبراج والوسائل الدفاعية والهجومية، وتوفر المياه والغذاء اللازم لوقت الحصار.

كما كانت القلاع تحتوي على ثكنات لإقامة الجند، ومخازن للسلاح والغذاء، وأبار أو

1- المجاهد، مدينة تعز، ص128.

2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، 1995م ص 210.

3- المجاهد، مدينة تعز، ص88

4- الرازي، مختار الصحاح، دار القلم لبنان، مادة قلع، ص548.

صهاريج لتخزين المياه، ومسجد لأداء الصلاة، وسجن لمن يخرج عن الطاعة، وإسطبلات للخيل والدواب، وعدد من المنشآت العامة كالحمامات ودواوين الوظائف الإدارية والقضائية والحربية ومنها دار الأدب ودار العدل، ودار الإمارة ..الخ.

ومن أشهر قلاع العالم الإسلامي قلعة حلب وقلعة القاهرة:

قلعة حلب[1]: (شكل53)

تقع فوق تل مرتفع يتوسط المدينة يحيط به من أسفل خندق عظيم اتساعه 26م، فيما صفح التل المائل ببلاطات حجرية ملساء، وفي أعلى التل بني القلعة المكونة من طابقين تضم عدة أبنية معظمها تعود إلى العصرين الأيوبي والمملوكي، حيث أحيط أعلى التل بسور حجري مرتفع مدعم بأبراج متنوعة التخطيط منها المضلع والمربع والمستدير، وعدد من المداخل المزدوجة الجزء الأول منها أسفل التل خارج الخندق والآخر في السور أعلى التل وبين جزئي المدخل جسر مائل يمر فوق الخندق مقام على ثمانية عقود الطرف الأمامي من الجسر يقع فوق الخندق مكون من جسر خشبي متحرك.

وتحتوي القلعة بداخلها على عدة منشآت وخدمات كالقصور والحمامات والصهاريج والمساجد والسجون والأسواق، ومن أهمها قاعة العرش الواقعة بالطابق العلوي لبرج المدخل الكبير، كذلك المسجد الكبير من العصر الأيوبي، ومسجد إبراهيم..الخ.

قلعة القاهرة[2]: (شكل54)

أسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 571هـ على ربوة من جبل المقطم وأكمل بناءها أخوه الملك العادل سنة614هـ، واتخذها مقراً لسلطنته وقد أضاف لها كل من تولى السلطنة من الأيوبيين والمماليك وأسرة محمد علي حيث ظلت مقراً للسلاطين حتى منتصف القرن 19م.

تخطيط القلعة مكون من مساحة مستطيلة غير منتظمة الأضلاع طوله 650م وعرضه 317م، وتتكون من الداخل من قسمين قسم خاص بالجند وقسم خاص بالأسرة الحاكمة، ويحيط بالقلعة أسوار حجرية مدعمة بالأبراج المتنوعة منها الشكل نصف الدائري وتعود إلى عهد صلاح الدين والشكل المربع وتعود إلى عهد العادل، وكل برج

1- حسن الباشا، المدخل، ص143.

2- حسن الباشا، المدخل، ص144، حسني نويصر (د)، العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، 1996م، ص3-29.

منها مكون من عدة طوابق يغطي كل طابق منها قباب ضحلة أو أقبية متقاطعة، ويتخلل الأبراج وجدران السور مزاغل ثلاثية الفتحات، وللسور عدة أبواب أهمها الباب المدرج ويمثل الباب الرئيسي للقلعة ويعود إلى عصر صلاح الدين، وباب العزب، والباب الجديد من عهد محمد علي سنة 1241هـ، وتحتوي القلعة على عدة قصور ومنشآت أخرى منها: قصر الجوهرة، ودار العدل، ودار ضرب السكة، بئر يوسف، وجامع الناصر قلاوون، وجامع سليمان باشا، وجامع أحمد كتخدا العزب، وجامع محمد علي، ودار المحفوظات ، والمتحف الحربي، ومتحف الشرطة، ومتحف المركبات.

أما عن قلاع اليمن فلا تزال مدن اليمن الإسلامية والقديمة تحتوي على القلعة كعنصر حربي مهم حتى يومنا هذا، ومن أهمها قلعة زبيد المعروفة باسم الدار الناصري، وقلعة القاهرة بمدينتي تعز وحجة، وقلعتا المخاء، وقلعة اللحية، وقلعة صعدة، وقلعة صيرة بعدن..الخ، وقد سبق وصف قلعة زبيد أثناء الحديث عن القصور لذلك لن نكرر وصفها مرة أخرى هنا (شكل35).

المبحث الثالث: الحصون:

الحصون جمع حصن وهو مبنى يشبه القلعة من حيث الشكل ومن حيث احتوائها على ثكنات للجند وغير ذلك، لكن الحصن يتميز بوقوعه على قمة جبل عال قد يكون قريباً من مدينة ما لكنه لا يتصل بها وإن كان الغالب أن الحصن يقع على قمم الجبال العالية ذات الطبيعة الاستراتيجية المتحكمة بالمنطقة التي يقع فيها، وغالباً ما يقوم الحكام ببنائها وشحنها بالجند والعتاد بصفة مستمرة استعداداً للحرب مع العدو أو لإرهابه وصده ومن ذلك قيام مؤسس الدولة الرسولية 626-858هـ/1229-1454م المنصور نور الدين عمر ببناء عدد من الحصون وشحنها بالجند والعتاد خوفاً من قيام الأيوبيين بمحاولة استرداد اليمن منه، ولأنه لا يوجد فارق معماري بين الحصن والقلعة نجد كثيراً من المؤرخين والباحثين يخلطون بين الحصن والقلعة فتجدهم مثلاً يسمون قلعة تعز تارة حصن القاهرة بتعز وتارة قلعة القاهرة، وقد يطلقون التسميتين معاً على الحصن فيقولون قلعة الحصن مثلاً أو حصن القلعة وهكذا، ومن أشهر الحصون الإسلامية:

قلعة الحصن بسوريا[1]: (شكل55)

احتله الصليبيون لمدة160 سنة بدءاً من 1110م، وحرره السلطان المملوكي الظاهر

1- عبد القادر الريحاوي (د)، قلعة الحصن، مطبوعات مديرية الآثار والمتاحف، دمشق، 1960م، ص4-12.

بيبرس سنة 1271م، يبعد عن مدينة حمص 60كم، وعن الساحل 35م، وهو مبني على تل من الصخر يرتفع 750م عن سطح البحر، بنيت أسوار الحصن من الحجر بشكل مضلع غير منتظم ودعمت بجدران ساندة مائلة، ويتخلل الجدران أبراج وبوابات ومزاغل وسقاطات وجدران ساترة، والحصن مكون من حصنين: حصن داخلي محاط بخندق، وحصن خارجي محاط بخندق أيضاً:

الحصن الداخلي محاط بسور مدعم بعدة أبراج متعددة الطوابق تتخلله بوابة رئيسية تتصل بباب الحصن الخارجي بواسطة دهليز منحدر، وثلاثة أبواب فرعية، والحصن نفسه مكون من طابقين: أرضي يضم باحة مكشوفة محاطة بعنابر الجند وقاعة اجتماعات ومعبد ومطعم وفرن ومعاصر للزيت، والطابق العلوي يحتوي على أسطح دفاعية مكشوفة وثكنات للجند، أما الحصن الخارجي فيمثل السور الخارجي للحصن وهو مدعم ب_13 برج دائري ومربع ومستطيل وعدد من الأبواب ، يضم الحصن عدة قاعات وإسطبلات ومستودعات وغرف حراسة، كما يضم الحصن عدد من الصهاريج لخزن مياه الأمطار الساقطة على أسطح مباني الحصن.

أما عن حصون اليمن فلا يخلو جبل عال أو استراتيجي إلا وتوجت قمته بحصن من الحصون يتجاوز عددها في اليمن المئات، ومن أهم حصون اليمن: حصن قوارير الذي جدده السلطان الرسولي الناصر أحمد وجصص جدرانه وبنى فيه عدد من القصور والدور وسقفها بأخشاب الصندل، وحصن خدد في لواء إب المحاط بالأسوار العالية ذات الأبراج المبنية من الحجر، ويحتوي على عدد من صهاريج الماء بعمق 25م وطول 10×25م[1]، وحصن السوأ، وحصن ظفار ذيبين، وحصن الفص، وحصن هران، وحصن المنصورة بالصلو، وحصني نقم وبراش في صنعاء، وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها هنا.

ويعد حصن ثلا بمدينة ثلا، والدملوة بالحجرية والتعكر بإب من أشهر حصون اليمن وأكثرها مناعة وتحصينا، وسوف نكتفي بوصف حصن ثلا كنموذج لحصون اليمن الباقية:

حصن ثلا: (شكل56)

يقع بجوار مدينة ثلا الرابضة على سفحه من الجهة الشرقية، حيث يسيطر الحصن عليها سيطرة تامة مع علو ارتفاعه وشدة منحدراته التي يصعب الصعود من خلالها إن لم يكن مستحيلا.

1- ابن الديبع، بغية المستفيد، ص105، إبراهيم احمد المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1985م، ص142.

تخطيط الحصن بيضاوي الشكل يمتد من الشمال إلى الجنوب، يتم الصعود إليه من الجهة الشرقية أي من جهة المدينة عبر سلم صاعد يمتد من المدينة حتى قمة الحصن بشكل متعرج وملتوي، يتخلل السلم مدخلان، الأول: يقع عند ارتفاع ثلث الحصن مكون من بوابة معقودة تكتنفها ثكنتان لحراس البوابة، والثاني: يقع عند قرب قمة الحصن.

ورغم الحصانة الدفاعية الطبيعية لحصن ثلا إلا أن المعمار زاد من هذه الحصانة من خلال إحاطة قمة الحصن بسور حجري تتخلله عدة أبراج دائرية متعددة الطوابق، الطابق الأخير من كل برج مكشوف ومحاط بجدار ساتر ارتفاعه 1,5م، ويتخلل جدران السور والأبراج مزاغل مغيبة وأخرى بارزة، فضلاً عن السقاطات البارزة.

ولكي يصمد الحصن أمام الحصار الذي قد يطول اشهراً زود الحصن بعدد من صهاريج المياه المحفورة في الصخر والتي تعرف باسم الموجل، فضلاً عن المدافن التي كان يتم شحنها بالحبوب لوقت الحاجة، ولأن الحصن كان وما يزال مركزاً عسكرياً دفاعياً مهماً لذلك ترابط فيه حامية عسكرية بصفة دائمة، لذلك نجد فيه عدد من المقابر والأضرحة، فضلاً عن المنازل السكنية والغرف بعضها مبني بالحجارة وبعضها محفور في الصخر كله بجدرانها وسقوفها وأبوابها ونوافذها، كما يحتوي الحصن على مسجد صغير مستطيل الشكل قسم إلى أسكوبين بواسطة بائكة من ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة، يشغل منتصف الجدار الشمالي دخلتان اليسرى تمثل المحراب واليمنى تمثل المنبر حيث يتقدمها ثلاث درجات تنتهي عند مكان وقوف الخطيب، وفي الركن الجنوبي الغربي للمسجد مئذنة مربعة تشبه البرج.

المبحث الرابع: الخنادق:

الخندق في اللغة الوادي والحفير حول أسوار المدن، وخندق حوله حفر خندقاً[1]، وقد استخدم الخندق كعنصر دفاعي منذ عصر ما قبل الإسلام، في العراق وفارس ومصر وغيرها، وكان أول استخدام للخندق في العصر. الإسلامي في عهد الرسولﷺ سنة 5هـ/626م عندما أحاط جزء من المدينة بخندق عمقه 20 ذراعاً وعرضه 20 ذراعاً أيضاً، وذلك قبيل غزوة الأحزاب بإشارة من سلمان الفارسي[2]، ثم انتشر حفر الخنادق

1- ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص93، الفيروزابادي، القاموس المحيط، باب القاف فصل الخاء، ج3، ص229

2- عبدالرحمن زكي(د)، بين قلاع العرب، الحرب عند العرب، سلسلة كتابك رقم 88، دار المعارف القاهرة، 1977، ص31.

بعد ذلك في مختلف مدن العالم الإسلامي وقلاعه، ومن أشهر الخنادق في العصر الإسلامي خندق مدينة بغداد الذي كان يتقدم السور الخارجي المدينة اتساعه 10م وعمقه 6م، بنيت حافته بالآجر والجص، يملأ الخندق بالمياه عند الخطر من خلال قناة تتصل بنهر كرخايا أحد أفرع نهر الفرات، وحتى يتمكن الناس من الخروج والدخول من وإلى المدينة كان يتقدم كل باب قنطرة متحركة تعلو الخندق يتم رفعها عند حلول المساء أو عند الخطر[1].

أما عن الخنادق في اليمن فقد كانت مدينة الجند محاطة بخندق كذلك كانت صنعاء محاطة بخندق من الجهات الجنوبية والغربية والشمالية، وتعد مدينة زبيد المثل الأروع والأكمل لخنادق اليمن:

خندق زبيد: (شكل 32، 57)

كان يحيط بالمدينة كلها ولا نعرف متى تم حفره أول مرة، لكنه كان موجوداً في عصر الدولة النجاحية 431-554هـ/1404-1159م حيث قام سرور الفاتكي 531-553هـ/1137-1158م بحفر خنادق زبيد، وجدده السلطان الأيوبي سيف الإسلام طغتكين أخو صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ/1193م، وأضاف لها سوراً آخر أحاطه بخندق ثان وبذلك صار لزبيد خندقين يحيطان بسوريها، وقد دفن الخندق الخارجي على يد الطواشي أهيف فأمر السلطان الأشرف إسماعيل بن الأفضل سنة 791هـ/1389م بحفره من جديد[2]،

ولم يتبق من هذين الخندقين غير الخندق الخارجي الذي مازالت أجزاء كثيرة منه باقية في مناطق متفرقة من المدينة باتساع يتراوح بين 3-30م، وعمق ما بين 2-5م، وخاصة في الجهتين الشمالية والجنوبية من المدينة.

يبدأ الخندق من أمام باب الشبارق ويمتد باتجاه الشمال حتى باب سهام وبقي منه أجزاء يتراوح اتساعها بين3-6متر وعمق 1-3متر، ثم يمتد من باب سهام حتى باب النخل ومازال موجوداً بكامله، باتساع يتراوح بين "10 :20م" وعمق"1,50-2,50م" ثم يمتد من باب النخل حتى باب القرتب وما زال موجوداً كاملاً وإن ضاقت بعض أجزائه، ثم يمتد من باب القرتب حتى باب الشبارق مرة أخرى باتساع يتراوح بين "10: 30م" وعمق "4 م"

1- غازي رجب، العمارة العربية، ص88، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص136، 137.

2- الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج2، ص170، ابن الديبع، بغية المستفيد، ص100، المقحفي، معجم المدن، ص190

المبحث الخامس: أبراج المراقبة:

هي عبارة عن مبان تقام في رؤوس الجبال وعلى السواحل بطول مناطق التماس مع العدو وتمتد حتى العاصمة، وتعرف باسم أبراج المراقبة، كما تعرف باسم المناظر، والمراقب ومفردها مرقب، وأيضاً الطلائع، وكان يقيم بكل برج عدد من الجند بشكل دائم مهمتهم مراقبة تحركات العدو وإبلاغ الحاكم بذلك عن طريق إشعال النيران في قمة البرج الذي شاهد تحرك العدو فيراه أقرب برج مقابل له فيشعل النار في قمة برجه وهكذا يتواصل إشعال النيران من برج إلى آخر حتى يصل إلى العاصمة[1].

وقد وجدت هذه الأبراج في اليمن في خطوط التماس بين الدولة الزيدية والدول الأخرى المعاصرة لها كالدولة الرسولية والدولة الطاهرية وكذلك مع المناطق التي خضعت للعثمانيين، وأشهرها الأبراج الممتدة من صنعاء حتى ذمار ومن صنعاء حتى صعدة، وقد اندثر معظم هذه الأبراج حالياً ولم يبق منها سوى بعضها وفي مناطق متفرقة، وتتكون في الغالب من أبراج دائرية أو مربعة أو مستطيلة ذات طابقين أو ثلاثة: الأعلى منهما مكشوف حتى يسمح بالمراقبة في جميع الاتجاهات، والأوسط يستخدم للسكن والمراقبة أثناء المطر، في حين يستخدم الأرضي كمخزن للأسلحة وأدوات ومؤونة المرتبين في البرج، وتبنى أبراج المراقبة بنفس المواد المتوفرة في الموقع ومنها الطين اللبن والأجر والحجر بأنواعه.

كذلك وجدت أبراج المراقبة في العديد من مناطق السعودية، ويسمى كل برج منها باسم قصبة، ومنها قصبة الذنوب، وقصبة مغلقة (شكل58).

1- محمد عبدالهادي شعيرة(د)، من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس18-29 مايو1963، جامعة الدول العربية، 1965م، ص423.

الفصل الخامس

العناصر المعمارية

الفصل الخامس
العناصر المعمارية

تتعدد العناصر المعمارية بتعدد المنشآت نفسها وتعدد وظائفها أيضاً فضلاً عن تنوع بيئاتها، ومن أهم العناصر المعمارية في الآثار الإسلامية:

المبحث الأول: العناصر الإنشائية:

أولاً: مواد البناء:

تعددت مواد البناء بتعدد الأقاليم وتنوع التضاريس والمناخ والطقس، فالمناطق الجبلية والمطيرة تستخدم غالباً الأحجار بأنواعها المختلفة أو الآجر في البناء، والمناطق السهلية تستخدم الآجر أو الطين اللبن، وغالباً ما تستخدم مع الأحجار أو الآجر مواد مساعدة ومثبتة لقوالب البناء أو لتكسية الجدران وتغشية فتحاتها، ومن أهم هذه المواد:

النورة:

تعد النورة من المواد البنائية المساعدة، وتتكون من مادة كلسية تشبه الجص تعرف باسم الخرشاب أو الكلس أو الجير الحي[1]، وهي نوعان:

النوع الأول: عبارة عن صخور ضخمة تستخرج من الجبال ثم تكسر إلى قطع صغيرة ثم تحرق في فرن خاص، وبعد أن تبرد تخرج من الفرن ويصب عليها الماء لإطفاء تفاعلها الحراري، وبذلك تتحول النورة إلى مادة بيضاء ناعمة ولينة[2]، ويعرف هذا النوع باسم نورة حجري، وتتميز بشدة بياضها ولذلك غالباً ما تستخدم في تبييض الجدران والواجهات.

النوع الثاني: يكون في الغالب ظاهراً على سطح الأرض على هيئة عروق وقد تمتد لعمق كبير، لكنها لا تكون على هيئة صخور شديدة الصلابة بل تتميز بعدم تماسكها حيث يمكن تفتيتها عن طريق الضغط عليها باليد كما تتميز بقلة بياض لونها، وهذا

1- مطهر الإرياني، القضاض، ص770-772.

2- مطهر الإرياني، القضاض، ص772.

النوع من النورة يعرف باسم نورة كَدَرِي نسبة إلى الكدر[1]، وبعد استخراجها تحرق مثل سابقتها، وعند استعمالها يضاف لها الماء والنيس[2] لاستخدامها في مونة البناء فيما يستخدم به الإسمنت الحالي، أما إذا طليت بها الجدران فلا يضاف لها النيس، ونظراً لقلة بياض هذا النوع من النورة فإنها إذا استخدمت في طلاء الجدران ترش بالنورة الحجري لتبييضها، وما زالت النورة بنوعيها تستخدم حتى الآن في المونة والملاط، واستخدمتها أيضاً البعثة الكندية في ترميم القلعة.

القضاض:

القضاض: خليط من النورة والماء والنيس أو الحصى الصغيرة، ويتم خلطه بطريقة معينة تستمر لعدة أيام ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي فراغات تتخللها، ثم تدلك بأدوات خاصة تطلى بعدها بطبقة رقيقة من الشحم ومخ الحيوانات لمنع تسرب المياه مع استمرار التدليك حتى يصبح السطح ناعماً جداً[3].

وقد عرف القضاض في عمارة عصر ما قبل الإسلام في اليمن وكان يستخدم خاصة في المنشآت المائية كما في عمارة سد مأرب والعديد من السدود الصغيرة البرك وخزانات المياه نظراً لما يتميز به من خاصية منع تسرب المياه والصلابة الشديدة[4]، وهذه المادة قريبة الشبه بالمادة المعروفة في مصر باسم الخافقي[5].

الجص:

يعرف بألفاظ عدة الجص، القص، الجبس، واصله لفظ فارسي معرب عن كلمة كَجًّ، ويتكون من كبريتات الكالسيوم وكبريتات الجير محتوية على الماء ومتحدة به اتحاداً

1- الكدر: في اللغة ضد الصفو وهو مصدر الأكدر وهو الذي في لونه كُدرة.(أنظر) الرازي، مختار الصحاح، مادة كدر، ص564. وهذا يعني أن الكدر هو اللون قليل البياض أو الذي في لونه الأبيض نوع من العتمة

2- النيس: هو الحصى الصغيرة التي تتخلف في مجاري السيل، وهو على نوعين ناعم ويستخدم في عملية البناء وطلاء الجدران فيما يستخدم به الرمل حالياً، والآخر مكون من حصى صغيرة في حجم حبة الفول وما فوقها ويعرف في مصر باسم الزلط.

3- مطهر الإرياني، القضاض، ص770.

PONNENFANT, .LA, QADAD , P151-161

4- مطهر الإرياني، القضاض، ص770.

5- الخافقي: يتكون من الجير والحمرة وإسراميل تخلط وتعجن وتترك لتخمر ثم تكسى بها الأسطح وأحواض المياه لأنها عازلة للرطوبة.(أنظر)، محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص39.

تاماً[1]، ويعرف الرازي الجص بقوله [2] "الجص بكسر الجيم وفتحها ما يبنى به وهو معرب، وهو الجير[3]"، ويستخدم الجص في زخرفة الجدران من الخارج كما في منازل صنعاء أو تكسية الجدران المراد تزيينها بالزخارف المحفورة بنوعيها البارزة والغائرة من الداخل والخارج كما في منشآت تهامة، وكذلك في عمل أرفف على الجدران لوضع المصاحف أو الكتب أو أدوات الزينة.

الأخشاب:

استخدمت الأخشاب بأنواعها وأحجامها وأشكالها في عمل السقوف الخشبية والأبواب والشبابيك، وأهم أنواع الأخشاب المستخدمة الزان والطنب، وكذلك أخشاب السدر والحور والتألب والعرعر والاثل والطلح[4]، والزان والأسحل والسيسان[5]، وأهم أنواع الأخشاب المستخدمة في عملية البناء هو الضرح الذي يستخدم في عمل السقوف الخشبية نظراً لتميزه بالصلابة الشديدة ومقاومته لحشرة النمل الأبيض.

ثانياً: الواجهات:

الوجه: مستقبل الشيء، وواجهة المبنى الجدار الخارجي المطل على الطريق[6] وكل مبنى يتم بناؤه لابد له من واجهة رئيسية وأخرى فرعية، فالرئيسية هي التي تطل على الشارع أو الشوارع المحيطة، والفرعية هي التي تطل على الأفنية أو المباني المجاورة، وغالباً ما يحتوي المبنى على واجهة رئيسية واحدة على الأقل، وقد أولى المعمار الإسلامي الواجهات في العمائر الإسلامية أهمية كبيرة من خلال التركيز على الواجهة الرئيسية والواجهات الأخرى وخاصة المطلة على الشوارع من خلال أسلوب البناء حيث بنيت كثير من الواجهات بصفوف من الأحجار الملونة تعرف باسم المشهر للونين الأحمر والأسود أو الأبلق للونين الأسود والأبيض، وكذلك وضع أهم العناصر المعمارية في هذه

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة جصص، ص552، جمال عبد الرحيم إبراهيم، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري، 648-584هـ/1250-1382م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1986م ص8.

2- الرازي، مختار الصحاح، مادة جصص، ص104.

3- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص28، 29.

4- غيلان حمود غيلان، الأخشاب المزخرفة في اليمن 265-532هـ/878-1137م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996م، ص85-87.

5- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص77.

6- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص120.

الواجهة ومنها: المدخل الرئيسي وبناءه على شكل حجر بارز أو مرتد يمتد بارتفاع الواجهة، مع تغطية الحجر بالمقرنصات، وكذلك السبيل والقبة الضريحية والمئذنة ..الخ.

ثالثاً: المداخل:

تعددت أنواع المداخل بتعدد المنشآت ومن أهم أنواعها:

أ- المدخل المباشر أو البسيط: (شكل59)

وهو الذي يمكن الوصول عبره إلى المدينة أو المبنى مباشرة دون الاضطرار إلى الانحراف يمنة أو يسرة، وقد وجد هذا النوع من المداخل في العديد من المباني المدن اليمنية وغير اليمنية سواء في عصر ما قبل الإسلام أو في العصر الإسلامي، ومن ذلك بوابات مدن: الساحل ومأرب 715ق.م، وحنو الزرير، وكمنا، ونشق (البيضاء)، وقرناو (معين)، وخربة سعود، والبريرا، ونقب الهجر في عصر ما قبل الإسلام، وفي العصر الإسلامي وجد في العديد من المدن كصنعاء وزبيد، كما وجد في الكثير من المنشآت الدينية والمدنية والتجارية والعسكرية.

ب- المدخل التذكاري البارز: (شكل60)

تعد المداخل التذكارية البارزة من المداخل التي ابتكرت وانتشرت في الغرب الإسلامي وأقدم أمثلتها المدخل الشمالي لجامع المهدية 303هـ/740م، ومنا انتقلت إلى مصر في العصر الفاطمي كما في مداخل جامع الحاكم بأمر الله في القاهرة 403هـ/1011م[1]، وكان الحجر البارز للمدخل يغطى بقبو كما في مسجد الجيوشي وجامع الحاكم ومسجدا الأقمر والصالح طلائع بالقاهرة[2]، ويعد مدخل جامع السيدة بنت أحمد بجبلة من أقدم المداخل البارزة في اليمن والذي تأثر بمداخل المساجد الفاطمية[3] ويليه مدخل الجامع الكبير بحيس والذي يعد أقدم المداخل التذكارية البارزة الباقية المغطاة بأقبية باليمن[4] وتليه مداخل المدرسة المعتبية الرسولية، وكثيراً ما يغطى الحجر البارز بقبة كما

1- كمال الدين سامح(د)، العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1983م، ص82.

2- أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، ص161.

3- عبد الله كامل موسى، دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية في عصر الدولة الصليحية باليمن والفاطمية في مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1990م، ص66، 138.

4- عبد الله عبد السلام الحداد، مدينة حيس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية، سلسلة مدن تراثية (5) دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م، ص120، 121.

في مداخل المدرسة الأشرفية بتعز والمدرستين الطاهريتين المنصورية بجبن والعامرية برداع، والمدرسة البغدادية والجامع الكبير برداع أيضاً.

ج- المدخل المرتد:

يتكون من كتلة لا تبرز عن الواجهة وإنما يرتد نحو الداخل حيث يتكون من مساحة مربعة محصورة بين وحدات معمارية ويغطي المساحة المربعة قبو أو قبة ومن المساحة المذكورة نلج عبر فتحة باب إلى الصحن مباشرة أو إلى ممر منعطف يميناً أو يساراً، ومن أمثلة المداخل المرتدة مدخل المدرسة الأسدية بإب والمدرسة الياقوتية بزبيد.

د - المدخل المنكسر: (شكل61)

يعرف في العمارة الإسلامية بعدة أسماء منها الباشورة، والمدخل المنكسر، والمدخل ذو المرفق، والمدخل ذو العطف والمدخل المزور والمدخل المنحني[1]، وسمي بهذا الاسم لأن تصميمه يجعل الداخل إليه ينعطف يساراً أو يميناً مرة واحدة أو أكثر ليصل إلى داخل المدينة أو القلعة أو المنشآت الأخرى[2].

وهذا النوع من المداخل وجد أولاً في عمارة قصر أوغاريت في بلاد الشام في الألف الثاني قبل الميلاد[3]، كما وجد في وجد في العمارة المصرية القديمة في عهد الأسرات 6-12 الفرعونية في كل من الكوم الأحمر وشونة الزبيب وأبيدوس[4]، كذلك وجد في عمارة اليمن قبل الإسلام حيث لا يزال كثير من أسوار المدن السبئية والمعينية والحِميَرية

1- عبدالرحمن زكي(د)، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد15، 1969م ص74، فريد شافعي(د)، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، 21-358هـ/639-969م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م، ص191، 272، السيد عبد العزيز سالم(د)، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، مجلة الجيش، عدد82، 1957م، ص25، غازي رجب، العمارة العربية، ص88، أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1992م، ص219، سوسن سليمان يحي(د)، منشآت السيف والقلم في الجهاد الإسلامي، العمارة الأيوبية، مكتبة الشباب القاهرة، 1414هـ/1994م ص88.

2- سعد محمد المؤمني، القلاع الإسلامية في الأردن، الفترة الأيوبية المملوكية، دراسة تاريخية أثرية استراتيجية، دار البشير عمان، 1988م، ص365.

3- سعد المؤمني، القلاع، ص365.

4- CRESWEL, K.A.C.,THE MUSLEM ARCHITECTURE OF EGYPT, BANDI, IKHSHIDS AND FATIMIDS A.D 939-1711, OXFORD AT THE CLARENDON PRESS, MC MLII, 1951. P23-30.

والقتبانية والحضرمية قائمة حتى الآن، وتحتوي بعض مدن هذه الدول على أبواب ذات تخطيط منكسر ومنها بوابات مدين ميفعة، وحنو الزُرير، وخور روري، ومدخل الأخيرة ينكسر أربع مرات[1]، كما وجد في العديد من المدن العراقية قبل الإسلام ومنها مدينة الحضر وبعض الحصون الآشورية[2].

أما في العصر الإسلامي فقد كان أول استخدام لهذا النوع من الأبواب في مدينة بغداد 145هـ/762م، وعلى غراره شيدت أبواب مدينة الرقة 155هـ/772م[3]، ثم انتشر استخدامها بعد ذلك في العديد من المدن والقلاع والمنشآت الدينية والمدنية الإسلامية في مختلف أجزاء العالم الإسلامي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر بعضُ منازل الفسطاط فيما بين القرن 3-5هـ/9-11م[4]، ومدخل قلعة الحصن في الشام[5]، والمدخلان الشرقيان لمدينة دمشق[6]، وبعض قلاع الأردن ومنها الباب الغربي لقلعة الكرك، ومدخل قلعة عجلون الشبيه بمدخل قلعة حلب[7] الذي يعد أروع أمثلة هذا النوع من المداخل، وفي مصر وجد في الباب الجديد الذي أنشأه صلاح الدين أيام وزارته للفاطميين[8]، وفي أبواب المحروق، والقرافة والمطار والإمام من سور صلاح الدين بمدينة القاهرة وقلعتها، والتي تعد أقدم المداخل المنكسرة في مصر[9]، وفي قلاع المغرب والأندلس في العهد المرابطي 448-541هـ/1056-1147م، كما في باب Los pesos de، وباب monaita بغرناطة،

1- JEAN- FRANCOIS BRETON, LES FORTIFICATIONS D' ARABIE MERIDIONALE DU 7E AU 1ER SIECLE AVANT NOTRE ERE, DEUTSCHES ARCHAOLOGISCHES INSTITUT SANCA, ARCHAOLOGISCHE BERICHTE AUS DEM YEMEN, BANDVIII, 1994,VERLAG PHILIPP VON ZABERN . MAINZ AM RHEIN,PP.55, 60 ,62 ,77 ,138.

2- غازي رجب، العمارة العربية، ص93.

3- عبد الرحمن زكي (د)، العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد7، 1958م، ص111.

4- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص435

5- عبدالرحمن زكي، القلاع في الحروب الصليبية، ص61.

6- عبد الرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص117، قتيبة الشهابي (د)، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، وزارة الثقافة، سوريا، 1996م، ص68.

7- سعد المؤمني، القلاع، ص365، سوسن سليمان، منشآت السيف، ص89، شوقي شعث، قلعة حلب، ص107، 108.

8- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص171، 272، فريد محمود شافعي(د)، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود الرياض، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م ، ص85.

9- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص219، 221.

وباب قرطبة بأشبيلية، وباب مدينة لبله[1]، وشاع استخدامه في العهد الموحدي 524-667هـ/1130-1268م كما في باب قصبة وداية وقلعتها، وفي رباط مراكش 540هـ/1145م، وباب قصبة بطليموس 568هـ/1172م[2].

هـ - المدخل المورروب: (شكل62)

من المتعارف عليه في عمارة المداخل في عمارة ما قبل الإسلام وكذلك في عمارة العصر الإسلامي أنها تتكون من مداخل مباشرة أو مداخل منكسرة، لكن عمارة المداخل في اليمن تتميز بوجود طراز ثالث وجديد للمداخل وهو طراز المدخل المورروب والذي يمكن اعتباره حلقة الوصل بين المدخل المباشر والمدخل المنكسر، حيث إن فتحة الباب في الأصل مباشرة، لكن البرجين اللذين يكتنفا المدخل يتقدمانه وفي الوقت نفسه يبرزان عنه، وقد نتج عن هذا البروز نطاق مكشوف، ولأن البرج الأيمن يبرز عن مستوى بروز البرج الأيسر وفي الوقت نفسه يميل نحوه فقد اختفى النطاق والباب خلف البرجين، وهذا يضطر المهاجم أو الداخل إلى النطاق الذي يتقدم الباب إلى أن يميل بجسده يميناً ثم شمالاً، وهذا الانحراف أعطى لهذا النوع من المداخل درجة دفاعية كبيرة تفوق درجة المدخل المباشر ولكنها في الوقت نفسه أقل من درجة المدخل المنكسر خاصة إذا تعددت انكسارات هذا الأخير، ولكي يعوض المعمار اليمني نقص الدرجة الدفاعية في تخطيط المدخل المورروب فقد زوده بعناصر دفاعية تتميز بالتنوع والكثافة وتتمثل في تزويد الأبراج وجدران ممراتها المطلة على النطاق التي يتقدم فتحة الباب بثلاثة صفوف من المزاغل والسقاطات البارزة والمائلة موزعة على طابقي الأبراج والممرات والجدار الساتر للممشى، وتزويد الجدار الساتر للممشى الذي يعلو الباب نفسه بعدد من المزاغل والسقاطات البارزة والمائلة والمخفية، وكل ذلك جعل من السهولة إصابة العدو المهاجم من الجانبين ومن الأمام والخلف وحتى من فوقه.

وقد وجد هذا النوع من المداخل في مدينة زبيد في كل من باب الشبارق وباب سهام والباب الرئيسي للقلعة، كما وجد في العديد من المدن اليمنية ومنها باب ستران وباب اليمن القديم من مدينة صنعاء والتي بنيت في عهد طغتكين الأيوبي فيما بين 589-

---

1- السيد عبد العزيز سالم (د)، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م ، ص164.

2- السيد عبدالعزيز سالم (د)، العمارة الحربية في الأندلس، سلسلة دائرة معارف الشعب، عدد64، القاهرة،1959م، ص161، 162.

593هـ/1193-1197م، وأبواب الهادي والمحاميت ونبهان من مدينة ثلا، التي بناها الإمام شرف الدين فيما بين 912-965هـ/1506-1558م، وأبواب مدينة صعدة الرئيسية الأربعة: باب اليمن، باب نجران، باب جعران، باب المنصورة، والتي بناها الإمام شرف الدين أيضاً سنة920هـ/1514م.

رابعاً: التغطيات:

يقصد بها الأسقف التي تغطي المنشآت على اختلاف أنواعها ومنها:

1- الأسقف المسطحة:

السقف وجمعها سقوف وسُقُف: أعلى البيت المقابل للأرض أي هو غطاء الأماكن من الداخل وتتكون من كتل خشبية كبيرة مستطيلة ذات بدن دائري الشكل أو مربع تعرف في زبيد باسم (أسرع) تمتد بين جدارين، وتبتعد عن بعضها بحوالي 40 -60سم، يعلوها - بشكل متقاطع معها أفقياً أو مائلاً - قطع خشبية متجاورة أقل سمكاً تعرف في زبيد باسم الضلوع، يعلوها قطع صغيرة ورفيعة من الأخشاب أو الخوص أو القصب تعرف في اليمن باسم الرضح، ويغطى الرضح بأعواد رفيعة من عسف النخل تسمى الصرب ثم تغطى بطبقة من مادة الألأل والتي تجلب من السواحل وتشبه العلف، تغطى بعدها بطبقة من الطين المخلوط بالأعشاب النباتية الصغيرة أو القش، ثم بطبقة من التراب الجاف، وغالباً ما يغطى الرضح بطبقة سميكة من النورة الكدري مخلوطة بكسرات الآجر يتراوح سمكها بين 8-12سم، ثم بطبقة أخرى من النورة المخلوطة بالرمل[1].

2- الجملون: (شكل63)

الجملون وجمعه جملونات كلمة سريانية الأصل وأصلها جمل زيدت عليها الواو والنون لتصغير فأصبح معناها الجمل الصغير وبه شبه السقف المحدب حيث يقصد بالجملون السقف المسنم على هيئة سنام الجمل أي المبني على شكل مثلثات تغطي المساحات المستطيلة أو المربعة من المبنى[2]، والهدف من بناء الأسقف الجملونية خاصة في المناطق المطيرة والثلجية حتى لا تتجمع المياه أو الثلوج على الأسطح فتؤدي إلى

1- أحمد محمد أحمد الحزمي، القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زبيد التاريخية كمنهج لتأصيل العمارة التراثية في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة الأزهر، 2000م، ص59.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص30.

سقوطها، وتبنى الجملونات في الغالب من الأخشاب، وقد وجدت الجملونات في الحضارات اليونانية والرومانية ومنها انتقلت إلى الحضارة الإسلامية ومن أقدم أمثلتها أسقف الجامع الأموي بدمشق الذي بني في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 86هـ.

وقد وجدت الأسقف الجملونية في اليمن في العديد من المنشآت ومنها ممرات المدرسة الأشرفية والجزء الشرقي من قاعة الدرس بالمدرسة الإسكندرية بحيس، وقد ذكرت وقفية المدرسة الرسولية قاعات الدرس بالمدرسة باسم جمنون لأنها مغطاة بأقبية مما يعني أن الجمنون في اليمن اسم للقبو المدبب وليس للسقف الجملوني.

3- القبو: (شكل60، 64، 111)

قبو: قبا الشيء قبواً جمعه بأصابعه، ويستخدم اللفظ للدلالة على نوع من السقوف مقوس[1]، وهو من وسائل التغطية التي انتشرت في العمارة الساسانية كما في طاق كسرى، وانتشر استخدامها في العصر الإسلامي منذ العصر الأموي كما في قصور المشتى والطوبة وحمام الصرخ والأخيضر، وفي العديد من المنشآت الدينية ومنها المسجد الأقصى بالقدس، ثم انتقلت إلى مصر في العصر الفاطمي كما في مسجد الجيوشي، ووجدت أيضاً في المغرب الإسلامي كما في جامع سوسة[(2)].

أما في اليمن فلم تستخدم الأقبية في تغطيات المنشآت المعمارية طوال القرون الخمسة الأولى من العصر الإسلامي، لذلك من المحتمل أن هذا النوع من التغطيات دخل إلى اليمن مع الأيوبيين569-626هـ/1174-1229م، حيث استخدمه الأيوبيون في عمائرهم بمصر كما في ممرات أبراج سور القاهرة وقلعة الجبل[(3)]، وفي مدارس السادات الثعالبة والكاملية والصالحية[(4)].

ويرجع استخدام القبو في العمارة اليمنية إلى عهد الأتابك سنقر الأيوبي 598-608هـ/1202-1211م حيث يذكر ابن الديبع[(5)] أن المدرسة التي بناها الأتابك سنقر في زبيد والمعروفة باسم مدرسة ابن دحمان – نسبة إلى مدرسها- كانت ذات أواوين، وكذلك الحال بالنسبة للمدرسة المنصورية بعدن التي بناها مؤسس الدولة الرسولية المنصور نور

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص89.

2- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر، ص54، 164، 197، 298، أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج1، ص161.

3- حسني نويصر، العمارة الإسلامية، ص9-24، أسامة عبد النعيم، أسوار صلاح الدين، ص243، 244

4- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج2، ص56، 64، حسني نويصر، العمارة الإسلامية، ص62، 70، 80، 81.

5- ابن الديبع، بغية المستفيد، ص76.

الدين عمر بن علي بن رسول 626-647هـ/1229-1249م[1].

ويعد الجامع الكبير بمدينة حيس682هـ/1283م أقدم أثر رسولي باق حتى الآن على حالته الأصلية استخدمت فيه الأقبية في التغطيات، وفي الوقت نفسه يعد الأثر الرسولي الوحيد الذي استخدمت الأقبية في تغطية جميع وحداته المعمارية، في حين استخدمت القباب كعنصر رئيسي في بقية المنشآت الرسولية، واستخدمت الأقبية كعنصر ثانوي في تغطية بعض الوحدات المعمارية، كما في مصلى المدرسة الفاتنية بزبيد (قبل 768هـ/1367م) وفي خانقاة المدرستين المعتبية قبل 796هـ/1394م والأشرفية 800هـ/1398م بتعز وقاعات الدرس بهما وقاعة الدرس بالمدرسة الجبرتية بزبيد(نهاية القرن 8هـ/14م) [2]، واستمر استخدام الأقبية في العصر الطاهري858-923هـ/1454-1517م كما في الطابق الأرضي لمدارس المنصورية بجبن 887هـ/1482م[3] والعامرية 910هـ/1504م والبغدادية برداع، والجامع الكبير ببيت الفقيه864-883هـ/1460-1478م[4].

4- القبة: (شكل65)

القبة وجمعها قبب وقباب لفظ معرب من كبه ومعناها كأس الحجامة وتطلق على كل شيء منتفخ[5]، والقبة من العناصر المعمارية التي انتقلت من عمارات عصر ما قبل الإسلام، وقد استخدمت في الغالب في تغطية المنشآت الدينية ومن أقدم الأمثلة في العصر الإسلامي قبة الصخرة بالقدس الشريف المؤرخة بسنة 72هـ/691م وكانت مصنوعة من الخشب المغطى بصفائح الرصاص، وقد سقطت هذه القبة سنة 407هـ وأعيد بناءها سنة 413هـ، وقد انتشر استخدام عنصر القبة بعد ذلك وخاصة في تغطية الأضرحة[6].

وفي اليمن عرفت القبة كعنصر معماري منذ أوائل القرن 4هـ/10م حيث تعد قبة

1- NOHA SADEK ,PATRONAGE AND ARCHITECTURE IN RASULID YEMEN 626-858A.H/1229-1454A.D, FOR THE DEGREE OF PH.D, UNIVERSITY OF TORONTO,1990A.D. P236.

2- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص258 ، 260، 261، عبد الله الراشد، المنشآت المعمارية، ص 265.

3- إبراهيم أحمد المطاع، المدرسة المنصورية بمدينة جُبن، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1994م، 225.

4- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص261.

5- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص88.

6- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص41، 42.

ضريح الإمام الهادي بجامع صعدة أقدم قبة ذكرت المصادر التاريخية أنها بنيت في اليمن في عهد الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي الذي أمر ببناءها على ضريح والده في فترة حكمه الممتدة بين 301-325هـ/914-937م[1]، ثم تلتها قباب الضريح الموجود بجامع فروة بن مسيك بصنعاء سنة 407هـ/1016م[2] ثم القباب التي بنيت شمال غرب زبيد في أوائل عصر الدولة النجاحية431-554هـ/1040-1159م والمعروفة باسم قباب الجنابذ الثلاث وهي من بناء علي بن محمد الصليحي -مؤسس الدولة الصليحية- الذي دفن في إحداها سنة460هـ/1086م[3]، وتعد قبة البهو في البطة الوسطى من جامع السيدة بنت أحمد بجبلة 480هـ/1087م أقدم القباب الباقية في اليمن حتى الآن[4].

وفي العصرين الرسولى 626-858هـ/1229-1454م والطاهري 858-923هـ/1454-1517م استخدمت القباب على نطاق واسع في تغطية المنشآت الدينية في اليمن خاصة في مدن تهامة المختلفة ومنها زبيد، حيث نجد أن معظم المساجد والمدارس والأسبلة غطيت كلياً أو جزئياً بالقباب نظراً لندرة الأخشاب اللازمة لبناء الأسقف المسطحة، وتوفر مادة الطين اللازمة لصناعة الآجر المستخدم في بناء القباب.

والقباب من حيث التخطيط تنقسم إلى عدة أنواع منها:

النوع الأول: قباب ذات قطاع نصف دائري كما في سبيل باب الشبارق، وهذا النوع وجد في العديد من المنشآت الدينية بمدينة حيس كما في مسجد الخامري ومقصورة مسجد ركيز والقبة المركزية بالمدرسة الإسكندرية 864-883هـ/1460-1478م[5].

النوع الثاني: قباب ذات قطاع مدبب ذي مركزين كما في سبيل باب سهام وقبة مخزن السلاح، وفي مساجد ومدارس حيس ومنها مسجد ابن أبي الخل ومسجد ابن علي ومدرسة الهتاري والقباب الغربية لمسجد ركيز وقباب الجامع الكبير 682هـ/1283م[6].

النوع الثالث: قباب ذات قطاع مدبب ذي أربعة مراكز ومن أمثلتها القبة المركزية

1- مجد الدين المؤيدي، لوامع الأنوار ومطالع الأسرار، جزءان، دار التراث صعدة، 1999م، ج1، ص 173.

2- SERJEANT.R.B, & RONALD LEWCOCK, SANAA AN ARABIAN ISLAMIC CITY. WORLD OF ISLAM FESTIVAL TRUST, P351-353.

3- ذكر ابن المجاور أنها "ثلاث قباب مبنيات بالآجر المحكوك والجص، قريب بعضها من بعض، يكون بين كل واحد إلى الآخر مقدار أربعة أذرع".(أنظر) ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص90.

4- مصطفى شيحة، المدخل، ص61.

5- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص262.

6- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص263.

بمدرسة الإسكندرية والقبة المركزية بالمدرسة الأسدية بإب (قبل677هـ/1279م)[1] وجامع المظفر بتعز 647-694هـ/1249-1295م والمدرسة الأشرفية بتعز 800هـ/1398م [2]، والجامع الكبير ببيت الفقيه 864-883هـ/1460- 1478م والمدرسة المجاهدية (الإسكندرية) بحيس 664-883هـ/1460-1478م[3] والمدرسة الوهابية بزبيد 885هـ/1480م[4]، وجامع أحمد بن علوان بقرية يفرس فيما بين 921-923هـ/1515-1917م[5].

النوع الرابع: قباب بصلية: وتتميز بأن قمة القبة ممتدة بشكل حاد وضيق إلى أعلى، وانبعاج قاعدتها بحيث تشبه شكل البصلة وقد انتشر هذا النوع كثيراً في المشرق الإسلامي كما في الهند وباكستان وأفغانستان، ومن أمثلتها في اليمن القباب الست التي تغطي مصلى المدرسة العامرية برداع.

ومن حيث الشكل تنقسم القباب إلى: قباب ملساء من الخارج والداخل، وقباب مضلعة من الداخل والخارج، وقباب مخوصة من الداخل والخارج، وقباب يشترك فيها نوعين مما سبق فتجد مثلاً قباب مخوصة من الداخل أو مضلعة بينما هي ملساء من الخارج.

خامساً: مناطق الانتقال:

ترتبط القباب بمناطق الانتقال ارتباطاً وثيقاً لأنه لا يمكن بناء القبة على المساحات المربعة إلا بعد تحويل تلك المساحة المربعة إلى مساحة دائرية، وهذا التحويل يتم بواسطة مناطق الانتقال التي تنوعت أشكالها بسبب التطورات والتغييرات والابتكارات الهندسية للمعمار المسلم ومن أهم أنواعها في المنشآت الإسلامية ومنها:

1- المثلث الكروي: (شكل66)

من العناصر المعمارية التي تربط بين مربع الجدران ورقبة القبة حيث يتم به تحويل المساحة المربعة للمبنى أو الحجرة إلى شكل دائري يحمل رقبة تستند عليها القبة، ويكون

1- الأكوع، المدارس، 96-99، محمد سيف النصر، نظرة عامة، 108، عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص174-179.

2- عبدالله الراشد، ، المنشآت المعمارية، ص174-179.

3- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص264.

4-إبراهيم المطاع، المدرسة المنصورية، ص174.

5- ربيع حامد خليفة(دكتور)، تربة وجامع أحمد بن علوان بقرية يفرس، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الخامس1991م، ص19-41.

موضعه دائماً في أركان البناء وبشكل مثلث مقلوب قاعدته إلى أعلى وقمته إلى الأسفل.

2- الحنية الركنية: (شكل67)

الحنية: في اللغة حنا الشيء حنواً وحناه عطفه وانحنى الشيء انعطف وجمعها حني وحنايا[1] وهي عبارة عن عنصر معماري يشبه نصف قبة تعلو زوايا مربع القبة، وتبنى بهدف تحويل المربع إلى دائرة أو مثمن ترتفع فوقها رقبة القبة(2)، الحنية الركنية: فارسية الأصل يعود اقدمها إلى بداية القرن الثالث الميلادي كما في قصر فيروز أباد، وسرفستان، وشيرين، وفراشاباد، وأقدم مثل لها في العمارة الإسلامية وجد في باب العامة من قصر الجوسق الخاقاني بسامراء(3)، أما في اليمن فتعد الحنايا الركنية بقبة البهو بجامع السيدة بنت أحمد بجبلة480هـ/1087م أقدم الحنايا الباقية حتى الآن في اليمن(4)، ثم استخدمت بعد ذلك بكثرة في العصرين الرسولي626-858هـ/1229-1454م والطاهري858-923هـ/1454-1517م، ومن أمثلتها حنايا قباب المدرسة السكندرية بزبيد وقباب جامع المظفر بتعز647-694هـ/1249-1495م، وفي المدرستين المعتبية قبل796هـ/1394م والأشرفية 800هـ1398م بتعز(5)، وكذلك في المدرسة الوهابية بزبيد885هـ/1480م، و في مدرستي المنصورية بجبن 887هـ/1482م والعامرية برداع 910هـ/1504م والجامع الكبير بجبن(6) وحنايا القبة المركزية بالمدرسة المجاهدية(الإسكندرية) بحيس864-883هـ/1460-1478م(7)

3- المقرنصات:

المقرنص: كلمة فارسية يقصد بها حلية معمارية مكونة من قطع من الحجر أو الخشب أو غيره على شكل عقود صغيرة موضوعة بجوار بعضها وقد تكون من عدة حطات أو صفوف[8] وتعرف في المغرب الإسلامي باسم مقربس، وتنقسم إلى عدة أنواع:

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص38.

2- محمد حمزة الحداد(د)، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م، ص89.

3- CRESWELL, K.A.C, M.A.E.,VOL2, P101-108، حسين مؤنس، المساجد، ص140، فريد شافعي، العمارة العربية في مصر، ص144، 145.

4- عبدالله كامل، دراسة معمارية، ص229.

5- مصطفى شيحة، المدخل، ص90، 93، 96.

6- إبراهيم المطاع، المدرسة المنصورية، ص، 174، 343.

7- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص254.

8- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص113.

النوع الأول: مقرنصات منشورية تتكون من كتل بنائية مركبة فوق بعضها والناظر إليها من أسفل لا يرى سوى قواعدها المسطحة، وهي ذات أشكال مختلفة تبعاً لموقعها في البناء، فهي إما مثلثة أو مربعة أو معينة وقد تكون نجمية الشكل، وأقدم مثل لها وجد في قباب دير مار بهنام، وفي قبة ويلاده في سنجار، وفي قبة الست زينب في سنجار[1]، وقد بنيت مقرنصات هذا النوع بقوالب الآجر المثلثة بحيث تكون قاعدة المثلث داخل الجدار وقمته بارزة نحو فراغ القبة وذلك في صفوف مكررة تبدأ بقالب واحد ثم يزيد عددها بالتدريج في كل صف حسب اتساع زاوية المربع وارتفاعها بحيث قد يصل عدد حطاتها إلى 20 حطة من المقرنصات.

وقد انتشر هذا النوع في اليمن في معظم عمائر تهامة الدينية وبعض مناطق اليمن الداخلية ومنها جبن، ومن أمثلتها: مناطق انتقال القباب الغربية من الجامع الكبير بمدينة حيس 682هـ/1283م[2] وقباب قاعة الدرس بالمدرسة الإسكندرية، ومسجد ابن أبي الخل بمدينة حيس (شكل68)، والمدرسة المنصورية بجبن، والجامع الكبير ببيت الفقيه[3]،والجامع الكبير بالتحيته[4]، ومسجد عبدالله بن علي بالدريهمي[5].

1- كامل حيدر(د)، العمارة العربية الإسلامية الخصائص التخطيطية للمقرنصات، دار الفكر اللبناني بيروت، ص35-37.

2- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص256.

3- CENTER FOR YEMENI-ITALIAN ARCHAEOLOGICAL RESEARCH ISLAMIC SECTION, MATERIALS FOR A TYPOLOGY OF YEMENI RELIGIOUS ARCHITECTURE. 1987 CAMPAIGN. DRAFT REPORT, P190, ISMEO ACTIVITIS, REPORT ON THE ACTIVITIS OF THE ITALIAN INSTITUTE FOR THE MIDDLE AND EAST, ARCHAEOLOGICAL ACTIVITIS IN THE YEMEN ARAB REPUBLIC, 1984, P446.

4- ISMEO ACTIVITIS, REPORT ON THE ACTIVITIS OF THE ITALIAN INSTITUTE FOR THE MIDDLE AND EAST, ARCHAEOLOGICAL ACTIVITIS IN THE YEMEN ARAB REPUBLIC, 1986, P425.

5- NANKIVELL, JOHN,TIHAMAH PORTFOLIO – ASELECTION OF DRAWINGS AND COMMENTARY BY THE ARTIST, STUDIES ON THE TIHAMAH: THE REPORT OF THE TIHAMAH EXPEDITION, 1982, AND RELATED PAPERS, EDITED BY: FRANCINE STONE, LONGMAN, P63, STEVEN, D, EHRLICH, TIHAMAH ARCHITECTURE - AN ARCHITECTS SURVEY DRAWINGS, STUDIES ON THE TIHAMAH: THE REPORT OF THE TIHAMAH EXPEDITION, 1982, AND RELATED PAPERS, EDITED BY: FRANCINE STONE, LONGMAN, P75

النوع الثاني: مقرنصات معقودة بسيطة[1] أو مركبة على شكل حنايا أوعقود صغيرة مكررة في عدة صفوف (شكل69)، وقد وجد هذا النوع في العديد من المنشآت المعمارية في العالم الإسلامي ومنها قصر الأخيضر وبعض مباني سامراء[2]، والمنشآت الفاطمية بمصر والتي بدأت الحنايا فيها عبارة عن حطتين من الحنايا المعقودة كما في قبة الشيخ يونس487هـ/1094م ثم تطورت بعد ذلك وزادت عدد حطاتها في العصرين الفاطمي والأيوبي وبلغت قمة تطورها في العصر المملوكي في مراحل متعددة ومتتابعة حتى وصلت إلى ثلاث عشرة حطة من المقرنصات[3]، كما وجدت في العديد من المنشآت في اليمن ومنها مناطق الانتقال من المثمن إلى الشكل الدائري لرقبة القبة المركزية بالمدرسة الإسكندرية بزبيد والتي تتكون من سبع حطات، وكذلك في المدرستين المعتبية قبل 796هـ/1394م والأشرفية 800هـ/ 1398م بتعز.

النوع الثالث: عبارة عن خليط من النوعين السابقين حيث تتكون المقرنصات فيه من ثلاثة صفوف من المقرنصات على هيئة عقود صغيرة متجاورة يعلوها صفان أو ثلاثة من المقرنصات المنشورية ذات الشكل الدالي، وتوجد مناطق انتقال هذا النوع في مواضع عدة في المدرسة الإسكندرية بزبيد ومنها المقرنصات التي تتوج قاعدة المئذنة ومقرنصات الشرفة ومقرنصات ظهر كتلة المحراب.

النوع الرابع: مشابه للنوع الأول لكن المقرنصات فيه تبرز منها على شكل صفوف من المثلثات المتجاوره بحيث أسنان المنشار ويفصل بين كل صف وأخر مساحة بسيطة غير مسننة، وهذا النوع يعرف باسم مقرنصات أسنان المنشار، أو المقرنصات الدالية نظراً لتشابهها مع شكل حرف الدال المكرر (شكل70).

- العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية:

سادساً: المحراب: ②

المحراب: لفظة مشتقة من الفعل حرب، والمحراب شديد المحاربة لأن المصلي عند صلاته يحارب الشيطان، والمحراب صدر المجلس وقبلة المسجد، والمحراب في المصادر القديمة غرفة أو مكان ينفرد فيه الملك عن الناس، ولذلك سمي المحراب محراباً لانفراد الإمام فيه، والمحراب أرفع بيت في الدار وأرفع مكان في المسجد، ولفظ المحراب قيل إنه

1- كامل حيدر، العمارة، ص27.

2- كامل حيدر، العمارة، ص32.

3- محمد حمزة، القباب، 93-116.

مشتق من لفظة مكراب في اللغة الحميرية وتعني معبد، وتعني جزء من قصر أو جناح أو حنية مخصصة لوضع التماثيل، قال الشاعر:

فجرع الأحبوش سماً ناقعاً واحتل من غمدان محراب الدما

وقيل إنها مشتقة من لفظة من حضرموت خاصة أو الجزيرة العربية عامة، حيث ترد كلمة "محرب" بمعنى مكان الجلوس في بهو الاستقبال، وكذلك القصر الملكي في قتبان.

أما كلمة "محراب" في القرآن الكريم فتدل على معان متعددة منها: قال تعالى" وهل أتاك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب[1]" ومعناها هنا المجلس أو مقدم كل مجلس وبين وأشرفه، وقال تعالى" يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل...[2]" ومعناها هنا المساكن أو البنيان دون القصور، وقال تعالى "كلما دخل عليها زكريا المحراب ..[3]" ومعناه قاعة الاستقبال أو بيت خاص أو حجرة خاصة، وقال تعالى " فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب..[4]" وقال تعالى " فخرج على قومه من المحراب..[5]" ومعناه المعبد أو المسجد.

والمحراب في العمارة الإسلامية عنصر معماري عبارة عن حنية في جدار القبلة (شكل71) وقد وجد في الأبنية الدينية وموضعه دائماً في جدار القبلة وغالباً في منتصف الجدار، والقصد منه الإشارة إلى اتجاه القبلة في الكعبة المشرفة، وغالباً ما يكون مجوفاً[6]، حيث تذكر المصادر التاريخية أن محراب المسجد النبوي لم يكن أول الأمر مجوفاً وإنما كان الرسول ﷺ يصلي بالمسجد دون محراب مجوف وكان المسلمون يميزون القبلة بواسطة علامة في جدار القبلة عبارة عن حجر بارز نحو الداخل مثبت في جهة القبلة تدل الناس على مكان القبلة.

وتختلف المصادر في تحديد أقدم محراب مجوف في العصر الإسلامي فمنهم من يرى أن ذلك تم في عهد الرسول ﷺ وقيل في عهد خليفته أبي بكر رضي الله عنه سنة 11-13هـ، وقيل في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة 24هـ، وقيل في عهد معاوية بن أبي سفيان[7]، وقيل

1- سورة ص، آية 21.

2- سورة سبأ، آية13.

3- سورة آل عمران، آية37

4- سورة آل عمران، آية39.

5- سورة مريم، آية11.

6- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص36.

7- غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ/18م، رسالة دكتوراه مكملة، كلية الآداب جامعة بغداد،2000، ص15.

إن مسلمة بن مخلد الأنصاري هو أول من قام بعمل محراب مجوف في جامع عمرو بن العاص في الفسطاط سنة 53هـ/ 673م، وإن كان الراجح أن أول محراب مجوف هو محراب قبة الصخرة 72هـ، والذي يعد أقدم محراب مجوف باق حتى الآن ويقع في الضلع الجنوبي من المثمن الخارجي من قبة الصخرة التي بنيت في عهد عبد الملك بن مروان، وثاني محراب مجوف تخذ للمسجد النبوي سنة 88هـ/707م وذلك أثناء ولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة في خلافة الوليد بن عبد الملك، ثم وسع المحراب أيام المماليك وأقاموا عليه قبة وزخرفوه كما بنوا محراباً جديداً للمسجد، ويليه محراب مسجد عمرو الذي عمل في عهد قرة بن شريك سنة 92هـ/710م، ويليه المحراب الأوسط بالجامع الأموي بدمشق 96هـ/م[1].

سابعاً: المنبر: (شكل72 أ-ج)

المنبر: نبرت الشيء أي رفعته وبالتشبيه سمي المنبر منبراً لارتفاعه وعلوه، ويقصد به مرقاة الخطيب بالجامع[2]، وهو عنصر معماري مهم وموقعه على يمين المحراب، وهو مخصص لإلقاء خطبة الجمعة، وكان أول ظهور له في عهد الرسولﷺ، حيث تذكر المصادر التاريخية أن المسجد النبوي لم يكن به منبر أول الأمر بل كان الرسول ﷺ يخطب بالناس واقفاً ثم صنع له جذع من النخل يتكئ عليه أثناء الخطبة ثم بعد ذلك رآه رجل قيل هو تميم الداري وقيل غلام للعباسؓ وقيل غلام لامرأة من الأنصار فقال لو أراد الرسول ﷺ لصنعت له منبراً فعلم الرسولﷺ بمقولته فاستحضره وطلب منه صنع المنبر فصنعه فيما بين سنة 7-9هـ، وكان مكون من ثلاث درجات كان الرسولﷺ يقف خطيباً في العليا ثم خطب أبو بكر في الوسطى وخطب عمر في السفلى وقد زاد فيه معاوية ست درجات من أسفله فصار يتكون من تسع درجات، وظل على حاله ولم يجدد إلا عندما صنع المماليك منبراً جديداً[3]، ويرى كل من الدكتور فريد شافعي والدكتور مصطفى شيحة أن أقدم منبر بعد منبر رسول الله ﷺ في المسجد النبوي هو منبر جامع عمرو بن العاص بالفسطاط[4]، وهذا غير صحيح لأن مسجد عمرو بن العاص بني سنة 22هـ في حين بنيت العديد من المساجد قبله ومن ذلك: الجامع الكبير بصنعاء سنة 6هـ،

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص36.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص116.

3- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص37-38.

4- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص38.

ومسجد معاذ بالجند ومسجد الأشاعر بزبيد سنة 8-9هـ، ومسجد ذمار ومسجد صعدة، ومسجد البصرة سنة 15هـ، ومسجد الكوفة سنة 17هـ، وهذه المساجد بالتأكيد كان لها منابر على غرار منبر الرسولﷺ.

على أن أقدم منبر باق حتى الآن هو المنبر الخشبي بجامع القيروان والمؤرخ فيما بين 242-249هـ/856-863م[1]، أما أقدم منبر في اليمن فهو منبر جامع ذمار الذي يعود إلى القرن 4هـ-10م.

نخلص مما سبق إلى أن أول منبر في العصر الإسلامي هو منبر الرسول ﷺ ثم توالت صناعة المنابر ووضعها في المساجد التي بنيت في عهد الرسولﷺ ثم في عهد الخلفاء الراشدون، ومنذ عصر معاوية وما تلاه من عصور جعلت المنابر ذات درجات كثيرة مما أدى إلى بروزها في المسجد وبشكل عمودي على جدار القبلة فأدت بالتالي إلى قطع صفين أو اكثر من صفوف المصلين مما جعل العلماء يفتون بتحريم ذلك لأنه يقطع صفوف الصلاة لذلك قام المعمار في مساجد المغرب والأندلس بعمل غرفة أو دخله في جدار المسجد يشبه المحراب يوضع فيه المنبر أثناء الصلاة حتى لا يقطع الصفوف، وفي اليمن وبناءً على فتوى عدد من العلماء جعلت المنابر مستعرضة مع جدار القبلة كما في الجامع الكبير بصنعاء وغيرها من المساجد، ونص هذه الفتوى مكتوب على منبر جامع الإمام الهادي بصعدة.

ثامناً: المئذنة:

المئذنة: على وزن مفعلة بكسر الميم موضع الأذان والتأذين وتجمع على مآذن ومواذن، والأذان النداء للصلاة مشتق من الفعل أذّن[2]، ويقصد به الإعلام أو الإخبار بالشيء قال تعالى "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً.."[3] وقال "وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر"[4]، وتعرف أيضاً باسم المنار والمنارة[5]، وهي مشتقة من الفعل "نور" أي موضع النور وتجمع على مناور ومنائر، والمنار علامة الطريق وعلامات

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص38.

2- علي سعيد سيف، مآذن صنعاء حتى نهاية القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير مكملة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994م، ص12، 13.

3- سورة الحج، آية22.

4- سورة التوبة، آية 3

5- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص97.

إرشاد السفن إلى الطرق البحرية، وسميت المئذنة منارة لأنها تضاء بالسرج في أوقات الصلاة الليلية ليعلم من لم يسمع الأذان أن موعد الصلاة قد حان، وفي المغرب الإسلامي وبعض مناطق اليمن تعرف المئذنة باسم الصومعة مشتقة من الفعل صمع تشبيهاً لها بصومعة الراهب، وجمعها صوامع وهي المعابد الصغيرة وبيوت الرهبان على الطرق[1]، وقد ارتبطت المئذنة بعمارة المسجد والمصليات والمدارس المنشآت التي تحتوي على مساجد للصلاة بهدف رفع الأذان وإبلاغه لأكبر عدد من الناس، ولم تكن نشأة المئذنة مع نشأة المسجد النبوي في السنة الأولى من الهجرة إذ لم يكن للمسجد النبوي مئذنة في الأيام الأولى من هجرة الرسول ﷺ بل كان بلال رضي الله عنه يصعد على أعلى سطح مجاور للمسجد وهو بيت أم زيد الأنصارية وقيل دار حفصة بنت عمر ويؤذن عليه، وقيل كان هناك أسطون في دار عبد الله بن عمر كما يقول ابن زبالة وكان في قبلة المسجد يؤذن عليه بلال يرقي إليها بأطناب أو أقتاب، والأسطون مربع الشكل قائم يقال له المطمار وقيل أن هذا المطمار كان في المسجد حيث كان يؤذن عليه بلال[2] ويشعل المصابيح فيه ليلاً ليرى الناس المصابيح فيعرفوا أن وقت الصلاة قد بدأ وخاصة لمن لا يسمع صوت بلال أو يراه.

وعليه يمكن القول إن المطمار المربع المذكور كان بمثابة المئذنة الأولى في عهد الرسول ﷺ وعلى غرارها بنيت مآذن المسجد النبوي في عمارة عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه له، وكانت مربعة الشكل أيضاً حيث يذكر يحي بن الحسين " ومن مآثر عثمان بن عفان بناء المنارات للأذان وكانت في زمانه مربعة الشكل[3]" وتلتها مئذنة جامع البصرة التي بناها زياد بن أبيه أثناء إعادة بناءه للجامع في فترة ولايته على البصر في عهد معاوية سنة45هـ/665م[4] وكانت من الحجر، وتلتها مئذنة جامع عقبة بالقيروان سنة 50هـ والتي هدمت وبنيت للمسجد مئذنة جديدة سنة 105-109هـ، ثم تلتها مآذن مسجد عمرو بن العاص الأربع بمدينة الفسطاط التي أنشأها مسلمة بن مخلد سنة 53هـ، ثم مئذنة الجامع الأموي بدمشق سنة 86هـ، ثم مآذن عمر بن عبد العزيز التي أضافها للمسجد النبوي عندما أعاد بناءه في فترة ولايته على المدينة حيث تذكر المصادر أنه بنى للمسجد أربع مآذن بواقع مئذنة في كل زاوية: الشمالية الشرقية ارتفاعها 55ذراع والشمالية الغربية 53ذراع والجنوبية الشرقية 55ذراع أما الجنوبية الغربية فقد هدمت أيام

1- علي سعيد، مآذن صنعاء، ص14- 17.

2- علي سعيد، مآذن صنعاء، ص18، 19.

3- يحي بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج1، ص89.

4- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص38.

سليمان بن عبد الملك لأنها كانت تطل على دار مروان حيث يرى المؤذن من بالدار، وقد سقطت المئذنة الجنوبية سنة 886هـ فأعاد قايتباي بنائها كما قام ببناء مئذنة باب الرحمة والمئذنة الجنوبية الشرقية الباقية عبارة عن برج مربع طول ضلعه4,5م وارتفاعها 29م، ثم مئذنة جامع الرملة بفلسطين 96هـ، فمئذنة جامع بصرى 102هـ، فمئذنة الجامع الأموي بالموصل 102-104هـ[1].

وكعادة المستشرقين يحاولون نسبة أي شيء جديد يظهر في العمارة الإسلامية إلى تأثيرات أجنبية وخاصة المسيحية منها حيث قالوا إن المئذنة مأخوذة عن أبراج المعابد الرومانية التي كانت موجودة في المعبد والكنيسة التي في دمشق والتي حل محل جزء منها المسجد الأموي في عهد عبد الملك بن مروان أي بعد عام 70هـ، لكننا نستطيع القول إن المئذنة هي طراز إسلامي بحت وذلك لعدة أسباب:

1ـ قبل بناء المسجد النبوي كان بلال يصعد على أعلى بيت في المدينة ليؤذن حتى يسمع القريبين الأذان من المسجد أما البعيدين فقد كانوا يشاهدون بلال دون سماع صوته فيعلمون أن وقت الصلاة قد دخل، وأما في الليل فكان يحمل معه مصباحاً ليراه الناس فيعلمون أن وقت الصلاة قد بدأ وكان أعلى منزل هو منزل أم زيد الأنصارية.

2 ـ بعد بناء المسجد جُعل عليه مطماراً وقيل في منزل عبد الله بن عمر، والمطمار هو المكان المربع المرتفع وكان بلال يصعد إليه بواسطة أطناب (سلالم) فيؤذن على المطمار ثم وضعت خشبه عالية على المطمار وعلق عليها حبل فعندما يصعد بلال للآذان في النهار يعلق راية بيضاء على الحبل ويسحبه إلى أعلى الخشبة فعندما يرى الناس الراية يعلمون بأن الأذان قد بدأ فالقريب يسمع والبعيد يشاهد الراية، وفي الليل كان يضع بدلاً من الراية مصباح مضاء ويؤذن فالقريب يسمع والبعيد يشاهد المصباح سواء كان ذلك في الصلاة أو في السحور أو في الفطور.

3ـ إن القائلين بأن المئذنة كانت بدايتها في سنة 76هـ عندما بنى عبد الملك بن مروان المسجد الأموي وأنه أتخذ أبراج المعبد أو الكنيسة كمئذنة، يمكن الرد عليهم بأن المؤرخين ذكروا أن عثمان بن عفان كان أول من بنى المآذن (المنارات) للمساجد وأن زياد بن أبيه أيام خلافة أخيه معاوية بن أبي سفيان بنى منارة لجامع البصرة بالحجارة ولهذا يمكن القول أن المئذنة ظهرت قبل ظهورها في المسجد الأموي إذا فهي طراز إسلامي وليست رومانية أو مسيحية، أما الرد على القول بأن تعدد المآذن

1- علي سعيد، مآذن صنعاء، ص20-24.

وخاصة في الأركان الأربعة للمسجد كما في المسجد الأموي وغيره من المساجد قبل مسجد رسول الله ﷺ فإن ذلك الإنشاء إنما كان الهدف منه أن يؤذن في كل الجهات وليسمع الناس الأذان في مختلف جوانب المسجد.

ونخلص مما سبق إلى أن المئذنة الإسلامية مرت بعدة مراحل من الإنشاء والتطور المعماري بدءاً من عهد الرسول ﷺ وحتى اليوم، ويمكن ترتيب المآذن من حيث النشأة على النحو التالي:

- المطمار المربع للمسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ.
- المآذن المربعة للمسجد النبوي في عهد عثمان بن عفان.
- مئذنة جامع البصرة سنة 45هـ/665م أي في عهد معاوية.
- مئذنة جامع عقبة بالقيروان سنة 50هـ.
- مآذن جامع عمرو بن العاص الأربع 53هـ.
- مآذن الجامع الأموي بدمشق سنة 86هـ.
- مآذن عمر بن عبد العزيز بالمسجد النبوي في خلافة الوليد بن عبد الملك.
- مئذنة جامع الرملة بفلسطين سنة 96هـ.
- مئذنة جامع بصرى سنة 102هـ.
- مئذنة الجامع الأموي بالموصل سنة 102-104هـ.
- مئذنة جامع عقبة بالقيروان سنة105-109هـ، كما ذكرت المصادر، وإن كانت الدلائل الأثرية ترجعها إلى سنة 221هـ.
- مئذنة مسجد قصر الحير الشرقي 110هـ.
- مئذنة موجدة 161هـ.
- مئذنة جامع قرطبة 170هـ.

أما ترتيب أقدم المآذن من حيث بقائها حتى الآن فهي: مئذنة جامع بصرى 102هـ، وتليها مئذنة جامع القيروان التي يعود تأريخها إلى سنة 105-109هـ، كما ذكرت المصادر التاريخية، لكن الأدلة الأثرية ترجع تاريخا إلى سنة 221هـ، ثم مئذنة مسجد قصر الحير الشرقي المؤرخة بعام 110هـ، ثم مئذنة موجدة 161هـ شرق قصر الأخيضر بالعراق[1].

كما يمكن ترتيب أقدم المآذن الباقية في كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية على النحو

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص39، علي سعيد، مآذن صنعاء، ص24-27.

التالي: في الشام تعد مئذنة جامع بصرى 102هـ أقدم مئذنة باقية، وفي العراق تعد أقدم مئذنة باقية هي مئذنة موجدة161هـ وتليها المئذنة الملوية بسامراء234هـ، وفي المغرب تعد مئذنة جامع القيروان 105هـ، أو 221هـ هي أقدم المآذن، وفي الأندلس مئذنة جامع قرطبة 170هـ والتي هدمت وبنيت من جديد سنة 340هـ، وفي مصر تعد أقدم مئذنة باقية هي مئذنة جامع أحمد بن طولون265هـ، وفي اليمن تعد أقدم مئذنة باقية هي المئذنة الغربية لجامع السيدة بنت أحمد الصليحي بجبلة سنة 480هـ.

تخطيط المئذنة وطرزها:

تعد المئذنة من أهم العناصر المعمارية في المنشآت الدينية الإسلامية بحيث لم يقتصر وجودها على مئذنة واحدة بل تعددت في المنشأة الواحدة.

ويمكن تقسيم طرز المآذن الإسلامية حسب تخطيطها على النحو التالي:

1- **المئذنة المملوكية:** وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن ثم شرفة ثم بدن آخر أسطواني أو مضلع ثم شرفة يليها بدن أصغر مضلع أو أسطواني متوج بقمة مغطاة بقبة صغيرة أو قمة مخروطية، ومن أجمل أمثلة هذا النوع المآذن المملوكية على اختلاف أشكالها(شكل73).

2- **المئذنة الملوية:** وتتكون من قاعدة مثمنة أو مربعة يعلوها بدن أسطواني يضيق كلما ارتفع إلى أعلى ويدور حوله من الخارج سلم حلزوني ويتوج المئذنة قمة مغطاة بقبة كما في ملويتي جامع سامراء وجامع أبي دلف(شكل74) ، أو يعلو البدن الأسطواني طابق مثمن يعلوه طابق ثان مثمن أيضاً بينهما شرفة بارزة ويتوج المئذنة قبة صغيرة مضلعة كما في مئذنة جامع أحمد بن طولون بالقاهرة.

3- **المئذنة المربعة:** وقد ساد استخدامها في بعض مدن الشام والمغرب الإسلامي والأندلس كما في مئذنة جامع عمر في بصرى 102هـ/721م، ومئذنة جامع معرة النعمان وجامع حلب ومئذنة جامع القيروان ومئذنة الكتبية في الرباط ومئذنة جامع تلمسان ومئذنة الجيرالدا في أشبيلية وغيرها (شكل75).

4- **المئذنة العثمانية:** تميزت المآذن التركية بالرشاقة، وتعدد شرفاتها، وبناء أبدانها بشكل مضلع، أو حلزوني، وتغطيتها بالبلاطات الخزفية الملونة، وانتهاء المئذنة بقمة مدببة تشبه سن القلم الرصاص لذلك تعرف باسم مآذن القلم الرصاص، كما تتميز بالارتفاع الشاهق، وتعدد المآذن في المسجد الواحد (شكل76).

5- **المئذنة الأسطوانية:** تتكون من قاعدة مربعة وبدن أسطواني شاهق الارتفاع تتخلله

شرفة أو أكثر، وهذا النوع انتشر كثيراً في المشرق الإسلامي في العراق وفارس والهند وأفغانستان ومن أمثلتها: مئذنة جامع الرقة561هـ/1161م، ومئذنة مجضة في العراق160هـ/777م، ومئذنة الجامع النوري بالموصل ق7هـ/13م (شكل77)، ومآذن جامع سمنان وجامع أصفهان وجامع يزد في إيران.

6- **المئذنة اليمنية:** تتميز اليمن بأن لكل منطقة جغرافية منها طرازها الخاص والمميز من المآذن ومنها:

- **طراز المئذنة الصنعانية:** تتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن ينتهي عند شرفة يعلوها بدن مضلع مغطى بقبة، وتعد مئذنتا الجامع الكبير الأيوبيتين أقدم أمثلة هذا الطراز من المآذن واستمر بناء مآذن صنعاء على شاكلتها حتى اليوم (شكل78).
- **طراز مئذنة المهجم:** تتكون من قاعدة مربعة أو مثمنة وبدن مثمن مرتفع شغلت أضلاعه بعناصر زخرفية على هيئة دخلات مزخرفة بوحدات تشبه الستائر الجصية، وينتهي البدن بجوسق مثمن ذو ثمان فتحات ويغطيه قمة مخروطية مقرنصة ومن أمثلته وتمثلها مئذنة جامع المظفر بالمهجم (شكل79)، ومئذنة المدرسة الفرحانية بزبيد ومئذنة الجامع الكبير بزبيد والجامع الكبير بإب والجامع الكبير بجبن، ومئذنة جامع الجند بتعز والمدرسة الإسكندرية بحيس، ومئذنة مسجد الدويدار بزبيد.
- **طراز مئذنة الأشرفية:** تتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن ذو تجويفات على هيئة محاريب صماء معقودة، يلي البدن شرفة ثم بدن آخر ذو تجويفات صماء يليه شرفة ثانية يليها بدن ثالث متوج بقمة على هيئة نصف قبة كروية، ومن أقدم أمثلتها الباقية مئذنتا المدرسة الأشرفية 800-805هـ(شكل80)، وكانت تشبهها المئذنة الأصلية لجامع المظفر ومئذنة المدرسة الظاهرية بتعز من العصر الرسولي، ومئذنة المدرسة المنصورية بجبن من العصر الطاهري.
- **طراز المئذنة الحضرمية:** تتميز بشكلها المربع متعدد الطوابق بحيث يقل اتساع كل طابق عن الطابق الذي يقع أسفله، ويشغل أضلاع كل طابق نوافذ معقودة فوق بعضها ومن أجمل أمثلتها مئذنة جامع المحضار بتريم (شكل81).
- **طراز المئذنة المنبرية:** يتكون من قاعدة مربعة يعلوها بدن مربع لا يزيد ارتفاعه عن3م مغطى بقبة يصعد إليه بواسطة سلم خارجي يكتنفه من الجانبين جداران مائلان مع السلم بحيث يشكلا ساتراً يشبه شكل ريشتي المنبر ودرابزينه، وقد

انتشر هذا النوع من المآذن في منطقة تهامة من أمثلتها مئذنة المدرسة الدعاسية 665هـ التي تعد أقدم مئذنة مؤرخة من هذا النوع، ومآذن المدارس المنصورية626-647هـ والياقوتية 840هـ بزبيد، ومسجد ابن أبي الخل ومسجد الكيلة ومدرستا الهتاري والمعجار بحيس (شكل82).

- **طراز المئذنة الأسطوانية:** تتكون من قاعدة مثمنة أو مربعة وبدن أسطواني مرتفع يستدق لأعلى حتى ينتهي بشرفة دائرية محمولة على خمسة صفوف من المقرنصات، ويلي الشرفة بدن مثمن يستدق لأعلى أيضاً حتى ينتهي بثمان فتحات معقودة تعلوها قمة مخروطية ذات مقرنصات منشورية متعددة الحطات، وهذا النوع من المآذن وجد في العديد من المنشآت الدينية وأقدمها المئذنة الشمالية بجامع ذي أشرق410هـ/1019م[1] ومئذنة الجامع الكبير بثلا، ومئذنة جامع حوث ومئذنة المدرسة الإسكندرية بزبيد (شكل83) ومئذنة مسجد ركيز بحيس ، ومئذنة الجامع الكبير بالقطيع[2] ومئذنة مسجد عبدالله بن علي بالدريهمي[3]، وبعض مآذن مساجد مدينة صعدة.

وهذا الطراز من حيث العناصر المعمارية يشكل خليطاً من أجزاء متنوعة من المآذن اليمنية، وذلك على النحو التالي: قاعدة المئذنة المثمنة وجدت في العديد من المآذن اليمنية ومنها مئذنة جامع المظفر بالمهجم (قبل 665هـ/1267م) (شكل341) ومئذنة المدرسة الفرحانية الرسولية بزبيد (قبل 836هـ/1433م)، والمدرسة الإسكندرية بحيس 864-883هـ/1460-1478م[4]، ومئذنة الجامع الكبير بجبن 864-883هـ/1460-1478م[5] والجامع الكبير بإب894-923هـ/1489-1517م[6]، ومسجد ومدرسة الدويدار بزبيد[7]، وأما البدن الأسطواني فقد وجد في العديد من المآذن حيث إنه جزء ثابت في المئذنة الصنعانية، وأما البدن المثمن الصغير فقد جد في عدد من المآذن ومنها مئذنة جامع المهجم، ومآذن الأشرفية، والظاهرية831-842هـ/1428-1838م والجامع الكبير بزبيد،

1- مصطفى شيحة، المدخل، ص66، بربارة فنستر، تقارير أثرية من اليمن، ترجمة عبدالفتاح البركاوي(د)، الجزء الأول، المعهد الألماني للآثار، صنعاء 1982، ص 45، 46.

2- ISMEO, REPORT, 1985, P388.

3- STEVEN, TIHAMAH, P75.

4- عبد الله الحداد، مساجد ومدارس، ص236، 240.

5- إبراهيم المطاع، المدرسة المنصورية، ص134، 135.

6- مصطفى شيحة، المدخل، ص60.

7- STEVEN, TIHAMAH, P78.

الكبير بزبيد، وأما القمة المخروطية ذات المقرنصات المنشورية فقد وجدت في العديد من المآذن ومنها مئذنة جامع المهجم (قبل665هـ/1267م) التي تعد أقدم مئذنة ذات قمة مخروطية مقرنصة في اليمن[1]، ثم انتشرت بعد ذلك فوجدت في مآذن المدرسة الفرحانية والجامعين الكبير والأشاعر بزبيد [2]، ومئذنة الجامع الكبير بإب[3]، ومآذن الجامع الكبير ومسجد البخاري ومسجد الخامري والمدرسة المجاهدية (الإسكندرية) بحيس[4]، وهذه القمم المخروطية ذات المقرنصات المنشورية وجدت في العديد من القباب المخروطية في العالم الإسلامي كما في قبة زمردة خاتون ببغداد، وقبة مشهد الشمس في الحلة وقبة الإمام محمد الباقر في داقوق[5].

تاسعاً: الروافع:

تتكون من كل من: الأعمدة، الأكتاف، الدعائم، العقود، وجميعها قد تبنى على شكل بوائك – جمع بائكة – (شكل84) تحمل سقف المسجد أو المبنى بالاشتراك مع الجدران، وسبب لجوء المعمار إلى استخدام الروافع يهدف إلى جعل مساحة المسجد الداخلية خالية من الجدران حتى يتسع المسجد لعدد أكبر من المصلين وكذلك ليرى بعضهم بعضاً على عكس ما إذا استخدمت الجدران بدلاً عن الروافع، وتتكون الروافع من:

1- الأعمدة: (شكل85)

العمود وجمعه أعمدة وعُمد قطعة واحدة من الحجر مستديرة الشكل أو مربعة[6] أو مضلعة في أسفلها قاعدة وفي أعلاها تاج، وتنصب الأعمدة في المباني لحمل العقود سواء في البوائك أو عقود المحاريب ..الخ، يتكون العمود من ثلاثة أقسام: التاج وهو الجزء الأعلى من العمود ويكون في الغالب مزخرفاً بأشكال نباتية أو هندسية أو حيوانية، وعليه تستند رجل العقد وقد يعلو التاج قطعة خشبية تسمى طنفة أو طبلية، البدن: ويشكل الجزء الأكبر من العمود ويكون على شكل أسطواني أو مضلع، القاعدة: وهي الجزء الأسفل من العمود وتكون بشكل مشابه للتاج.

1- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص235، 240، 241.

2- مصطفى شيحة، المدخل، ص49، 52.

3- مصطفى شيحة، المدخل، ص60.

4- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص241.

5- كامل حيدر ، العمارة العربية، ص48، 49، 54.

6- محمد امين، المصطلحات المسارية، ص82.

2- الدعامات:

دعم الشيء يدعمه أي مال فأقامه، والدعم التقوية، والدعامة عماد البيت ويقصد بها في العمارة ما يقوى بها البناء أو يحمل عليه السقف عوضاً عن الأعمدة[1]، أي أنها كتل البناء المربعة أو المستطيلة أو المتقاطعة التي تحمل العقود أو تحمل السقف مباشرة، وقد استخدمت الدعامات بأنواعها المختلفة على نطاق واسع في العمارة الإسلامية، ويرجع سبب تفضيل المعمار للدعامات على الأعمدة إلى سهولة بناءها بأي مادة متوفرة كالأحجار في المناطق الجبلية والآجر في المناطق السهلية التي تتوفر فيها التربة الطينية اللازمة لصناعة الآجر.

3- الأكتاف:

الكتف: يقصد بها كتف الإنسان وجمعها أكتاف ويستخدم اللفظ في العمارة على سبيل التشبيه[2] ويقصد به بناء إضافي على شكل دعامات مستطيلة أو مربعة ملتصقة بالجدران ومتصلة بها، بنيت خصيصاً لحمل أرجل العقود التي تستند على الجدران، وقد وجدت في معظم المباني الإسلامية.

4- العقود:

العقد: طاق البناء المعطوف، أي طاق في البناء على شكل قوس، ويعد العقد من أبرز العناصر المعمارية وضوحاً في العمارة الإسلامية، ومن أكثرها استخداماً وتنوعاً، والعقد في الأصل مكون من عدة قطع من الأحجار أو الآجر تبنى بشكل مقوس بحيث يشكل تلاحمها وضغطها على بعضها قوة تمنعها من السقوط، ويتكون العقد من عدة أجزاء: رجلا العقد وهما الطرفان السفليان له، وبطن العقد وهو الوجه الأسفل للعقد، وصنجات العقد وهي القطع المبني منها العقد، ومفتاح العقد وهو القطعة الحجرية أو الآجرية التي تقع في منتصف العقد من أعلى بحيث تشكل آخر قطعة تبنى من العقد وبدونها يسقط العقد إذا أزيلت أو ضعفت، وللعقد عدة أنواع من أهمها:

العقد نصف الدائري: (شكل86)

يتكون من قطاع على شكل نصف دائرة وقد وجد هذا العقد لأول مرة في العمارة

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص47.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص93.

الساسانية واستمر استخدامه في العصر الإسلامي منذ العصر الأموي كما في قبة الصخرة72هـ/791م، وقصر الحير الشرقي110هـ/729م [1].

العقد المدبب:

انتشر استخدام هذا النوع من العقود بكثرة في العمارة الإسلامية وله عدة أنواع منها:

العقد المدبب ذو المركزين: (شكل87)

يتكون هذا العقد من قوسين يرسمان من مركزين ويلتقي القوسان عند قمة العقد المدببة[2]، وقد عرف هذا النوع من العقود قبل الإسلام كما في قصر ابن وردان بحمص 561-564م، ثم في شبابيك الواجهة الخلفية لطاق كسرى 531-579م وقيل من سنة 242-272م، واستخدم في العصر الإسلامي في عقود المجاز القاطع بالجامع الأموي بدمشق 86-97هـ/705-715م، ثم في قصير عمرة 94-97هـ/712-715م[3]، وقد وجد هذا النوع من العقود لأول مرة في اليمن في القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي في البائكة الرابعة من ظلة القبلة بجامع السيدة بنت أحمد بجبلة480هـ/1087م[4]، واستمر استخدامه في العصرين الرسولي626-858هـ/1229-1454م، والطاهري858-923هـ/1454-1517م كما في الجامع الكبير بزبيد[5]، وفي معظم مساجد حيس ومدارسها[6].

العقد المدبب ذو الأربعة مراكز: (شكل88)

يتكون من أربعة أقواس اثنان صغيران واثنان كبيران مماسين لهما يلتقيان عند القمة وترسم الأقواس من أربعة مراكز[7]، وهذا العقد من ابتكار المسلمين، وقد وجد لأول مرة على واجهة باب بغداد بمدينة الرقة ثم في جامع أبي دلف بسامراء، ولذلك يطلق عليها الدكتور فريد شافعي اسم العقد العراقي[8] ، من أمثلته في اليمن عقود رواق الصحن بالمدرسة الإسكندرية بزبيد.

1- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر، ص173، 203.

2- فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص201.

3- فريد شافعي، العمارة العربية في مصر، ص173، 174.

4- عبدالله كامل، دراسة معمارية، ص212.

5- مصطفى شيحة، المدخل، ص47.

6- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص247.

7- فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص 201.

8- فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص 201

العقد الفاطمي: (شكل89)

يتكون من قوسين ومن مستقيمين مماسين لهما يلتقيان عند القمة، وهو عقد من ابتكار المسلمين واقدم مثل له وجد في الجامع الأزهر[1]، وقد وجد هذا العقد في اليمن لأول مرة في بعض عقود جامع السيدة بنت أحمد ومحرابه بجبلة سنة 480هـ/1087م[2]، وشاع استخدامه في العصر الرسولي 626-858هـ/129-1454م ونرى أقدم مثل له في الجامع الكبير بحيس 682هـ/1283م وفي بوابة قصر السلطان المظفر بحيس (قلعة حيس)647-694هـ/1249-1495م وفي المدرستين المعتبية قبل 796هـ/1394م والأشرفية800هـ/1398م، كما وجد في كثير من مساجد حيس ومدارسها سواء في العقود الحاملة للقباب أم في عقود الأبواب والشبابيك كما في مساجد البخاري والمدرسة والكيلة والخامري، ومدارس الهتاري والمعجار المجاهدية (الإسكندرية)[3]، كما وجد في التجديد الطاهري للجامع الكبير ببيت الفقيه864-883هـ/1460-1478م[4]، وفي مسجد عبدالله بن علي بالدريهمي[5]، وكذلك في العقد الخارجي لباب الشبارق، وعقود مصلى المدرسة الإسكندرية بزبيد.

العقد المفصص:

يتكون من سلسلة من الأقواس الصغيرة المتتالية، وترجع أصول العقد المفصص إلى عصر ما قبل الإسلام وأقدم مثل باق له العقد الذي يؤطر مدخل إيوان كسرى في طيسفون، أما في العصر الإسلامي فقد وجد منذ العصر العباسي كما في باب بغداد بمدينة الرقة 155هـ/772م، وفي قصر الأخيضر وجامع سامراء وقصر العاشق، وقد بلغ هذا النوع أوج تطوره في العمارة الأندلسية[6]، وهذا النوع من العقود استخدم في وظيفتين:

الأولى: وظيفة معمارية، والوظيفة الثانية زخرفية، وقد وجد في كثير من المنشآت الإسلامية في اليمن وخارجها وهذا النوع من العقود عبارة عن حلية معمارية تزين واجهة

1- فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص 201، العمارة العربية في مصر، ص 207.

2- عبدالله كامل، دراسة مقارنة، ص213.

3- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص248.

4- ISMEO, REPORT, 1985, P446.

5- NANKIVELL,,TIHAMAH, P63.

6- فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص203، العمارة العربية في مصر، ص181، 209، السيد عبد العزيز سالم(د)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984م، ج1، ص369، زكي محمد حسن (دكتور)، فنون الإسلام، دار الفكر العربي، دون تاريخ، ص151.

العقد الأصلي، والذي يمكن تسميته باسم العقد الزخرفي المفصص، ولهذا العقد أنواع كثيرة تدل على التذوق الفني للمعمار وإعجابه الشديد به وتفضيله على غيره ولذلك تنوعت أشكاله وتعددت فصوصه ومنها:

عقد ذو ثلاثة فصوص: (شكل90) وجد هذا العقد في اليمن منذ فترة مبكرة وأقدم مثل باق له العقود التي تتوج دخلات واجهة ظلة القبلة المطلة على الصحن بمسجد ذي أشرق410هـ/1019م[1]، واستمر استخدامه في العصر الرسولي وأقدم مثل باق له من هذا العصر عقد حنية محراب المدرسة الدعاسية بزبيد665هـ/1267م[2].

عقد ذو خمسة فصوص: (شكل91) وكان أقدم استخدام لهذا العقد في اليمن على التحف الرسولية ومنها شاهد قبر الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن السلطان المظفر (ت711هـ/1311م) في مدينة ظفار والمحفوظ في متحف فكتوريا وألبرت بلندن[3].

عقد ذو تسعة فصوص: (شكل92) وجد هذا النوع من العقود قبل ذلك في محراب المدرسة المعتبية قبل796هـ/1394م، والمدخل الجنوبي للمدرسة الأشرفية بتعز[4]، ومسجد المشراعة ببيت الفقيه[5].

عقد ذو أحد عشر فصاً: (شكل93) من أمثلته عقد المدخل الرئيسي لقلعة زبيد وعقد محراب المدرسة المجاهدية بحيس864-883هـ/1460-1478م[6].

عقد ذو ثلاثة عشر فصاً: ومن أمثلته عقد المدخل الجنوبي للمدرسة الأشرفية بتعز[7]، ومداخل مسجد العدني بزبيد[8]، والمدخل الأوسط لمسجد ابن علي ومداخل مصلى مدرسة الهتاري بحيس[9].

عقد ذو سبعة عشر فصاً: (شكل94) من أمثلته عقد المدخل الرئيسي لقلعة زبيد، وعقد

1- مصطفى شيحة، المدخل، ص65، 66.

2- محمد سيف النصر أبو الفتوح(د)، المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد، مجلة كلية الآداب قنا، جامعة أسيوط، العدد الثاني1992م، ص300

3- VENETIA ANN PORTER, THA ART OF THE RASULIDS: YEMEN 3000 YEARS OF ART AND CIVILISATION IN ARABIA FELIX, EDITED BY: WERNER DAUM, PUBLISHED BY: INNSBRUCK: PINGUIN VERLAG,1988,P249,250.

4- NOHA SADEK, PATRONAGE, P317,401,402,408.

5- ISMEO, REPORT, 1985, P388.

6- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص251.

7- NOHA SADEK, PATRONAGE, P407,408.

8- CENTER, RESEARCH, P175.

9- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص251.

صدر محراب المدرسة المجاهدية (الإسكندرية) بحيس864-883هـ/1460-1478م [1]، وعقد المدخل الجنوبي لجامع الأشاعر بزبيد(2).

عقد ذو واحد وعشرين فصاً: من أمثلته العقد الخارجي لباب سهام.

العقد المنكسر: (شكل95)

ويقصد به العقد الذي يتعانق طرفاه العلويان على شكل زاوية ويشكل طرفا العقد معاً شكل مثلث، وقد وجد هذا النوع من العقود في اليمن لأول مرة في بعض عقود جامع السيدة بنت أحمد بجبلة480هـ/1087م[3]، وكذلك في عقود مصلى المدرسة المنصورية العليا وعقود قاعة الدرس في المدرسة المنصورية السفلى بزبيد[4]، وعقود القسم الشرقي من الجامع الكبير بحيس682هـ/1283م.

عقد حدوة الفرس: (شكل96)

يتميز بأن تقويسه لا يقف عند الخط الأفقي الذي يقع عليه مركز العقد إذا كان العقد ذا قطاع نصف دائري أو يقع عليه إذا كان مدبباً ولذلك يظهر على شكل قطاع دائرة أكبر من نصف الدائرة[5]، وقد وجد هذا العقد لأول مرة في العصر الساساني في المعارض عند المدائن، وفي طاق غراء، وواجهات العمائر المرسومة على الأواني المعدنية الساسانية، وأقدم مثل مؤرخ في عمائر عصر ما قبل الإسلام وجد في معمدانية مار يعقوب بمدينة نصيبين سنة359م[6]، ووجد هذا العقد في العصر الإسلامي لأول مرة في عقود صحن الجامع الأموي بدمشق وشبابيكه، وانتشر بعد ذلك في مختلف البلاد الإسلامية وخاصة المغرب الإسلامي والأندلس كما في جامع القيروان وجامع قرطبة وجامع أحمد بن طولون بالقاهرة[7]، ووجد أيضاً في اليمن كما قطاع حنية محراب الجامع

1- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص251.

2- مصطفى شيحة، المدخل، ص50.

3- عبدالله كامل، دراسة مقارنة، ص114.

4- عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص149، 153.

5- زكي حسن، الفنون الإسلامية، ص139، 150، فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص202، العمارة العربية في مصر، ص173.

6- زكي حسن، الفنون الإسلامية، ص139، 150، فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص202، العمارة العربية في مصر، ص173.

7- زكي حسن، الفنون الإسلامية، ص139، 150، فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص202، العمارة العربية في مصر، ص173، 203.

الكبير بحيس 682هـ/1283م وفي دخلات مصلى المدرسة الفرحانية بزبيد (بعد836هـ/1433م[1]، وشبابيك مسجد ومدرسة الماس بزبيد أيضاً[2].

العقد المدائني: (شكل97)

يتكون من ثلاثة فصوص الأوسط فص كامل والآخران على هيئة نصفي عقد يكتنفان الفص الأوسط من الجانبين، وقد يكون هذا العقد مقرنصاً وقد يكون مجرداً[3]، وقد انتشر هذا النوع من العقود انتشاراً واسعاً في العمارة العثمانية، ومن أمثلته في اليمن عقود شبابيك الحجرة التي تعلو باب القرتب وعقد مدخل فناء المجمع الحكومي الذي يتوسط داري الحكومة والضيافة بزبيد

العقد القوسي: (شكل98)

هو عقد قريب الشكل من العقد نصف الدائري لكن استدارته بها امتداد من الجانبين، ومن أمثلته عقود شبابيك الطابقين الأول والثاني لدار الحكومة بزبيد.

العقد العاتق: (شكل99)

هو عقد يشبه العقد القوسي لكنه أكثر انخفاضاً منه، ويبنى هذا العقد فوق عتب فتحات الشبابيك والأبواب لكي يخفف عنها الضغط الطارد الناتج عن أحجار المداميك التي تعلو الفتحات.

العقد المستقيم: (شكل100)

هو عقد مكون من عدة أحجار متلاصقة على شكل مدماك أفقي يعلو الفتحات، وهو بذلك يشبه العتب الذي يعلو الفتحات لكن الأخير- العتب- مكون من قطعة واحدة من الأحجار أو الأخشاب، أما العقد المستقيم فيتكون من عدة أحجار قد تكون مربعة أو مستطيلة أو مزررة على شكل أوراق ثلاثية أو أشكال هندسية.

عقود متنوعة:

هناك عقود أخرى متنوعة تتوج الدخلات والخزانات ودخلات المزاغل المزدوجة والمفردة والسقاطات المائلة ومنها: عقود ذات قطاع منكسر تبرز من ضلعيه زوايا مسننة قائمة كما في شبابيك تكنة نوبة الكتف بزبيد، ودخلات حفظ الأمتعة في مسجد الموفى

1- عبدالله الراشد، المنشآت المعمارية، ص297.

2- STEVEN, TIHAMAH, P76.

3- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص81، 102.

الأعلى وميضأة المدرسة المجاهدية(الإسكندرية) بحيس 864 -883هـ/1460-1478م[1]، وكذلك في مسجد عبدالله بن علي بالدريهمي ومسجدي الماس والدويدار بزبيد[2]، والعقد المخروطي الشكل والذي يتوج عدد من الشبابيك والدخلات في منشآت قلعة زبيد وبعض مدارس حيس وزبيد، والعقد الرمحي، والعقد المنفوخ.

عاشراً: المقصورة:

المقصورة: الدار أو المكان المحصن بالحيطان، والمقصورة من الدار مخصصة لصاحب الدار ويقصد بها مكان ذو ساتر ومقصور على استعمال معين، ويدل في العمارة على مقام الإمام أمام المحراب والذي يحيط به سياج من خشب الخرط[3].

والمقصورة عنصر معماري أضيف على عمارة المسجد قرب المحراب ليحمي الإمام الذي هو خليفة المسلمين من تعرضه للقتل، وقيل إن أول من أضافها للمسجد هو الخليفة عثمان بن عفانﷺ حتى لا يتعرض لما تعرض له الخليفة عمر بن الخطابﷺ الذي قتل في المسجد أثناء صلاة الصبح، وقيل إن أول من أضافها معاوية بن أبي سفيان سنة 44هـ/664م بعد محاولة قتله من قبل الخوارج هو وعمرو بن العاص وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث نجح الخوارج في قتل الخليفة وفشلوا في قتل معاوية وعمرو.

وكانت المقاصير في أول نشأتها مبنية من الحجارة أو الآجر ثم صنعت بعد ذلك من الخشب على هيئة أحجبة خشبية مفرغة مصنوعة من خشب الخرط الشبيهة بالمشربيات، أي أن المقصورة تحتوي على فتحات حتى يتمكن المصلون من رؤية الإمام أثناء الصلاة، وتعد مقصورة جامع القيروان أقدم المقصورات الباقية من العصر الإسلامي حيث تؤرخ فيما بين 406-440هـ.

الحادي عشر: بيت المال: (شكل101)

تتكون من بناء صغير مربع أو مستطيل يتوسط صحن المسجد مخصص لحفظ أموال المسلمين حتى لا يتعرض للسرقة حيث إن وجوده في السجد يجعل من الوازع الديني سبيلاً لحمايته فضلاً عن عمران المسجد بالمصلين والدارسين طوال الأربع وعشرين ساعة، ومن أمثلة بيوت المال ذلك الذي كان يتوسط صحن مسجد عمرو بن العاص

1- عبدالله الحداد، مساجد ومدارس، ص252.

2- STEVEN, TIHAMAH. P75,78, NANKIVELL,TIHAMAH PORTFOLIO, P63.

3- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص113.

بالفسطاط والذي يرجع أضافه أسامة بن زيد المتوفى سنة 97هـ/725م وكانت مكونة من حجرة مثمنة مغطاة بقبة محمولة على ثمانية أعمدة أسطوانية، ويتم الوصول إليها بواسطة سلم متحرك، وفي سنة 378هـ/988م أضاف الخليفة الفاطمي العزيز بالله فوارة تحت قبة بيت المال فيما بين الأعمدة الثمانية الحاملة لبيت المال، وقد وجدت بيت المال في بعض مساجد اليمن ومن أهمها تلك التي تتوسط صحن الجامع الكبير بصنعاء.

الثاني عشر: دكة المبلغ: (شكل102)

دك دكه دكاً، الدك المستوي من الأرض، والدكة والدكاء ما يسطح أعلاه كالمقعد، وبذلك أصبحت الدكة مقاعد يجلس الناس عليها الأسواق لعرض بضائعهم، والدكة عبارة عن مسطبة مصنوعة من الخشب[1]، والدكة في العمارة الدينية مكان مخصص للمؤذنين تقع أمام المحراب في الجهة المقابلة له قرب الصحن، أي أنها مخصصة لصلاة المؤذنين حتى يرددون بعد الإمام تكبيرات الصلاة بصوت عال ليسمع المصلون في مؤخرة المسجد ويتابعون الإمام في أداء الصلاة.

الثالث عشر: الخلاوي:

الخلوة وجمعها خلاوي: حجرة صغيرة بدون شبابيك أو ذات شبابيك عالية وصغيرة مخصصة للصوفية كي يختلون فيها بأنفسهم للعبادة، ومنها أيضاً خلاوي الطلبة ويقصد بها حجرات السكن المخصصة للطلاب في المدارس، وتعرف في اليمن باسم المنازل ومفردها منزله.

الرابع عشر: الميضأة:

الميضأة: مطهرة كبيرة يتوضأ الناس منها، وموقعها بجانب المساجد والمدارس وأماكن الصلاة[2] وتحتوي الميضأة على مراحيض وأحواض للتطهير، والميضأة في اليمن تتكون في الغالب من بركة مملوءة بالمياه ويحيط بالبركة عدد من المقاعد للوضوء وحولها عدد من المراحيض، كما في الجامع الكبير بصنعاء وجامع الجند بتعز وجامع الأشاعر بزبيد وغيرها من الجوامع والمساجد والمدارس.

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص47، 48.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص118.

الخامس عشر: المكسلة: (شكل103)

المكسلة مشتقة من الكسل، ويقصد بها في العمارة مسطبتان تتقدما أبواب المنشآت الدينية ملاصقتان للحجر البارز للمدخل وهما مخصصتان لجلوس الناس واستراحتهم أثناء لبس النعال أو للقعود ومشاهدة الطريق كما هي مخصصة أيضاً لجلوس حراس المبنى.

السادس عشر: الفوارة:

فار الماء يفور فوراً نبع وجرى، وفارت القدر غليت ماؤها، والفوارة منبع الماء، ويقصد بها في العمارة الماسورة أو الأنبوب[1] الذي تتجه فوهته إلى أعلى حيث يندفع منها الماء إلى أعلى ثم يتساقط داخل الفسقية أو الحوض المحيط به أو البركة.

السابع عشر: الفسقية: (شكل104)

يقصد بالفسقية حوض الماء المعد لغسل الأرجل قبل الدخول إلى الميضأة لتنظيفها مما علق بها من أتربة قبل البدء بالوضوء، أي أنها عبارة عن حفرة غير عميقة في الأرض مملوءة بالمياه، وقد تفنن المعمار في تشكيلها على هيئات دائرية ومربعة ومستطيلة ومثمنة وأشكال الورود، وكساها بالفسيفساء وزخرفها بالألوان المختلفة، ومن أجمل أمثلتها فسقية المدرسة الإسكندرية بزبيد.

الثامن عشر: الشرفة: (شكل105)

الشرفة وتجمع على شرفات وشراريف يقصد بها المكان العالي المشرف على الشارع أو الحديقة، والشرفة ما يوضع على أعالي القصور والمنشآت الدينية[2] من كتل بنائية منفذة بنفس المادة التي بنيت منها المنشأة، حيث توجت معظم المنشآت وخاصة الدينية والعسكرية بشرفات متنوعة الأشكال ومنها: الشرافات الثلاثية: وهي مبنية على شكل ورقة ثلاثية الفصوص، والشرفات الخماسية المكونة على شكل ورقة خماسية الفصوص، والشرفات المسننة عبارة عن قوالب من الآجر مثلثة الشكل قاعدتها لأسفل وقمتها لأعلى، والشرفات المتدرجة مكونة من كتلة بني جانبيها بشكل متدرج يشبه السلم، والشرفات الدرعية ما بني منها على شكل الدرع، والشرفات العرائسية ما بني منها على شكل الإنسان أو العرائس.

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص87.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص70.

التاسع عشر: الإفريز:

فرزت الشي عزلته عن غيره وميزته، وإفريز الحائط يقصد به حلية معمارية بارزة تقع أسفل السقف وتحيط بجدران المبنى تحتوي على زخارف متنوعو هندسية وكتابية ونباتية، ومعمارية.[1]

العشرون: الساباط:

الساباط وجمعها سوابط وساباطات: سقيفة أو جسر ممتد فوق الطريق بين حائطين أو منزلين[2] ويكون مصنوعاً في الغالب من الخشب، أو مبنياً من الحجارة فوق دعامتين أو أعمدة ملتصقة بالجدران، وقد وجد الساباط في بعض منازل اليمن وخاصة المنازل القديمة في صنعاء وثلا وشبام وغيرها، ويبنى الساباط على وجه الخصوص بين منازل الأسرة الواحدة حتى يتمكن الأفراد من الانتقال من منزل إلى آخر دون الحاجة إلى النزول إلى الشارع.

الحادي والعشرون: الجدار الساند(البغلة): (شكل106)

هو عبارة عن جدار يبنى ملاصقاً للواجهات من أسفل وبارتفاع يتفاوت من مكان إلى آخر، وغالباً ما ينتهي من أعلى بشكل مشطوف، والغرض من بنائه تدعيم الأجزاء الضعيفة من الواجهات أو الأجزاء التي توشك على السقوط كما في الجامع الكبير بحيس 682هـ، وفي أسوار قلعة زبيد، وقد عرفت الجدران الساندة في مصر باسم " البغلة" وتبنى ملاصقة للمداميك السفلى من الواجهات بغرض حمايتها من عوامل الانجراف أو الرطوبة بسبب مرور السيول بجوار الواجهات، ومن أمثلتها الجدار الساند أو البغلة التي تدعم الواجهة الشمالية لجامع شبام كوكبان.

المبحث الثاني: العناصر التخطيطية:

أولاً: الصحن: (شكل107)

هو المساحة المكشوفة التي تتوسط المنشآت كالجوامع والمدارس والمنشآت التجارية والمنازل، وقد أطلق عليه المؤرخون والدارسون للعمارة الإسلامية مصطلحات عدة منها:

1- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص16.

2- محمد أمين، المصطلحات المعمارية، ص60.

الفناء الأوسط، الرحبة، الساحة، الباحة، الصرحة، الصوح، الشماسي، الشمسية، الحائر، الدر قاعة، الحرم، وأن كانت أفضل تسمية له هي: الصحن أو الشماسي أو الشمسية، وأفضل هذه التسميات الثلاث الصحن لأنه يتوسط المبنى وكذلك لتعرضه للشمس دون غيره، وكذلك للتفريق بينه وبين عناصر أخرى مشابهة له من حيث الشكل وتختلف عنه في موقعها من البناء، وللتفريق بينها نوضح موقع كل مصطلح منها على النحو التالي:

الفناء: وهو مصطلح يقصد به المساحة المكشوفة المحيطة بالمبنى أياً كان نوعه.

الرحبة: يقال رحبة الدار أو القلعة وهي المساحة المكشوفة المحاطة بجدران وتتقدم الدار من جهة واحدة، ولا تكون الرحبة إلا في المنشآت المدنية والعسكرية.

الساحة والباحة: وهي المساحة المكشوفة التي تتقدم المبنى ولا تحيط بها جدران بل تتصل بالشارع المجاور للمبنى.

الصرحة، الصوح: وهو المساحة المكشوفة المبلطة بالأحجار التي تتقدم المسجد من جهة واحدةأ أو أكثر ولكن لا تحيط بالمبنى كله.

الدر قاعة: تشبه الصحن لكنها تتميز بأن أرضيتها تكون أقل ارتفاعاً من أرضيات المباني المحيطة بها.

الحرم: ويقصد به في العمارة العثمانية الصحن نفسه، وقد اقتصر استعمال هذا المصطلح في العمارة العثمانية دون غيرها.

إن هذه المصطلحات تطلق جميعها على المساحات المكشوفة من المباني بحسب موقعها ووظيفتها وبحسب لهجة البلد ومصطلحاته.

والصحن من حيث الشكل والوظيفة أنشأه المعمار في المسجد مكشوفاً لعدة أسباب منها :

1ـ جلوس الناس فيه في الشتاء لاكتساب الشمس.

2ـ ليضيئ بقية أجزاء المسجد المظلمة.

3- لأداء الصلوات التي يجب أن تصلى في الخلاء المكشوف كصلاة الاستسقاء والعيدين والجنازة.

ثانياً: الفناء: (شكل107)

ذكرنا في المصطلح السابق أنه يطلق على الصحن أيضاً اسم الفناء، والحقيقة أن الفناء غير الصحن لأن الأخير يتوسط المسجد أو المبنى وتحيط به أجزاء المبنى من جميع الجهات، وعكسه الفناء الذي يحيط بالمبنى من جميع الجهات لحمايته وليمون متنفساً

لساكنيه أو المترددين عليه.

ثالثاً: المقدم: (شكل107)

وهو الجزء الذي يوجد فيه المحراب والمنبر ودكة المبلغ وهو مقسم إلى عدة بلاطات وأساكيب بواسطة بوائك مكونة من أعمدة أو دعامات تحمل عقوداً، ويطل على الصحن بواسطة عقود، ولكل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية اسم خاص يطلقه على المقدم، ففي اليمن يطلق عليها اسم المقدم، وفي مصر ظلة القبلة، وفي المغرب والأندلس المسقف القبلي، وفي سوريا الحرم والقبلية، وفي بلدان أخرى رواق القبلة أو إيوان القبلة[1]، وعند المستشرقين بيت الصلاة، وإن كانت أفضل تسمية له هي "المقدم" والتي وردت في كثير من المصادر التاريخية والوثائق التاريخية والنصوص التأسيسية[2]، ولأن موقعه في الجزء الأمامي من المسجد.

رابعاً: المؤخر: (شكل107)

ويقصد به الجزء المقابل للمقدم، ويعرف في أقاليم الدولة الإسلامية بنفس التسميات التي أطلقت على المقدم أي الظلة والإيوان ..الخ، وإن كانت أفضل تسمية له هي المؤخر الذي ورد في كثير من المصادر والوثائق، ولأنه يشكل الجزء الخلفي من المسجد.

خامساً: المجنبتان: (شكل107)

ويقصد بهما ميمنة الصحن وميسرته، وقد أطلق عليهما عدة مصطلحات: ففي اليمن تعرف كل منهما باسم الجناح، وفي مصر الظلتان الجانبيتان، والرواقان الجانبيان والإيوانان الجانبيان، وإن كانت أفضل تسمية لهما هي المجنبتان لوروده في كثير من المصادر التاريخية والنصوص التأسيسية، كما أن مصطلح الجناح أيضاً مناسب لأنهما تقعان على يمين الصحن ويساره الذي يشكل قلب المسجد.

سادساً: الرواق:

الرواق في اللغة: رواق البيت مقدمه والرواق الفسطاط أي الخيمة، أي أن الرواق

1- مصطفى شيحة، الآثار الإسلامية، ص34.

2- أطلق المستشرقون مصطلح بيت الصلاة على مقدم المسجد تشبيهاً لها ببيت الصلاة في الكنائس، محمد حمزة الحداد(د)، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الأثرية والوثائقية والتاريخية، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1996م ص37..

مصطلح متعلق بالمنشآت السكنية ويقصد به الطبقة أو القاعة وكذلك السقيفة التي تتقدم البيت أو المسجد عند مدخله الرئيسي، وفي العمارة أطلق على المساحة المحصورة بين صفين من الروافع أي أنه أطلق على ما يعرف باسم البلاطة والأسكوب، أي أنه لا يوجد فرق بين الرواق والبلاطة والأسكوب، وأطلق علماء الآثار في بعض البلدان مصطلح الرواق على مقدم المسجد أو مؤخره ومجنبتاه، فالمسجد فيها مكون من صحن وأربعة أروقة، وفي اليمن أطلق مصطلح الرواق البلاطات المكونة من صف الروافع المعقودة المطلة على الصحن كما في المدرسة الظاهرية بتعز والعامرية برداع[1].

وأمام هذا اللبس بين مصطلح الرواق والبلاطة والأسكوب والظلة نرى أن نفرق بينها بتحديد مصطلح واحد يدل دلالة واضحة على جزء معين من المبنى حتى لا يحدث خلط لدى القارئ فلا يفرق بين هذا أو ذاك وذلك على النحو التالي:

الرواق: هو المساحات الأربع المطلة على الصحن ببائكة معقودة، كما في مشهد السيدة رقية بالقاهرة (شكل 12)، وصحن سمسرة القاسم بصنعاء (شكل40)، وصحن المدرسة السكندرية بزبيد (شكل35).

البلاطة: هي المساحة العمودية على جدار القبلة المحصورة بين صفين من البوائك.

الأسكوب: هو المساحة الموازية لجدار القبلة والمحصورة بين صفين من البوائك.

الظلة: هي التي تتقدم المدخل وتكون مغطاة بسقف مسطح أو مقبي أو مقبب محمول على أعمدة، ووظيفتها حماية الداخلين إلى المبنى أو الخارجين منه من المطر وحرارة الشمس أثناء لبسهم لنعالهم، كما في الظلات التي تتقدم مداخل قبة الصخرة (شكل7)، ومدخل جامع إب (شكل108).

سابعاً: البلاطة[2]: (شكل107)

البلاط في اللغة الأرض المستوية والأرض المبلطة هي المفروشة بالبلاط المصنوع من الحجارة أو الآجر، والبلاط الحجارة تفرش به الأرض، والبلاطة في العمارة: هي المساحة المحصورة بين صفين من الروافع أو بين صف من الروافع والجدار سواء أكانت عمودية على جدار القبلة أم موازية لها، وتعرف أيضاً في بعض البلاد الإسلامية باسم الأسكوب أوالرواق أوالبهو أوالكور أوالمعزبة والجناح، حسب مصطلحات البلد وثقافتها.

1- محمد حمزة الحداد، المصطلحات الفنية، ص48-65.

2- أنظر مناقشة الفرق بين البلاطة والأسكوب من حيث اللفظ والمكان عند المؤرخين وعلماء الآثار في: محمد حمزة الحداد، المصطلحات الفنية، ص40-48.

ولتوحيد المصطلحات الأثرية في البلاد الإسلامية يفضل الاقتصار على مصطلحين اثنين بدلاً من كل ذلك وهذا المصطلحان هما البلاطة والأسكوب وللتفريق بينهما يفضل أن يطلق مصطلح البلاطة على المساحة المحصورة بين صفين من الروافع وتمتد بشكل عمودي من الصحن حتى جدار القبلة في المقدم أو من الصحن حتى جدار المؤخر، بحيث يحتوي كل من مقدم المسجد ومؤخره ومجنبتيه على أساكيب وهي المساحات الموازية لجدار القبلة، وبلاطات وهي المساحات العمودية على جدار القبلة، ويكون قولنا أن تخطيط المسجد من بلاطات أو أساكيب حسب اتجاه العقود فإذا كانت العقود عمودية على جدار القبلة كان تخطيطه مكون من بلاطات، وإذا كانت العقود موازية كان تخطيطه مكون من أساكيب، وإذا كان يحتوي على عقود موازية وعمودية كان تخطيطه مزدوج بين الأساكيب والبلاطات.

ثامناً: الأسكوب: (شكل107، 109)

الأسكوب في اللغة السكة من النخل، وفي العمارة هو المساحة المحصورة بين صفين من الروافع سواء أكانت تحمل عقوداً أم لا تحمل، وبشرط أن تكون الروافع متجهة بشكل موازي لجدار القبلة، ورغم أن هذا المصطلح لم يرد كثيراً عن المؤرخين والباحثين إلا أنه يمكن استخدامه للتفريق بين بلاطات المسجد الموازية والعمودية حتى لا نضطر إلى القول البلاطات الموازية والبلاطات العمودية.

تاسعاً: البلاطة الوسطى (المجاز القاطع): (شكل110)

يقصد بها بلاطة المحراب وهي البلاطة الوسطى من مقدم المسجد أو مؤخره أو منهما معاً بشرط أن تكون أكثر اتساعاً وارتفاعاً من بقية البلاطات كما في المسجد الأموي بدمشق والمسجد الأقصى بالقدس ومسجد عقبة بن نافع بالقيروان ومسجد السيدة بنت أحمد بجيلة، وهذه البلاطة ترد عند علماء الآثار باسم المجاز القاطع تشبيهاً لها بالمجاز الذي يقطع صفوف الكراسي في الكنائس والقصور الرومانية ويمتد من الباب حتى قدس الأقداس في الكنيسة وكرسي العرش في القصور وهو مخصص لمرور الناس والكهان للوصول إلى قدس الأقداس أو العرش[1].

وهذا المصطلح لا ينطبق على البلاطة الوسطى في المساجد لأنها ليست مخصصة فقط للمرور ولا تفصل الصفوف إلى قسمين ولا تمتد من باب المسجد حتى المحراب،

1- محمد حمزة الحداد، المصطلحات الفنية، ص65-69.

لذلك فإن المصطلح الأكثر دقة هو البلاطة الوسطى كما وردت عند المؤرخين والتي ميزت باتساعها وارتفاعها عن بقية البلاطات كي تدل الناس في الأجزاء الخلفية في المسجد أو عن الدخول إلى موقع المحراب واتجاه القبلة.

عاشراً: الإيوان: (شكل111)

الإيوان: كلمة فارسية معربة مأخوذة من كلمة (إيفان) وتعني قاعة العرش ومنه إيوان كسرى، وفي العمارة عبارة عن وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة مغلقة من ثلاث جهات ومفتوحة من جهة واحدة، أي لها ثلاثة جدران فقط والجهة الرابعة مفتوحة، وغالباً ما يغطي الإيوان قبو مرتفع[1]، وقد وجد الإيوان في مختلف المنشآت كالمنازل والمنشآت الدينية والتجارية وغيرها.

الحادي عشر: السدلة: (شكل112)

السدلة: في اللغة سدلت الشيء أرخيته وأرسلته، وفي الفارسية بيت من ثلاث قباب أو وحدات، وفي العمارة مساحة مربعة أو مستطيلة محاطة بثلاثة جدران مثلها مثل الإيوان[2] لكنها تختلف عنه أن مساحتها صغيرة جداً بحيث قد لا يزيد عمقها عن متر واحد فقط.

المبحث الثالث: العناصر الحربية:

أولاً: البرج:

البُرجُ بالضم الركن والحصن[(3)]، وبرج الحصن ركنه وجمعه بروج وأبراج، وربما سمي الحصن به[(4)]، والبرج كل ظاهر مرتفع ومنه بروج سور المدينة[(5)] وسميت البروج بروجاً لظهورها وبيانها وارتفاعها، وبروج سور المدينة والحصن عبارة عن بيوت تبنى على السور يتجمع فيها الجنود للدفاع عن السور[(6)].

والبرج في العمارة اليمنية القديمة يعرف باسم "محفد" حيث يرد ذكره في النقوش القديمة على أسوار مدينة قرناو المعينية، ثم عمم الاسم بعد ذلك فأصبح يطلق على

1- محمد أمين، المصطلحات، ص17.

2- محمد أمين، المصطلحات، ص62.

3- الفيروزابادي، القاموس المحيط، مادة برج، ص165.

4- الرازي، مختار الصحاح، مادة برج، ص46.

5- محمد أمين، المصطلحات، ص21.

6- محمد أمين، المصطلحات، ص 21، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص199.

الحصن أو المكان العالي المحصن وقصر الملك وغيره سواء كان يقع على قمة جبل أم في مدينة، حيث إن الأصل فيه أن يكون محاطاً بأسوار تحميه[1]، ومن هنا جاء ذكر الهمداني للفظ محفد وجمعه محافد للدلالة على القصور القديمة وكذلك على القلاع والمدن المسورة باعتبار أن جميعها تشترك بصفة واحدة هي إحاطتها بالأسوار[2].

كما يعرف البرج في كثير من المناطق اليمنية ومنها زبيد باسم "النوبة"، ويبدو أنها مشتقة من كلمة ناب عنه ينوب منابا أي قام مقامه، وهي من التناوب على شئ[3]، ونظراً لتناوب الجند على الحراسة في البرج فقد سمي نوبة.

وقد عرفت الأبراج في العمارة الحربية لعصور ما قبل الإسلام في مدن العراق والشام في مدينة آشور1500ق.م وفي الآثار الفرعونية في الأسرة 18= 1600-1400ق.م وفي الآثار الحيثية في زنجرلي وفي سوريا في العصر الآرامي[4]، كما عرفت في عمارة اليمن كما في مدن الدولة السبئية 820-115ق.م ومنها مأرب وصرواح، ومدن الدولة المعينية ق5-2ق.م ومنها يثل وقرناو ونشق ..الخ، ومدن الدولة الحِمْيَرية والتي كانت تعرف باسم مملكة "سبأ وذو ريدان وحضرموت" 115ق.م-525م ومنها العاصمة ظفار، ولذلك لا نستطيع تحديد فترة ظهور الأبراج بأنواعها كل على حده، أو نسبتها كذلك إلى حضارة معينة أو مدينة معينة، وللبرج عدة أنواع نذكر منها:

أبراج نصف دائرية: (شكل33)

ومن أمثلتها البرج الجنوبي لباب الشبارق وهو مكون من طابق واحد شغلت جدرانه بعدد من المزاغل المربعة المفردة منها والمزدوجة، يعلوه ممشى على هيئة جدار ساتر تتخلله عدد من المزاغل المزدوجة والمفردة وعدد من السقاطات البارزة، وبرج نوبة الكتف وكان يتكون من طابقين: أرضي يحتوي على عدد من المزاغل، وطابق أول مماثل لكن سقط سقفه، ويعلو الطابق الأول ممشى محاط بجدار ساتر ارتفاعه "120سم".

وقد وجدت الأبراج نصف الدائرية في العمارة الإسلامية المبكرة في القصور الأموية ومنها قصر المنية، وقصرا الحير الشرقي والغربي 110هـ/729م، وقصرا المشتى

1- فهمي علي بن علي الأغبري، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994م، ص34.

2- الهمداني، الإكليل، ج8، ص50.

3- الرازي، مختار الصحاح، مادة نوب، ص684، الفيروزابادي، القاموس المحيط، مادة نوب، ص129.

4- سعد المؤمني، القلاع، ص365.

والطوبة 129-126هـ/743-744م[1]، ودار إمارة الكوفة والقصر الأموي بالشعيبة[2]، وفي أسوار القاهرة الفاطمية ومنها البرج الواقع غرب باب الفتوح الذي يرجع إلى سنة 480هـ/1087م، وأبراج باب الفتوح وباب النصر وباب زويلة 485هـ/1092م[3]، وأبراج قصري عطشان والأخيضر 161هـ/778م[4]، وأبراج أسوار المدن اليمنية ومنها صنعاء وثلا، وأبراج كثير من قلاع الشام ومنها قلعة الحصن 423هـ/1031م، وقلعة المرقب 454هـ/1062م، وفي أسوار صلاح الدين بالقاهرة وقلعتها 572-579هـ/1176-1183م ومنها برج العلوة وبرج المقوصر وغيرها[5]، وأسوار دمشق ومنها برج الزاوية الشمالية الشرقية القريب من برج الصالح نجم الدين أيوب[6].

أبراج ثلاثة أرباع الدائرة: (شكل33، 34، 38)

ظهر هذا النوع من الأبراج أول ما ظهر في عمارة عصر ما قبل الإسلام كما في مدينة ثاج ق4-3 ق.م[7]، وانتشر استخدامه كثيراً في العمارة الإسلامية في اليمن وخارجها حيث وجدت في أسوار المدن والقلاع والقصور في الفترة الإسلامية المبكرة وخاصة أبراج الزوايا ومنها القصور الأموية كدار الإمارة بالكوفة، وقصر الشعيبة[8]، وقصر المنية، والحير الشرقي، والمشتى والطوبة[9]، والقصور العباسية ومنها الأخيضر

1- كريزويل .ك. أ، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبدالهادي عبلة، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة دمشق، الطبعة الأولى1404هـ/1984م، ص116، 117، 171، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص202، سوسن سليمان، منشآت السيف، ص82.

2- غازي رجب، العمارة العربية، ص76، 198، عمارة البيت العراقي الإسلامي، بحث في كتاب العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها في العمارة بعد الإسلام، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، 1990م، ص30، 31، 44.

3- سوسن سليمان، منشآت السيف، ص82.

4- كريزويل، الآثار الإسلامية، ص257، 266، 279، فريد شافعي، العمارة العربية الإسلامية، ص112

5- عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص115، كريزويل .ك . أ، وصف قلعة الجبل، ترجمة: جمال محمد محرز (دكتور)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م، 30، 31، 41، 44، 48، 51، 53-58، 61، أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج2، الأيوبي، ص26، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص202-206، حسني نويصر، العمارة الأيوبية، ص11، 13، 15، 17، 18، 21، سوسن سليمان، منشآت السيف، ص 83.

6- قتيبة الشهابي ، أبواب دمشق ، ص65، 66، 77، 81.

7- عبد العزيز حميد(د) العمارة والرسوم الجدارية في شبه الجزيرة العربية، العرب قبل الإسلام، بحث ألقي في حلقة دراسية أقامها مركز الإحياء العلمي العربي في 25-2-1990م، ونشرت في كتاب العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها في العمارة بعد الإسلام، جامعة بغداد، 1990م، ص88، 89.

8- غازي رجب، العمارة العربية، ص76، البيت العراقي، ص30، 31، 44، 46.

9- كريزويل، الآثار الإسلامية، ص116، 171، 181، 185، 257، 266، 279.

وعطشان[1]، وفي كثير من أبراج أسوار المدن والقلاع في الشام ومصر ومنها قلعة الحصن 423هـ/1031م، وقلعة المرقب 454هـ/1062م، وقلعة نمرود في الشام، وأبراج سور صلاح الدين في القاهرة وقلعة الجبل ومنها: برج درب المحروق، وبرج الظفر من سور القاهرة، وبرج المبلط، والتخطيط الأصلي والمضاف لبرجي الرملة والحداد وبرج الصحراء من قلعة الجبل[2]، وفي اليمن وجد في كثير من أسوار المدن اليمنية كصنعاء وثلا وشبام كوكبان وتعز وغيرها من المدن، ومن أجمل أمثلتها البرج الشمالي لباب الشبارق ومعظم أبراج قلعة زبيد

أبراج مضلعة:

وهي على عدة أنواع: نصف مثمن، ومسدس، ومثمن كامل، وقد وجدت في العديد من أسوار المدن اليمنية وغير اليمنية ففي خارج اليمن نراها في بعض أبراج أسوار القاهرة الفاطمية ومنها البرج الواقع غرب باب الفتوح والذي يعود إلى عصر تجديد بدر الجمالي لسور القاهرة سنة 480-485هـ/1087-1092م[3]، وفي اليمن البرج الأوسط لمبنى السجن وبرج باب النخل بمدينة زبيد.

أبراج دائرية: (شكل113)

تظهر استدارة البرج في هذا النوع كاملة، وقد وجد في الأبراج الباقية من سور زبيد ومنها برج (نوبة) أبي حسين، وبرج (نوبة) الصديقية، والبرج الواقع شرق باب سهام، وإن كان من المرجح أن استدارة هذه الأبراج لم تظهر إلا بعد زوال جسم السور، مما يمكن أن نستدل معها على أن أبراج سور زبيد وقلعتها كانت في الأصل دائرية الشكل حيث يختفي جزء من استدارتها داخل السور وتظهر هذه الاستدارة في الممرات والحجرات التي تتقدم الأبراج، ويمكننا مشاهدة ذلك بوضوح في أبراج القلعة كلها فيما عدا البرج الأوسط للسجن(برج3) وفي البرج الشمالي لباب الشبارق.

الأبراج المربعة والمستطيلة: (شكل114)

يتكون من مساحة مربعة أو مستطيلة تضم من الداخل عدة طوابق، وهذا النوع من

1- غازي رجب، العمارة العربية، ص 112.

2- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج2، الأيوبي، ص25، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص206، 207، حسني نويصر، العمارة الأيوبية، ص16، 19-22، سوسن سليمان، منشآت السيف، ص83، 84.

3- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص210-212.

الأبراج وجد في عشرات المدن اليمنية قبل الإسلام ومنها على سبيل المثال لا الحصر أبراج مدن حنو الزرير، ومأرب السبئية، وقرناو (معين)، ويثل (براقش) ونشق (البيضاء) المعينية، ومدن ميفعة وكمنا والبريرا ونقب الهجر[1].

كما ظهر في العمارة الإسلامية في اليمن وخارجها، ففي خارج اليمن نراه في أبراج قلعة القاهرة المضافة لبرجي كركيلان والطرفة، والبرج المربع[2] وفي أبراج سور مدينة مراكش[3]، وكذلك في أبراج حصن منتقوط بمرسية، وأبراج أسوار أشبيلية وقرطبة وبعض أبراج غرناطة والمرية وقصبة مالقة وغيرها من مدن الأندلس[4]، ونراه في اليمن في باب القرتب بزبيد.

ثانياً: الجدار الساتر: (شكل115)

هو عبارة عن حائط يعلو الواجهات الخارجية والجانبية أمام الممشى الذي يعلو الثكنات أو الأبراج أو الأبواب أو بدن السور فيما بين الأبراج، مبني بالآجر بارتفاع يتراوح ما بين 120-160سم" ويشغل الجدار الساتر صف أو أكثر من المزاغل المربعة والمستطيلة مزدوجة أو مفردة، وعدد من السقاطات البارزة والمغيبة والمائلة.

ويعرف الجدار الساتر في العمارة اليمنية قبل الإسلام باسم "معذار" ويعني جزءاً من جدار أو حاجز مبني بالحجارة[5]، وجمعها معاذير ويقصد بها الستور بلغة اليمن[6]، وهي الحواجز التي تعلو الأسوار، والمِعْذار في اللهجة المحلية الدارجة حالياً في كثير من المناطق الجنوبية والغربية من اليمن يقصد به الشرفة البارزة عن الجدار أو الظلة التي يُستظل تحتها من حر الشمس، ولذلك يطلق على ظل الشرفة أو الجدار أو الشجرة "عِذْر" ومنه اسم المكان " مَعْذُر" و "مِعذار" لذلك أرجح أن مصطلح معذار في اللغة اليمنية القديمة يقصد به الشرفة البارزة عن مستوى الجدار والتي تستر بظلها الناس من حر الشمس فهي ستور، ومنها اشتق لفظ الجدار الساتر الذي يعلو الأسوار لأنه يستر الجند

1- فهمي الأغبري، التحصينات، ص68، 72، 117، 131، 133، 134،
BRETON,LES FORTIFICATIONS,PP.55,62,64,65,106,110,126, 136.

2- أحمد فكري، مساجد القاهرة، ج2، الأيوبي، ص25، حسني نويصر، العمارة الأيوبية، ص8، 11، 14، 22.

3- رشيد بو روبية(د)، الطراز الموحدي ومشتقاته: الحفصي والمريني والزياني والنصري، بحث في كتاب الفن العربي الإسلامي، ثلاثة أجزاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1995م، ج2، ص253.

4- السيد عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور، ص160.

5- فهمي الأغبري، التحصينات، ص35.

6- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة عذر، ص395.

المارين عبر ممشى السور أثناء الحراسة أو الدفاع عن أعين العدو ويحميهم من هجماتهم كما في أسوار مدينة الدريب وكان ارتفاع الجدار الساتر فيه 2م وسمكه50سم[1]، وأسوار مدينة نشق (البيضاء).

ومن الجدير ذكره هنا أن العمارة الحربية في اليمن لم تعرف الشرافات سواء قبل الإسلام أم في العصر الإسلامي، حيث استخدم الجدار الساتر بدلاً عن الشرافات، كما في أسوار مدينة الدريب[2]، وأسوار مدينة نشق (البيضاء).

وقد استمر استخدام الجدار الساتر في عمارة اليمن الإسلامية كما في أسوار زبيد وصنعاء وصعدة وتعز وقلعة القاهرة بحجة وقلعة رداع وغيرها، حيث فضل المعمار اليمني الجدران الساترة على الشرافات التي استخدمت كثيراً في العمارة الحربية خارج اليمن إلى أنه أكثر حماية للجند من الشرافات بسبب اتصال الجدار الساتر ببعضه بحيث يحمي الجند أثناء حركتهم في الممشى، على عكس الشرافات التي يكون الجند فيها أكثر عرضة للإصابة من قبل المهاجمين من خلال الفتحات أو الفواصل بين الشرفات وخاصة أثناء تحركهم من مكان إلى آخر في الممشى.

ثالثاً: الممشى: (شكل115)

يرتبط الممشى بالجدار الساتر ارتباطاً عضوياً حيث إن الأخير هو الذي يحمي الممشى المكون من ممر استطراق أو مساحة مكشوفة مربعة أو مستطيلة أو دائرية تعلو الأسوار والأبراج والثكنات، مخصصاً لمرور الجند وانتقالهم من مكان إلى آخر أثناء حراسة المدينة والمراقبة والدفاع عنها، كما يمثل عنصر ربط وتوصيل بين الأبراج.

والممشى في العمارة الحربية وجد في اليمن قبل الإسلام كما في سور مدينة الدريب حيث يقع على ارتفاع 2,5م[3]، وفي العمارة الإسلامية وجد في أسوار العديد من المدن والقلاع اليمنية وغير اليمنية وأجمل أمثلتها ممشى أسوار القاهرة الفاطمية، وكان عرضه يسمح بمرور فارسين باتجاهين متضادين، وكذلك في أسوارها الأيوبية وفي أسوار قلعة الجبل التي يبلغ عرض الممشى فيها1,90م[4]:

1- فهمي الأغبري، التحصينات، ص 63.

2- فهمي الأغبري، التحصينات، ص 63

3- فهمي الأغبري، التحصينات، ص 63، 130.

4- عبد الرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص114، كريزويل، وصف قلعة الجبل، ص38، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص214-216.

ووجد في اليمن في أسوار صنعاء التي يذكر المؤرخون أن ممشى سورها كان متسعاً بحيث يمشي عليه فارسان بخيلهما بجوار بعضهما[1]، كما وجد في أسوار مدينة زبيد، وأسوار مدينة صعدة التي بنيت سنة920هـ/1514م، وأسوار مدينة تعز وقلعتها وقلعة رداع وأسوار مدينة ثلا.

رابعاً: المزاغل: (شكل116)

المزاغل بهذا اللفظ لم يرد لها تعريف في اللغة العربية، لكنها ترد بلفظ المرامي[2]، في حين إنه يعرف في اللغة اليمنية القديمة باسم "صوبت" [3] والتي ربما أنها مشتقة من كلمة صوَّب في اللغة العربية وتعني الاتجاه بالشيء نحو الهدف كقوله صوب السهم أو البندقية أي وجهه نحو الهدف واستعد لإطلاقه، في حين يعرف في العمارة الحربية في الأردن باسم الطلاقة وجمعها طلاقات[4].

والمزغل من الناحية المعمارية عبارة عن فتحة لرمي السهام على هيئة شق مستطيل رأسي أو مربع، ضيق من الخارج ومتسع من الداخل لتسهيل حركة المدافعين، وقد وجد في مختلف العمائر الحربية قبل الإسلام وبعده، ومن ذلك مدن اليمن ما قبل الإسلام ومنها نشق (البيضاء) وقرناو (معين) ويثل (براقش) وغيرها[5].

وتعد المزاغل من العناصر التي تميزت بها العمارة الإسلامية عن غيرها من العمائر السابقة لها[6]، وقد استخدمت منذ الفترة المبكرة من العصر الإسلامي وأقدم بقاياها توجد في قصر الحير الغربي 110هـ/728م، وقصر الأخيضر 161هـ/778م ومزاغل الطوابق العليا من أبراج سور سوسة 245هـ/859م وفي أسوار القاهرة الفاطمية480-485هـ/1087-1092م [7].

وقد احتوت العمائر الحربية على ثلاثة أنواع من المزاغل هي: المزاغل المفردة:

1- سيد البنا، دراسة ترميم، ص138.

2- الهروي، علي بن أبي بكر(ت611هـ/1214م)، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق: مطيع المرابط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1972م، ص109.

3- فهمي الأغبري، التحصينات، ص 34، 35.

4- سعد المؤمني، القلاع، ص350، 351.

5- فهمي الأغبري، التحصينات، ص73، 74، 78،

BRETON, LES FORTIFICATIONS,P217,218,221,225.

6- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص197.

7- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص230، سوسن سليمان، منشآت السيف، ص85.

وتتكون من فتحة مربعة أو مستطيلة مباشرة أو مائلة متوجة بعقد صغير منكسر، والمزاغل المزدوجة وتتكون من فتحتي مزغل تقعان داخل فتحة معقودة، وقد تكون الفتحتان مباشرتان أو مائلتان، وهناك المزاغل المتسعة التي تسمح بحركة الأسلحة الضخمة وخاصة المدافع بعد اختراعها، ومن أمثلتها مزاغل أسوار صلاح الدين بالقاهرة ومزاغل أبراج قلعة الجبل وأسوارها والتي تعد تطويراً للمزاغل المستطيلة في أسوار القاهرة الفاطمية من حيث الشكل والوظيفة، وتتميز مزاغل القاهرة وقلعتها بأنه بإمكان المدافع الوقوف بداخلها في حين أنه يقف في مزاغل اليمن داخل حجرة البرج لأن المزغل من الداخل عبارة عن دخلة صغيرة مثلثة، وهناك أيضاً مزاغل مشتركة مع السقاطات: وهذا النوع عبارة عن سقاطات مكونة من دخلة بارزة مستطيلة أو نصف دائرية أو ثلاثية الأضلاع محمولة على كوابيل من الآجر في أرضية كل منها فتحة مائلة نحو الأسفل، مخصصة لإلقاء المواد الحارقة أو السهام على من يحاول تسلق الجدران من الأعداء، وفي الوقت نفسه شغلت جدرانها بمزاغل مفردة مربعة أو مستطيلة، وقد وجد هذا النوع في جميع السقاطات البارزة في الأبواب والتكنات والأبراج.

خامساً: السقاطات[1]: (شكل117)

عبارة عن فتحات بأعلى الأسوار أو البوابات يستخدمها المدافعون في إلقاء المواد الحارقة والأحجار والسهام على كل من يحاول اقتحامها[2]، وهي على نوعين:

سقاطات بارزة:

عبارة عن شرفة تبرز عن جدار السور أو البرج أو الباب محمولة على كوابيل تفتح بينها السقاطات في أرضية الشرفة[3]، وأقدم مثل لها في العمارة الإسلامية المبكرة في قصري الحير الشرقي والغربي 110هـ/728م وقصر هشام شرق مدينة تدمر[4]، كما وجدت في قلاع الشام ومصر ومنها عجلون والعقبة والأزرق والكرك ودمشق وحلب

1- يعرفها كل من الدكتور عبدالرحمن زكي، والدكتور زكي حسن: باسم مشربيات وأنها تتكون من دعائم تتقارب بعضها من بعض وتحمل فوقها حواجز بارزة وبين كل دعامتين فتحة مقفولة بباب مستور يمكن أن تصوب السهام منه إلى رؤوس المهاجمين، وكذلك الزيت والماء المغلي (أنظر) عبدالرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص110، زكي محمد حسن(د)، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، دار الكتاب العربي سوريا، الطبعة الأولى 1984م، ص138.

2- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص 233.

3- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص 233.

4- عبد الرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص110، فريد شافعي، العمارة في مصر، ص146، 193، 274.

والحصن (الأكراد) والشقيف[1]، وفي أسوار القاهرة الفاطمية 480هـ/1087م، وسور دمشق[2].

وقد وجدت السقاطات في اليمن في معظم المنشآت الحربية كأسوار المدن والقلاع ومنها على سبيل المثال: صنعاء وزبيد وثلا وتعز ورداع وغيرها، وتضم ثلاثة نماذج:

الأول: سقاطة بارزة ثلاثية الأضلاع على هيئة نصف مسدس كما في سقاطات الجدران الساترة التي تعلو ثكنات الجند في أبواب زبيد.

الثاني سقاطات بارزة على هيئة نصف دائرة كما في بعض سقاطات الجدار الساتر لثكنتي باب سهام وبرجه الشرقي، والجدار الساتر للثكنة الغربية من القلعة .

الثالث: سقاطات بارزة مستطيلة، ومنها سقاطات الثكنة الشرقية لباب سهام، والطابق الأول لثكنة نوبة الكتف وجدرانها الساترة، وثكنتها، والجدران الساترة للبرج شرق باب سهام، والجدار الساتر من البرج المربع لباب القرتب وثكنته الشرقية.

سقاطات مغيبة:

عبارة عن فتحات رأسية تقع في بطن عقد الباب من الخارج، وفي سقوف الطوابق العليا للممرات الداخلية بالأسوار[3]، ويتميز هذا النوع بعدم إمكانية مشاهدته من خارج الأسوار[4]،وقد وجد هذا النوع في العمارة الإسلامية المبكرة في مداخل قصر الأخيضر"161هـ/778م"، وأرضية الممرات الداخلية بالجزء الأعلى من السور الخارجي للقصر[5]، واستخدم هذا النوع من السقاطات أيضاً في أبواب القاهرة الفاطمية ومنها باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة "480-485هـ/1087-1092م"[6] وكانت ذات خمس فتحات محصورة بين عقدي الباب أعلى المدخل مباشرة، وكذلك في باب التوفيق وهي ذات أربع فتحات، وفي الباب الجديد لسور صلاح الدين، وفي أبواب قلعة الجبل ومنها سقاطة الباب المدرج " 579هـ/1183م"[7]، وفي اليمن وجد هذا النوع من السقاطات فوق الأبواب الأربعة لمدينة زبيد والبابين الرئيسي والنصر من القلعة.

1- سعد المؤمني، القلاع، ص364، 365.

2- عبد الرحمن زكي، العمارة العسكرية، ص117.

3- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص195.

4- أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص233.

5- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص195، حسن الباشا، المدخل، ص175.

6- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص196.

7- فريد شافعي، العمارة في مصر، ص195، أسامة طلعت، أسوار صلاح الدين، ص، 234.

الفصل السادس

الفنــون الزخرفـية

الفصل السادس
الفنـــــون الزخرفـــية

الفنون الزخرفية الإسلامية: هي الفنون التي أنتجتها الشعوب والدول التي اعتنقت الإسلام، لذلك يعد الفن الإسلامي من أهم الفنون العالمية التي أثرت الحضارة الإنسانية عموماً والحضارة الإسلامية خصوصاً، والفن الإسلامي فن أصيل له مميزاته وسماته الخاصة التي يسهل بها التعرف عليه ويستطيع الباحث المتخصص أن يميز بينه وبين غيره من الفنون الأخرى من ناحية وبين طرزه المختلفة من ناحية ثانية.

المبحث الأول: خصائص الفن الإسلامي[1]:

يتميز الفن الإسلامي عن غيره من الفنون بخصائص فنية عدة نذكر أهمها:

أولاً: إنه فن أصيل:

شـــاع في الكثير من كتب المؤرخـــين والباحـــثين في الفنون الإسلامية وخاصة المستشرقين منهم أن الفن الإسلامي قام على التقليد أكثر من الابتكار، ومما لا شك فيه أن هذا الحكم حكم سطحي لا يستند إلى فهم حقيقي لمقومات الفن الإسلامي والأسس التي يقوم عليها، حيث إن ما وصل إليه الفنان المسلم من الابتكار والتنوع في الفنـــون المختلفة التي عالجها وكـــذلك دقـــته ومهارته وإيمانه بعمله وصبره العجيب للوصول إلى أعظم النتائج، إنما يدل أبلغ دلالة على أنه كان قادراً على نقل الأشياء الطبيعية كما هي نقلاً دقيقاً يصل فيه إلى ما وصل إليه الغربيون ولكن هذا الاتجاه بعيد كل البعد عن روح الفنان المسلم بصفة خاصة وعن روح الشرق العربي بصفة عامة، وأن القدرات الإبتكارية التي حققها في زخارفه المتعددة الجوانب، والغنى الفائق الحد في هذه الزخارف ينفي هذه التهمة عنه، بل وتدل أعماله على أصالة وابتكار وعمق وخيال وإيمان لا نجده في كثير من فنون الحضارات الكبرى.

ثانياً: إنه تأثر بجوهر العقيدة الإسلامية:

إن الفن الإسلامي الذي انتشر في الأقاليم العربية ما هو إلا صياغة جديدة للفنون السابقة للإسلام في المناطق العربية، بعد أن تأدبت بآداب الإسلام وتشربت روحه، فقد

---

[1]- أبو صالح الألفي، موجز تاريخ الفن العام،القاهرة، 41965م، ص187-192.

نلاحظ اختلافا ظاهرياً في الأشكال ولكننا نلاحظ أيضاً تآلفاً حقيقياً في الجوهر والمحتوى.

ولاشك أن فنون الإسلام تأثرت بجوهر العقيدة الإسلامية التي وجهها القرآن الكريم والسنة، فإذا نظرنا في كثير من آيات القرآن الكريم فإننا نلمس في العقيدة الإسلامية إيمانا مطلقاً بالله الواحد القهار الخالق المبدع المصور، والإنسان في ظل هذه العقيدة السمحة إنما يبحث عن النجاة بالأعمال الصالحة والسعي الدائب إلى الرزق الحلال، وأنه خلال كل ذلك يشعر بضآلته بالنسبة لهذا الكون الرحب المعجز.

هذه المبادئ والمثل كان لها أثر كبير في صياغة الفنون الإسلامية التي جعلت لها شخصية مستقلة انفردت بها بين الفنون الكبرى، ونستطيع أن نلمس ذلك في كل ما أنتجه الفنانون المسلمون في مختلف البقاع الإسلامية، ومن هذه المبادئ والمثل ما يأتي:

1- البعد عن الترف وتحويل الخسيس إلى نفيس :

إن العقيدة الإسلامية لا تميل إلى الإسراف في الترف، لذلك كانت حياة الرسولﷺ وحياة الخلفاء الراشدين والسلف الصالح من بعده تدل دلالة واضحة على هذا الاتجاه، على أن ازدهار الحضارة الإسلامية والثراء الذي وصل إليه الخلفاء في العصور الإسلامية التالية للعصر الأول أرادت أن تحقق وجودها وأن يستمتع الناس بأدوات وملابس وأشياء فاخرة تتناسب مع الثراء العريض الذي كانوا ينعمون فيه.

ومن هنا نشأت حلول مبتكرة رائعة تحقق المبادئ التي نستشعرها في جوهر العقيدة للمواءمة بين هذه المبادئ وبين الثراء الذي يعيش فيه الخلفاء والأمراء، فابتكر الفنان المسلم الخزف ذي البريق المعدني، وهو في أصله من الصلصال المحروق ثم أضيفت إليه بعض المواد التي تكسبه بريقاً معدنياً يجعله بديلاً صالحاً عن أواني الذهب والفضة، التي حرم الإسلام الأكل أو الشرب بها: فعن أم سلمة قالت قال ﷺ " إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم[1]"، وعن حذيفة بن اليمان قال " نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ومن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه وقال هو لهم –أي الكفار– في الدنيا ولنا في الآخرة[2]"، وكذلك بالنسبة للعمائر حيث المحراب يمثل مركز الأهمية في المسجد، وكان المسلمون يستطيعون أن يصنعوه من الذهب الخالص وأن يرصعوه بالأحجار الكريمة...الخ، ولكن المحاريب صنعت في الأغلب الأعم من الخشب أو كسيت بالجص أو بالبلاطات الخزفية،

[1]- رواه مسلم.

[2]- رواه البخاري.

وقد استطاع الفنان المسلم أن يحيل هذه الخامات الرخيصة – بما أسبغه عليها من زخارف دقيقة وألوان جميلة ومزاوجة بين الخامات – إلى أعمال فنية رائعة.

2- كراهية تصوير الكائنات الحية:

شاعت فكرة تحريم تصوير الكائنات الحية في كثير من الكتب والمؤلفات، بسبب بعض الأحاديث التي تدل على تحريم التصوير المجسم "التماثيل" وكراهية التصوير غير المجسم، وذلك بهدف عبادتها أو تعظيم أفرادها، ومنها: قوله ﷺ " إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون[1]" وقوله " إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير [2]"، وأما ما يراه بعض العلماء من أن الكراهية أو التحريم إنما كان أمراً اقتضته الحكمة في نشر العقيدة وحداثة المسلمين بالإسلام، وبعد رسوخ الإسلام في القلوب أصبح التصوير مباحاً بدليل شيوع التصوير وخاصة الكائنات الحية منذ العصر الأموي وحتى يومنا هذا، فيمكن الرد عليهم بأن ما فعله الأمويون ومن جاء بعدهم هو أمر ابتدعوه وهم الآن بين يدي الله ومحاسبون عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهم ليسو بصحابة رسول الله ﷺ الذين أمرنا بالإقتداء بهم بعد رسول الله، ولا يسوغ لنا عملهم الاقتداء بهم بل الأولى أن نقتدي برسول الله وصحابته من بعده قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا[3]" وقال تعالى " وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[4]" وقال ﷺ " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) [5]"

أما إباحة التصوير استدلالاً بقوله تعالى في قصة سليمان " يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ[6] " فذلك كان شرع من قبلنا، وشرع من قبلنا ليس شرعاً لنا طالما تعارض مع نص صريح في القرآن أو السنة النبوية.

1- رواه البخاري.

2- متفق عليه واللفظ لمسلم.

3- سورة الأحزاب، آية 21.

4- سورة الحشر، جزء من آية 7.

5- رواه البخاري في حديث طويل.

6- سورة سبأ، آية 13.

وبناءً على ما سبق يمكن إيجاز حكم التصوير [1] في أمور ثلاثة:

الأول: بالنسبة للزينة فلا بأس فيها من تصوير كل ما ليس فيه روح كالشجر والحجر ومناظر الطبيعة عملاً بقول ابن عباس لرجل ليس له من حرفة يتكسب بها سوى التصوير لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول "من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ أبدا[2]" فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه، فقال ابن عباس: ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح[3]" ففي هذه الأمور زينة محببة للنفس وتقر بها العين، وفيها غنى كبير عن مضاهاة خلق الله.

الثاني: تصوير الكائنات الحية لأغراض علمية فلا بأس به لحاجة الناس إلى العلم والتعلم من خلال النص والصورة وخاصة في المجالات التي لا يمكن فهمها إلا بوجود صورة توضيحية كالطب والتشريح والهندسة والعلوم والآثار، ويدخل في ذلك لعب الأطفال من الدمى والعرائس[4] بدليل ما قالته أم المؤمنين عائشة ﵂ "أن رسول الله ﷺ قال لها يوماً ما هذا ؟ قللت بناتي، قال وما الذي في وسطهن؟ قالت فرس، قال وما هذا الذي عليه؟ قالت جناحان قال فرس له جناحان؟ قالت أوما سمعت أنه لسليمان بن داوود خيلاً لها أجنحة؟ فضحك حتى بدت نواجذه[5]"، وينطبق حكم الحل على الصور الشخصية الضوئية التي نستخدمها في المعاملات والشهادات والبطائق والجوازات.

الأمر الثالث: تصوير الكائنات الحية كالصور الآدمية و تعليقها في جدران البيوت والمؤسسات الحكومية أو رسمها على الجدران واللوحات الكبيرة وليس لها من هدف سوى تعظيم صاحبها كالرؤساء والملوك فهو أمر ينافي العقيدة الإسلامية يجب إزالتها والإقلاع عن تعليقها، فالله ورسوله أحق أن يتبع دينهما قال ﷺ " مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ [6]"

---

[1]- أنظر تفصيل وخلاصة لحكام التصوير في: يوسف القرضاوي (د)، الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبه، القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون، 1993م، ص 114-115.

[2]- رواه البخاري.

[3]- رواه البخاري.

[4]- أنظر تفصيل ذلك في: القرضاوي، الحلال والحرام، ص102-103.

[5]- رواه أبو داوود.

[6]- رواه لترمذي.

وأعجبني في هذا المقام تفصيل الشيخ القرضاوي للحكمة من تحريم التماثيل نوجزها بما يلي[1]"

1- من أسرار هذا التحريم حماية التوحيد والبعد عن شبهة الوثنيين في تصاويرهم وأوثانهم التي يصنعونها بأيديهم ثم يقدسونها ويقفون أمامها خاشعين، وذلك من باب سد الذرائع إلى المفاسد.
2- بالنسبة لصانع التمثال أو المصور فإنه يتملكه الغرور بما أنتجه وكأنه أنشأ خلقاً من عدم، أو أبدع كائناً حياً من تراب، قال ﷺ " إن الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم[2]"
3- إن الذين يحترفون هذا الفن لا يقفون عند حدود الشريعة فيصورون النساء والرجال عراة، ويصورون مظاهر الوثنية وشعائر الأديان الأخرى.
4- كانت التماثيل وما زالت من مظاهر الترف والتنعم يملأ الناس بها قصورهم، ويزينون بها حجراتهم، ويصنعونها من مواد غالية الثمن وتباع وتشترى بأرقام خيالية، والإسلام يحارب الترف الذي لا معنى له، ولا حدود، ولا قيمة.

3- الانصراف عن التجسيم:

تبتعد الفنون الإسلامية عن التجسيم ابتعاداً واضح الأثر في كل ما أنتجته من أعمال لأنها لا تستهدف من ذلك البحث عن البعد الثالث، وهو العمق في الفنون الغربية، ولكنها تبحث عن عمق آخر تختص به دون الفنون الأخرى وهو العمق الوجداني، هذا العمق الذي نتمثله في قصص ألف ليلة وليلة حيث نرى مجموعة من القصص كل منها في داخل الأخرى، كما نلاحظ ذلك في زخارف التحف الإسلامية المتنوعة كالأشكال الهندسية ومنها الأطباق النجمية والفروع النباتية حيث تقودنا بعض الزخارف إلى زخارف أخرى في داخلها ثم تقودنا هذه بدورنا إلى زخارف ثالثة بما يوحي للرائي أنه ينتقل من مستوى فكري إلى مستوى فكري آخر.

كما أن الانصراف عن التجسيم دفع الفنان إلى أن يغطي تماثيله وصوره الآدمية والحيوانية – لعلمه بحرمتها- بشبكة من الزخارف التي من شأنها أن تمتص مادة الجسم وتحيلها إلى وحدات زخرفية تبعث المسرة وتخرجها عن طبيعتها الآدمية والحيوانية (شكل

---

[1]- القرضاوي ، الحلال والحرام، ص98-99.

[2]- متفق عليه.

105)، ومن ذلك على سبيل المثال نجد أن ذيل الحيوان وجناح الطائر يتحول بقدرة ابتكارية رائعة إلى فرع نباتي أنيق في إنثناءاته وأوراقه المجردة.

المبحث الثاني: أنواع التحف وطرق صناعتها:

تتنوع التحف الإسلامية بتنوع مواد صناعتها وطرق زخرفتها، ومن أهمها:

الفخار[1]: (شكل 118)

تعد صناعة الفخار من اقدم أنواع الفنون وأكثرها انتشاراً بسبب سهولة صناعتها وتوفر موادها الخام في كل مكان، وكذلك تعدد مجالات استعماله وأنواعه، وتمر صناعته بأربع مراحل هي: 1- تجهيز الطين الطبيعي بخلط التراب بالماء وعجنه وتخميره، 2- تشكيل التحفة أو الآنية باليد أو بأدوات أخرى وأهمها الدولاب الدوار والسكين والفرشاة، 3- ترك التحفة في الشمس حتى تجف، 4- زخرفة التحفة بزخارف محفورة أو مرسومة أو مطبوعة، 4- حرق التحفة في الفرن بدرجة حرارة عالية.

وقد صنعت من الفخار تحفاً متعددة منها: الأباريق والمسارج والأزيار والكيزان والقلل، والجرار وأختام الكعك، وأواني الأكل والشرب، والتنانير والمباخر والزهريات والمواقد واللعب..الخ، ومن أشهر مراكز الفخار في اليمن مدينة حيس التي صنعت الفخار منذ القرن 4هـ/10م وما زالت حتى يومنا هذا تزود السوق اليمنية بما تحتاجه منها.

الخزف[2]:

يصنع الخزف من طينة خاصة بيضاء اللون مضافاً إليه بعض المواد الكيمائية كالسيليكا والكولين الأبيض، وبعد تشكيل التحفة تطلى بمادة التزجيج الشفافة المكونة من الأكاسيد المعدنية، والتي تعرف باسم الجليز glaze، وتمر صناعته بنفس مراحل صناعة الفخار مضافاً إليها مراحل أخرى حسب نوعية الخزف، والتي سنبينها كل حسب نوعه.

وقد استخدم المسلمون هذه المادة في عمل الأواني والأكواب والسلاطين والصحون والأباريق والدوارق والقدور والأزيار والشماعد والمسارج والمباخر والزهريات والتماثيل

---

[1]- علي أحمد الطايش (د)، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الثانية 2003م، ص 28-29

[2]- زكي محمد حسن (د)، فنون الإسلام، دار الفكر العربي، د.ت، ص258-325، سعاد ماهر محمد (د)، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986م، ص13- 16، 25-60، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص213-222، علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص 31-44.

الصغيرة واللعب، وغيرها من التحف الخزفية الإسلامية، بالإضافة إلى صناعة البلاطات الخزفية الجميلة لكسوة الجدران في البيوت والمساجد والمدارس وغيرها.

وللخزف أنواع عدة نذكر الأهم منها:

*** خزف بزخارف بارزة ومطلي بلون واحد:** (شكل 119)

تتم صناعته عن طريق تشكيل التحفة بواسطة الدولاب الدوار، ثم نقش الزخارف عليها قبل جفافها، وبعد جفاف التحفة تحرق حرقاً أولياً ثم تطلى بطبقة من الدهان ذي لون واحد - الأخضر أو الأزرق أو الذهبي أو الأحمر- ، ثم تحرق في الفرن.

*** خزف بزخارف محزوزة أو مكشوطة:** (شكل 120)

يعرف باسم الخزف الجبري نسبة إلى قبائل تسكن منطقة كردستان شمال شرق إيران، وطريقة صناعته كالتالي: تشكل التحفة على الدولاب، ثم تحرق حرقاً خفيفاً في فرن حتى تجف، ثم تدهن بالدهان ذي اللون الفاتح، ويلي ذلك حز الزخارف أو كشطها بآلة حادة، ثم تطلى بطلاء شفاف، وقد تلون الزخارف باللون الأخضر الفاتح أو البني الفتح، ثم تحرق في الفرن.

*** خزف مرسوم تحت الطلاء أو فوقه:** (شكل 121)

تبدأ طريقة صناعته كسابقيه بالتشكيل على الدولاب، ثم الحرق الأولي، ثم يدهن ببطانة ذات لون أبيض في الغالب، ثم تترك لتجف، ويلي ذلك رسم الزخارف بالألوان الخضراء أو الزرقاء، ثم تترك لتجف، ثم تطلى بطلاء زجاجي شفاف، ثم تحرق في الفرن، هذا بالنسبة للزخارف المرسومة تحت الطلاء، أما المرسومة فوق الطلاء فبعد دهان التحفة باللون الأبيض تطلى بالطلاء الزجاجي الشفاف ثم تترك لتجف ثم ترسم عليها الزخارف الملونة، ثم تحرق في الفرن.

*** الخزف ذي البريق المعدني:** (شكل 122)

ابتكره المسلمون عوضاً أواني الذهب والفضة التي حرم الإسلام الأكل والشرب بهما، وتتم صناعته على النحو التالي: تشكيل التحفة من طين نقي مضافاً إليه بعض المواد الكيمائية، ثم تحرق حرقاً أولياً، ثم تطلى بطلاء أبيض قصديري، ثم تحرق مرة أخرى، ثم ترسم عليها الزخارف بأكاسيد معدنية قوامها الكبريت وأكسيد الفضة وأكسيد النحاس الأحمر وبرادة الحديد، بعد إذابتها في حامض كالخل مثلاً، ثم تحرق للمرة الثالثة في درجة حرارة تتراوح بين 240-400درج مئوية، حيث تتحول الأكاسيد نتيجة تفاعلها مع

الحرارة والدخان المتصاعد من الفرن إلى طبقة معدنية رقيقة ذات لون ذهبي يتراوح بين اللون الأحمر والأصفر، أو الأخضر الزيتوني.

ومما نلاحظه على الخزف الإسلامي بوجه عام ما يلي:

1- أن صناعته كانت في بداية الأمر ذيلاً لصناعة الخزف الساساني الذي أثر بدوره على الخزف في بيزنطة وأملاكها في الشرق.

2- تأثر الخزف الإسلامي بالخزف الصيني واقتبس منه طرق صناعية وفنية وعناصر زخرفية متعددة كالسحب الصينية والأشكال الآدمية.

3- تميز الخزف الإسلامي بإبداع الزخارف فيه وتنوعها ومناسبة الزخارف لشكل التحفة ووظيفتها، والشخص الذي صنعت التحفة لأجله، حيث تختلف الزخرفة والأساليب الفنية في التحف الخزفية فالفاخر منها يصنع لعلية القوم من الملوك والأمراء والأثرياء ورجال البلاط، بينما الخزف الشعبي المتواضع الثمن يصنع لعامة الشعب.

4- تعدد ألوان الخزف الإسلامي بصفة عامة وإن غلب عليها اللون الأبيض الزبدي creim colour واللون الأزرق الزرنيجي [كوبلت] واللون الأخضر الفيروزي واللون الأحمر البنفسجي.

المعادن[1]:(شكل 123)

تعد المعادن من أكثر المواد استخداماً في صناعة التحف والأواني سواء المصنوعة من الحديد أو البرونز أو النحاس أو القصدير أو الذهب أو الفضة، ومن أهم التحف المعدنية: الحلي الذهبية والفضية بأنواعها كالعقود والأخراص والمعانق والخلاخيل والأساور والخواتم، والأسلحة بأنواعها كالسيوف والرماح والسهام والدروع، والأواني المنزلية كالأباريق والصواني والطسوت والصحون والصدريات والمباخر، والمجامر والمسارج والكراسي والصناديق، والهاونات، والشماعد، والقناديل.، ومن أشهر التحف المعدنية الإسلامية إبريق مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية في الشام.

الخشب[2]:(شكل 124)

تعتبر صناعة التحف الخشبية وزخرفتها من أبرز موضوعات الفن الإسلامي، ومن

1- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص331-337.

2- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص299-313.

أهم أنواع التحف المصنوعة من الخشب: السقوف المزخرفة بالمصندقات ومنها مصندقات جامع صنعاء الكبير التي تعود إلى القرن 3هـ/9م، والأبواب والمنابر والمحاريب والتوابيت وصناديق المصاحف وكراسيها، وكراسي الحديث، والشبابيك والمشربيات والكتبيات، والدكك، والصناديق، والأسرة، والأمشاط..الخ.

وقد صنعت هذه التحف بواسطة الكشط والقص والحفر بأنواعه، وكذلك بواسطة التجميع، والتعشيق، واستخدمت فيها الأخشاب بأنواعه: كالطنب والساج والأبنوس.

النسيج[1]: (شكل 125)

النسج في اللغة ضم الشيء إلى الشيء، وسمي النسيج نسيجاً لأن سداه ضمت إلى لحمته، والنسيج في الفنون: عبارة عن جسم مسطح رقيق ينتج عن تقاطع مجموعة من الخيوط الطولية تسمى السدى مع مجموعة أخرى من الخيوط العرضية تسمى اللحمة، وقد ينتج عن خيط واحد متشابك مع بعضه على هيئة أنصاف دوائر متداخلة ومتماسكة كنسيج التريكو، وهناك أنواع عدة من المنسوجات حسب نوع المادة المصنوعة منها كالحرير والقطن والكتان والصوف، وحسب مراكز صناعتها فهناك النسيج الدمقسي نسبة إلى دمشق، وهناك الثياب السحولية نسبة إلى السحول باليمن، والبرود الشرعبية والمعافرية نسبة إلى شرعب والمعافر – الحجرية- باليمن، والوصايل المخططة التي كانت تكسى منها الكعبة قبل الإسلام، أو حسب ألوانه ومنها نسيج البقلمون وهو نسيج متموج متغير الألوان حسب الإضاءة، وهناك نسيج يصنع من أكثر من مادة فقد تكون سداته من الكتان أو الصوف ولحمته من الحرير، وقد يكون النسيج من مادة واحدة كالحرير مثلاً لكنه مطرز بزخارف من مادة أخرى كخيوط الذهب أو الفضة.

وقد استمرت أساليب النسج في بداية العصر الإسلامي على ما كانت عليه قبل الإسلام ثم أدخلت عليها تعديلات في الزخارف فأزيلت الصور التي لا تتفق مع مبادئ الإسلام واستبدلت بزخارف كتابية قرآنية وعبارات تاريخية وأدعية وغيرها.

السجاد[2]:(شكل 126)

هو نسيج وبري ينسج بسمك أكبر من سمك نسيج الأقمشة كي يفرش على الأرض أو الأرائك أو الأسرة والمقاعد، ويعرف بعدة أسماء منها: البسط، الطنافس، الزرابي،

1- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص 63-69، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص264-266.

2- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص169، علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص110-116.

الرفرف، أما كلمة سجاد فقد أطلقت عليها عندما استخدمت للصلاة والسجود عليها، ومن أشهر مراكز صناعة السجاد: إيران وتركيا ومصر وبلاد الشام، وبلاد التركستان، وتصنع السجاجيد من: صوف الأغنام والجمال والماعز، والحرير والقطن بنسب معينة أكثرها الصوف، أما مواد الصباغة فتستخرج من النباتات كالنيلة، والزعفران، وقشور الرمان، والكركم، والفوة والبنجر، وكذلك من الحيوانات والحشرات ومنها: دودة القز، ودودة القرمز، ودم الثيران والأغنام، وتتم عملية صناعة السجاد على نول خشبي تمد عليه خيوط السدى، ثم تلف حولها خيوط اللحمة على شكل عقد تجمع بجانب بعضها عن طريق سحب المشط عليها، وكلما اكتمل صف من العقد قصت الخيوط الزائدة الناتجة عن العقد على ارتفاع معين مما يشكل وبرة السجادة، وكلما زادت العقد في الصف كلما زادت جودة السجادة، وكلما كانت ألوانها طبيعية زادت قيمتها الفنية.

العاج[1]:(شكل 127)

يتم الحصول على العاج من أنياب الفيلة وقرون جاموس البحر، وتصنع منه – إلى جانب استخدامه في تطعيم الأخشاب – تحفاً متعددة أهمها رؤوس الخناجر – الجنابي في اليمن– والصناديق والعلب والأبواق والمحابر، وقد اشتهرت الأندلس على وجه الخصوص بصناعة التحف العاجية.

الزجاج: (شكل 128)

هو مادة صلبة شفافة أو ملونة تنتج من خلط الرمل والحجر الجيري وكربونات الصودا وبعض الأكاسيد بغرض التلوين ثم صهرها جميعاً في أفران خاصة ذات درجة حرارة عالية تتحول معها هذه الخامات إلى عجينة يتم تشكيل الأواني منها حسب الرغبة.

ويتم تشكيل الزجاج بعدة طرق أهمها: النفخ: وتتم باستخدام أنبوب معدني يلتقط به الصانع قطعة من الزجاج المنصهر وينفخ في الأنبوب المعدني فتنتفخ العجينة على هيئة بالونة يتم تشكيلها حسب الشكل المطلوب بواسطة آلة معدنية تسمى " الماشة"، وقد توضع العجينة في قالب مصنوع من الطين تم تشكيله مسبقاً حسب نوع التحفة ونوعية زخارفها وينفخ فيها بالأنبوب فتتشكل التحفة داخل القالب.

وقد صنعت من الزجاج تحفاً فنية رائعة كقنينات العطر والكؤوس والدوارق، والمشكاوات والمحابر والمقالم..الخ.

---

[1]– صلاح حسين العبيدي (د)، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، جامعة بغداد، 1987م، ص179-191.

المسكوكات[1]:(شكل 129)

المسكوكات جمع سكة، ولها معان عدة من أهمها: السكة هي النقود التي يتم التعامل بها وتصنع من الذهب أو الفضة أو النحاس أو البرونز، أو هي النقوش التي تزين واجهة العملة وظهرها، أو هي قوالب السك التي يصب فيها المعدن المصهور الذي تصنع منه العملات، والسكة أيضاً هي الختم البارز الذي يطرق به على صفائح العملة لإظهار النقوش عليها، والسكة كذلك هي وظيفة ضرب العملة.

وهكذا نرى أن التعريفات كلها تنصب حول العملات ووظائفها وأدواتها، وللسكة أهمية كبرى في دراسة الآثار الإسلامية فمن خلالها:

- يمكن التعرف على كثير من المظاهر الحضارية للدول الإسلامية وعلى وجه الخصوص القيم النقدية والاقتصادية للأشياء في ذلك العصر.
- يمكن من خلالها الاستدلال على الحقائق التاريخية سواء فيما يتعلق بأسماء السلاطين والخلفاء والحكام وألقابهم، أو فيما يتعلق بتبعيتهم للسلطة المركزية ومدى استقلالهم عنها.
- من خلال العملات يمكن التعرف على أسماء المدن القديمة وأماكن سك النقود.
- من خلالها يمكن تصحيح التواريخ وتسلسل الحكام.
- من خلال العملات وجودتها ونقاوتها يمكن استنتاج قوة اقتصاد الدولة التي ضربتها أو ضعفها.

وكان المسلمون في عهد النبي ﷺ يتعاملون بالمسكوكات المعروفة آنذاك والمتمثلة بالدينار والفلس البيزنطيين، والدراهم الساسانية والحميرية، بما عليها من صور تمثل الملوك التي ضربت في عهدهم وشعارات دولهم والعبارات والرموز الدينية كالنار الفارسية أو الصليب المسيحي، ثم بدأت مراحل تعريب السكة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب حتى وصلت إلى التعريب الكامل في عهد عبد الملك بن مروان سنة 77هـ، وقد مر التعريب بمراحل عدة على النحو التالي:

1- الدينار:

- أضيفت في عهد عمر بن الخطاب 13-23هـ بعض الكتابات العربية والإسلامية ومنها عبارات: بسم الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الحمد لله، مع بقاء الصور والرموز البيزنطية والساسانية، وأضيفت في عهد عثمان بن

---

[1]- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص 199-212.

عفان رضي الله عنه 23-35هـ عبارة "الله أكبر"، مع بقاء الصور والرموز السابقة.

- في عهد عبد الملك بن مروان 65-86هـ تم التعريب الكامل للدينار ومر بعدة خطوات تتمثل في:

1- تغيير شكل تاج الإمبراطور البيزنطي وولديه، وتغيير شكل عصى المطرانية التي يمسكون بها في أيديهم، وإلغاء طرف الصليب، وتحويله إلى شكل عمود ينتهي من أعلى بشكل كرة أو شكل حرف T.

2- إزالة بقايا الشارات المسيحية المتمثلة بالعمود وعصى المطرانية، وإضافة كتابات بالخط الكوفي نصها: بسم الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

3- إزالة صور الأباطرة البيزنطيين وضرب صورة عبد الملك بن مروان مكانها، بالإضافة إلى الكتابات العربية السابق ذكرها، وكذلك تاريخ الضرب سنة 72هـ.

4- إزالة صورة عبد الملك بن مروان سنة 77هـ واستبدالها بكتابات عربية بحيث أصبح الدينار يشتمل ما يلي:

أ- في الوجه: في الوسط (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، وفي الإطار (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

ب- في الظهر: في الوسط: الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وفي الإطار: بسم الله ضرب هذا الدينر سنة سبع وسبعين.

وفي المراحل اللاحقة الأموية والعباسية والفاطمية أضيف إلى جانب اسم الخليفة اسم ولي عهده ومكان الضرب واسم الوالي والسلطان واسم القائم على دار الضرب .

- **الدرهم الساساني:**

- مر بالمراحل نفسها والكتابات نفسها التي مر بها الدينار في عهد الخلفاء الراشدين.

- في عهد عبد الملك بن مروان 65-86هـ تم التعريب الكامل للدرهم ومر بعدة خطوات تتمثل في:

1- تغيير الرموز والشارات الساسانية على النحو التالي:

أ- على الوجه: صورة عبد الملك بن مروان وعبارة: بسم الله، خليفة الله أمير المؤمنين.

ب- في الظهر: صورة كسرى وأمامها: ضرب هذا الدرهم سنة خمس وسبعين، وعلى الإطار: بسم الله لا إله إلا الله محمد رسول الله.

2- إزالة صورة عبد الملك بن مروان سنة 77هـ واستبدالها بكتابات عربية بحيث أصبح الدرهم يشتمل ما يلي:

أ- في الوجه: في الوسط: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وفي الإطار: بسم الله ضرب هذا الدرهم في دمشق سنة خمس وسبعين.

ب- على الظهر: في الوسط: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وفي الإطار: محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وفي المراحل اللاحقة الأموية والعباسية والفاطمية أضيف اسم الخليفة وولي عهده ومكان الضرب واسم الوالي، أو السلطان واسم متولي دار الضرب.

الفلس البيزنطي:

- أضاف عمر بن الخطاب كتابات عربية على الوجه تدل على مكان الضرب ومنها: حمص، دمشق، طبرية، وعلى الظهر كلمات: طيب، واف، جائز.
- في عهد عبد الملك بن مروان مر الفلس بالمراحل نفسها التي مر بها الدينار، وإن أضيف لها اسم والي المكان الذي ضربت فيه الفلوس.

المبحث الثالث: طرق الزخرفة:

يقصد بطريقة الزخرفة الكيفية التي تم بها زخرفة التحفة والكيفية التي خرجت عليها كي تصبح تحفة فنية رائعة ذات قيمة جمالية بعد أن كانت قبل ذلك عبارة عن آنية أو أداة مثلها مثل غيرها، ومن أهم طرق الزخرفة:

المينا[1]:

المينا أو المينو كلمة فارسية تطلق على مادة زجاجية صلبة ولماعة متعددة الألوان تتميز تتخذ من أكسيد أول الرصاص وسيليكات البوتاسيوم، والزخرفة بها عرفت منذ ما قبل الإسلام وخاصة في العصر الساساني في إيران، وتتم زخرفة المعادن أو الخزف أو

---

[1]- ربيع حامد خليفة(د)، الفنون الإسلامية في عهد الدولة الرسولية 626-858هـ/1229-1454م، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، عدد8، 1988م، ص28، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص 330، علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص49.

الفخار أو الزجاج بالمينا على طريقتين: الأولى عرفت قبل العصر الإسلامي وهي طريقة تركيب المينا ذات الفصوص حيث يتم صب المينا داخل حواجز رقيقة من الذهب حيث تلتصق المينا داخل تلك الحواجز، والثانية عرفت في العصر الإسلامي في القرن 7هـ/13م وهي طريقة حفر الزخرفة على سطح التحفة ثم ملئ التجاويف المحفورة بالمينا السائلة، ثم توضع التحفة في النار لتثبيت المينا على سطحها فتعطي بريقاً زجاجياً.

أما زخرفة الزجاج بالمينا فتتم عن طريق رسم الزخارف المطلوبة على ورقة تسمى النقلة، ومن ثم تخريمها ولصقها على التحفة الزجاجية، ثم تغمس قطعة من القطن في المينا ذات اللون المطلوب وتمرر على ثقوب الزخارف فتنطبع المينا على جسم التحفة[1].

البريق المعدني[2]:(شكل 119-123)

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف الخزفية والزجاجية، وهي عبارة عن أكاسيد معدنية ملونة أهمها: أكسيد النحاس، وأكسيد الكوبالت، وأكسيد الحديد، وأكسيد المنجنيز، وأكسيد اليورانيوم، وأكسيد الأنتيموان، وأكسيد الكروم، وأكسيد القصدير، والتي يرسم بها على التحف الفخارية قبل حرقها، وعلى الزجاج بعد تشكيل التحفة.

الصب[3]:

تتم عن طريق صب المعادن أو الجص أو الزجاج في قالب سبق إعداده وحفرت الزخارف المطلوبة عليه حفراً غائراً، وتستخدم هذه الطريقة في عمل الحليات الجصية والحليات المعدنية التي تضاف إلى الثريات والقناديل والكراسي ومقابض الأباريق وأغطيتها فضلاً عن زخارف الحلي الفضية والذهبية، والتحف الزجاجية (شكل 128).

الضغط[4]:

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف الفخارية والخزفية والجلدية والمعدنية والزجاجية، وتتم برسم الزخارف على لوح معدني ومن ثم الضغط به على الخزف أو الفخار أو الجلود حتى تظهر الزخارف، أما في الزجاج فتتم بضغط خيوط رقيقة من الزجاج ذات لون مخالف على بدن التحفة وهي ما زالت ساخنة.

1- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص356-357.

2- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص16-17.

3- ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص29، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص329.

4- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص329، 354

الحفر والحز[1]: (شكل 119، 121، 122، 124، 127، 135،)

الحفر هو النقش أو النقر على المواد الصلبة من المعادن أو الحجر أو الخشب أو الرخام بأداة صلبة أقوى من المادة المحفور عليها بهدف عمل زخارف نباتية أو هندسية أو كتابية أو صور بارزة أو غائرة، وتعد من أقدم الطرق استخداماً في الزخرفة، والحفر على نوعين: حفر غائر ويقصد به حفر العنصر الزخرفي كله، وحفر بارز ويقصد به حفر ما حول العنصر الزخرفي ليبرز العنصر نفسه، أما الحز فهو نوع من الحفر لكنه غير عميق بل عبارة عن خطوط تنتج عن تمرير أداة حادة مع الضغط الخفيف عليها فتنتج عنها حزوز تحدد العنصر الزخرفي وأجزاءه.

كما تستخدم هذه الطريقة في تنفيذ الزخارف على التحف الزجاجية وهي باردة بواسطة الحفر بآلة حادة، أو وهي ساخنة بواسطة آلة تشبه الملقاط لإنتاج عناصر زخرفية، وكذلك تستخدم على الفخار بواسطة آلة حادة أو مسمار ذي سن مدبب.

التخريم (التفريغ)[2]: (شكل 130)

تستخدم هذه الطريقة في زخرفة التحف المعدنية والفخارية والخشبية والعاجية، وتتم عن طريق رسم الزخارف على سطح التحفة ثم تخرم أو تثقب أو تفرغ الأرضية حولها أو يفرغ العنصر الزخرفي نفسه بقلم حاد الطرف.

التذهيب:

هو عملية تزويق وتزيين التحف بالألوان وخاصة الذهب، وتستخدم على وجه الخصوص في زخرفة المخطوطات والأواني الزجاجية.

التطعيم[3]:(شكل 124، 131)

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف الخشبية وتتم عن طريق حفر أشكال زخرفية غائرة وملء تلك الحفر بمادة أخرى ذات لون مغاير وأكثر قيمة، وأغلب مواد التطعيم مكونة من العاج، أو العظام، أو خشب الأبنوس، أو الأحجار الكريمة.

1- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص 20، ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص28، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص353، على الطايش، الفنون الزخرفية، ص 29.

2- ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص28.

3- علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص84.

الترصيع والتلبيس:

هو إضافة مادة قيمة إلى مادة أقل قيمة من أجل التحلية والتجميل، ويستخدم خاصة في ترصيع الذهب والفضة بالألماس والزبرجد والياقوت، وهو بذلك يشبه التكفيت في المعادن والتطعيم في الخشب.

التكفيت[1]:

هذه الطريقة خاصة بزخرفة التحف المعدنية ويقصد بها زخرفة المعدن بمعدن آخر يختلف عنه في اللون والقيمة ومن ذلك تكفيت النحاس أو البرونز بالفضة أو الذهب، أو تكفيت الفضة بالذهب، وهذه الطريقة ليست وليدة العصر الإسلامي وإنما عرفت قبل ذلك في عصور ما قبل الإسلام كما في مصر في العصر الفرعوني، وفي إيران في العصر الساساني، وفي اليمن في العصر السبئي، وبلغ فن التكفيت أو ازدهاره في القرن 6هـ/12م على يد السلاجقة في إيران وانتقل بعد ذلك على يد الزنكيين إلى الموصل ثم إلى الشام ومصر واليمن، وتسمى هذه الطريقة في اليمن باسم قلع ودفن، وتتلخص طريقة التكفيت في الخطوات التالية:

رسم الزخارف على سطح التحفة المعدنية، ثم حفر هذه الرسوم حفراً غائراً، وبالتالي ملئ الأجزاء المحفورة بمادة التكفيت بواسطة الدق بمطرقة خشبية خاصة حتى تثبت مادة التكفيت في الأماكن المخصصة لها على سطح التحفة.

ويتم إعداد مادة التكفيت في صورتين: الأولى على هيئة رقائق دقيقة تستعمل في زخرفة المناطق الكبيرة والعريضة، والثانية على هيئة أسلاك رفيعة تستعمل في زخرفة الأجزاء الصغيرة أو الضيقة.

التعشيق والخرط: (شكل 132)

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف الخشبية والجصية، وتتم بتشكيل التحف على شكل قطع صغيرة مدورة أو ذات تشكيلات زخرفية بحيث تتلاقى رؤوسها وتتداخل مكونة تحفة خشبية مفرغة، وتستخدم خصوصاً في صنع الأسيجة والمشربيات، أما في الجص فتتم بتشكيل قالب جصي تحفر عليه زخارف مفرغة ثم تغطى تلك التفريغات بزجاج ملون يثبت بالجص، كما في قمريات الشبابيك والأبواب في اليمن.

---

[1]- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص124، ربيع خليفة، الفنون الإسلامية، ص26-27، حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص329-330.

التجميع: (شكل 124، 131)

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف الخشبية وتتم عن طريق نحت التحفة على شكل قطع متعددة تجمع في حشوات متداخلة مع بعضها، وتستخدم في صناعة الأبواب والشبابيك والمنابر والكراسي وغيرها من التحف، وقد ابتكرت هذه الطريقة في العصر الفاطمي نظراً لقلة الأخشاب مما دفع بالنجارين إلى استخدام القطع الصغيرة الناتجة عن تقطيع الخشب في تشكيل التحف الخشبية.

الإضافة[1]:

وتتم في النسيج بإضافة مادة مزخرفة إلى مادة أخرى غير مزخرفة، أو إضافة مادة أقيم على مادة أقل قيمة، كإضافة قطع مزخرفة من الحرير على قطع أخرى غير مزخرفة من الكتان أو الصوف، أو إضافة قطع ملونة على قطعة غير ملونة، وفي الزجاج تتم بإضافة أسلاك من الزجاج الملون حول بدن التحفة الزجاجية أو رقبتها، وفي الفخار تتم بعمل خيوط رفيعة من العجينة بواسطة قمع على بدن الآنية.

الطرق[2]:

وهي طريقة زخرفية خاصة بالتحف المعدنية تتم عن طريق دق الزخارف على المعدن وهو ما يزال صفائح فوق قالب خشبي حفرت عليه الزخارف حفراً غائراً أو بارزاً بحيث تتشكل الزخارف على الصفائح التي تشكل بعد ذلك التحفة منها والتي أعدت مسبقاً بالحجم المناسب للتحفة

الفسيفساء[3]:(شكل 133، 136،)

فن زخرفي يتكون من قطع صغيرة الحجم ملونة من الخزف أو الزجاج أو الصدف أو البلور أو العاج أو الجر أو الرخام أو منها جميعاً أو من مواد أخرى، تستخدم في تشكيل وحدات زخرفية لمناظر متعددة نباتية أو حيوانية أو هندسية أو كتابية ..الخ على سطح الجدران بحيث تجمع مع بعضها وتثبت بواسطة الجص أو الملاط، ومن أشهر الفسيفساء الإسلامية فسيفساء قبة الصخرة بالقدس، والجامع الأموي بدمشق.

1- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص353، علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص29.

2- سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص 123، صلاح العبيدي ، الفنون الزخرفية ، ص121.

3- عبد العزيز حميد (د)، وآخرون، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، منشورات جامعة بغداد، د.ت، ص55-66.

وقد وجدت الفسيفساء أولاً في الحضارة العراقية القديمة كما في مدينة بابل، ثم انتشر استعمالها في العصر الإخميني والبيزنطي ثم الإسلامي.

الختم والطبع[1]:

بعد تشكيل الأواني الفخارية أو الزجاجية بالشكل المطلوب، يختم عليه بقالب مزخرف بزخارف بارزة أو غائرة بحيث تنطبع الزخارف على الزجاج وهو ساخن، أو على الفخار وهو طري، أما في النسيج فيغمس القالب في الألوان ومن ثم الطبع به على النسيج، وذلك بحيث تظهر طبعات القالب المزخرفة على التحفة.

التطريز[2]:

هو زخرفة القماش أو توشيته بعد نسجه أو أثناء عملية النسج بإضافة خيوط معدنية من الذهب أو الفضة أو الخيوط الملونة بواسطة إبرة الخياطة، وتتم بثلاث طرق: غرزة السلة: وهي عبارة عن خيط مزدوج تنفذ الإبرة بين الخيطين من الأسفل إلى الأعلى، والغرزة الملفوفة وهي عبارة عن لفط الخيط حول الإبرة ثم السحب، والتطريز بواسطة السداة فقط دون اللحمة أثناء النسج.

الرسم والتصوير: (شكل 134)

وتتم باستخدام الألوان والفرشاة لرسم الزخارف المطلوبة على الجص أو النسيج أو الزجاج، حيث تكسى الجدران بالجص ثم ترسم عليها الزخارف بالألوان المذابة في الماء قبل جفاف الجص فيتشرب الجص الألوان مما يؤدي إلى ثباتها، وتعرف هذه الطريقة باسم زخرفة الفريسكو كما في حمام قصير عمرا، أو على المخطوطات العربية.

المبحث الرابع: أساليب الزخرفة:

تعددت أساليب الزخرفة بتعدد الفكر والحس الفني لدى الفنان المسلم، ومدى حاجته إلى السرعة في الإنجاز، ومدى التزامه بتجنب مخالفة الأوامر الشرعية الإسلامية، أو عدم التزامه بها، لذلك انتج الفنانون المسلمون تحفاً فنية زخرفت بطرق متعددة ورث بعضها عن أسلافه أو تأثر بها عن معاصريه أو ابتكرها من مخيلته ومن أهمها:

---

[1]- حسني نويصر، الآثار الإسلامية، ص353، علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص47.

[2]– سعاد ماهر، الفنون الإسلامية، ص105.

الأسلوب القريب من الطبيعة:

وهو رسم الزخارف أو نحتها بصورة قريبة من شكلها في الطبيعة، سواء أكانت تلك الزخارف نباتية أم حيوانية أم آدمية، بحيث نستطيع أن نميز شكل الزخرفة وإرجاعها إلى أصلها الأول.

الأرابسك: (شكل 124، 127)

هو الزخرفة على هيئة حليات نباتية متشابكة ومكررة بانتظام وليس لها بداية ولا نهاية، وتعرف بعدة أسماء منها: العربسة، التوريق العربي، التزويق العربي، الزواق في اللهجة المغربية، التوشيح العربي، الرقش العربي، ويسميها الأوروبيون الأرابسك arabesque نسبة إلى الزخارف النباتية العربية.

الأسلوب المحور:

وهو أسلوب زخرفي يستنبط زخارفه من الطبيعة لكنه يحورها عن حقيقتها بحيث يصعب نسبتها إلى أصلها.

طرز سامراء[1]:(شكل 135)

تنسب هذه الطرز إلى مدينة سامراء العباسية التي بنيت سنة221هـ/836م ونظراً للحاجة الماسة إلى سرعة إنجاز بنائها وزخرفة قصورها ومنازلها ومساجدها فقد بدأ الحرفيون ببنائها وزخرفتها ببطء على الجدران مباشرة، ثم زادوا من وتيرة البناء والزخرفة أكثر من مرة لذلك تدرجت زخرفتها إلى ثلاثة طرز عرفت بطرز سامراء الثلاثة:

الأول كانت فيه الرسوم قريبة من الطبيعة، نظراً لدقة العمل فيه وإتقانه، وتنفيذ الرسوم فيه باليد، ويتميز هذا الطراز بما يلي:

1- صغر الوحدات الزخرفية وتكررها ووضوحها، وتنفيذ الزخارف داخل أشكال هندسية.

2- استخدام العناصر النباتية ومن أهمها: ورقة العنب الخماسية الفصوص والتي تضم ثقوب صغيرة وظهور التعريق النخيلي، وكذلك ورقة العنب الثلاثية الفصوص، وعناقيد العنب، والعناصر الكأسية ذات الفجوات المعينة

1- علي الطايش، الفنون الزخرفية، ص70-73

الشكل، وكيزان الصنوبر والمراوح النخيلية المملوءة بأشكال معينات.

3- تنفيذ الزخارف بأسلوب الحفر العميق حول الزخارف بحيث ظهرت الزخارف شديدة البروز.

الثاني: احتاج العمال والحرفيون إلى زيادة سرعة الإنجاز، فقللوا من إتقان الحفر وتعميقه مع تحوير الرسوم جزئيا، ولذلك يتميز هذا الطراز بما يلي:

1- تضاءل بروز الزخارف وقل التعريق الذي يربط بين العناصر الزخرفية.

2- تنفيذ العناصر بوحدات زخرفية كبيرة منبسطة خالية من التجسيم.

3- تحوير العناصر الزخرفية عن الطبيعة جزئياً.

4- قلة التأنق والجمال في تنفيذ العناصر الزخرفية التي أصبحت عبارة عن حفر صغيرة متلاصقة على السطح.

الثالث ازدادت سرعة العمال في البناء والزخرفة وبدلاً من حفر الزخارف غائرة على الجدران مباشرة لجئوا إلى حفرها مشطوفة على قوالب خشبية والتخلص من الأرضيات العميقة حتى يسهل نزع القالب من على الجص بسرعة، ولذلك تميزت رسوم هذا الطراز بما يلي:

1- التحوير الشديد للرسوم بحيث لا نستطيع تحديد نوع الزخرفة النباتية ونسبتها إلى شكل طبيعي معين.

2- استخدام نسخ مكررة من الزخارف بواسطة القالب.

وقد انتشر طراز سامراء الثالث في مختلف أقاليم الدولة العباسية كما في مصر في العصر الطولوني، وفي اليمن في القرن الرابع الهجري كما في منبر جامع ذمار، وكذلك انتشر في إيران كما في جامع نايين.

الفن المدجن:

هو الفن الذي نشأ وانتشر في أسبانيا بعد سقوطها بيد المسيحيين في القرن 9هـ/15م، وهو خليط من الفن الإسلامي والفن المسيحي ظهر على يد المسلمين الذي عاشوا في خفاء تحت الدين المسيحي، واللذين لم يستطيعوا استخدام الفن الإسلامي بسبب الاضطهاد وكرهوا استخدام الفن المسيحي، فجاءت فنونهم خليطاً من الفنين معاً.

فن الباروك:

الباروك baroque لفظ فرنسي ذي أصل برتغالي، ويقصد به الزخرفة الغريبة المحورة

عن أصلها، وهو أسلوب زخرفي أوروبي عرف في القرن 16-18م والمعني الدقيق له: التوريق المفرط، أو فن الإفراط الزخرفي المورق، وقد استخدم المسلمون هذا الأسلوب في العصر العثماني، ومن أمثلتها في اليمن زخارف المدرسة البكيرية بصنعاء.

فن الروكوكو:

الروكوكو rococo هو أسلوب زخرفي تولد عن فن الباروك ولكنه يميل إلى الرقة، وقد ظهر هذا الفن وتطور في فرنسا في منتصف القرن 18م، ويعتمد أساساً على الأوراق والفروع النباتية والمحارات البحرية، وقد استخدمه الفنانون المسلمون كثيراً في أواخر العصر العثماني.

الفن الإمبراطوري:

هو نوع من الفن يدعو إلى العودة إلى الفن الكلاسيكي القديم والتخلص من فن الباروك والروكوكو، ويتميز ببساطة الخطوط وهدوء الألوان والبعد عن التعقيد، وقد انتشر هذا الفن في فرنسا طوال القرن 19م برعاية الإمبراطور نابليون بونابرت.

المبحث الخامس: العناصر الزخرفية[1]:

اتجه الفنان المسلم إلى استعمال كل وسائل الزخرفة والتزيين فيما أنتجه من تحف وما شيده من عمائر معتمداً على عناصر نباتية وهندسية وخطية وآدمية وحيوانية، وكثيراً ما زاوج بين هذه العناصر، أو جعل الزخارف النباتية أرضية للنصوص الخطية أو حشوات بين ثنايا الزخارف الهندسية، على أن أهم ما تتميز به هذه الزخارف في الأغلب ميلها إلى التجريد وعدم الالتزام بالأشكال الطبيعية التي اقتبست منها، كما أن العناصر النباتية والهندسية منها بصفة خاصة، ليس لها بداية ولا نهاية وكأنها تريد أن تمتد وتمتد لتعبر عن الاستمرار الأزلي للحياة، وعن انطلاقة الروح الإنسانية من قيود المادة التي تحدها.

هذه الزخارف تدل أيضاً على أن الفنان كان مغرماً بتتبع الأمور بالتحليل البالغ والتفصيل الدقيق حتى يصل إلى غاية الحذق والمهارة، ويستشعر نشوة الانتصار بالتغلب على صعوبة ملئ المساحات وتركيب الأشياء المختلفة والحصول على التآلف العذب بين هذه العناصر المختلفة.

وإن تتبع الزخارف الإسلامية سواء أكانت هندسية أو خطية أو نباتية يجعل الناظر

---

[1]- أبو صالح الألفي، موجز تاريخ الفن، ص192-199

ينتقل من الخطوط اللينة إلى الجافة، ومن الانحناءات والانثناءات إلى ما يعارضها من خطوط أو ألوان أخرى، وكأن الإنسان يعيش في جو من التيه العذب الذي يذكرنا بجو الأسطورة الشرقية، وفيما يلي أهم العناصر الزخرفية الإسلامية:

العناصر الهندسية: (شكل 128، 131، 133)

عرفت الزخارف الهندسية منذ عصور ما قبل التاريخ، كما عرفتها الحضارات التي ازدهرت قبل الإسلام ولكن لم يكن لها الشأن العظيم الذي أصبح لها على يد المسلمين، وكانت تستعمل قبل الإسلام في الغالب إطارات لغيرها من الزخارف الرئيسية، ولكنها في العصر الإسلامي أصبحت تستخدم لذاتها وأصبحت عنصراً أساسياً من عناصر الزخارف الإسلامية، ومن الوحدات الإسلامية التي استخدمها المسلمون في عمائرهم وعلى تحفهم: الدوائر المتماسة والمتجاورة والجدائل والخطوط المنكسرة والمتشابكة، فضلاً عن الأشكال الهندسية البسيطة كالمثلث والمربع وأشكال المعين والأشكال الخماسية والسداسية، على أن أهم الزخارف الهندسية التي امتاز بها الفن الإسلامي زخارف الأطباق النجمية، وهي زخارف متعددة الأضلاع تركب بعضها إلى جوار بعض بحيث يتألف منها شبه طبق يتوسطه شكل نجمي تنطلق منه أجزاء الطبق الأخرى وتحيط به ومنها اللوزات والكندات والتاسومة ورجل الغراب..الخ، وقد أقبل المسلمون على استعمال هذا النوع من الزخرفة في العصر السلجوقي وشاع استعماله في العصرين الأيوبي والمملوكي، كما أقبل الفنانون في الغرب على استخدامه أيضاً، وكانت من أهم المواد التي تستعمل في زخرفتها الأطباق النجمية الخشب والتحف المعدنية والمخطوطات وبخاصة الصفحات المذهبة من المصاحف ابتداءً من القرن 7هـ/14م، ومما ساعد المسلمين على التوفيق في هذا النوع الدراية بالهندسة العملية والنظرية، وكان الميل إلى الزخارف الهندسية قد بدأ منذ القرن 4هـ/10م في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية كمصر والعراق والشام واليمن والأندلس، وكانت في البداية رسوماً هندسية بسيطة ثم زادت تعقيداً بالتدريج، فكان لتلك الرسوم أصول أولها تقسيم محيط الدائرة إلى أجزاء متساوية ثم توصيل النقط بعضها ببعض للوصول إلى الأشكال الهندسية المختلفة.

العناصر النباتية: (شكل 121، 122، 124، 127136)

أغرم المسلمون بالزخارف النباتية، غير أنهم ابتعدوا عن التمثيل الحقيقي لمظهر النبات الطبيعي، فظهرت الزخارف النباتية مجردة لا يبقى من الساق والأوراق إلا خطوط منحنية متتابعة، وهو ما عرف باسم زخرفة الأرابسك – أو التوشيح أو التوريق أو الرقش

العربي – المكونة من خطوط منحنية أو مستديرة أو ملتفة يتصل بعضها ببعض، وقد تتداخل معها فروع وزهور ووريقات ذات فص أو فصين أو ثلاثة أو أكثر، وقد يراعي في هذه الأشكال والفصوص مبدأ التقابل والتوازن والتماثل.

كما استعمل المسلمون في زخارفهم رسوماً نباتية أخرى غير الأرابسك تتكون من فروع نباتية وزهور ووريقات منفصلة لا تؤلف في مجموعها رسماً يمكن تسميته أرابسك، ومن أهم ما رسم في هذا الميدان الوريدات بأنواعها والأوراق الثلاثية والخماسية المثقوبة والسليمة، والمراوح النخيلية وأنصافها وزهور اللوتس ووريقاتها والشجيرات والأوراق وخاصة أوراق نبات الأكانتس والأوراق النصلية والأوراق الرمحية، ومما يلاحظ بوجه عام في تطور الزخارف النباتية أنها كانت تختلف في دقة تمثيلها للطبيعة حسب العصور والأقاليم، وتعد إيران وتركيا من أكثر الأقاليم عناية بتمثيل الطبيعة في الزخارف النباتية.

العناصر الخطية: (شكل 128، 129، 137)

ساعدت طبيعة الكتابة العربية على اتخاذها عنصراً من العناصر الزخرفية الجميلة، وتتضمن كتابات العمائر والتحف في الغالب بعض العبارات الدعائية أو الآيات القرآنية، فضلاً عن النصوص التاريخية والتأسيسية، وكذلك أسماء الخلفاء والأمراء والصناع وكل من عملت لهم المباني أو صنعت لهم التحف، وهي إلى جانب كونها نصاً تاريخياً أو تأسيسياً وخلافه تعد في معظم الأحيان عنصراً زخرفياً بذاتها، أو ليكون الغرض منها تنويعاً في الزخرفة لتبعد ما قد ينشأ من ملل في سيادة عناصر زخرفية معينة، لذلك عمد الفنانون المسلمون في كثير من الأحيان إلى تزيين سيقان الحروف ومداتها بأوراق ووريدات وغيرها من الزخارف النباتية، ووصلوا بين بعضها بخطوط مجدولة أو منثنية، وعمدوا أحياناً أخرى إلى كتابة الحروف المزخرفة الجميلة على أرضية من زخارف نباتية أخرى.

والخط العربي كما هو معروف نوعان:

النوع الأول: الخط الجاف ويعرف باسم الخط الكوفي وفروعه المختلفة التي تزيد على أربعين نوعاً، والذي يمتاز بزواياه القائمة وقد ظل مستعملاً حتى القرن 6هـ/12م على العمائر وفي المصاحف ولم يستعمل بعد ذلك إلا نادراً، وكان الخط الكوفي بسيطاً في أول أمره، ثم لاحظ الفنانون أنه مملوء بالفراغات والمناطق التي يمكن استغلالها من الناحية الزخرفية، فأخذوا يتطورون به في سبيل الرشاقة الزخرفية، ومنذ نهاية القرن 3هـ/9م أضيفت إلى قوائمه وبعض أجزائه ذيول من الزخارف

النباتية الصغيرة التي تتفرع وتتشابك مع بعضها، وتبعاً لدرجة التشابك وكثرة الزخارف سمي كل نوع منها باسم خاص ومنها الخط الكوفي المزهر أو المشجر أو المورق أو المظفر أو الهندسي أو المعماري..الخ، ومنذ القرن 5هـ/11م أصبحت الكتابة الكوفية تتميز بالأناقة، وكثرة الزخرفة في ذاتها وفي أرضيات الكتابة المكونة من الزهور، ولم يقف الفنانون المسلمون في استخدام الخط الكوفي عند حد الأشرطة الكتابية على العمائر والتحف بل ابتكروا أحياناً كتابة العبارات بالخط الكوفي المربع مما يجعله يبدو كالأختام الصينية، أو بالكوفي المتداخل أو المتناظر.

والنوع الثاني: الخط اللين بفروعه المتعددة وأهمها الخط النسخي والخط الثلث والديواني والرقعة والتعليق وفروع كل منها، وجميعها خطوط تمتاز حروفها باللين والاستدارة، وكان مستعملاً منذ البداية إلى جانب الخط الكوفي ثم عم استعماله بعد القرن 6هـ/12م، وكان قبل ذلك لا يكاد يستعمل إلا في المخطوطات العادية، ومن أهم أنواع الخط اللين: الخط النسخي الهندسي أو المتداخل بحيث تبدو كأنها على شكل طائر أو حيوان، فضلاً عن استخدام الخط الثلث وفروعه.

العناصر الحية: (شكل 119، 122، 124، 125، 127، 134)

أقبل المسلمون على استعمال رسوم الحيوان في زخارفهم إقبالاً شديداً حتى يبدو أنهم لم يعتقدوا أنها داخلة في نطاق التحريم أو الكراهية، ومن أهم الكائنات التي استعملها المسلمون في زخارفهم رسوم الأسود والفهود والغزلان والأرانب والطيور الصغيرة بأنواعها، وربما رسموها مع فروع نباتية تتدلى من منقارها ربطة حول رقبتها، وغالباً ما ترسم الحيوانات التي كانوا يصطادونها أو يصطادون بها، كما استعمل المسلمون رسوم الحيوانات الخرافية والمركبة، والتي لقيت إقبالاً عند المسلمين لأنها تتفق في تكوينها في البعد عن الحقيقة الطبيعية، وهذا هو الشيء الذي كان متبعاً في أصول الفن الإسلامي، ومن الحيوانات المركبة التي لقيت إقبالاً كبيراً، رسم الفرس ذات الوجه الآدمي التي تتفق مع وصف براق النبيﷺ في الكتب الإسلامية، وكذلك الطيور الصغيرة ذات الوجه الآدمي، إلى جانب ذلك وفق المسلمون في تمثيل مناظر الصراع بين الحيوانات وبين الإنسان والحيوانات، ومناظر انقضاض الحيوانات والطيور على بعضها، واتخذت الرسوم في معظم الأحيان موضوعاً زخرفياً بحيث ترسم داخل دوائر أو أشرطة أو في مناطق هندسية مختلفة الأشكال متواجهة أو متدابرة، وفضلاً عن ذلك أنتج الفنانون المسلمون أواني معدنية وخزفية وخشبية على أشكال الحيوانات المختلفة كالخيول والطيور، والتي

تأثر بها من الفن الصيني القديم، وقد نقل الغربيون عن المسلمين هذه الأواني في العصور الوسطى وعرفت باسم "أكوامنيل"، وكان القساوسة يستعملون هذه الأواني لغسل أيديهم أثناء الصلاة وبعدها.

وفضلاً عن ذلك استخدمت الرسوم الآدمية في تزيين التحف الخزفية والخشبية وغيرها وعلى وجه الخصوص في العصر الفاطمي، كما رسمت المناظر الآدمية بالألوان على الجدران المكسوة بالجص تمثل مناظر الطرب والرقص ومناظر حرب، كما في حمام قصير عمرا الأموي والقصور العباسية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

1- ابن الأزرق، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد (ت896هـ/1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: سامي النشار(د)، منشورات وزارة الإعلام- الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التراث (45)، 1977م.

2- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن وعيون من أخبار سادات الزمن، تحقيق: فؤاد سيد، القاهرة 1957م.

3- الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، جزءان، تحقيق القاضي محمد الأكوع، 1989م.

4- الخزرجي، علي بن الحسن، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور، وزارة الإعلام والثقافة صنعاء، الطبعة الثانية 1981م

5- الخزرجي، علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، جزءان، تحقيق: القاضي محمد الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء دار الآداب بيروت، الطبعة الثانية 1983م.

6- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار ابن خلدون الإسكندرية.

7- ابن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: القاضي محمد الأكوع، الطبعة الثانية 1988م.

8- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي(ت944هـ) بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء الطبعة الأولى،1979م.

9- الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني (ت460هـ)، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د:حسين العمري، دار الفكر العربي بيروت، ط3، 1989م.

10- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق: حامد عبد الله ربيع(د)، دار الشعب القاهرة، 1983م.

11- الزركشي محمد بن عبد الله،إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفى المراغي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الرابعة القاهرة، 1996م.

12- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع صنعاء، الطبعة الثالثة 1985م

13- ابن المجاور، جمال الدين، أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (ت690هـ)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة تاريخ المستبصر لابن المجاور، تصحيح: أوسكر لوففرين، منشورات دار المدينة، الطبعة الثانية، 1407هـ/1986م.

14- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد (ت388هـ/998م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، مطبعة بريل، ط 2، 1909م.

15- الهروي، علي بن أبي بكر(ت611هـ/1214م)، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق: مطيع المرابط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1972م.

16- يحي بن الحسين، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د: سعيد عبد الفتاح عاشور.

ثانياً المراجع العربية:

17- أبو صالح الألفي، موجز تاريخ الفن العام،القاهرة، 41965م.

18- أحمد عيسى(د) تاريخ البيمارستان في الإسلام، دار الرائد العربي بيروت، الطبعة الثانية 1981م.

19- أحمد فكري(د)،مساجد القاهرة ومدارسها، ج2، العصر الأيوبي، دار المعارف مصر،.

20- أحمد قائد الصائدي(د)، المادة التاريخية في كتابات نيبور عن اليمن، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى 1990م.

21- إسماعيل الأكوع(القاضي)، المدارس الإسلامية في اليمن، منشورات جامعة صنعاء،الطبعة الأولى 1400هـ/1980م.

22- أصغر قائدان، تاريخ آثار مكة والمدينة، دار النبلاء، الطبعة الأولى، 1999م.

23- أمال العمري(د)،علي الطايش(د)، العمارة في مصر الإسلامية، مكتبة الصفا والمروة 1996م.

24- بربارة فنستر، تقارير أثرية من اليمن، ترجمة عبد الفتاح البركاوي(د)، الجزء الأول، المعهد الألماني للآثار، صنعاء 1982.

25- حسن الباشا (د)، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، 5 مجلدات، أوراق شرقية، الطبعة الأولى، 1999م.
26- حسن الباشا(د)، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، 1990م.
27- حسني نويصر (د)، العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، 1996م.
28- حسني نويصر(د)، الآثار الإسلامية، مكتبة نهضة الشرق، 1996م.
29- حسني نويصر(د)، السبيل تاريخه وأنواعه، مذكرات لم تنشر بعد.
30- حسين مؤنس(د)، المساجد، عالم المعرفة، عدد37، 1981م.
31- خالد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف قطر، عدد58، السنة17، الطبعة الأولى 1997م.
32- رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى1993م.
33- زكي الميلاد، الجامع والجامعة والجماعة، دراسة في المكونات المفاهيمية والتكامل المعرفي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى1998م.
34- زكي محمد حسن (د)، فنون الإسلام، دار الفكر العربي، د.ت.
35- زكي محمد حسن (د)، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، القاهرة، 1956م
36- زكي محمد حسن(د)، تراث الإسلام في الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، دار الكتاب العربي سوريا، الطبعة الأولى 1984م.
37- سامي محمد نوار(د)، المنشآت المائية بمصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، 1999م.
38- سعاد ماهر محمد (د)، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1986م.
39- سعد محمد المؤمني، القلاع الإسلامية في الأردن، الفترة الأيوبية المملوكية، دراسة تاريخية أثرية استراتيجية، دار البشير عمان، 1988م.
40- سوسن سليمان يحي(د)، منشآت السيف والقلم في الجهاد الإسلامي، العمارة الأيوبية، مكتبة الشباب القاهرة، 1414هـ/1994م.
41- سيد عبد العزيز سالم (د)، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1986م.
42- سيد عبد العزيز سالم(د)، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب

الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، 1984م.
43- شوقي شعث(د) ، قلعة حلب وتاريخها ومعالمها الأثرية ، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.
44- صلاح حسين العبيدي (د)، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، جامعة بغداد 1987م.
45- طاهر مظفر العميد(د)، آثار المغرب والأندلس، جامعة بغداد، 1989م
46- طاهر مظفر العميد(د)، تخطيط المدن العربية الإسلامية، جامعة بغداد، 1986م
47- عبد السلام أحمد نظيف، دراسات في العمارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م.
48- عبد العزيز حميد (د)، وآخرون، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية، منشورات جامعة بغداد، د.ت.
49- عبد القادر الريحاوي (د)، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، جزءان، وزارة الثقافة، سوريا، 2000م.
50- عبد القادر الريحاوي(د)، قلعة الحصن، مطبوعات مديرية الآثار والمتاحف، دمشق، 1960م.
51- عبد الله عبد السلام الحداد، صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية، دار الآفاق العربية القاهرة، الطبعة الأولى 1999م.
52- عبد الله عبد السلام الحداد، مدينة حيس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية، سلسلة مدن تراثية (5) دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
53- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي (د)، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982م.
54- علي أحمد الطايش (د)، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الثانية 2003م.
55- غازي رجب محمد(د)، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، كلية الآداب جامعة بغداد، 1989م.
56- فريد شافعي(د)، العمارة العربية في مصر الإسلامية في عصر الولاة، 21-358هـ/639-969م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.
57- فريد محمود شافعي(د)، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود الرياض، الطبعة الأولى 1402هـ/1982م.

58- قتيبة الشهابي (د)، أبواب دمشق وأحداثها التاريخية، وزارة الثقافة، سوريا، 1996م.
59- كامل حيدر(د)، العمارة العربية الإسلامية الخصائص التخطيطية للمقرنصات، دار الفكر اللبناني بيروت.
60- كريزويل .ك . أ، وصف قلعة الجبل، ترجمة: جمال محمد محرز (د)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/1974م.
61- كريزويل .ك. أ، الآثار الإسلامية الأولى، ترجمة: عبد الهادي عبلة، وأحمد غسان سبانو، دار قتيبة دمشق، الطبعة الأولى1404هـ/1984م
62- كمال الدين سامح(د)، العمارة الإسلامية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1983م.
63- مجد الدين المؤيدي، لوامع الأنوار ومطالع الأسرار، جزءان، دار التراث، صعدة، 1999م.
64- محمد حمزة الحداد(د)، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993م.
65- محمد حمزة الحداد(د)، بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية، دار نهضة الشرق القاهرة.
66- محمد حمزة الحداد(د)، دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، في ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الأثرية والوثائقية والتاريخية، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1996م.
67- محمد عبد الستار عثمان(د)، المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى 1999م.
68- محمد محمد أمين(د)، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، دار النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.
69- محمد محمد المجاهد ، مدينة تعز غصن نظير في دوحة التاريخ العربي، الطبعة الأولى 1997م.
70- مصطفى عبد الله شيحة (د)، الآثار الإسلامية في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الأيوبي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1992م.
71- مصطفى عبد الله شيحة(د)، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية، وكالة سكرين، القاهرة، الطبعة الأولى1987م.
72- يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، جزءان، مكتبة مدبولي، الطبعة

الأولى 1999م.
73- يوسف القرضاوي (د)، الحلال والحرام في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون، 1993م.

ثالثاً الرسائل العلمية:

74- إبراهيم أحمد المطاع، المدرسة المنصورية بمدينة جُبن، دراسة أثرية حضارية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1994م.
75- أحمد محمد أحمد الحزمي، القيم الجمالية لعناصر واجهات المباني التراثية في مدينة زبيد التاريخية كمنهج لتأصيل العمارة التراثية في اليمن، رسالة ماجستير (غير منشورة، كلية الهندسة، جامعة الأزهر، 2000م.
76- أسامة طلعت عبد النعيم، أسوار صلاح الدين وأثرها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1992م.
77- جمال عبد الرحيم إبراهيم، الزخارف الجصية في عمائر القاهرة الدينية الباقية في العصر المملوكي البحري، 648-584هـ/1250-1382م، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1986م.
78- سيد محمود البنا، دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاءالقديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1993م.
79- عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، رسالة دكتوراه(غير منشورة) كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، 1986م.
80- عبد العزيز بن راشد السنيدي، المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد بن سعود، 1990م.
81- عبد الله إبراهيم الراشد، المنشآت المعمارية الرسولية في اليمن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الملك سعود الرياض، 1992م.
82- عبد الله عبد السلام الحداد، المنشآت العسكرية بمدينة زبيد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة، 2000م.
83- عبد الله عبد السلام الحداد، مساجد ومدارس مدينة حيس اليمنية منذ عهد الدولة الرسولية وحتى نهاية عصر الدولة الطاهرية، رسالة ماجستير غير منشورة،

كلية الآثار جامعة القاهرة، 1995م.
84- عبد الله كامل موسى، دراسة معمارية مقارنة للعمائر الدينية في عصر الدولة الصليحية باليمن والفاطمية في مصر، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1990م.
85- علي سعيد سيف، الأضرحة في اليمن، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة صنعاء، 1999م.
86- علي سعيد سيف، مآذن صنعاء حتى نهاية القرن 12هـ/18م، رسالة ماجستير مكملة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994م.
87- غيلان حمود غيلان، الأخشاب المزخرفة في اليمن 265-532هـ/878-1137م، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1996م.
88- غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ/18م، رسالة دكتوراه مكملة، كلية الآداب جامعة بغداد،2000.
89- فاروق أحمد حيدر، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين8،7هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس.
90- فهمي علي بن علي الأغبري، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1994م.
91- محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أسيوط، 1980م.
92- محمد عبده محمد السروري، مظاهر الحضارة في الدول المستقلة في اليمن 439-626هـ، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1990م.

رابعاً المعاجم:

93- إبراهيم احمد المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.
94- الفيروزآبادي القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
95- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
96- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف مصر، ج3.

خامساً المقالات والأبحاث:

97- حسن الباشا(د)، دراسة جديدة في نشأة الطراز المعماري للمدرسة المصرية ذات التخطيط المتعامد، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الثالث، 1989م.

98- حسني نويصر(د)، عوامل مؤثرة في تخطيط المدرسة المملوكية، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

99- ربيع حامد خليفة(د)، الفنون الإسلامية في عهد الدولة الرسولية 626-858هـ/1229-1454م، مجلة كلية الآداب، جامعة صنعاء، عدد8، 1988م..

100- ربيع حامد خليفة(د)، تربة وجامع أحمد بن علوان بقرية يفرس، دراسة أثرية معمارية، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد الخامس1991م.

101- رشيد بو رويبة(د)، الطراز الموحدي ومشتقاته: الحفصي والمريني والزياني والنصري، بحث في كتاب الفن العربي الإسلامي، ثلاثة أجزاء، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1995م.

102- سعيد عبد الفتاح عاشور(د)، العلم بين االمسجد والمدرسة، بحث منشور في كتاب: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين رقم51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

103- سيد عبد العزيز سالم (د)، العمارة الحربية في الأندلس، سلسلة دائرة معارف الشعب، عدد64، القاهرة،1959م.

104- سيد عبد العزيز سالم(د)، وسائل الدفاع الإسلامي في الأندلس، مجلة الجيش، عدد82، 1957م.

105- عبد الرحمن زكي (د)، العمارة العسكرية في العصور الوسطى بين العرب والصليبيين، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد7، 1958م.

106- عبد الرحمن زكي(د)، القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مجلد15، 1969م.

107- عبد الرحمن زكي(د)، بين قلاع العرب، الحرب عند العرب، سلسلة كتابك رقم 88، دار المعارف القاهرة، 1977.

108- عبد العزيز حميد(د) العمارة والرسوم الجدارية في شبه الجزيرة العربية، العرب

قبل الإسلام، بحث ألقي في حلقة دراسية أقامها مركز الاحياء العلمي العربي في 25-2-1990م، ونشرت في كتاب العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها في العمارة بعد الإسلام، جامعة بغداد، 1990م.
109- عبد الله عبد السلام الحداد (د)، مسجد ومدرسة التكية بحيس، دراسة أثرية معمارية، مجلة الإكليل، وزارة الثقافة صنعاء، العدد 26، صيف 2002م.
110- عبد الله عبد السلام الحداد (د) الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن، دراسة تاريخية أثرية، العدد السنوي الخاص لمجلة المنهل السعودية، التراث المعماري في الحضارة الإسلامية عدد571، مجلد61، السنة66، يناير/فبراير 2001م.
111- عبد الله عبد السلام الحداد (د)، المدرسة اليمنية: نشأتها وظائفها عمارتها أنواعها، العدد السنوي الخاص لمجلة المنهل السعودية، التراث المعماري في الحضارة الإسلامية عدد571، مجلد61، السنة66، يناير/فبراير 2001م.
112- عبد الله عبد السلام الحداد (د) استحكامات مدينة زبيد الحربية وعناصرها الدفاعية والمعمارية، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الأول، كلية الآداب جامعة الحديدة (زبيد وصلاتها العلمية بالعالم العربي والإسلامي)، 14-17 ديسمبر 2002م.
113- عبد الله عبد السلام الحداد (د) تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأيوبي في اليمن، مؤتمر الخطوط والنقوش والكتابات في العالم عبر العصور، 24-27 أبريل 2003م.
114- عبد الله عبد السلام الحداد (د) أثر تخطيط مدينة بغداد على تخطيط المدن الإسلامية في اليمن في العصر العباسي "مدينة زبيد نموذجاً")، الندوة الخامسة لتاريخ الجزيرة العربية: الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن 4هـ/10م، جامعة الرياض8-10 أكتوبر 2003م.
115- عفاف سيد صبرة(د)، المدارس في العصر الأيوبي، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
116- غازي رجب (د) عمارة البيت العراقي الإسلامي، بحث في كتاب العمارة العربية قبل الإسلام وأثرها في العمارة بعد الإسلام، مركز إحياء التراث، جامعة بغداد، 1990م.
117- محمد سيف النصر أبو الفتوح (د)، المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد، مجلة كلية الآداب، قنا، جامعة أسيوط، العدد2، 1992م.

118- محمد سيف النصر أبو الفتوح (د)،نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية، مجلة الإكليل، وزارة الإعلام ، صنعاء، العدد الأول، السنة الثالثة، 1406هـ/1985م.
119- محمد عبد الهادي شعيرة(د)، من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية، تونس18-29 مايو1963، جامعة الدول العربية، 1965م، ص423.
120- مصطفى عبد الله شيحة(د)، دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية، بحث ضمن كتاب تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين51، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.
121- مطهر علي الإرياني، القضاض، الموسوعة اليمنية، جزءان، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، الطبعة الأولى 1412هـ/1992م.
122- يوسف محمد عبد الله (د)، المدينة اليمنية التاريخية، الموقع والتاريخ، مجلة اليمن الجديد، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء، عدد1، سنة16، جمادى الأول1407هـ/يناير1987م.

سادساً المراجع الأجنبية:

123- Creswel, k.a.c.,the muslem architecture of egypt, band1, ikhshids and fatimids a.d 939-1711, oxford at the clarendon press, mc mlii, 1951.
124- Jean- Francois Breton, Les Fortifications D, Arabie meridionale du 7e au 1er siecle avant notre ere, deutsches archaologisches institut sanca, archaologische berichte aus dem yemen, bandviii, 1994,verlag philipp von zabern . mainz am rhein.
125- Lewcock, r & others, the urban development of sanaa' sanaa an-arabian islamic city' edited by r. b. sergeant and lewcock. london, 1983.
126- Ponnenfant,baul .la, qadad, les maisons tours de sanaa, les presses du cnrs 1989.
127- Serjeant.r.b, & Ronald Lewcock, Sanaa an arabian islamic city.

world of islam festival trust.

ثامناً: الرسائل العلمية الأجنبية:

128- NOHA SADEK ,PATRONAGE AND ARCHITECTURE IN RASULID YEMEN 626-858A.H/1229-1454A.D, for the degree of ph.d, UNIVERSITY OF TORONTO,1990A.D.

129- Venetia ann porter, tha art of the rasulids: yemen 3000 years of art and civilisation in arabia felix, edited by: werner daum, published by: innsbruck: pinguin verlag,1988.

تاسعاً: المقالات والأبحاث الأجنبية:

130- Center for yemeni-italian archaeological research islamic section, materials for a typology of yemeni religious architecture. 1987 campaign. draft report

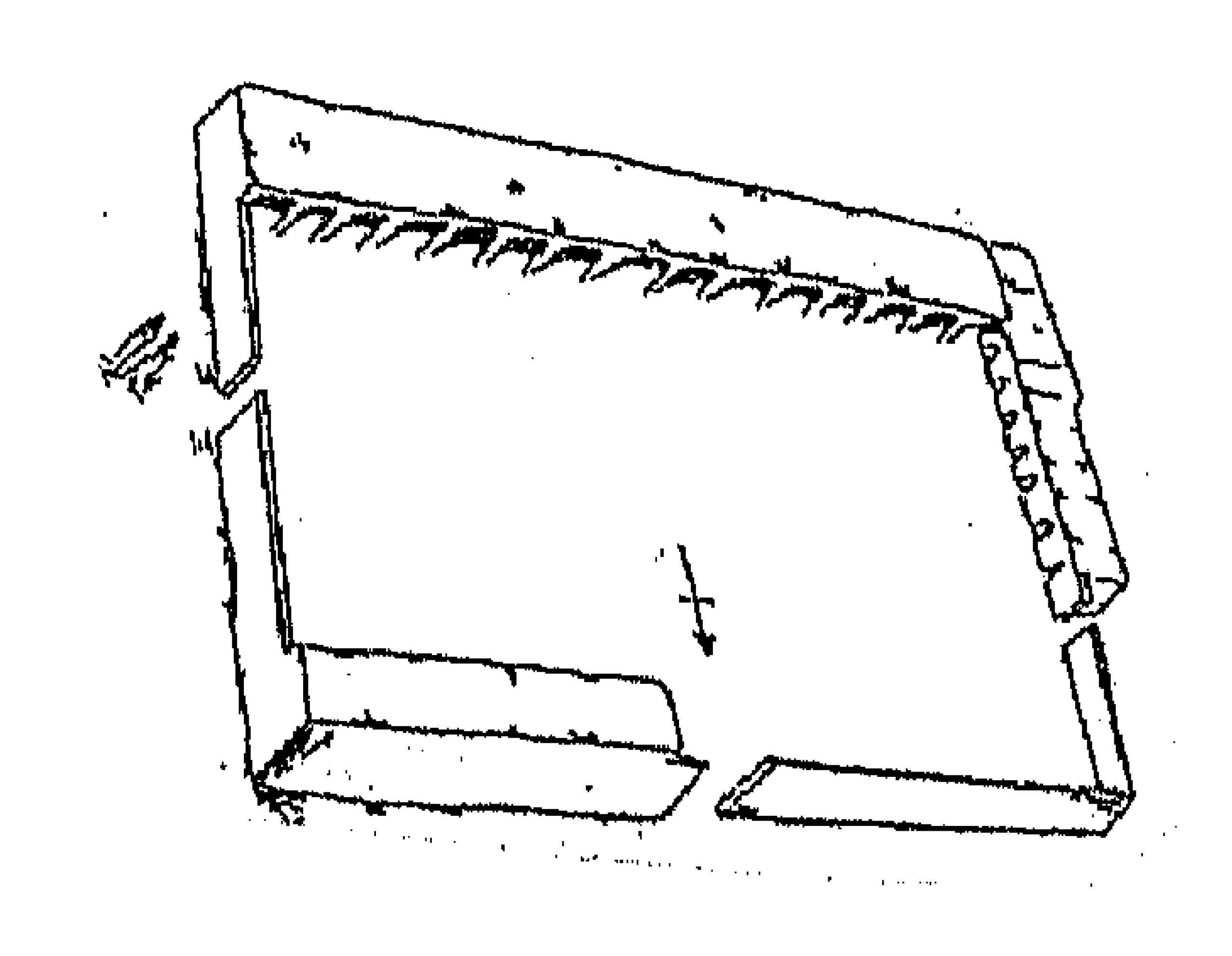
131- Ismeo activitis, report on the activitis of the italian institute for the middle and east, archaeological activitis in the yemen arab republic, 1984.

132- Ismeo activitis, report on the activitis of the italian institute for the middle and east, archaeological activitis in the yemen arab republic, 1986

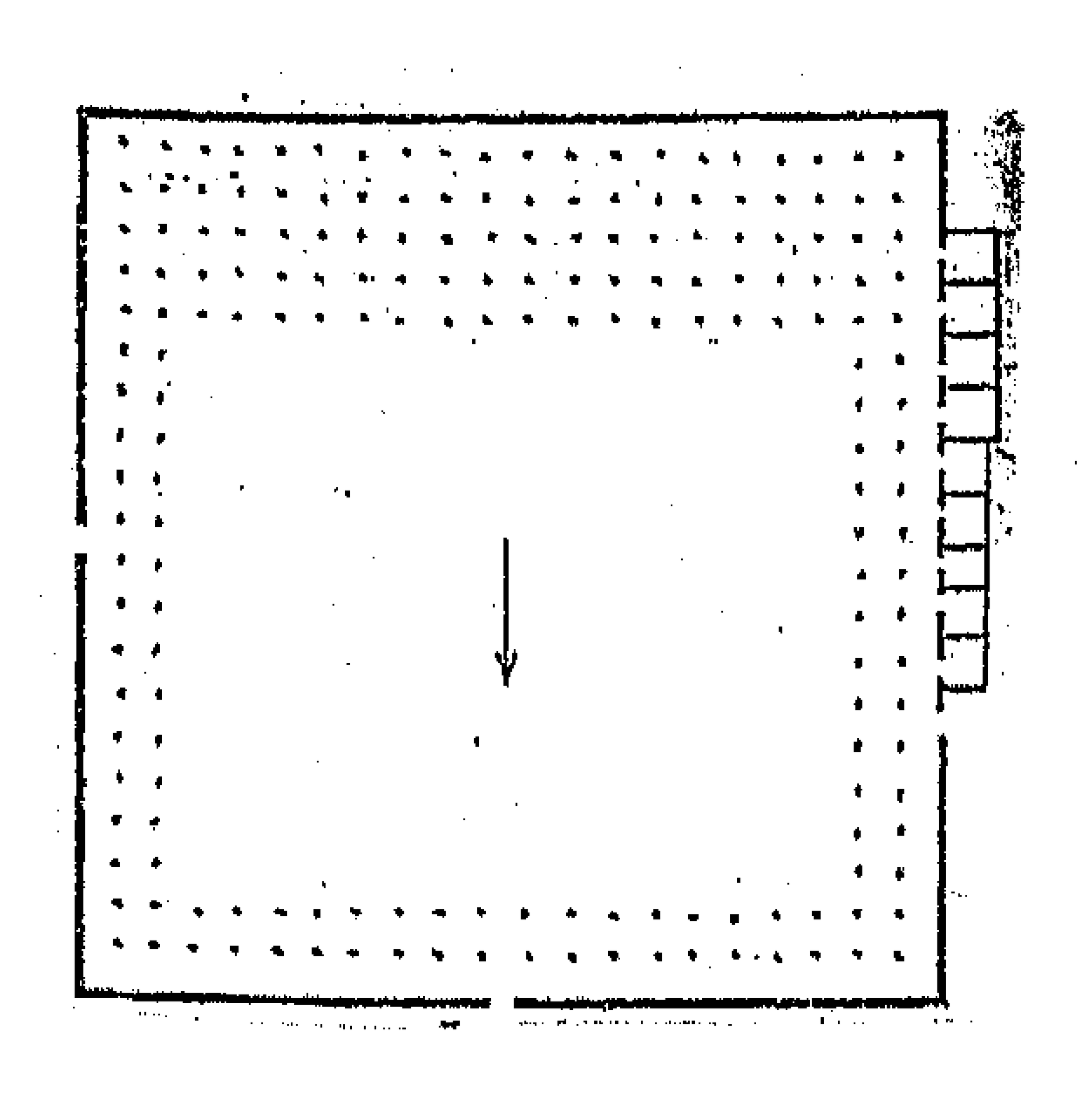
133- NANKIVELL, JOHN,TIHAMAH PORTFOLIO – ASELECTION OF DRAWINGS AND COMMENTARY BY THE ARTIST, STUDIES ON THE TIHAMAH: THE REPORT OF THE TIHAMAH EXPEDITION, 1982, AND RELATED PAPERS, EDITED BY: FRANCINE STONE, LONGMAN

134- STEVEN, D, EHRLICH, TIHAMAH ARCHITECTURE - AN ARCHITECTS SURVEY DRAWINGS, STUDIES ON THE TIHAMAH: THE REPORT OF THE TIHAMAH EXPEDITION, 1982, AND RELATED PAPERS, EDITED BY: FRANCINE STONE, LONGMAN.

ملحق الأشكال

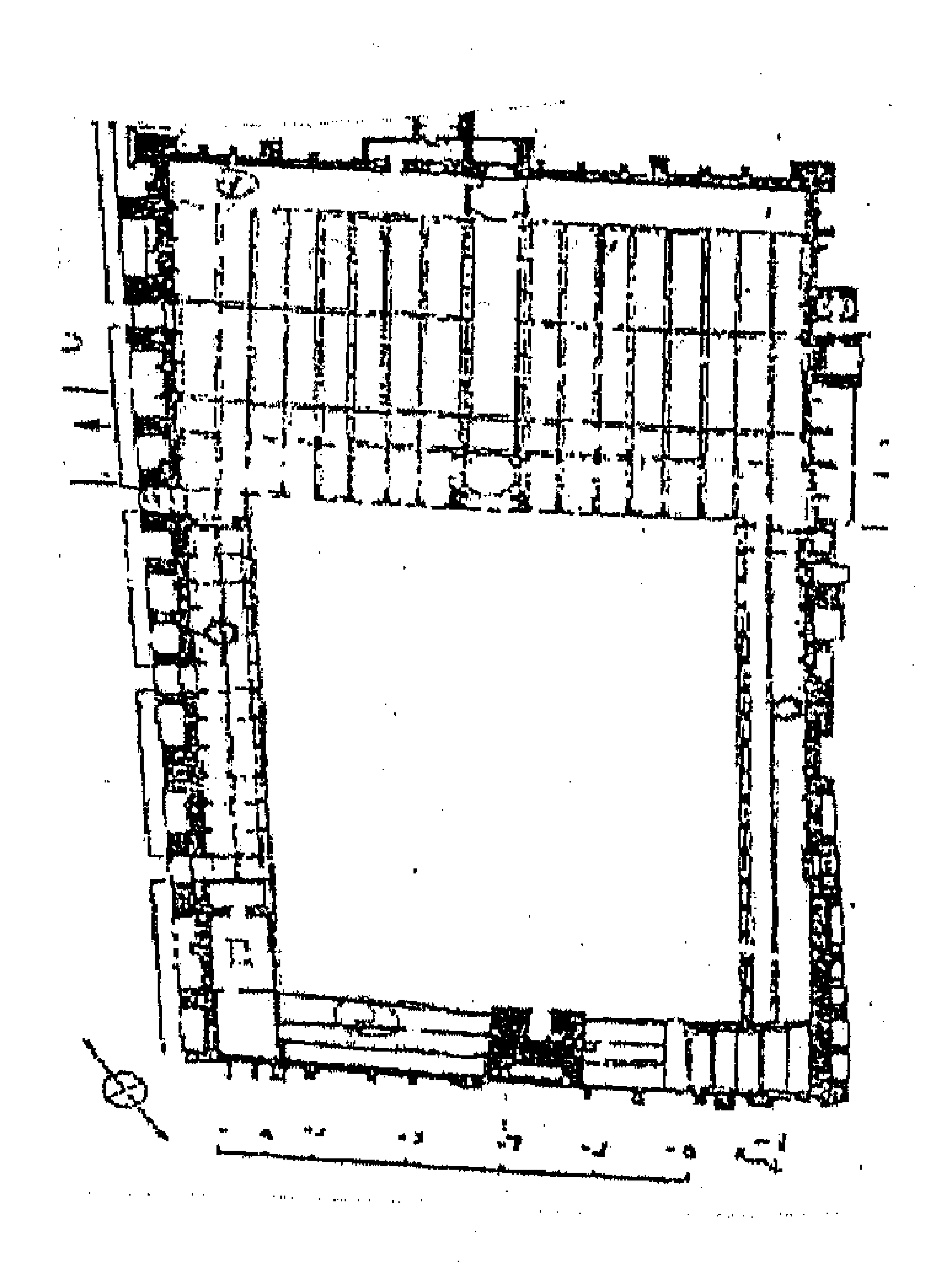


(شكل1 أ) المسجد النبوي على عهد الرسولﷺ

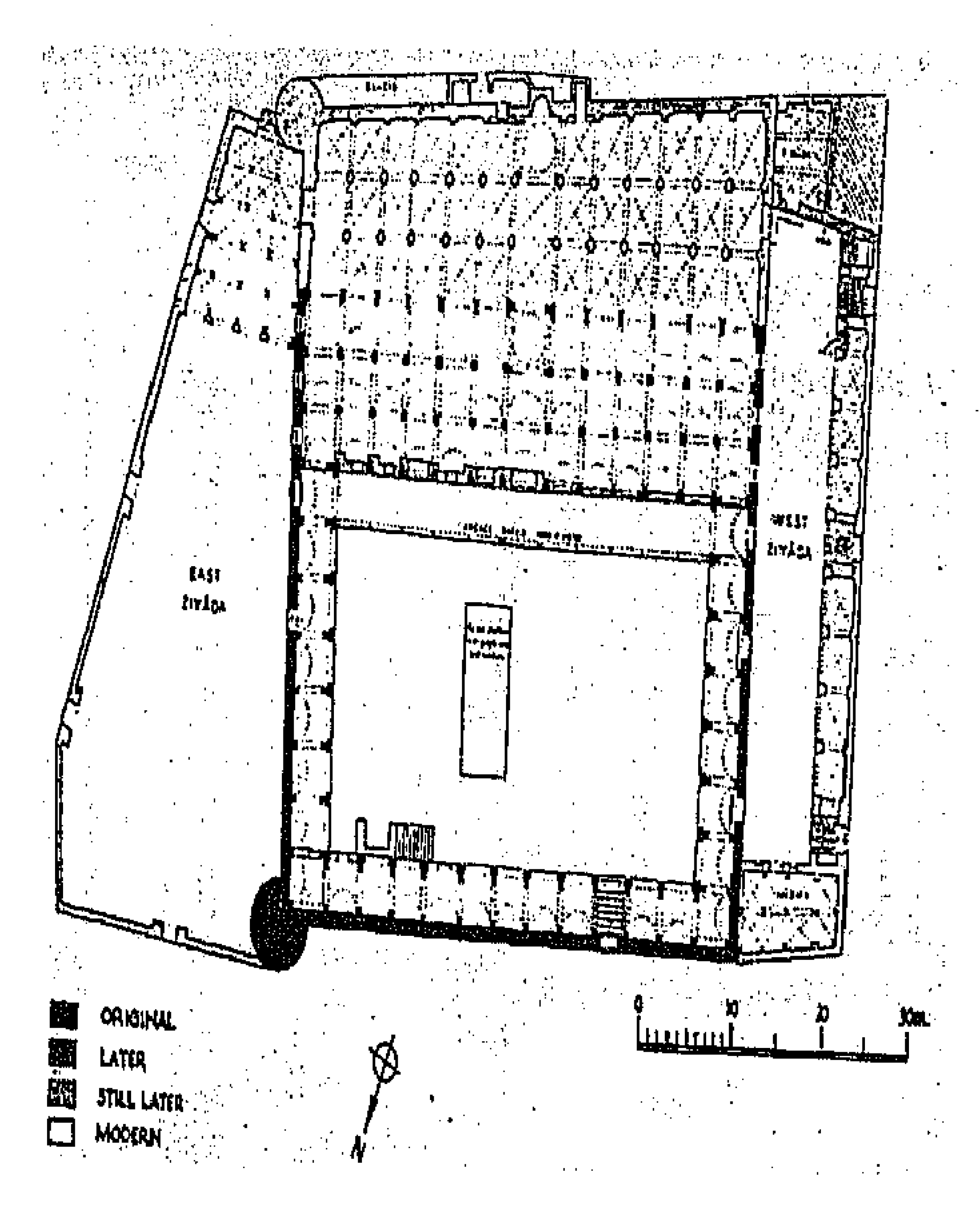


(شكل1 ب) المسجد النبوي على عهد عثمان رضي الله عنه

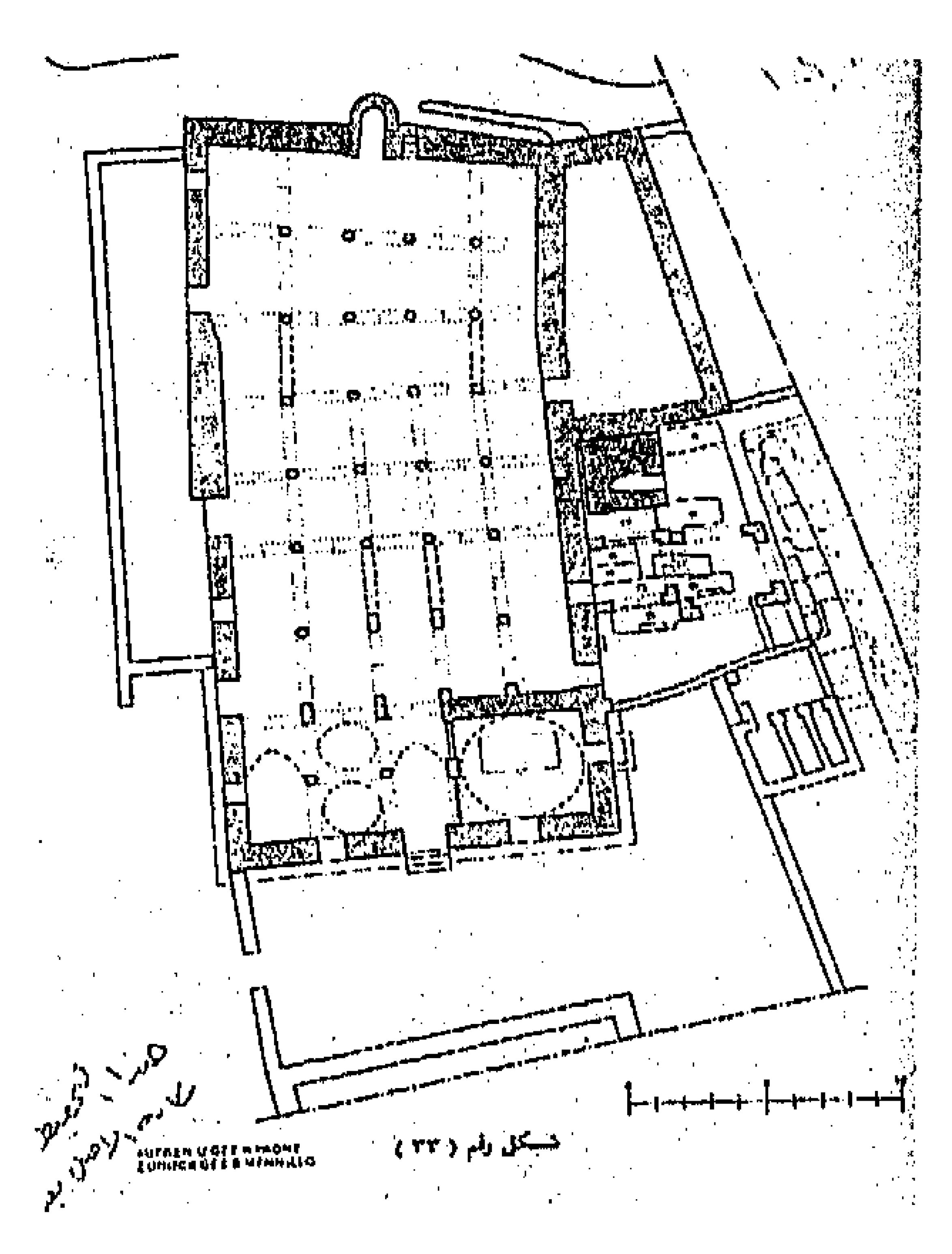
(شكل2) مسجد عمرو بالفسطاط



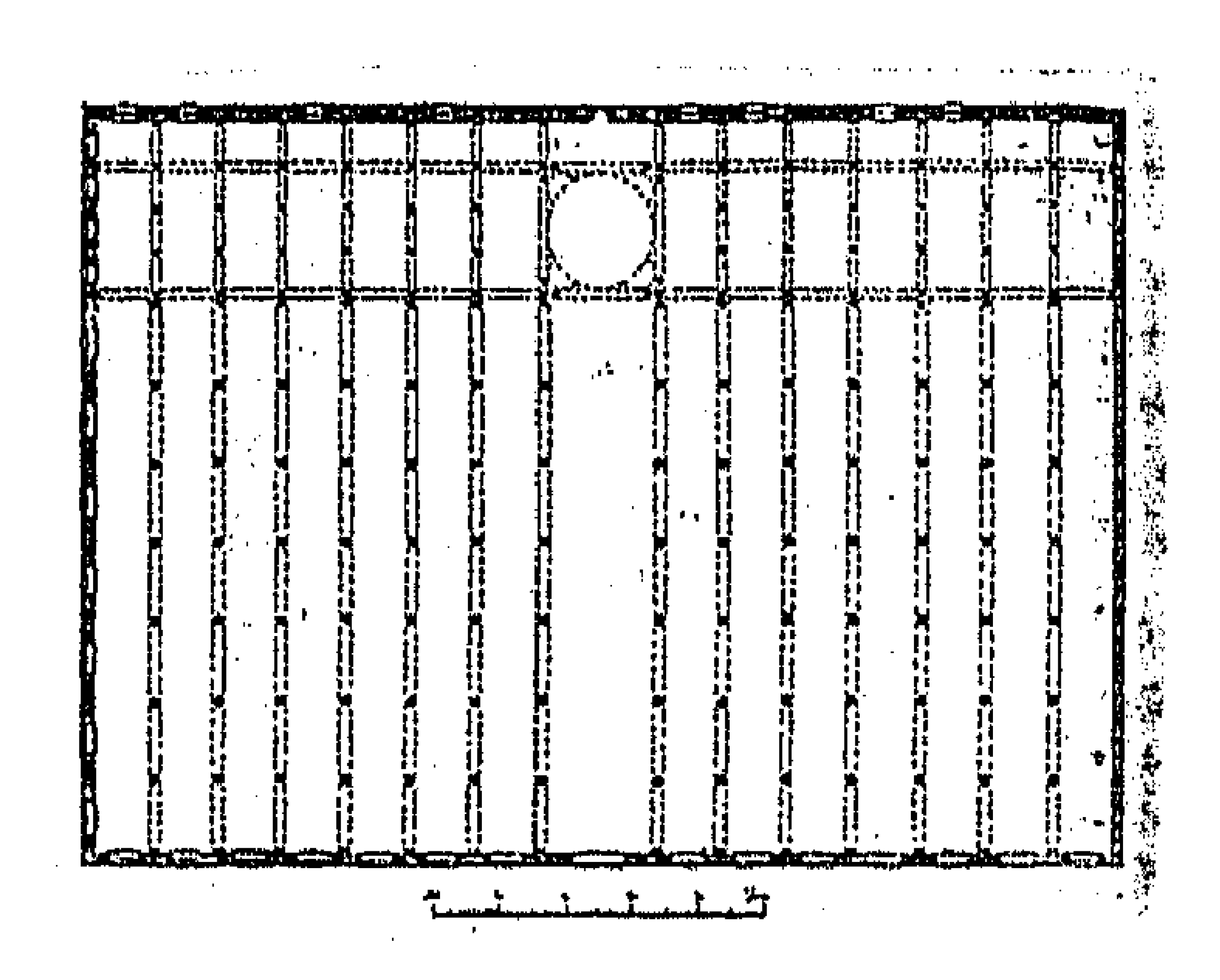
(شكل3) جامع قرطبة

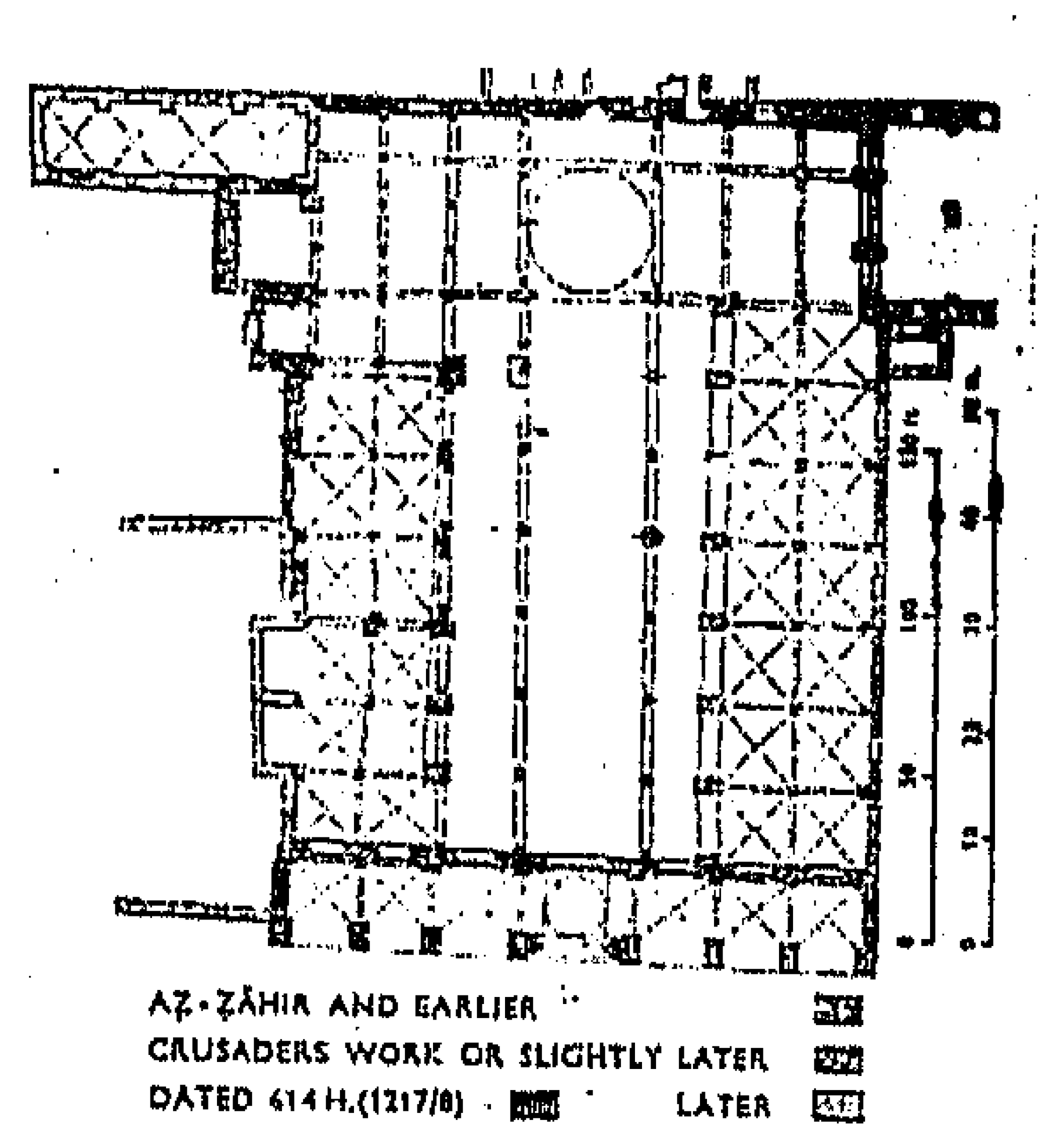


(شكل 4) جامع سوسة

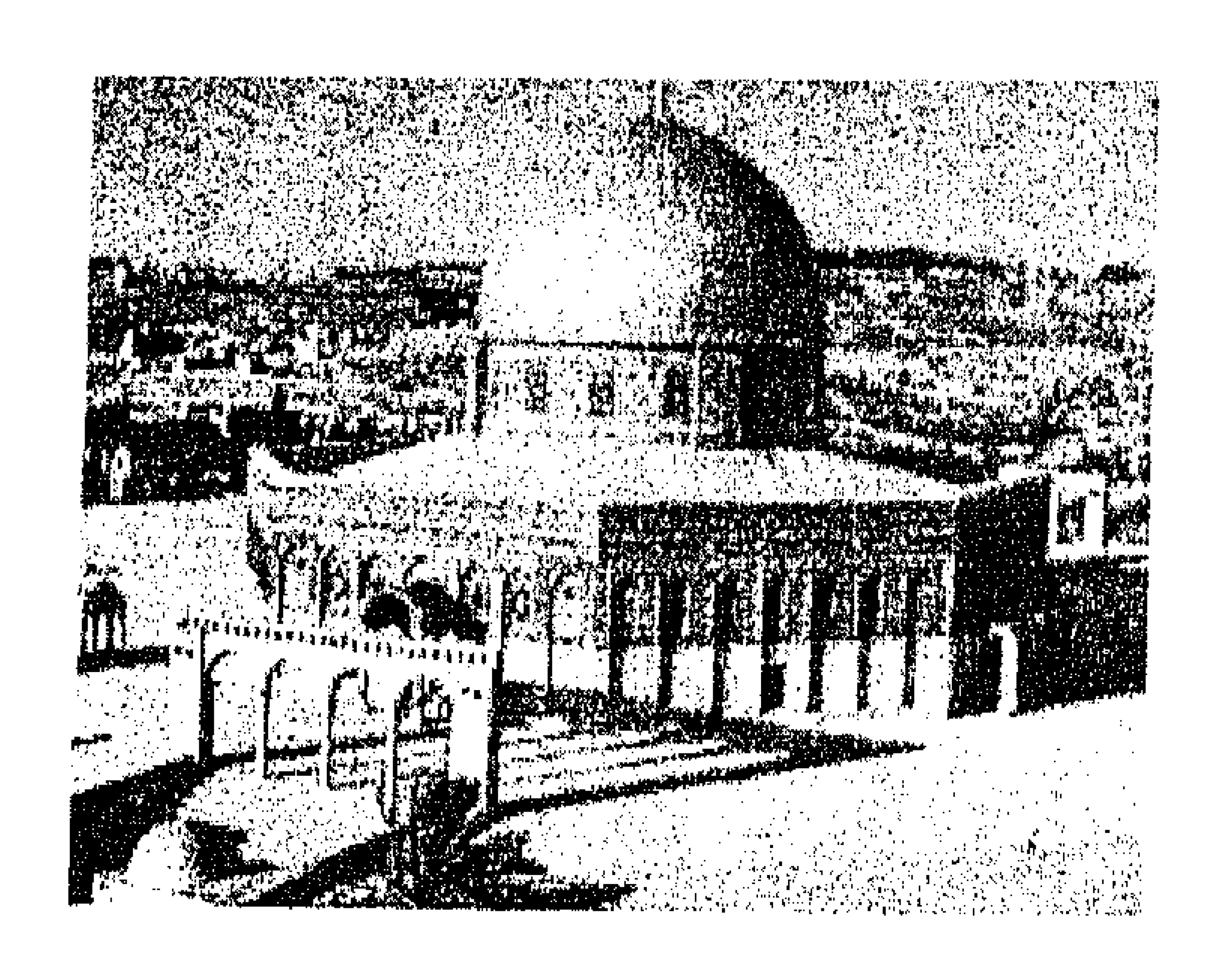


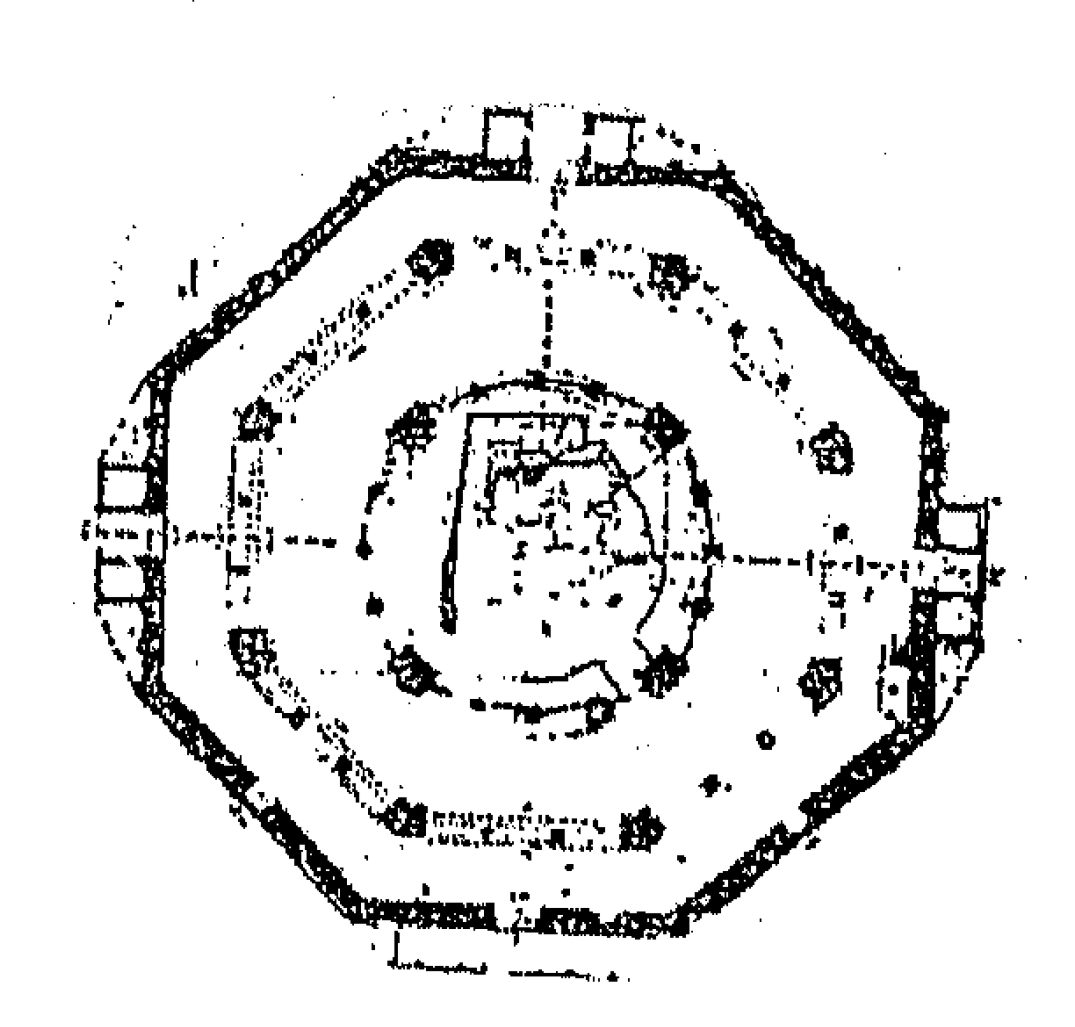
(شكل5) مسجد ظفار ذيبين



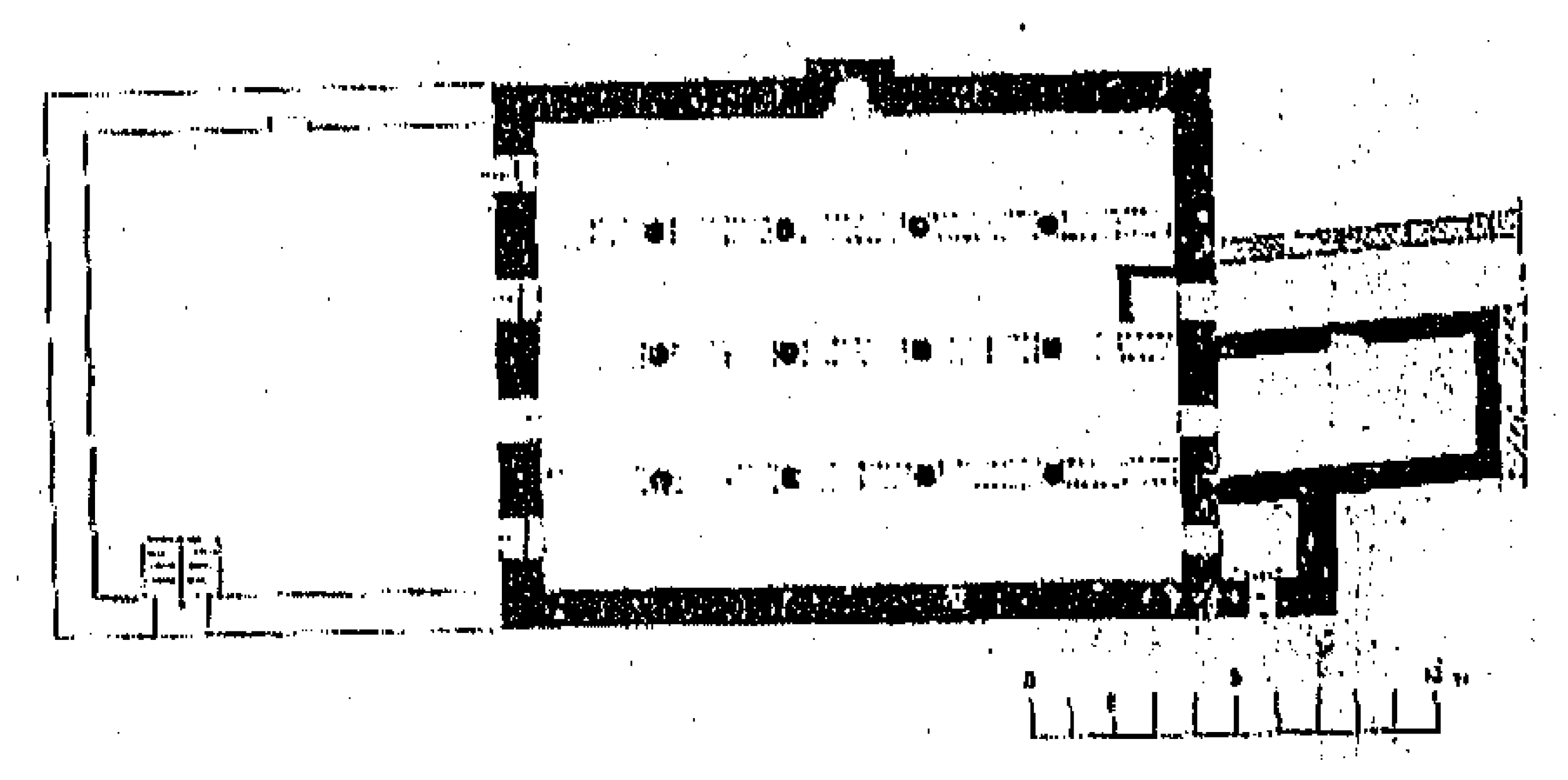


(شكل 6 أ) المسجد الأقصى في العصر العباسي (ب) المسجد الأقصى الحالي.



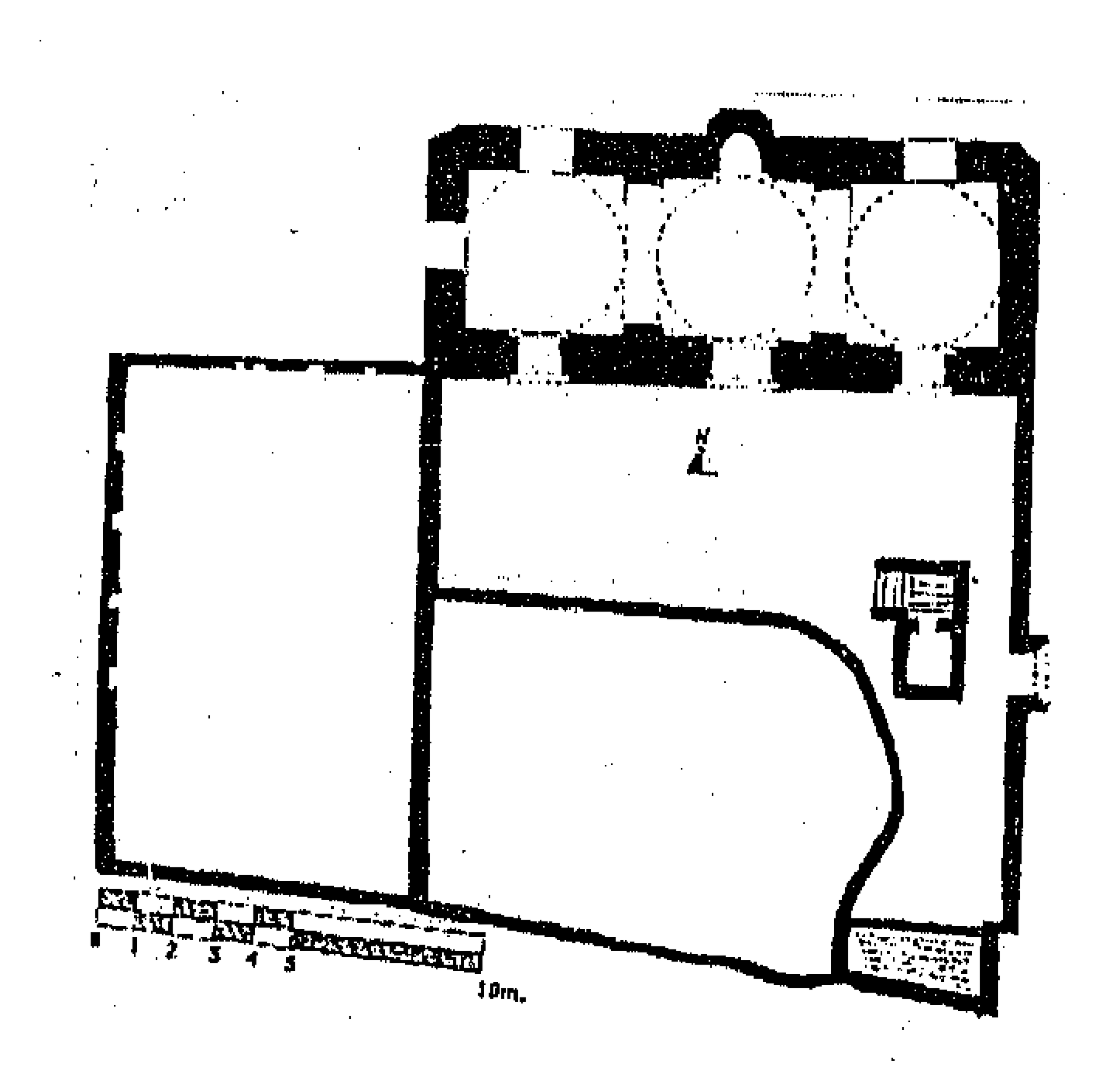


(شكل 7) المسقط الأفقي، وصورة قبة الصخرة بالقدس



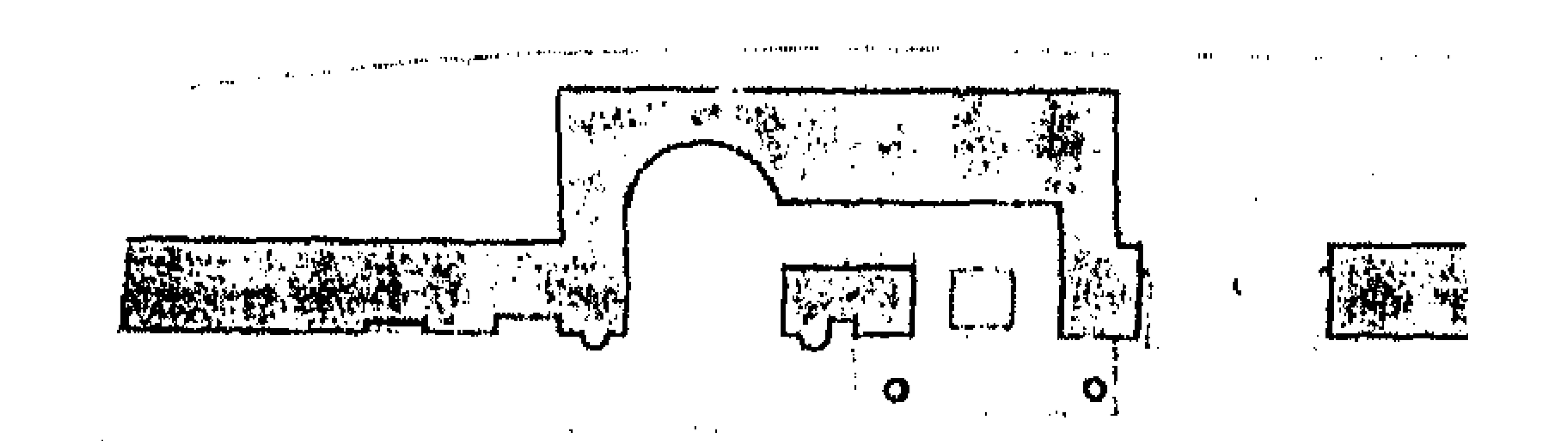
(شكل8) تخطيط المسجد بنظام البنية

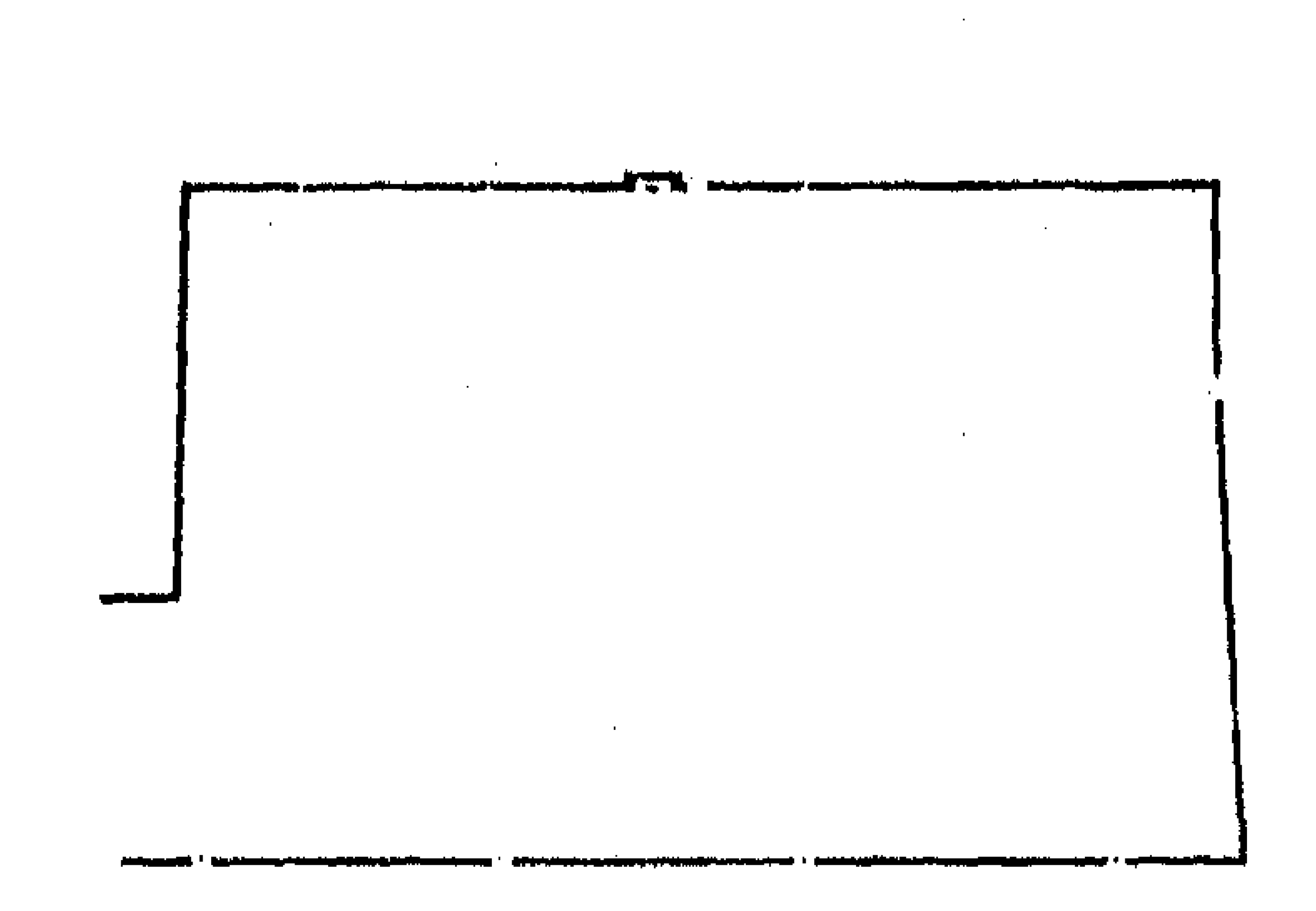
مسجد الوشلي صنعاء



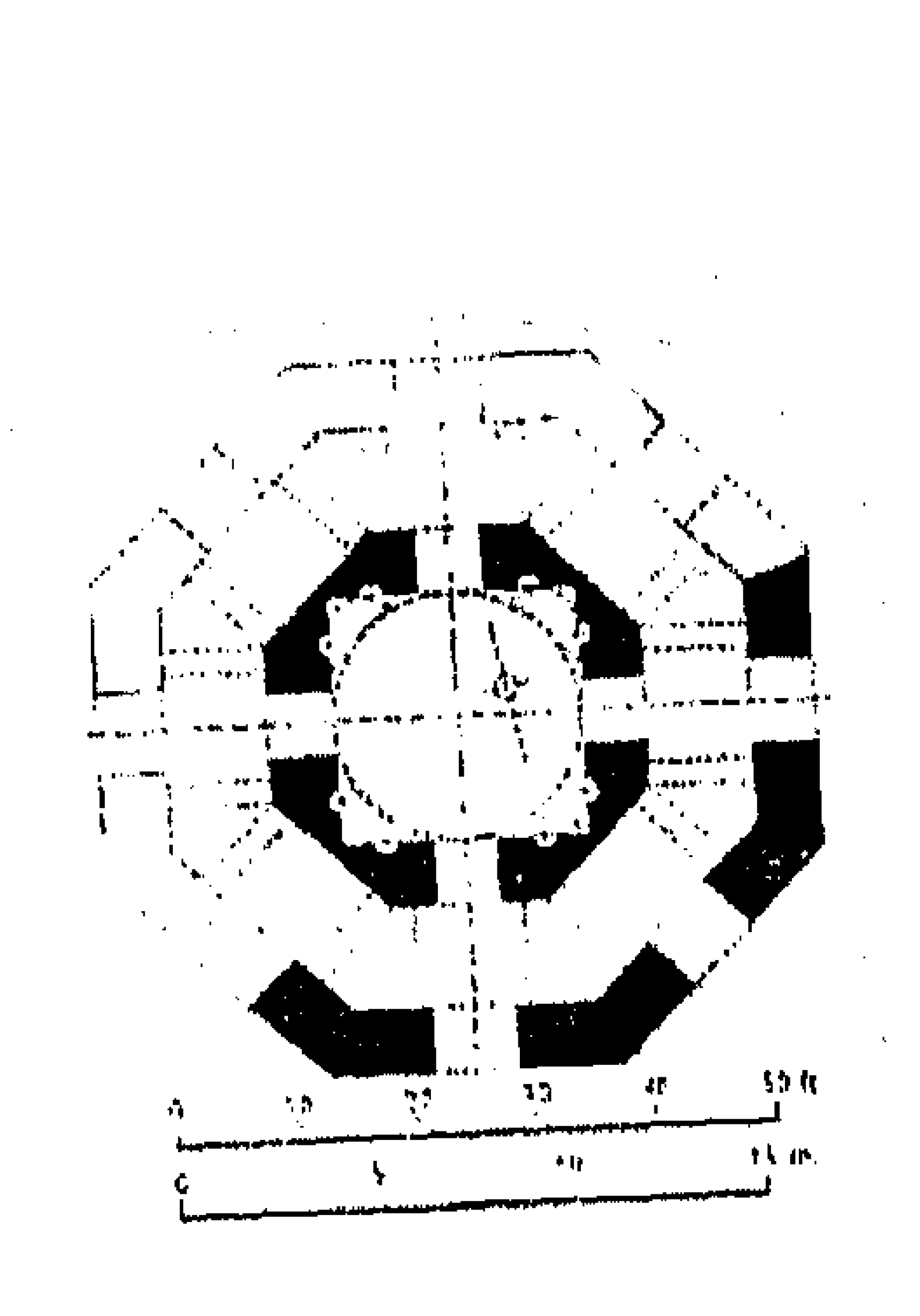
(شكل9) مسجد البخاري

(الحضرمي) بمدينة حيس.

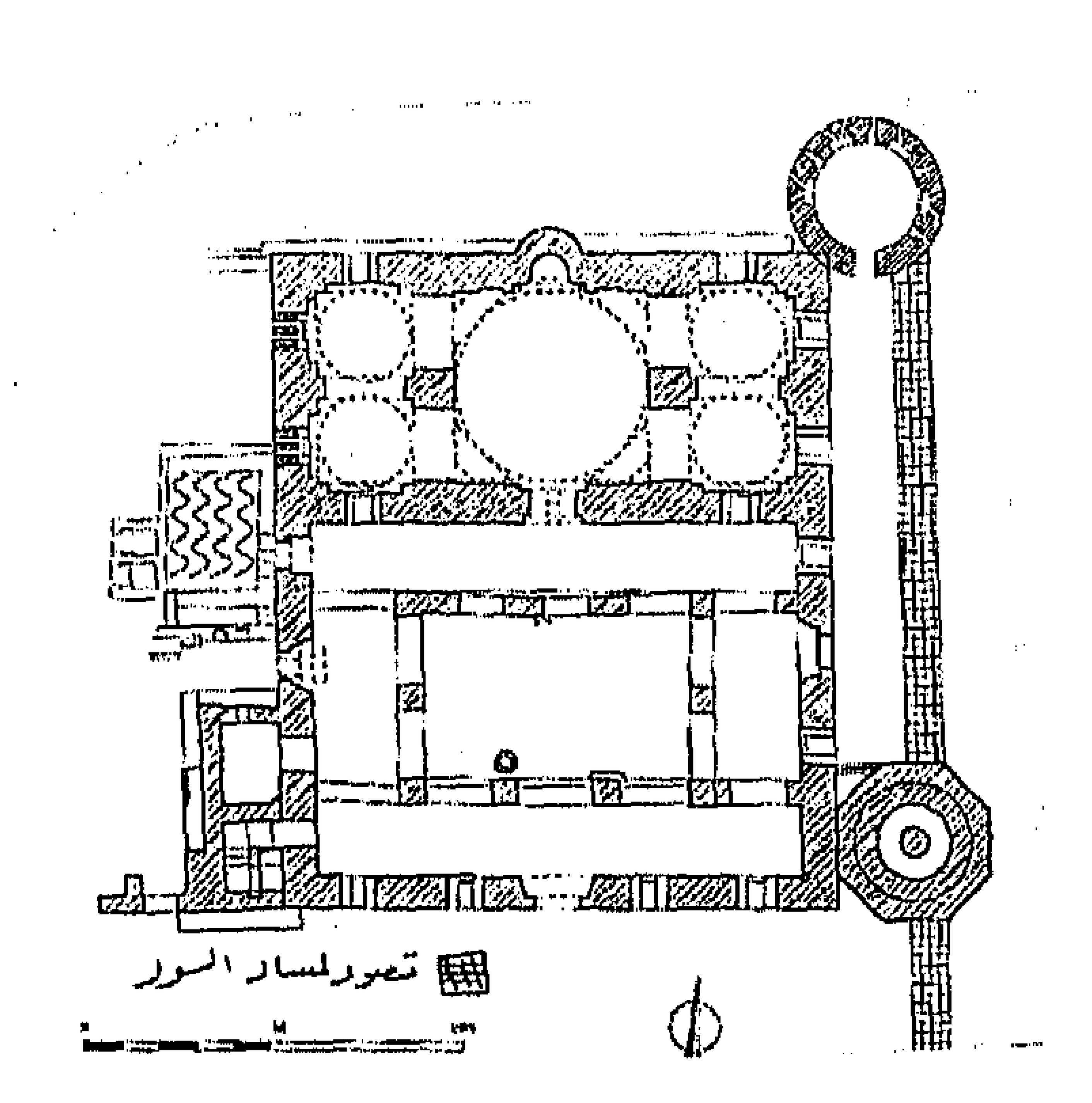




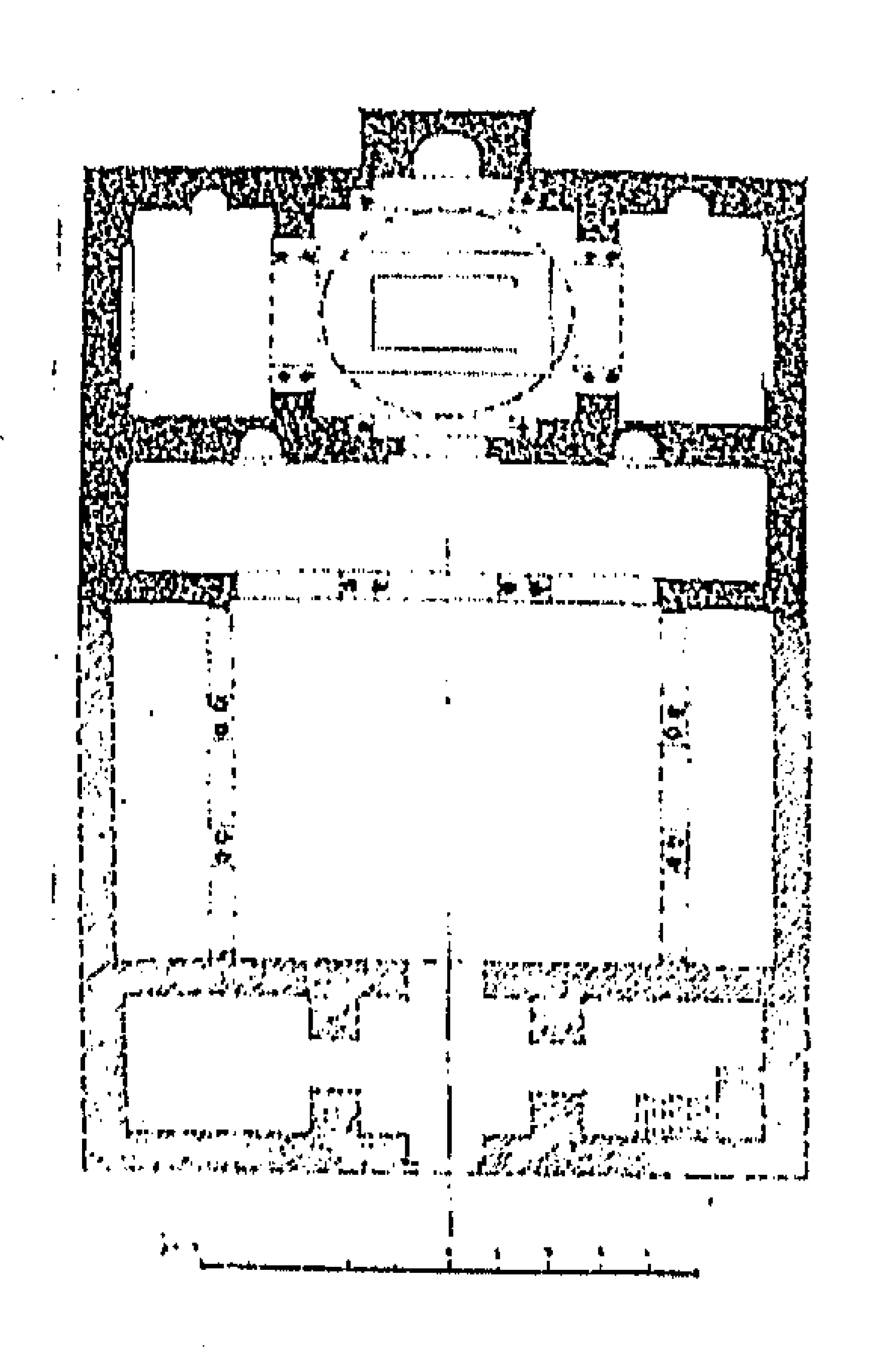
(شكل 10 أ) مصلى العيد (الجبانة) صنعاء.



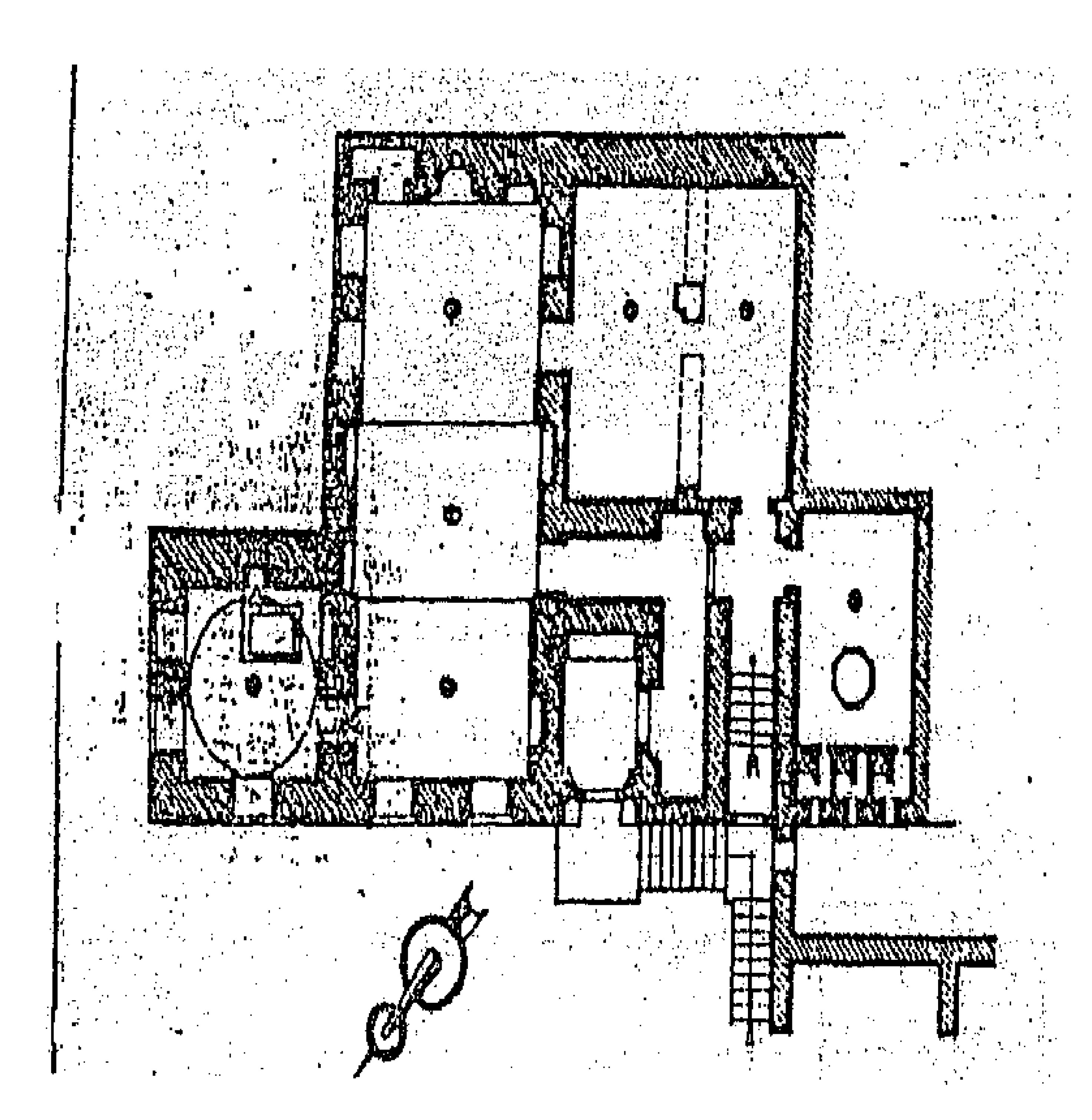
(شكل 11) قبة الصليبية في العراق



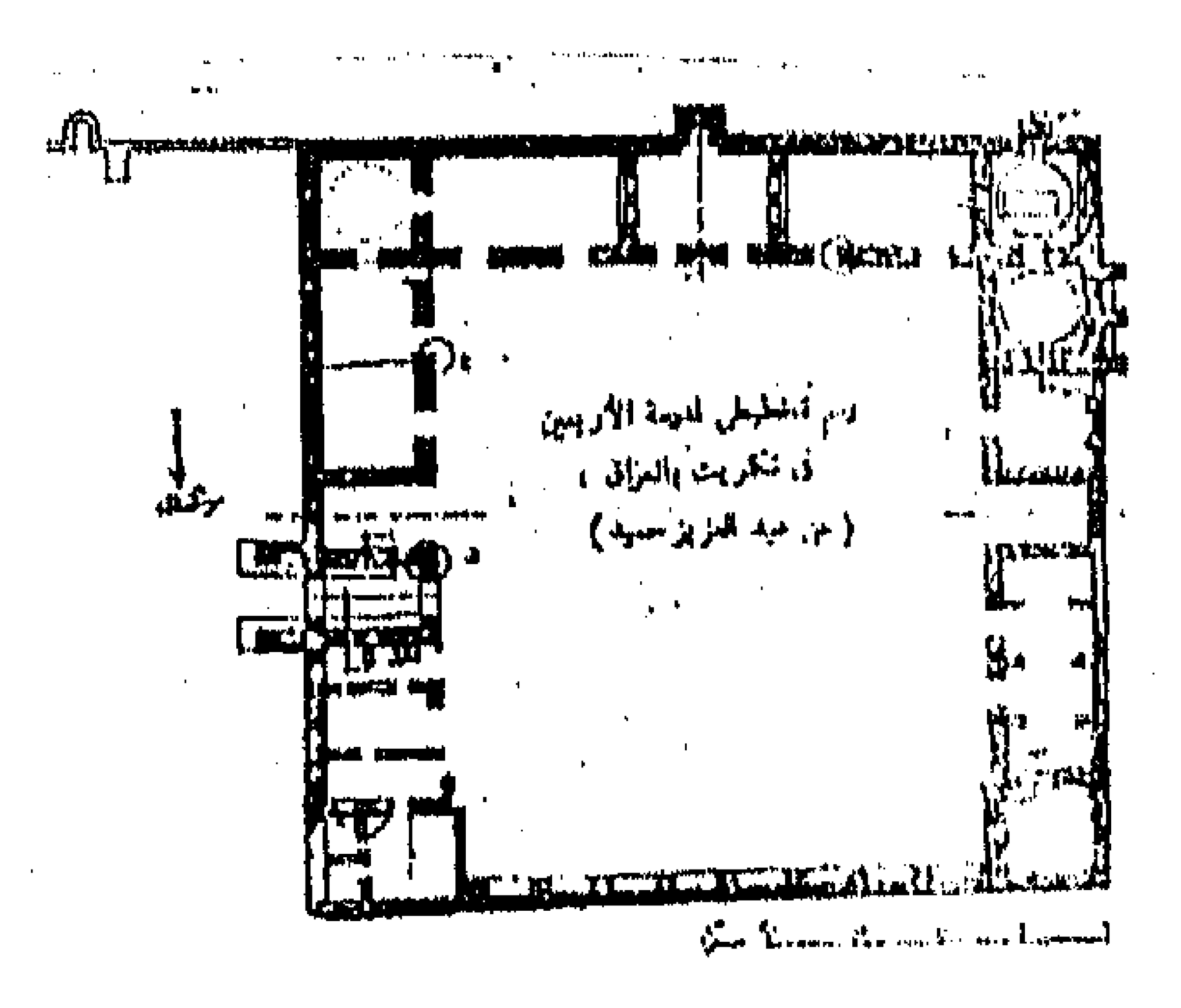
(شكل 10 ب) مصلى المدرسة الإسكندرية بزبيد المغطى بخمس قباب



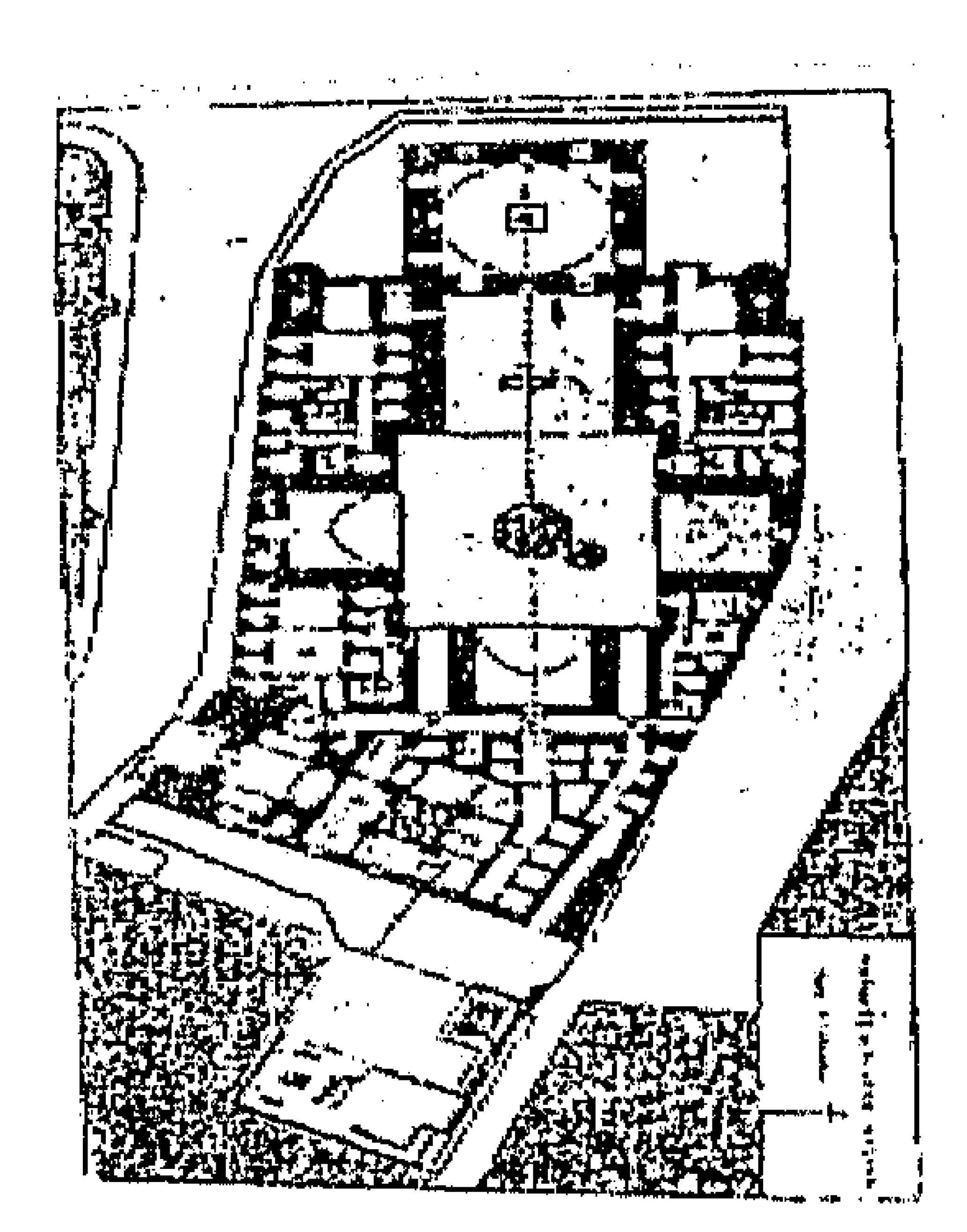
(شكل 12) مشهد السيدة رقية بالقاهرة



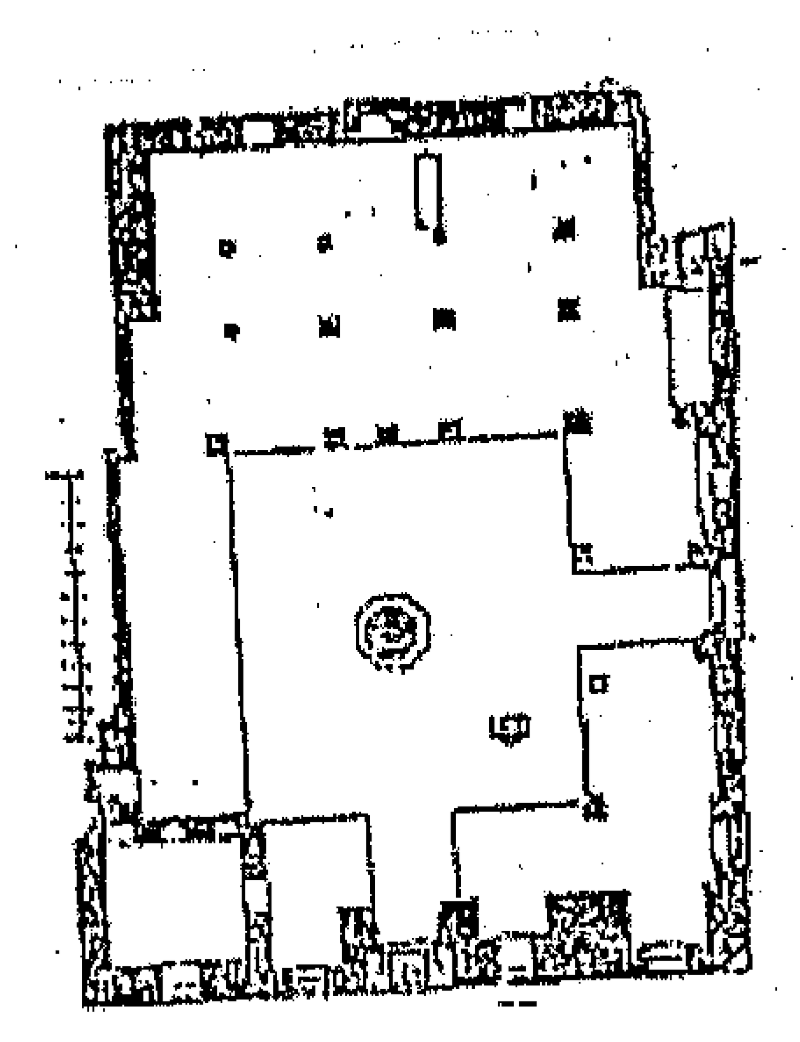
(شكل 13) تربة قايتباي بالقاهرة



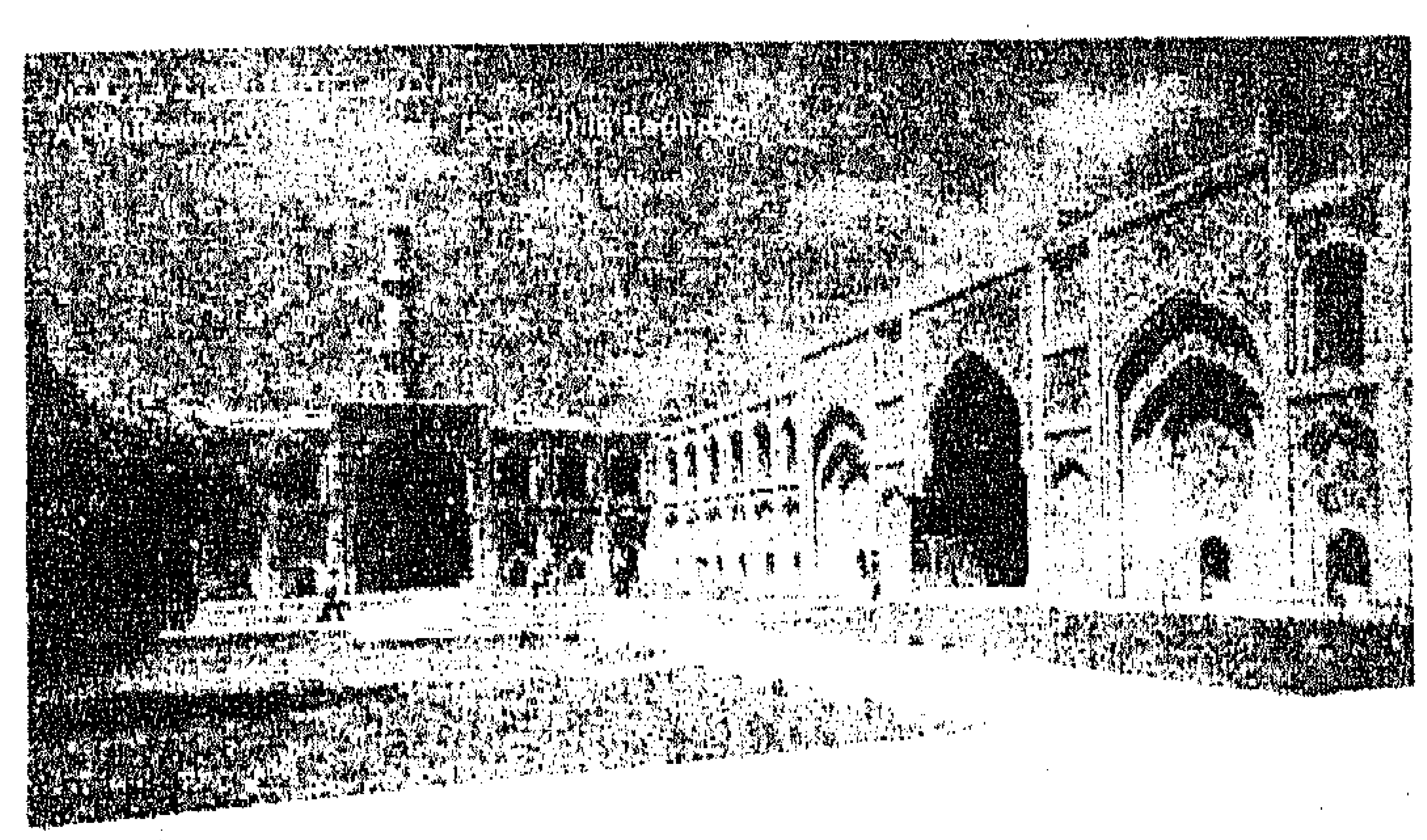
(شكل14) مدرسة الأربعين بتكريت



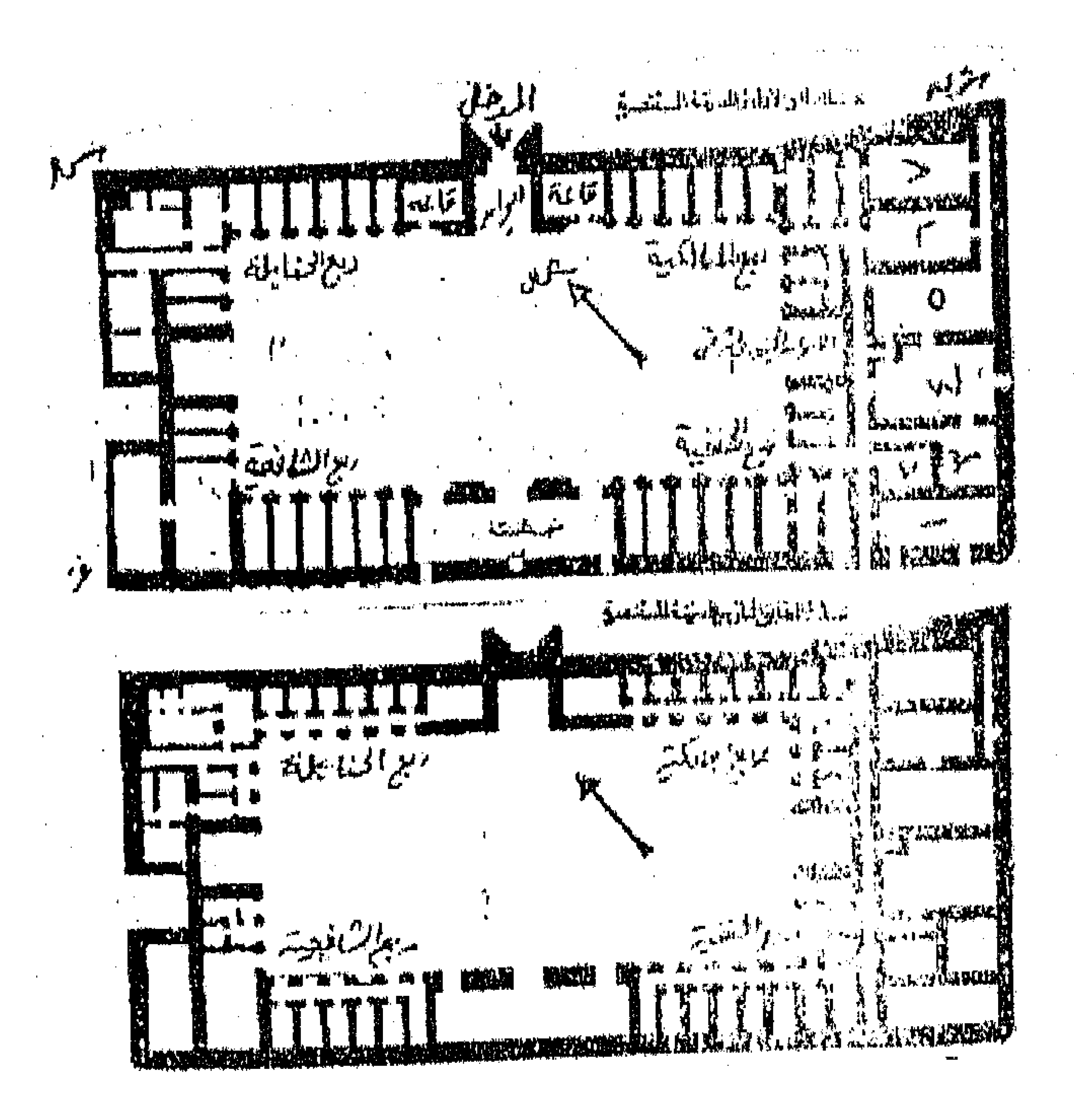
(شكل15) مدرسة السلطان حسن بالقاهرة

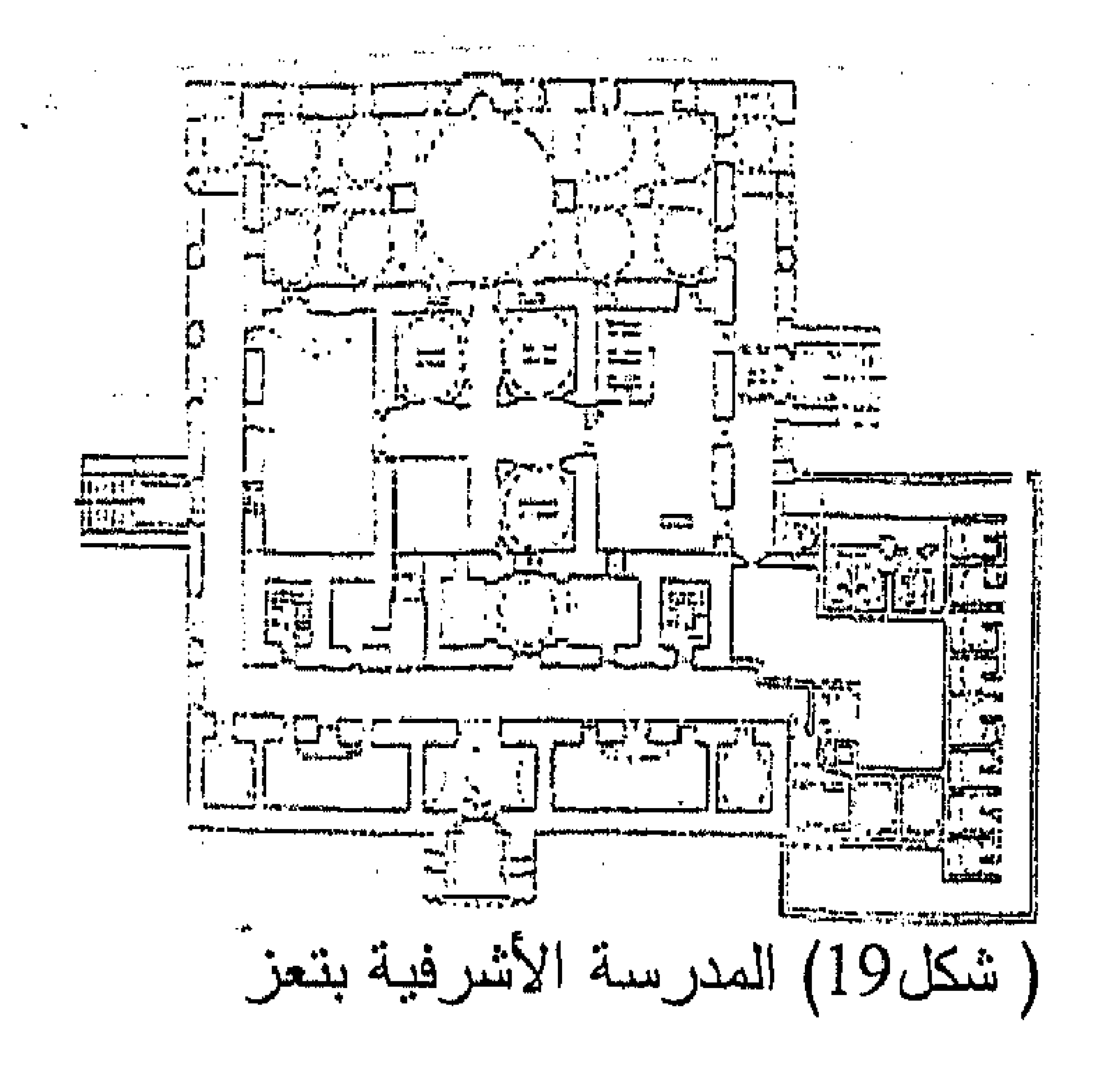


(شكل15) مدرسة سودون بالقاهرة

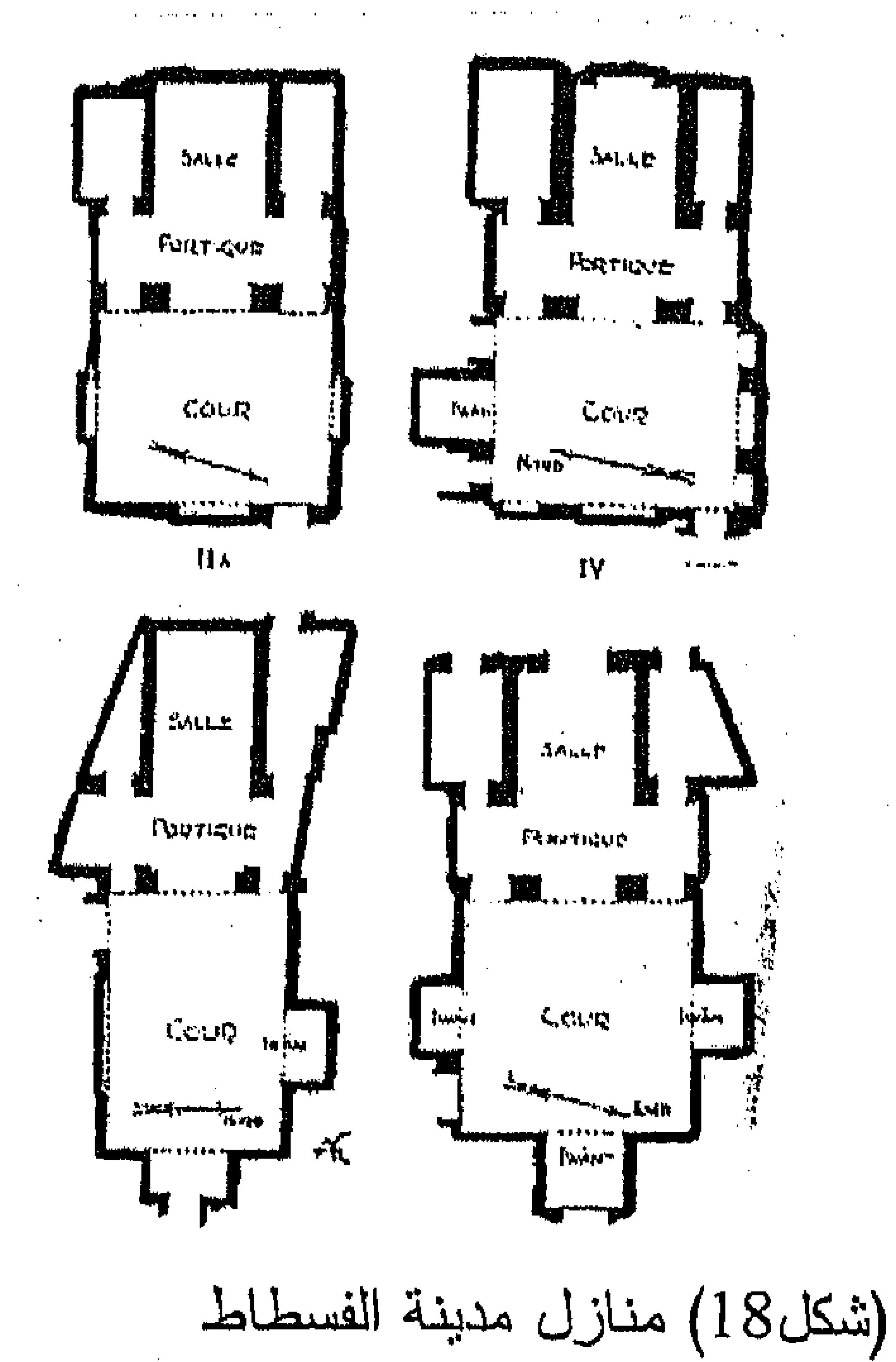


(شكل 16) منظر عام ومسقط أفقي لطابقي المدرسة المستنصرية ببغداد





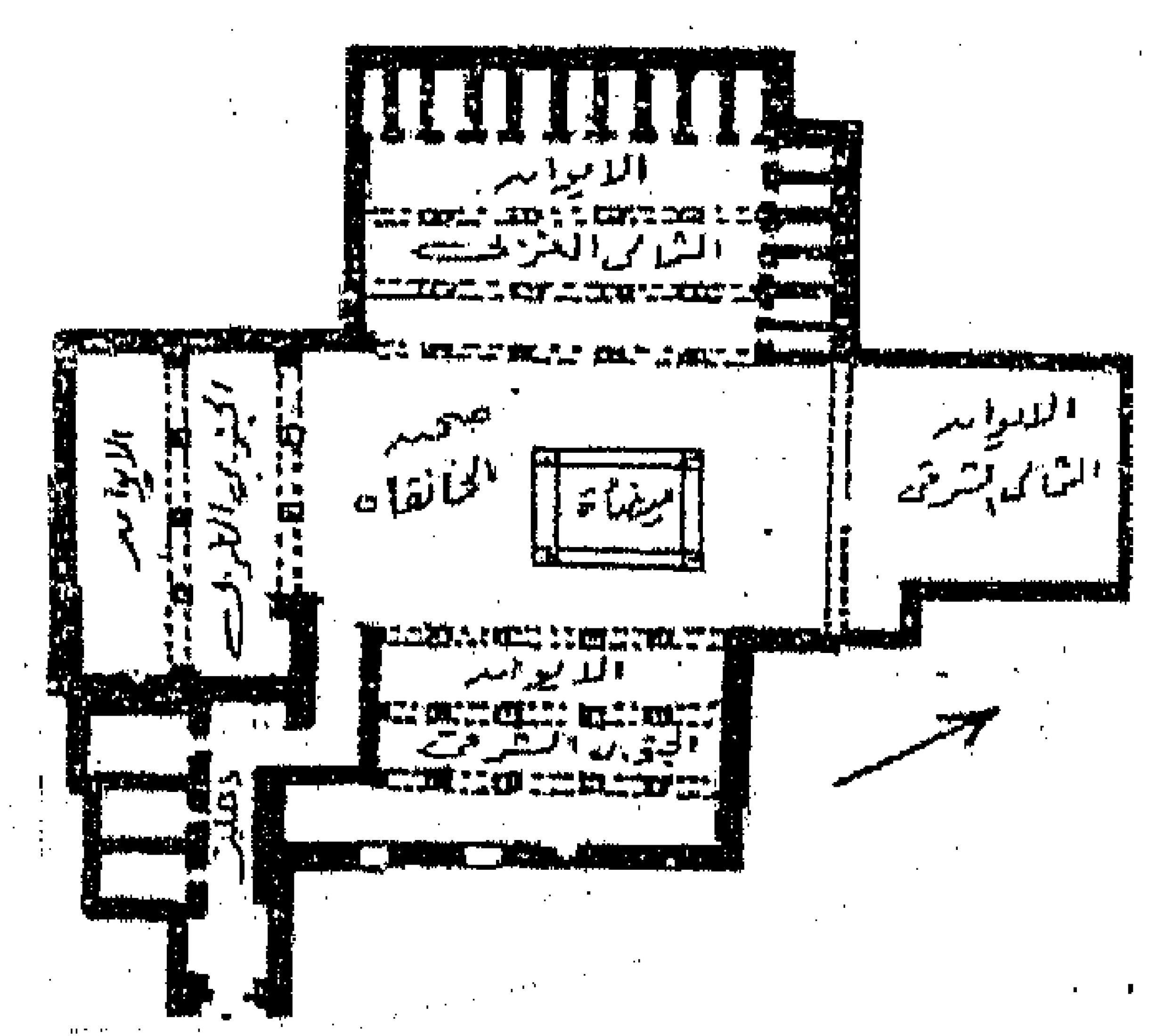
(شكل19) المدرسة الأشرفية بتعز



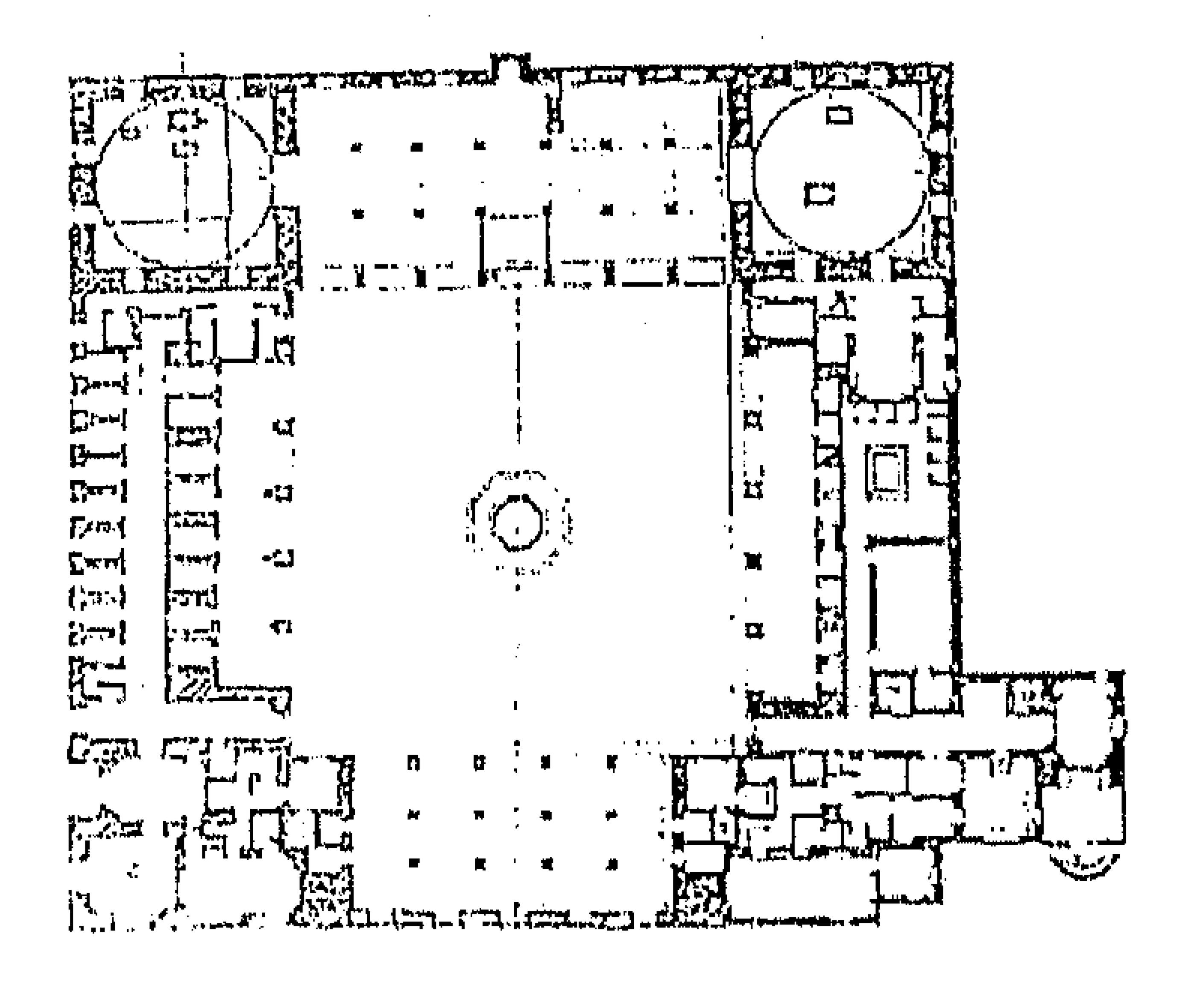
(شكل18) منازل مدينة الفسطاط

(شكل21) المدرسة الإسكندرية بحيس

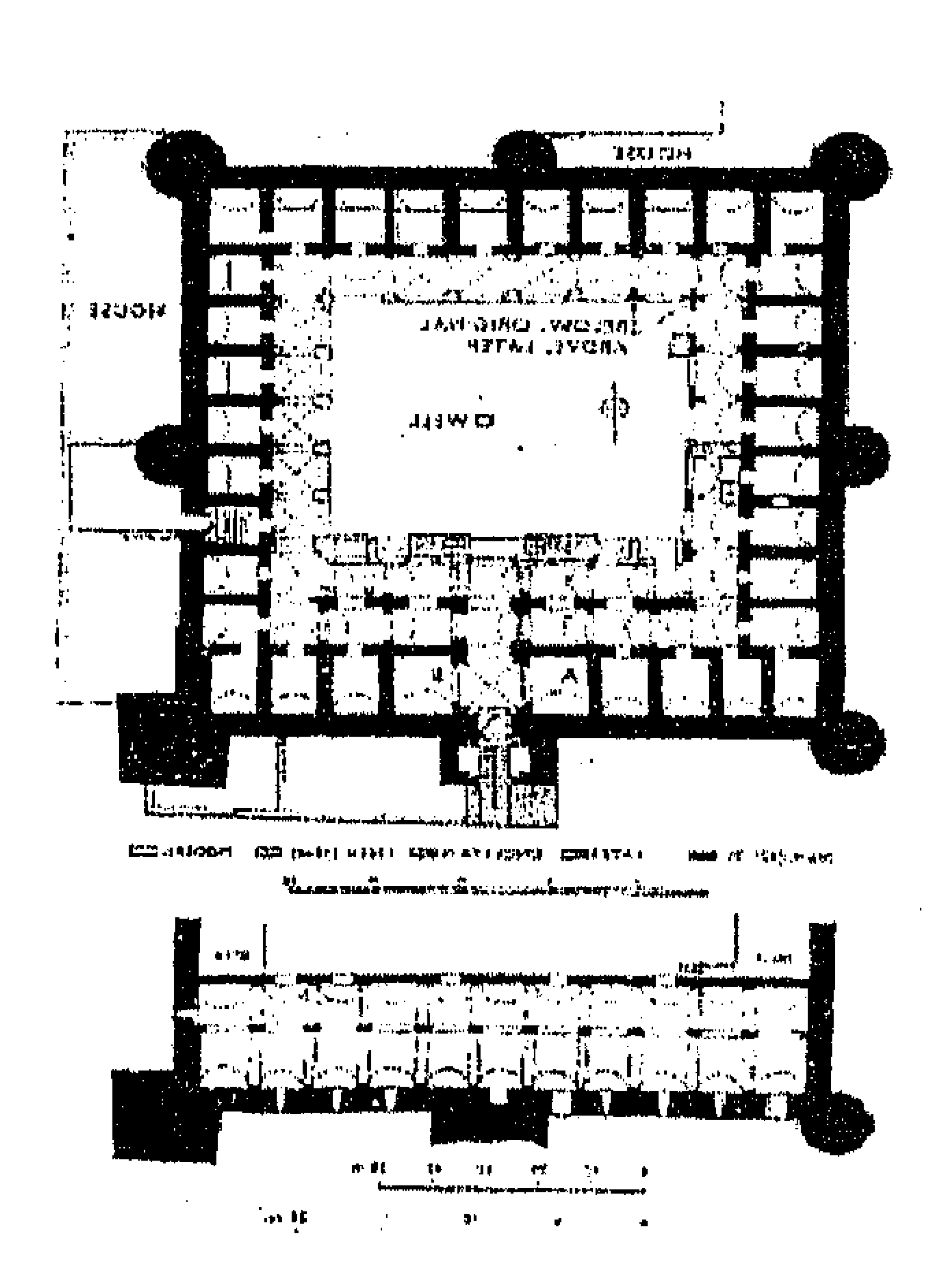
(شكل 20) المدرسة المنصورية بزبيد



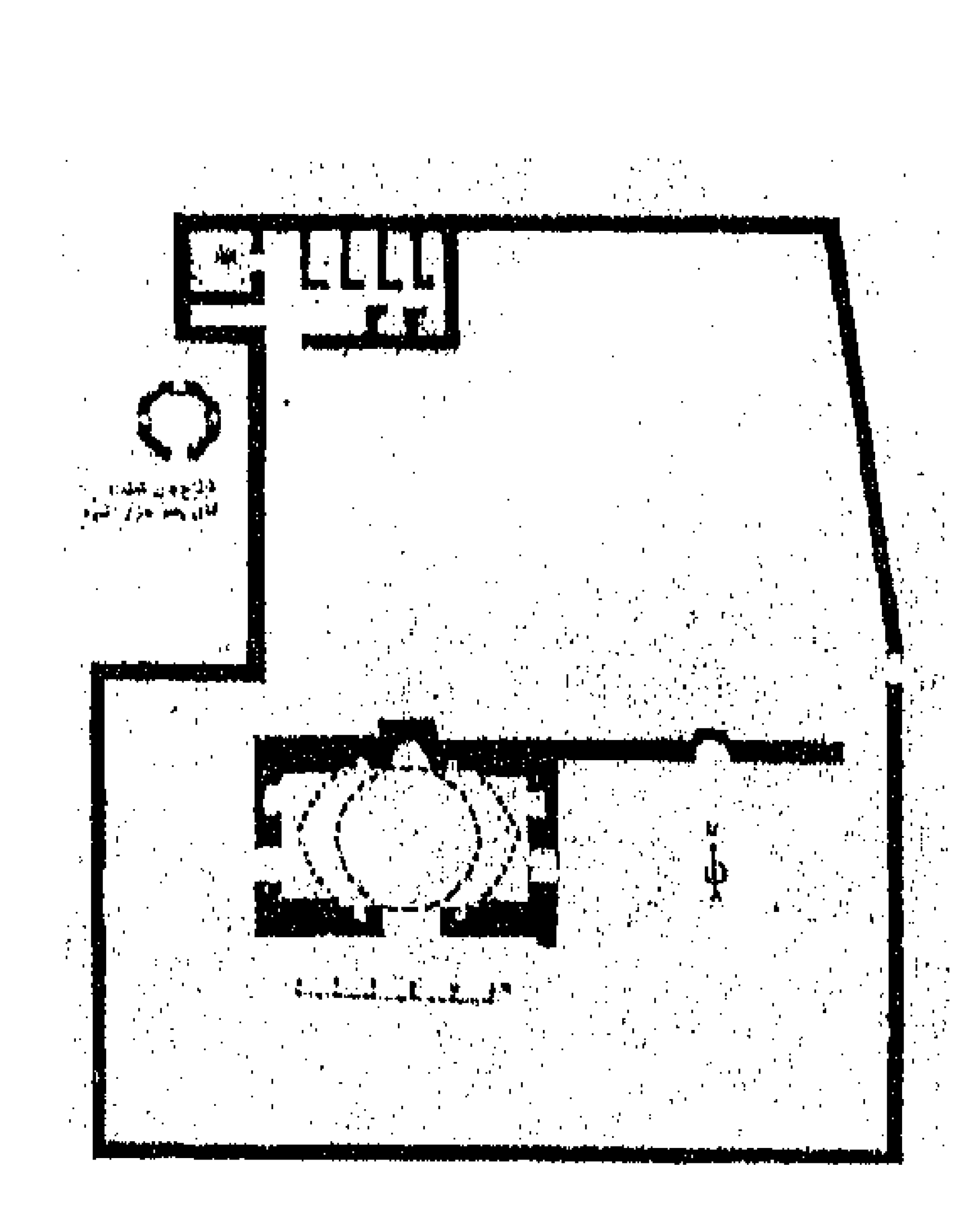
(شكل 22) خانقاه سعد السعداء بالقاهرة



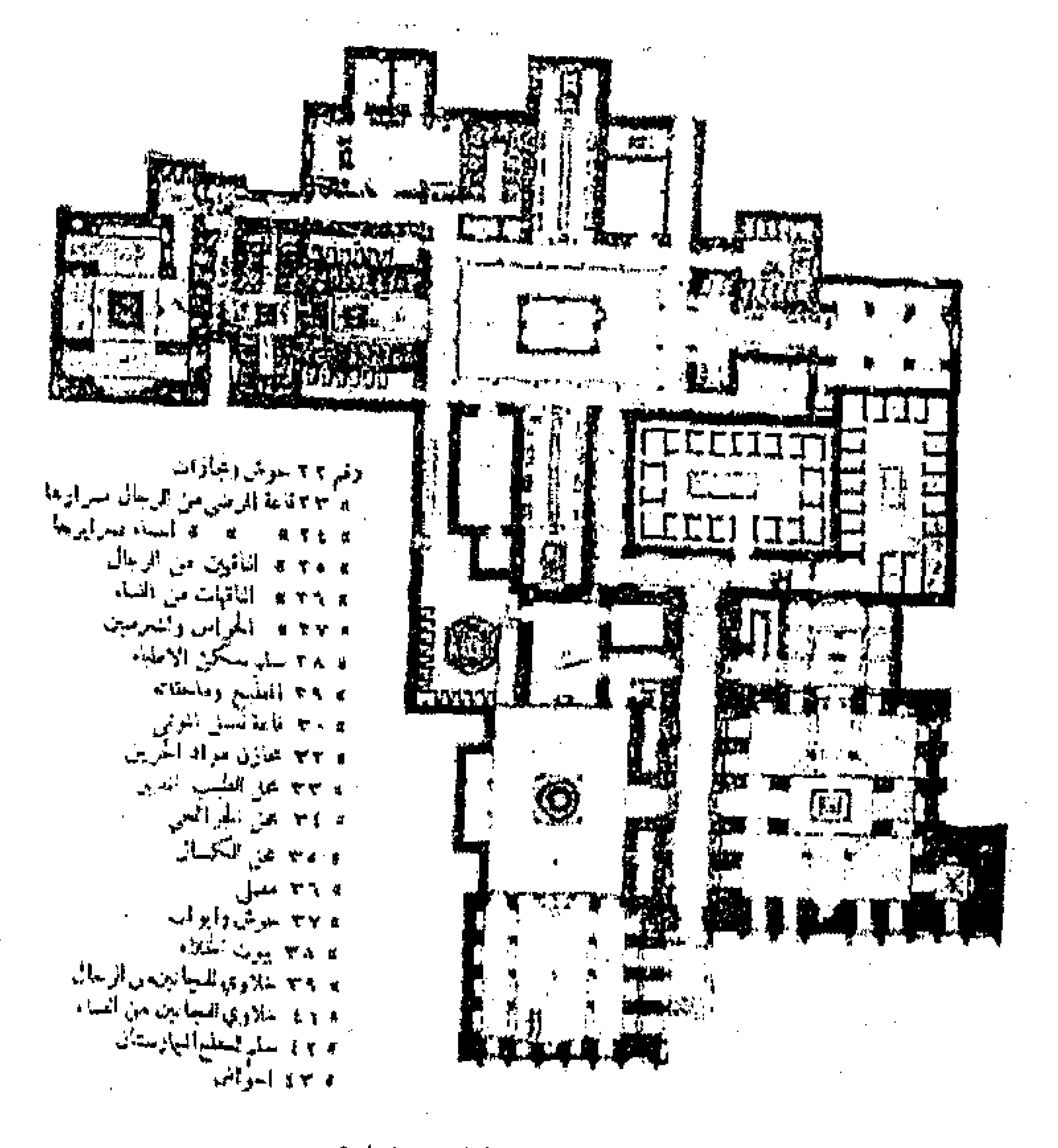
(شكل23) خانقاة فرج بن برقوق بالقاهرة



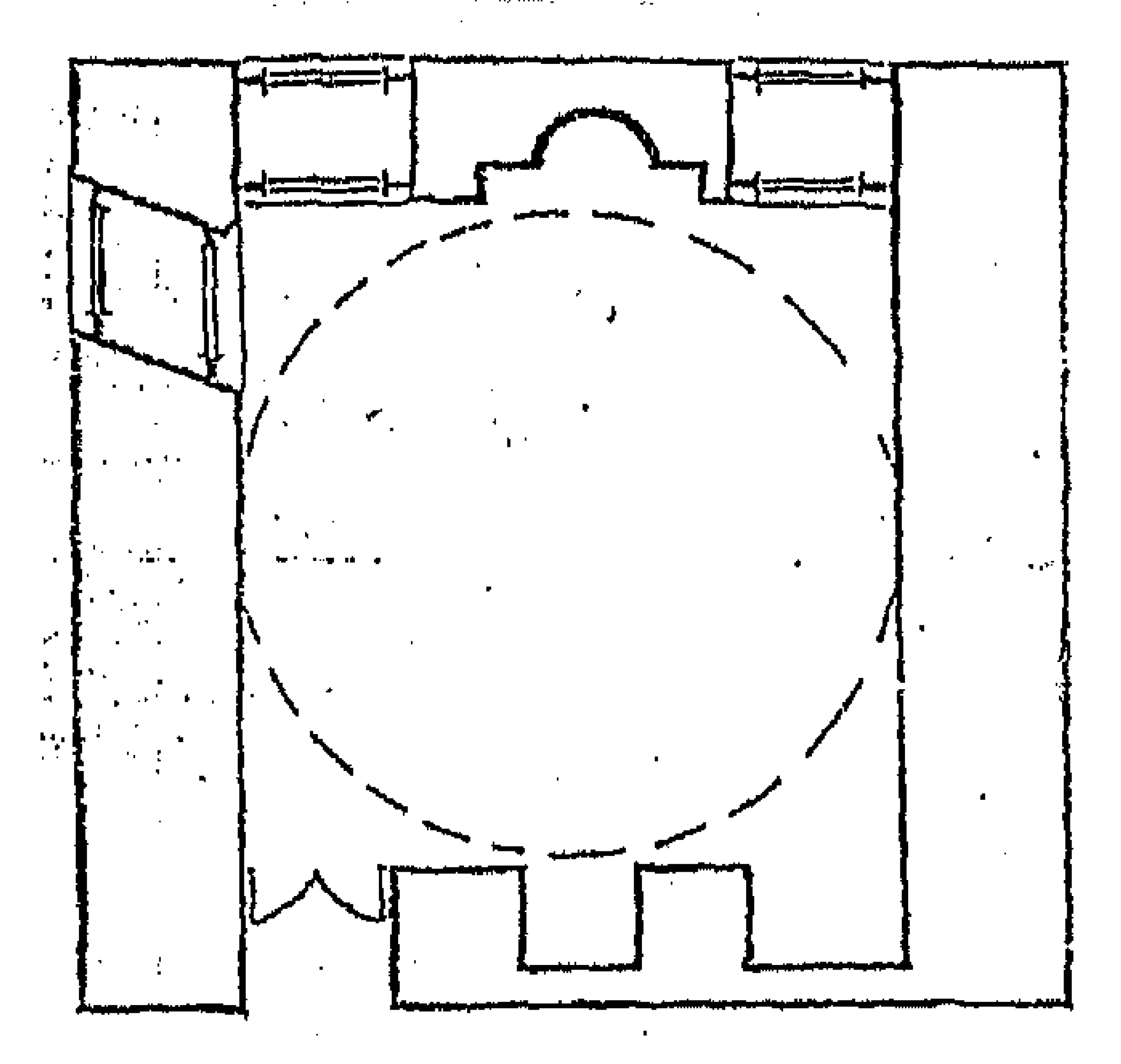
(شكل24) رباط سوسة بالمغرب



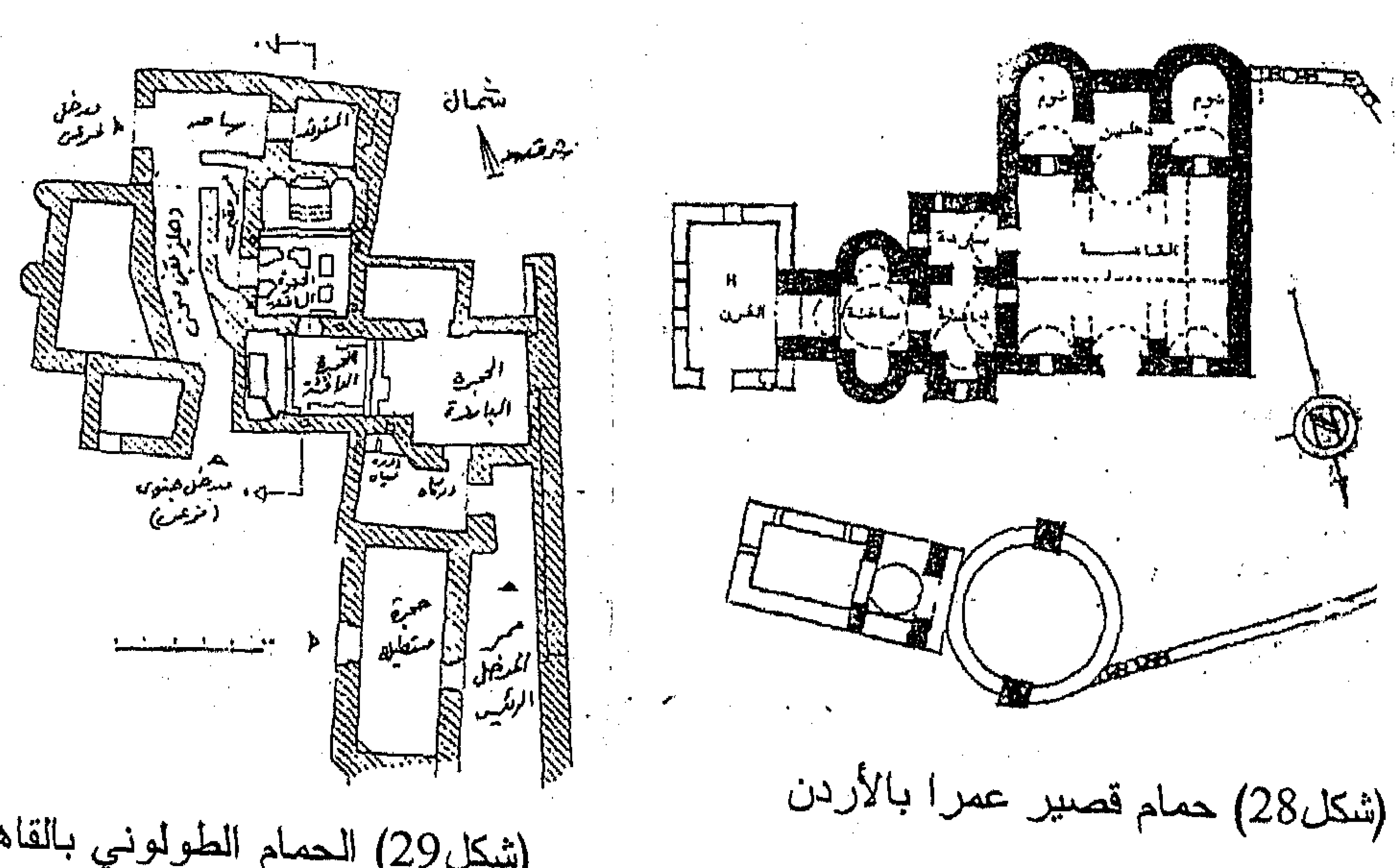
(شكل25) مدرسة التكية بحيس



(شكل27) مجمع السلطان قلاوون
(قبة ضريحية+ مدرسة+ بيمارستان)

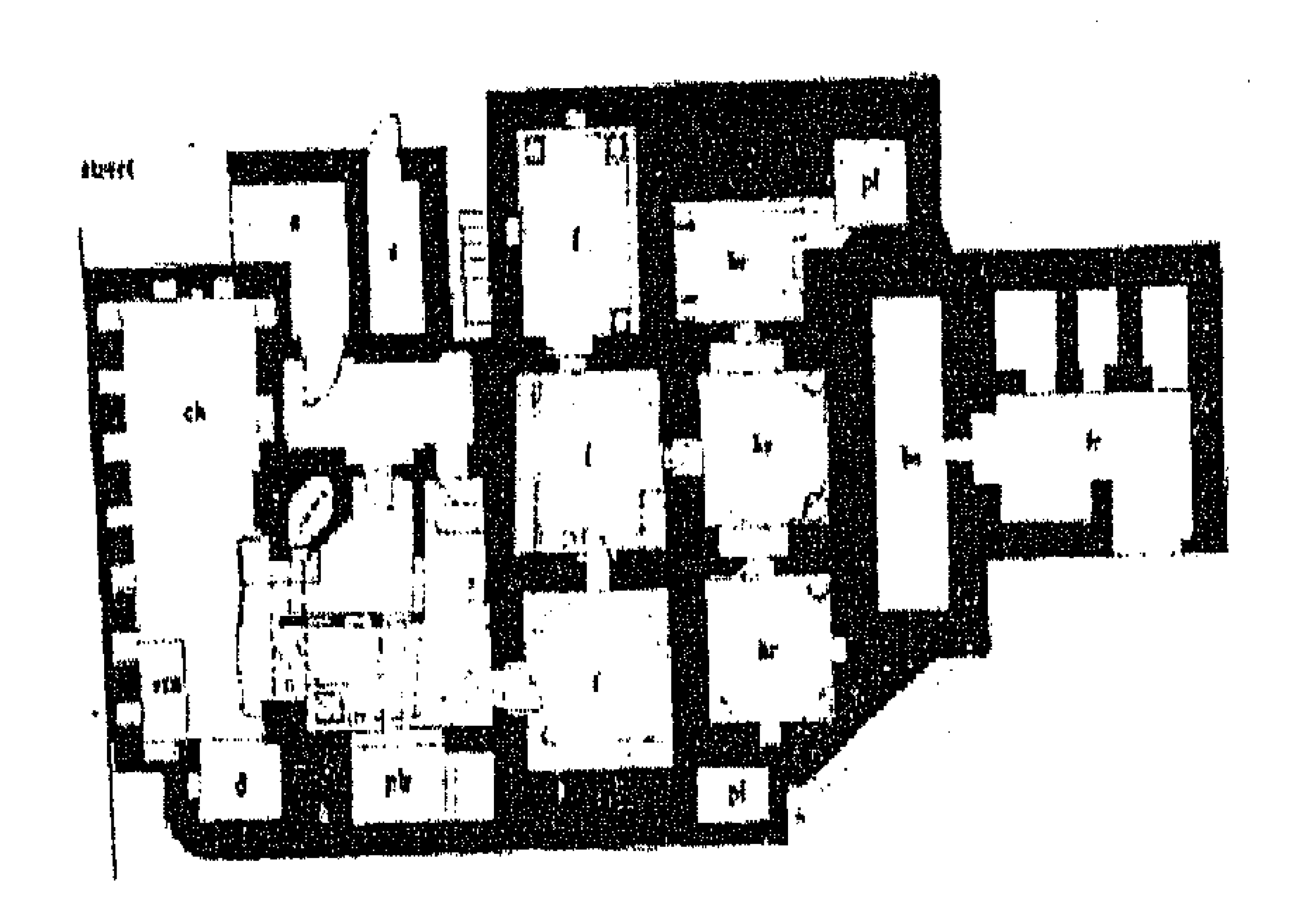


(شكل 26) زاوية الشيخ سعود بالقاهرة

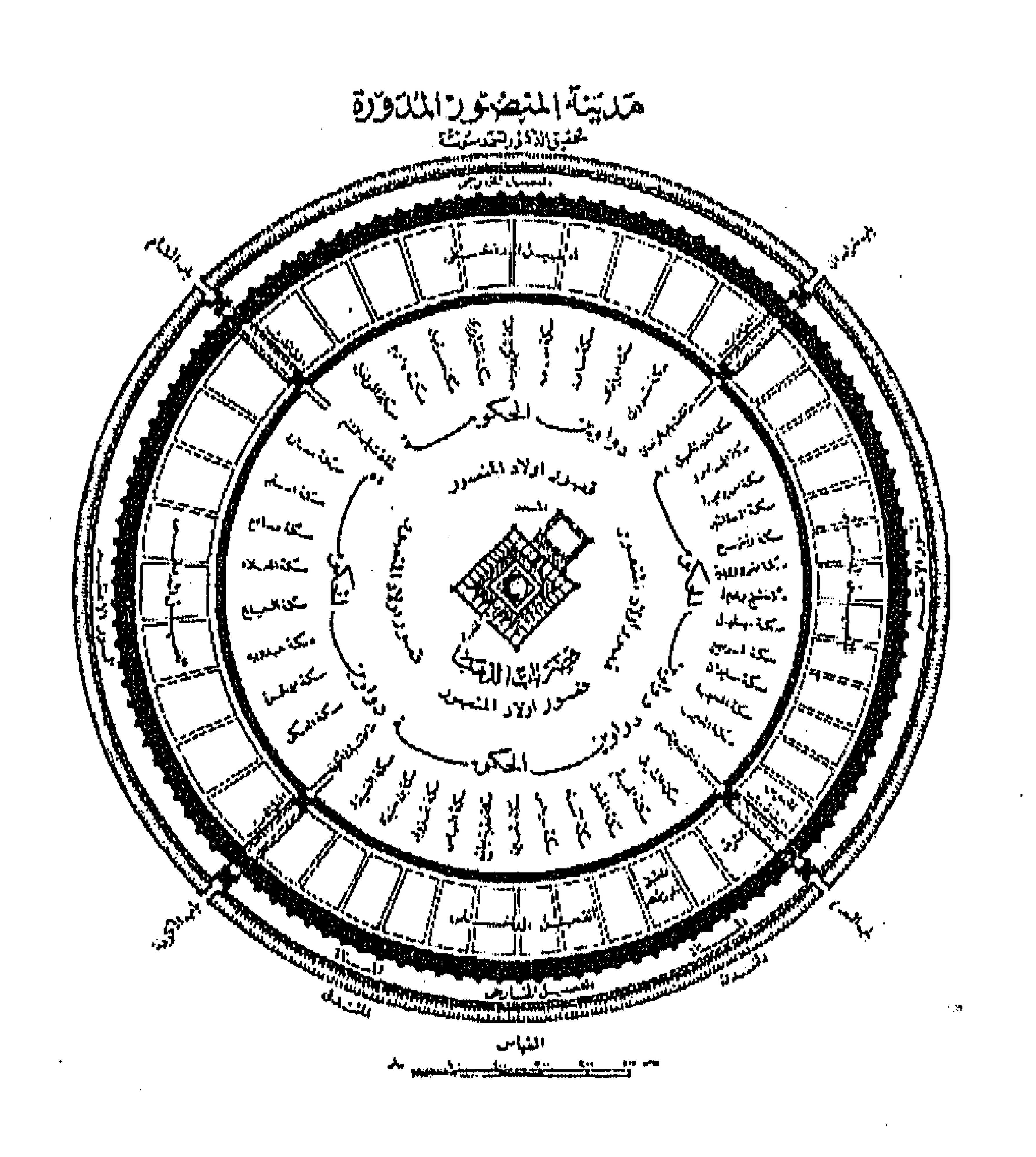


(شكل28) حمام قصير عمرا بالأردن

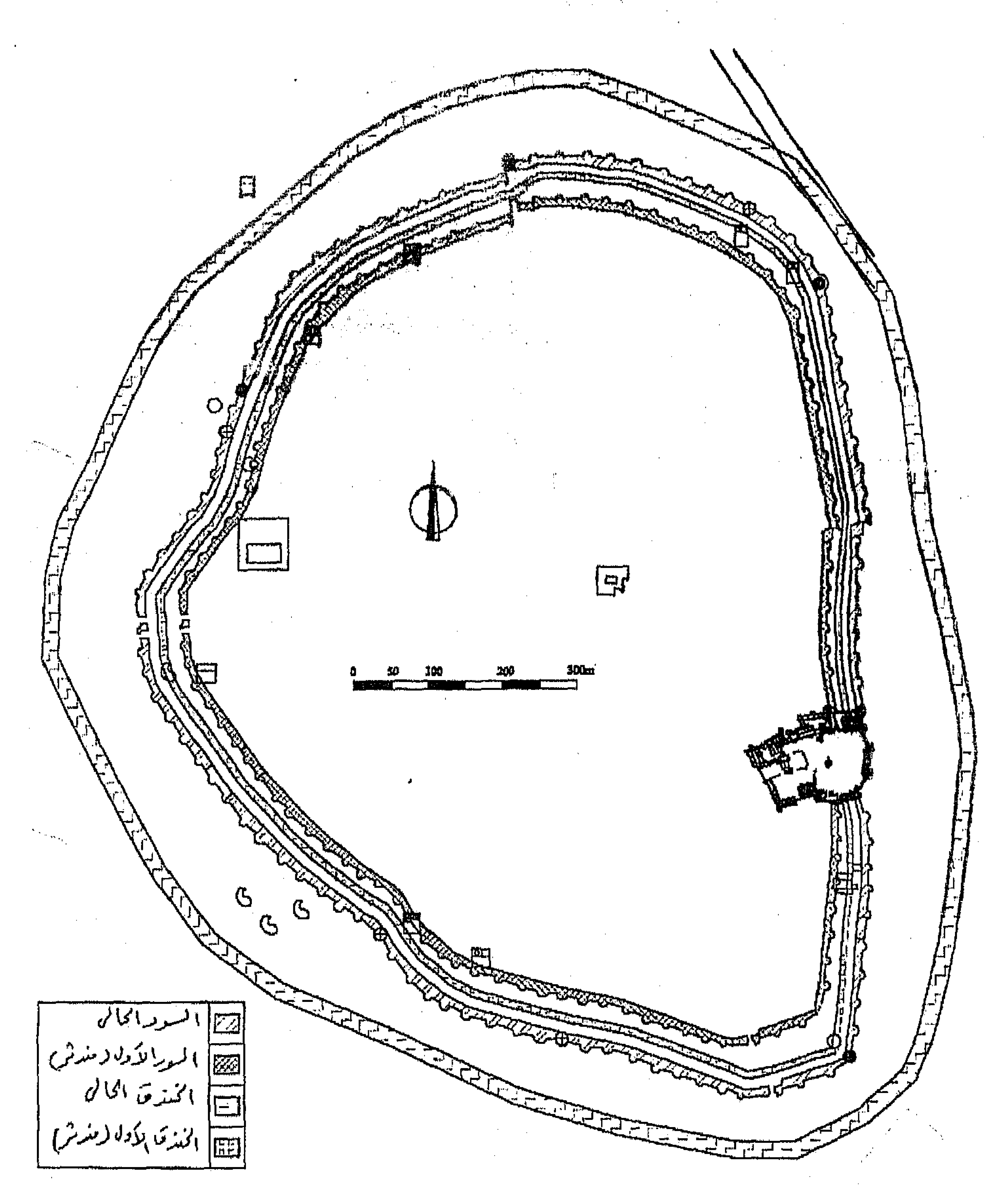
(شكل29) الحمام الطولوني بالقاهرة



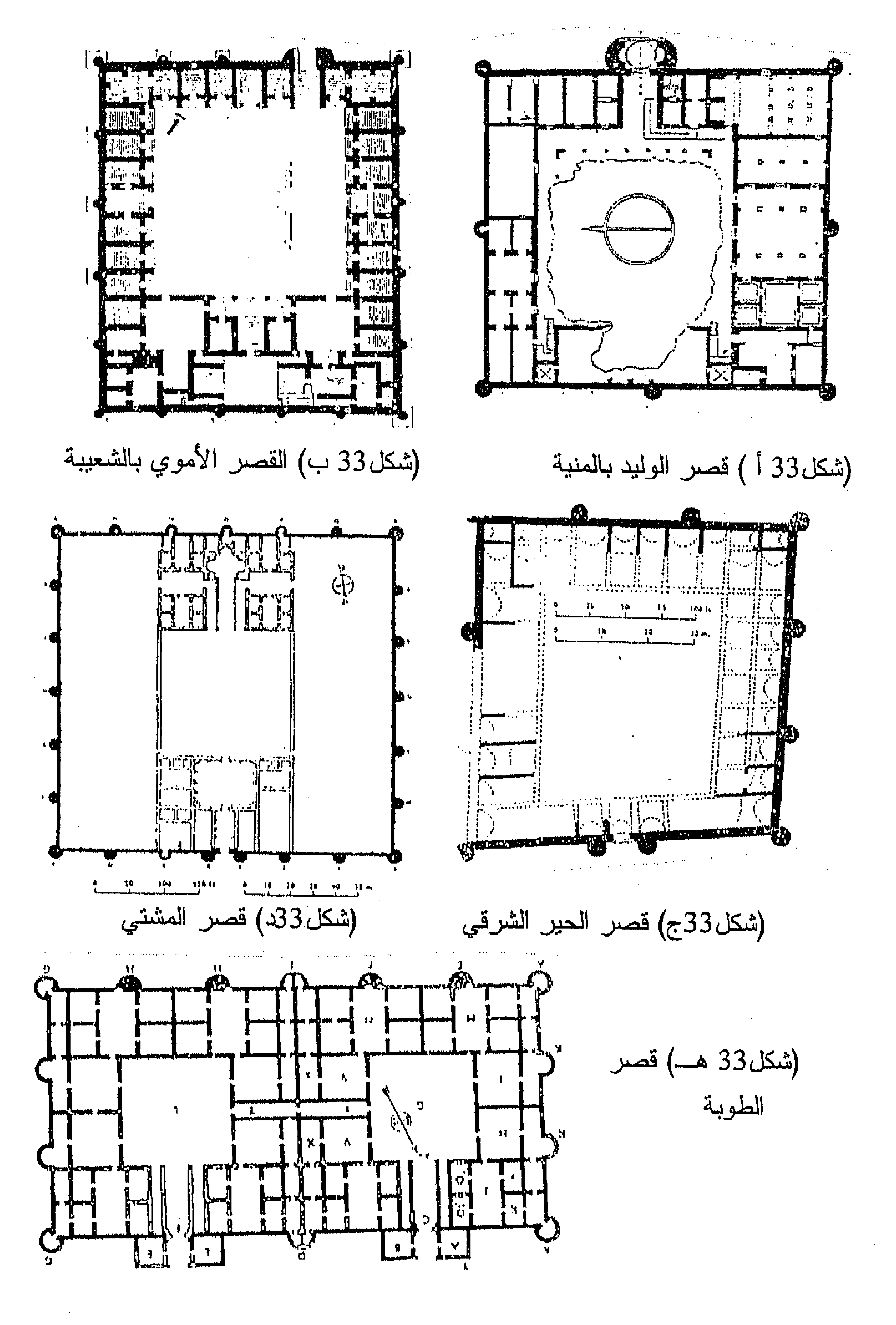
(شكل30) حمام شكر بصنعاء



(شكل31) تخطيط مدينة بغداد



(شكل 32) تخطيط مدينة زبيد (الأسوار – القلعة – الخنادق–
جامع الأشاعر– الجامع الكبير)



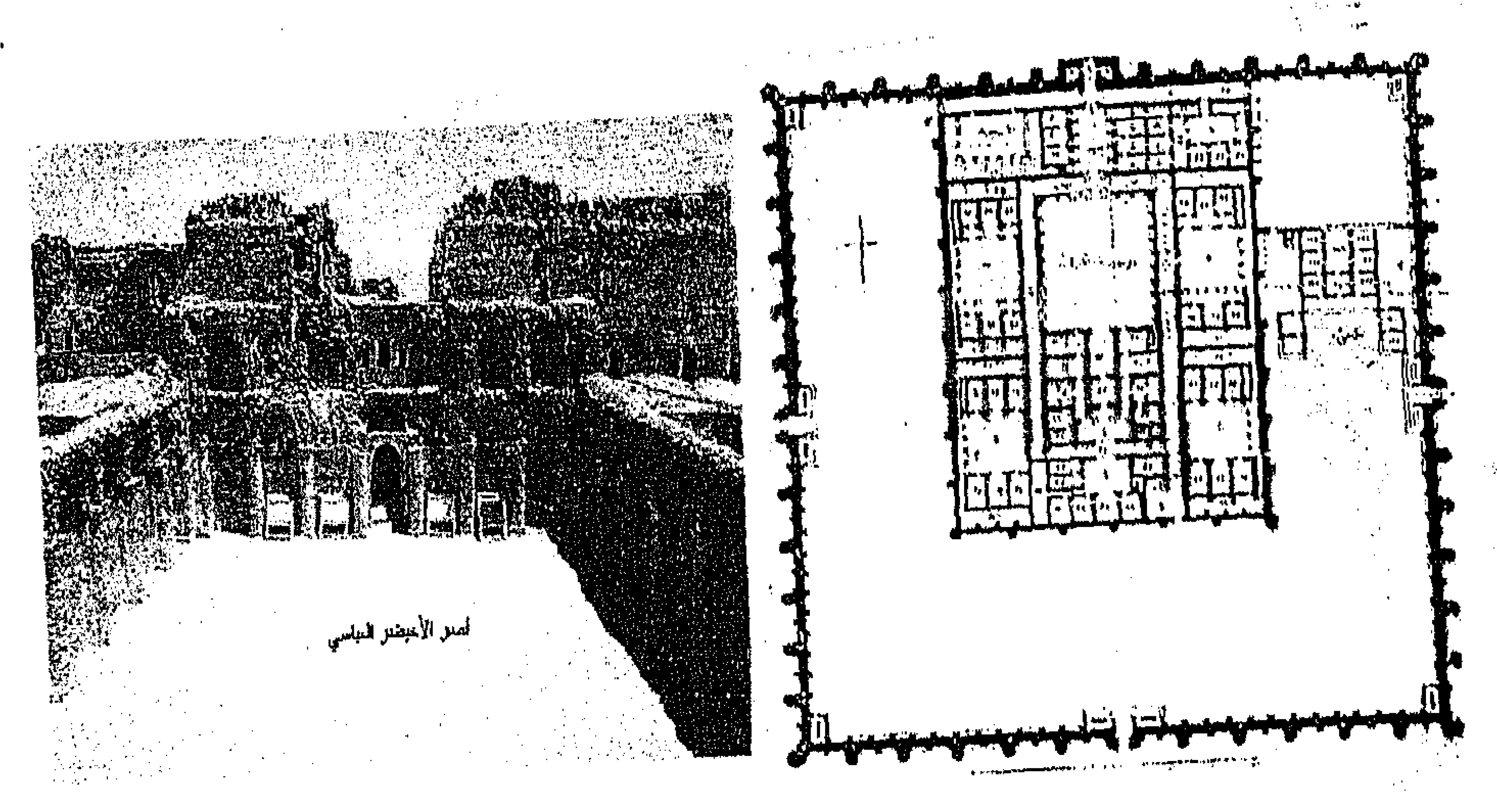
(شكل 33 أ) قصر الوليد بالمنية

(شكل 33 ب) القصر الأموي بالشعيبة

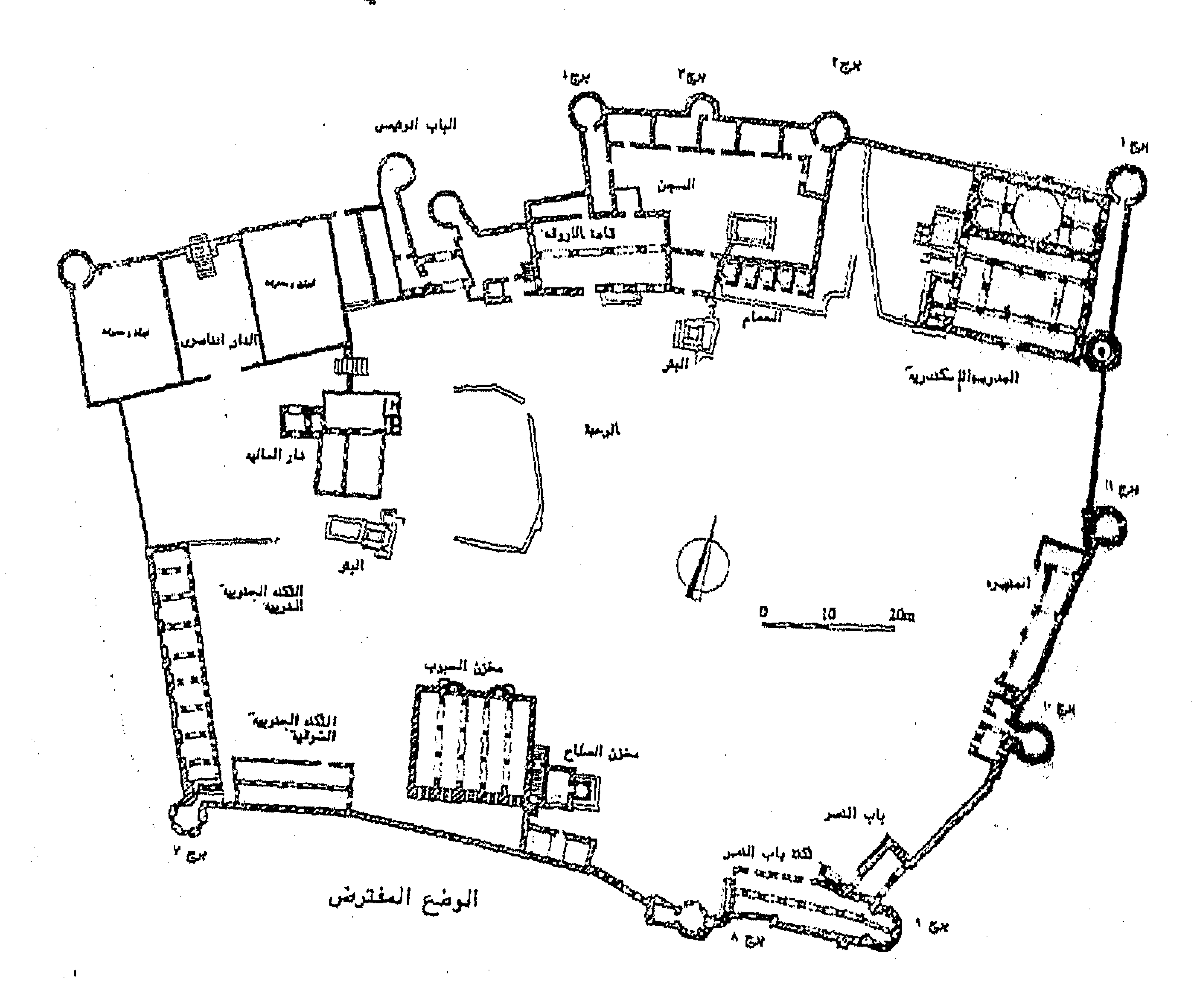
(شكل 33ج) قصر الحير الشرقي

(شكل 33د) قصر المشتي

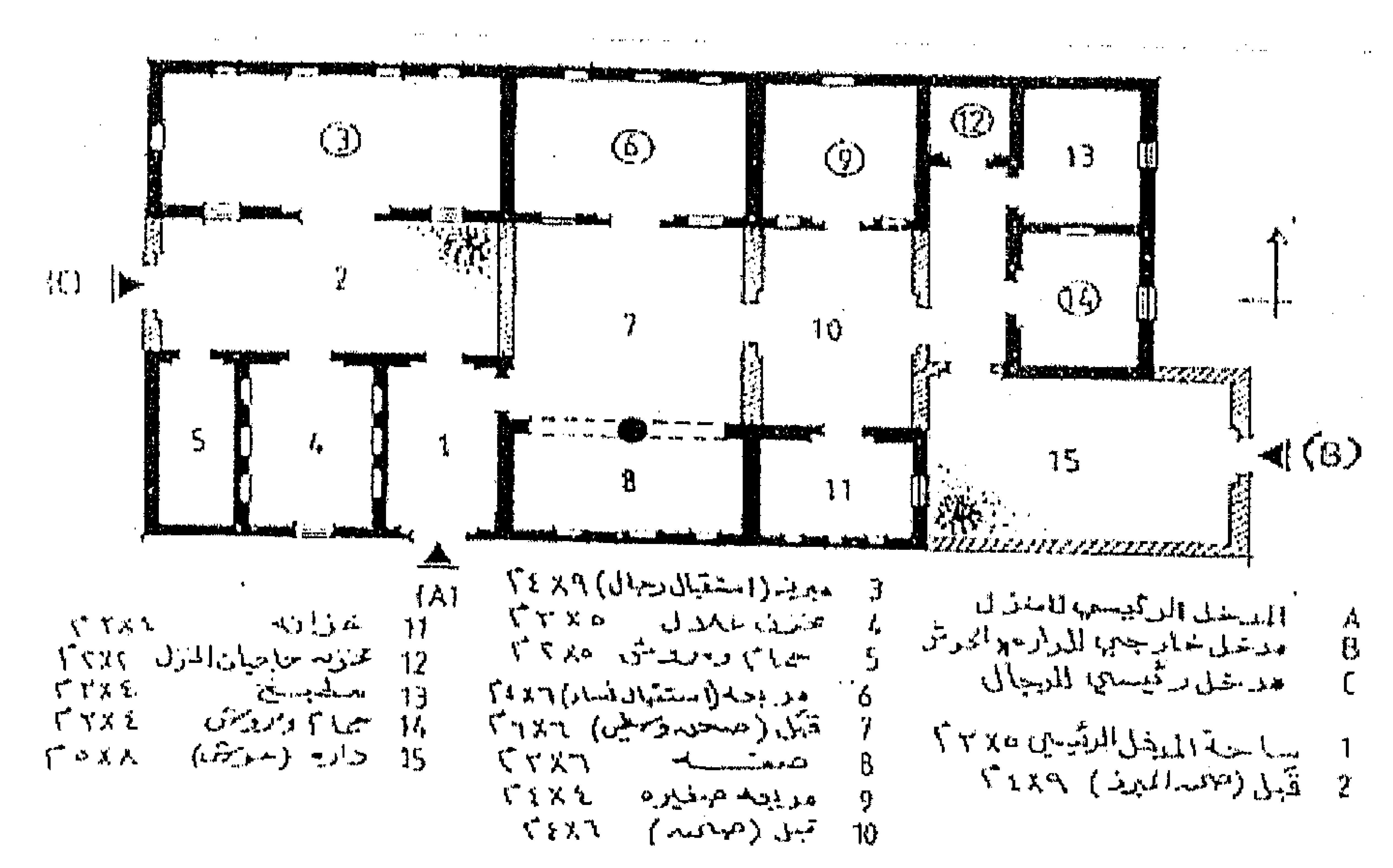
(شكل 33 هــ) قصر الطوبة



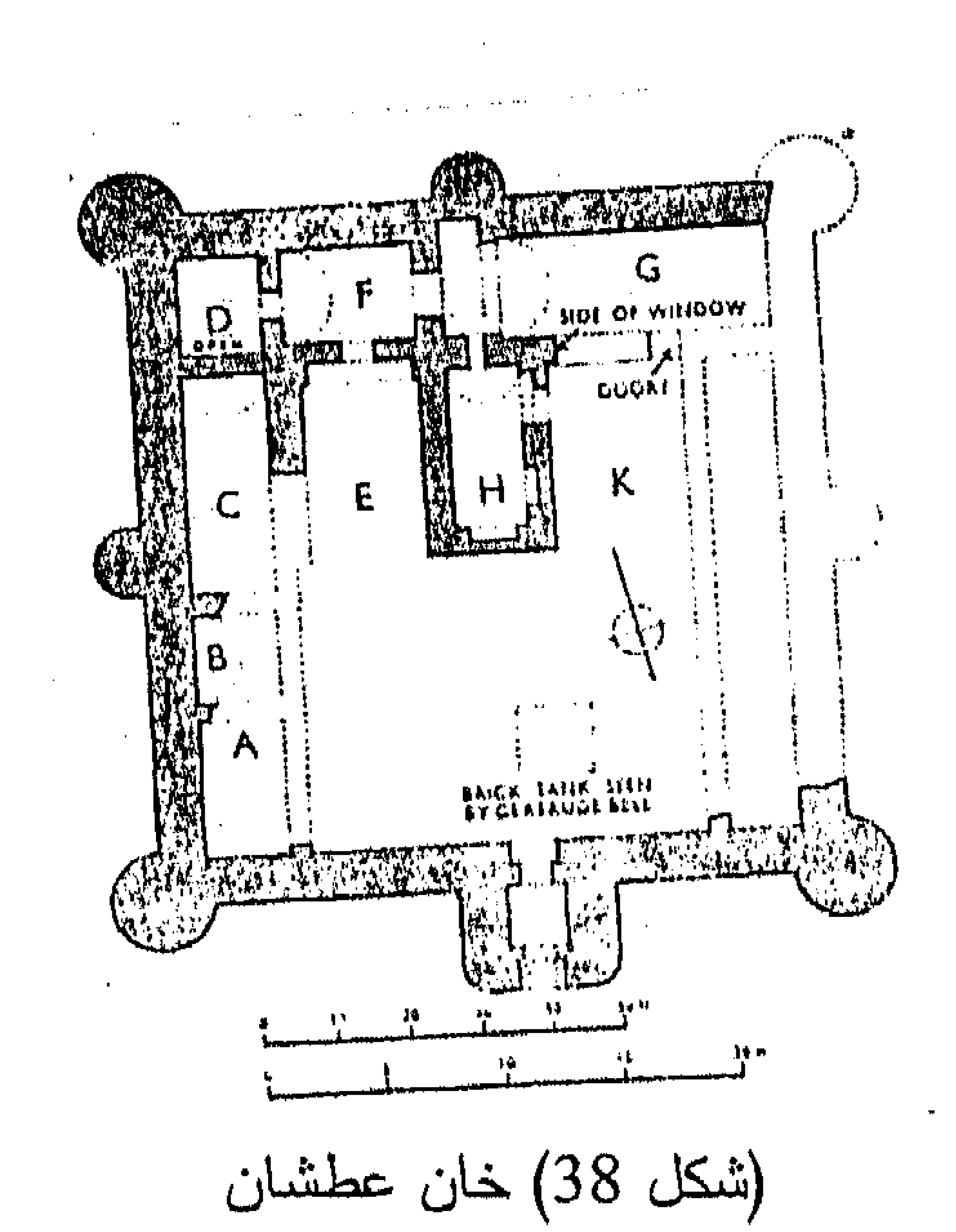
(شكل34) قصر الأخيضر العباسي



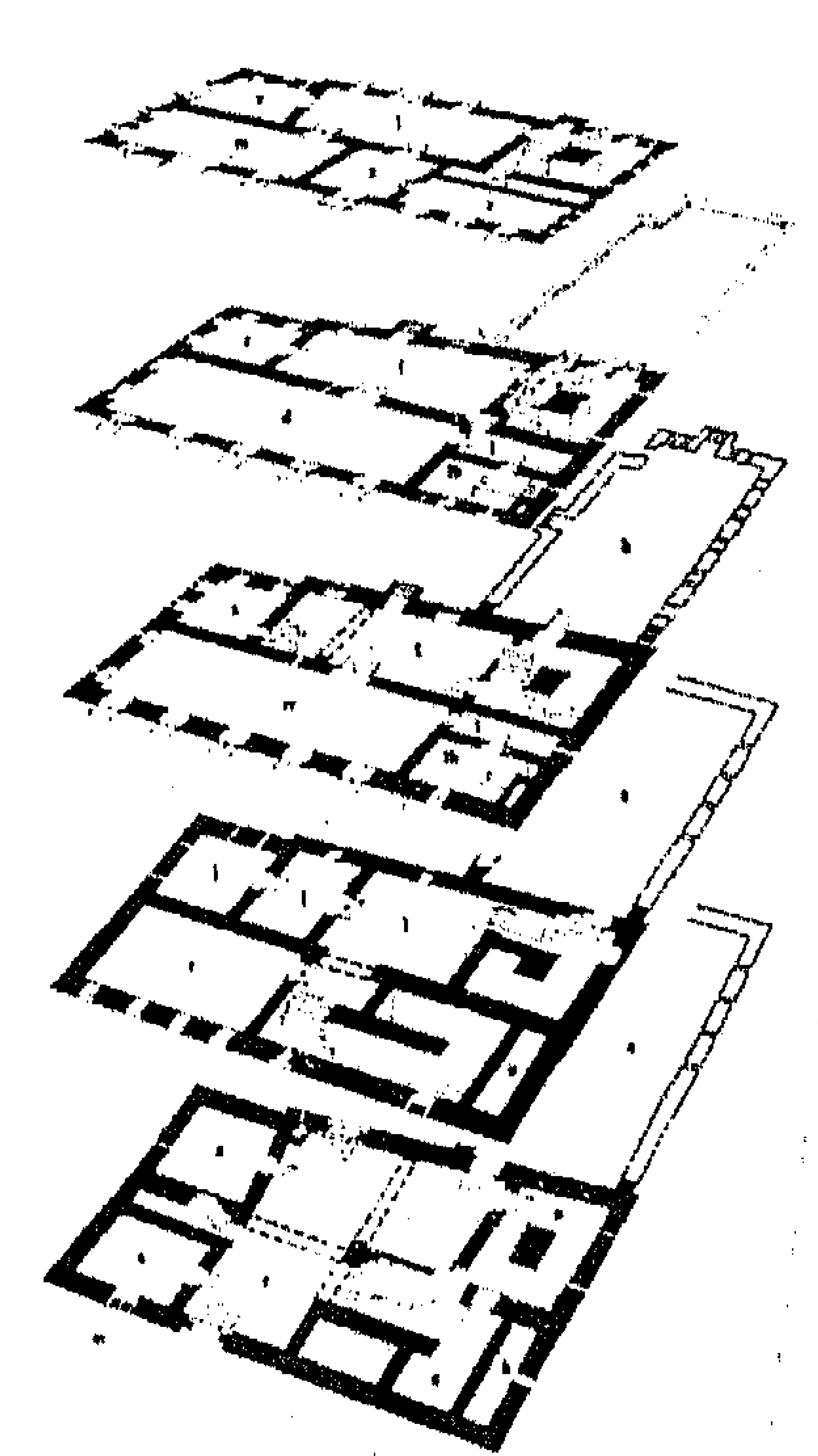
(شكل 35) الدار الناصري الكبير بزبيد (قلعة زبيد)



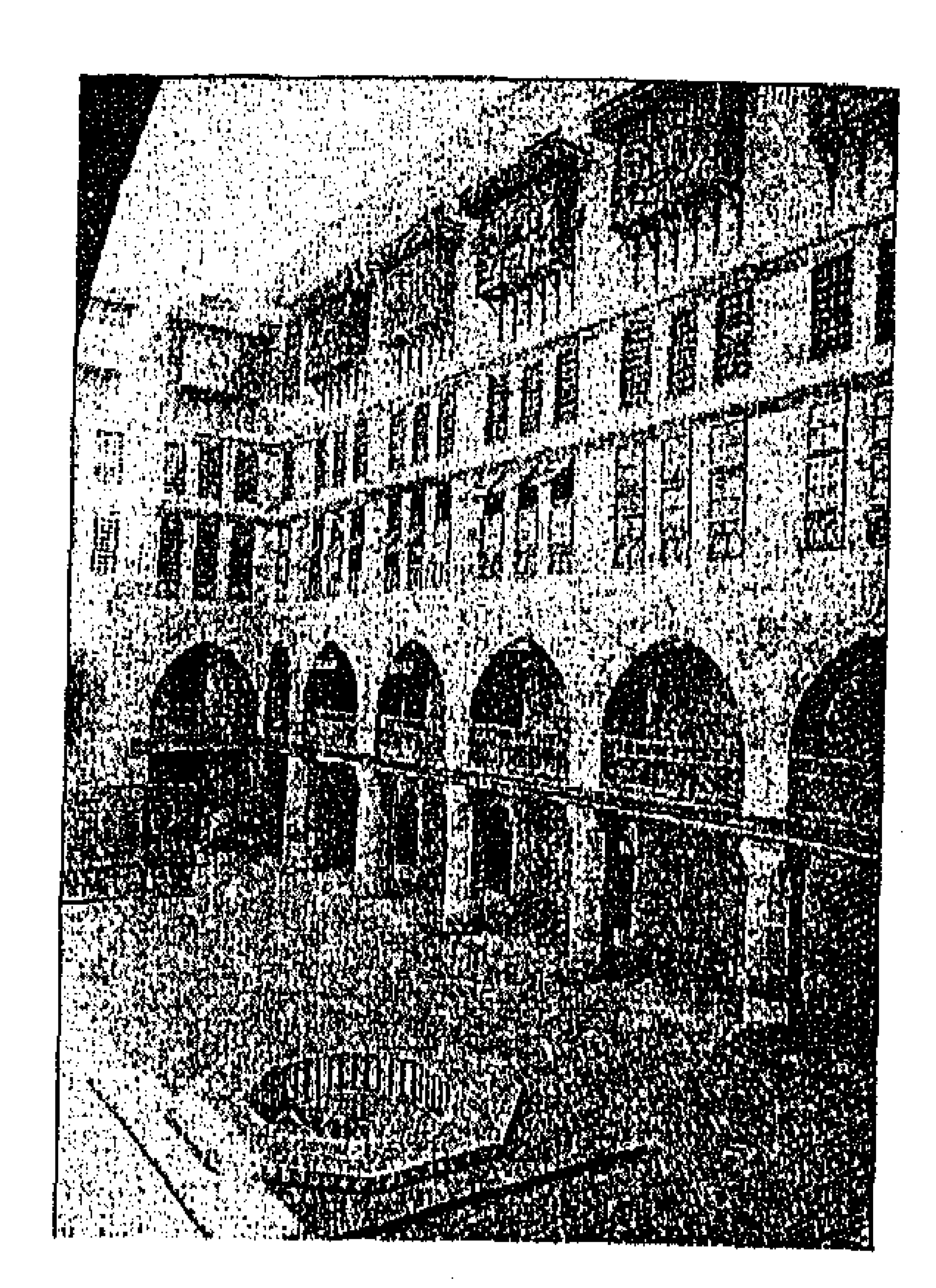
(شكل36) نموذج لأحد منازل زبيد



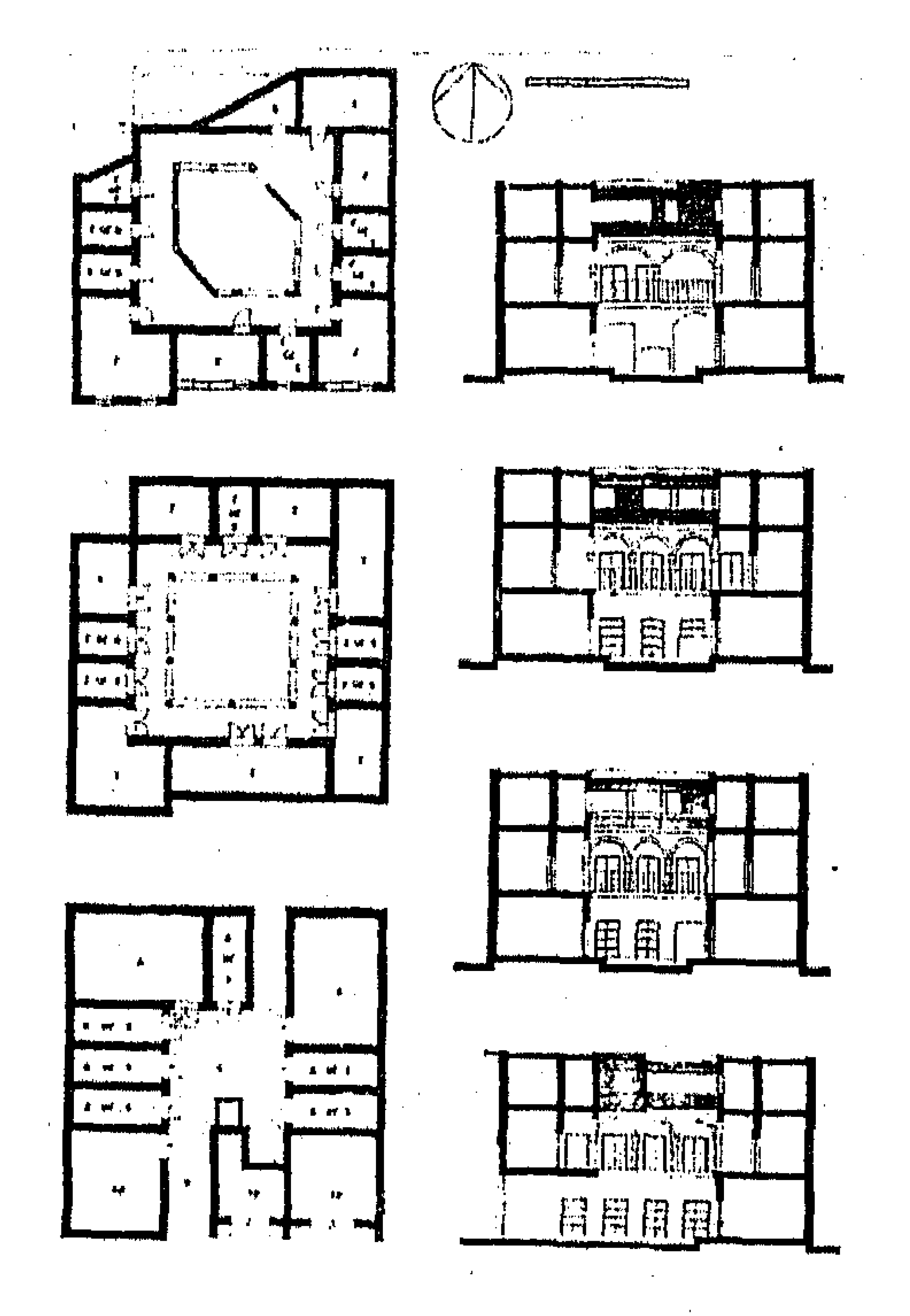
(شكل 38) خان عطشان



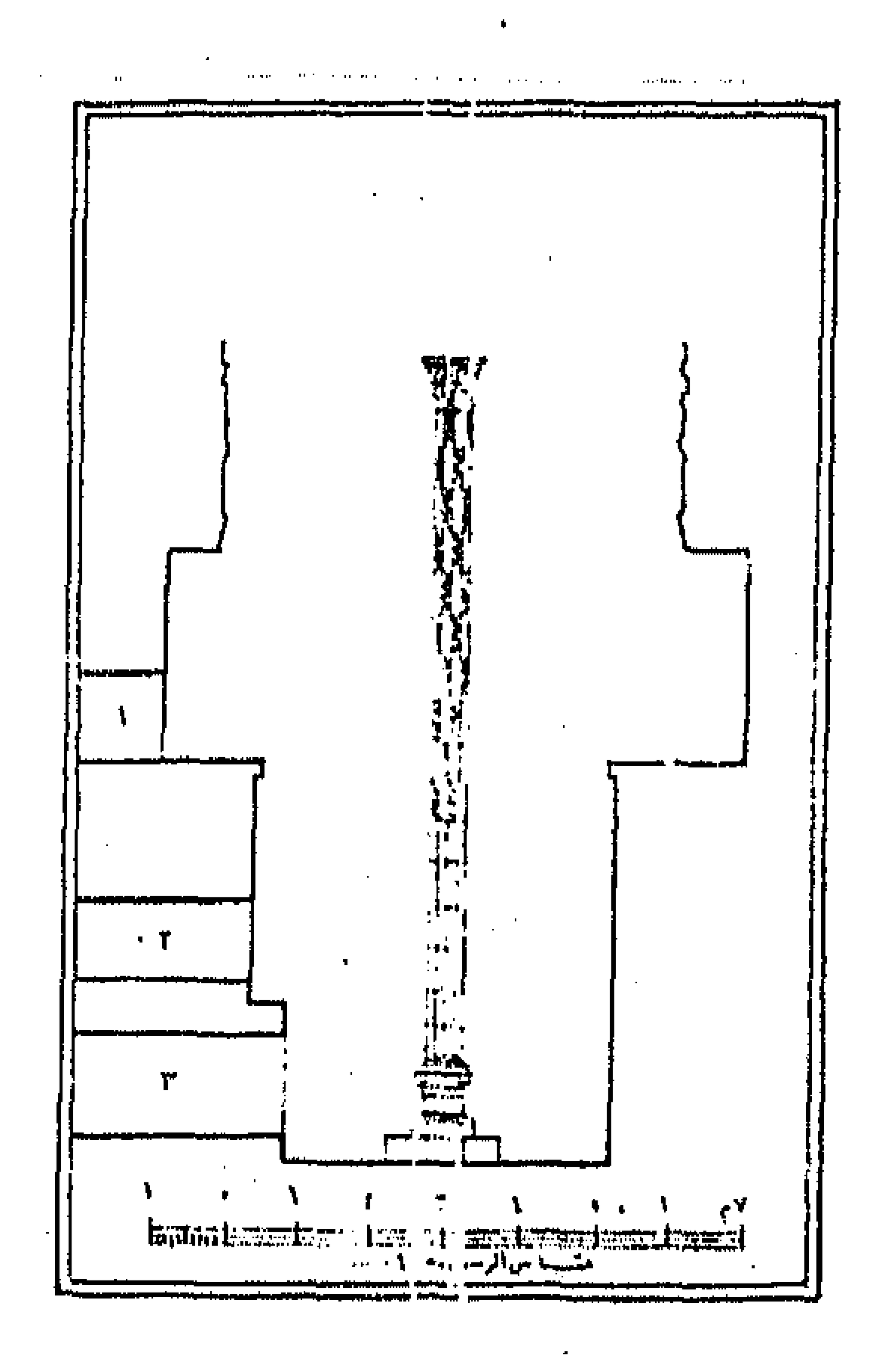
(شكل 37) نموذج لتخطيط منازل مدينة صنعاء



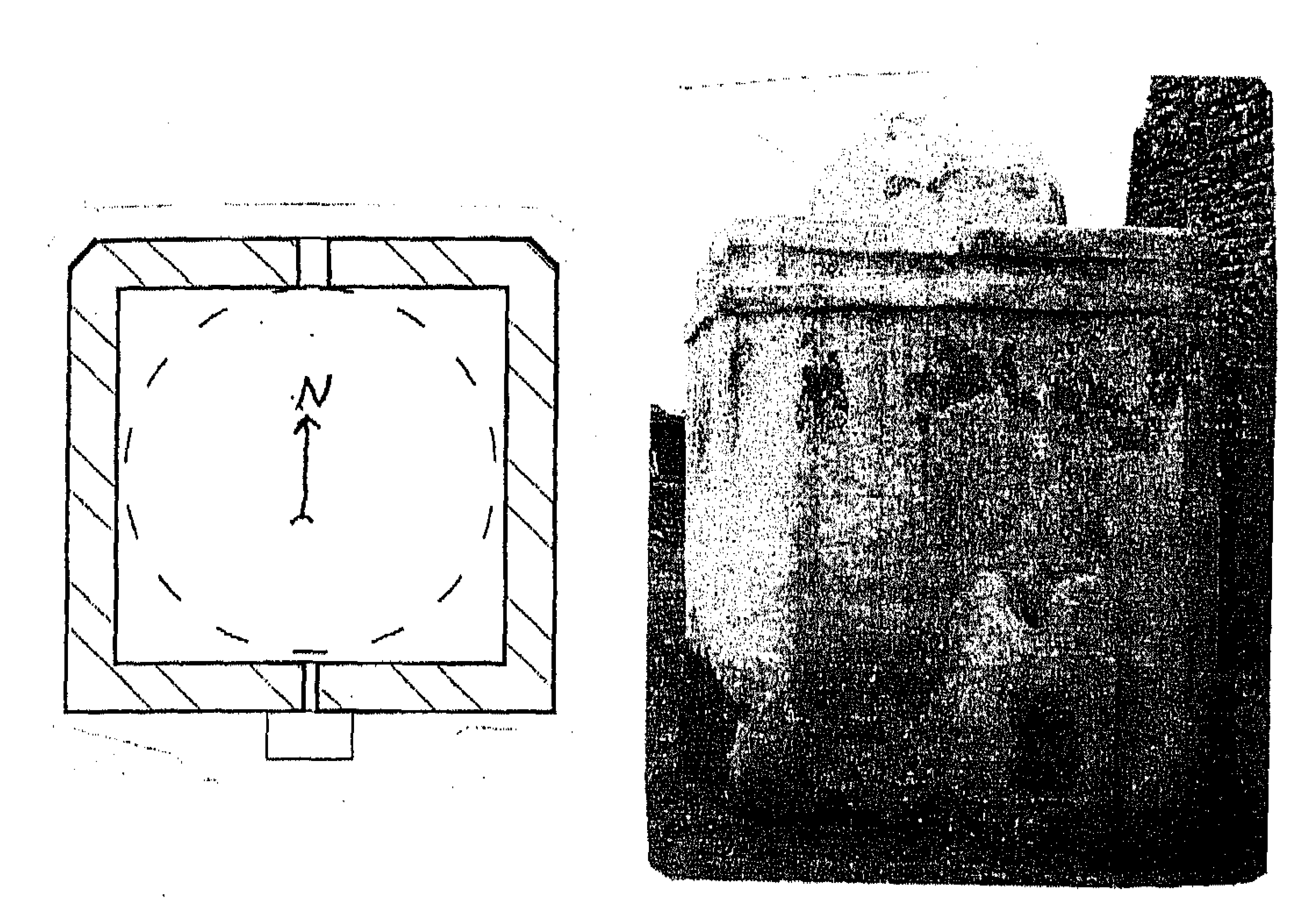
(شكل39) وكالة الغوري بالقاهرة.



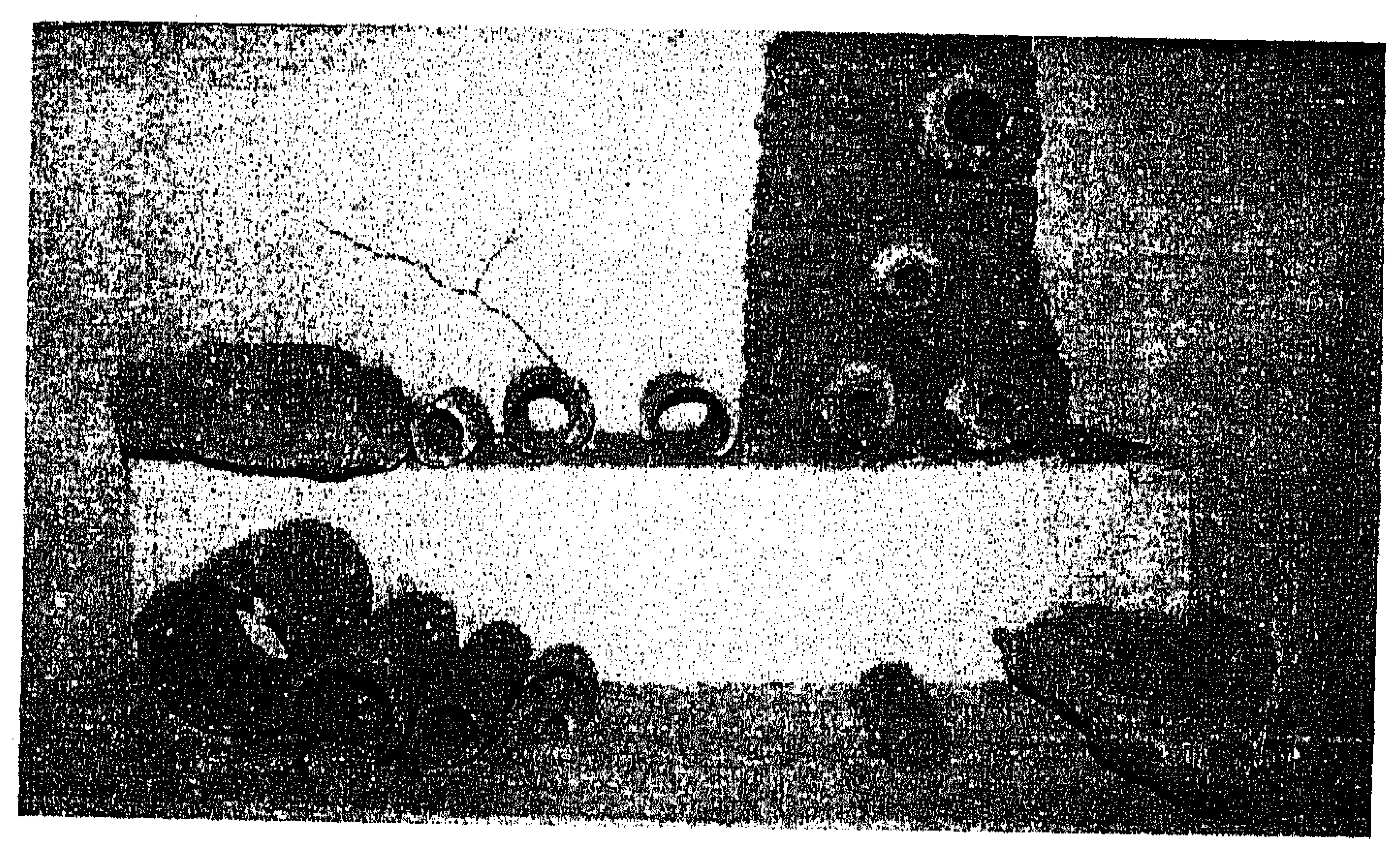
(شكل 40) سمسرة يحي بن القاسم بصنعاء



(شكل41) مقياس النيل بجزيرة
الروضة بالقاهرة

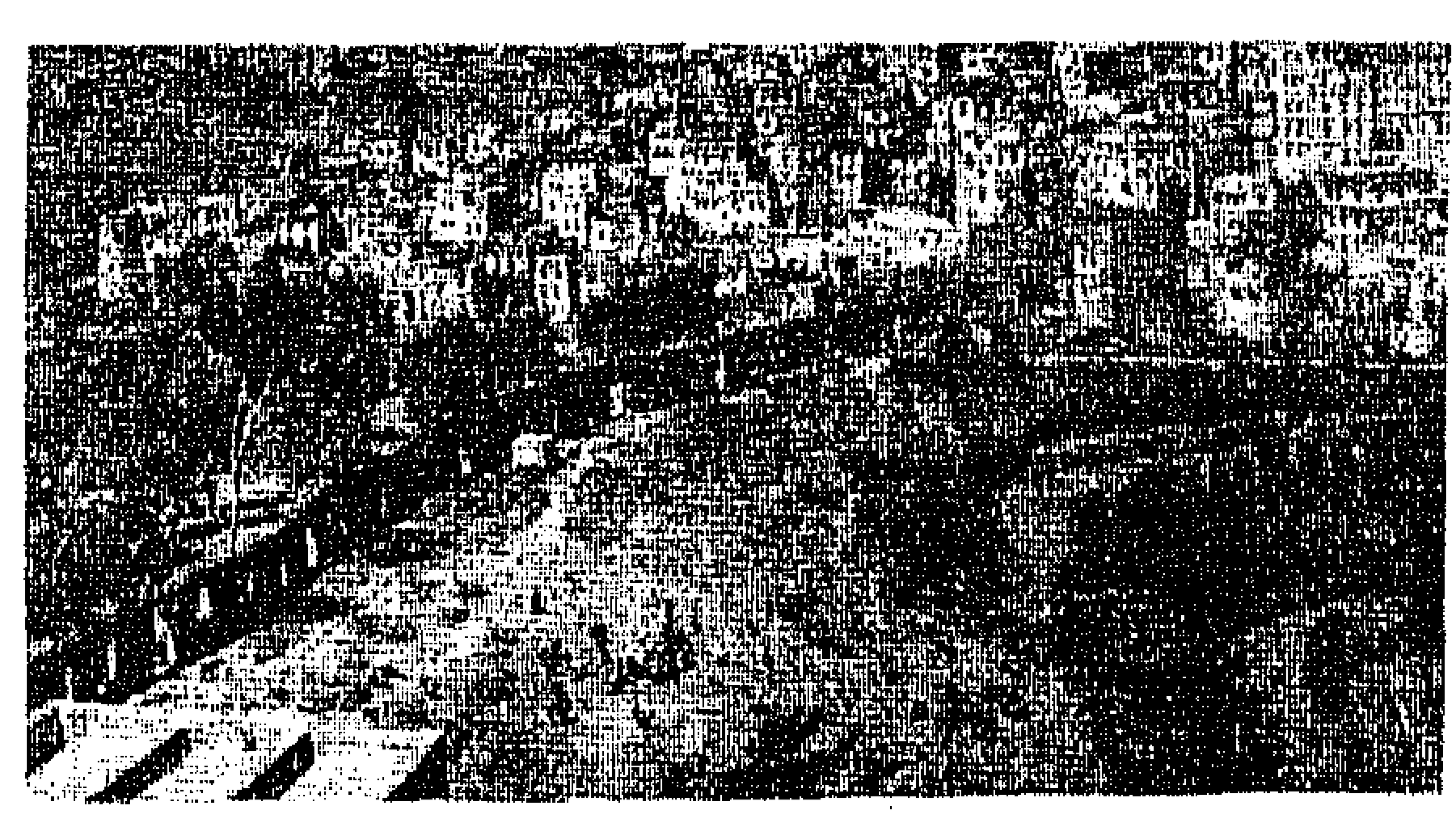


(شكل 42) منظر عام ومسقط أفقي لسبيل باب الشبارق بمدينة زبيد

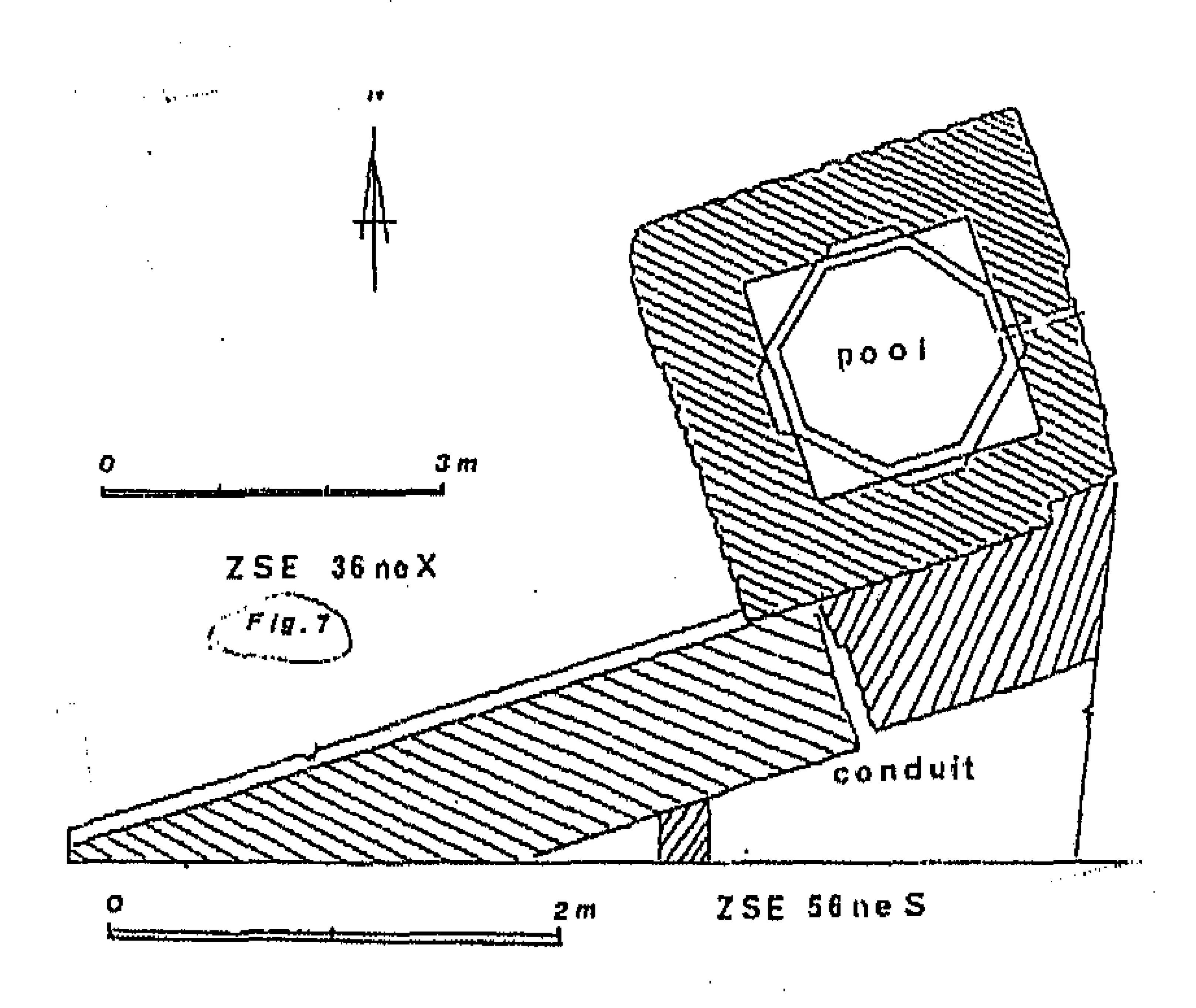


(شكل43) نماذج لأنابيب القنوات التي كان بواسطتها يصل الماء إلى زبيد

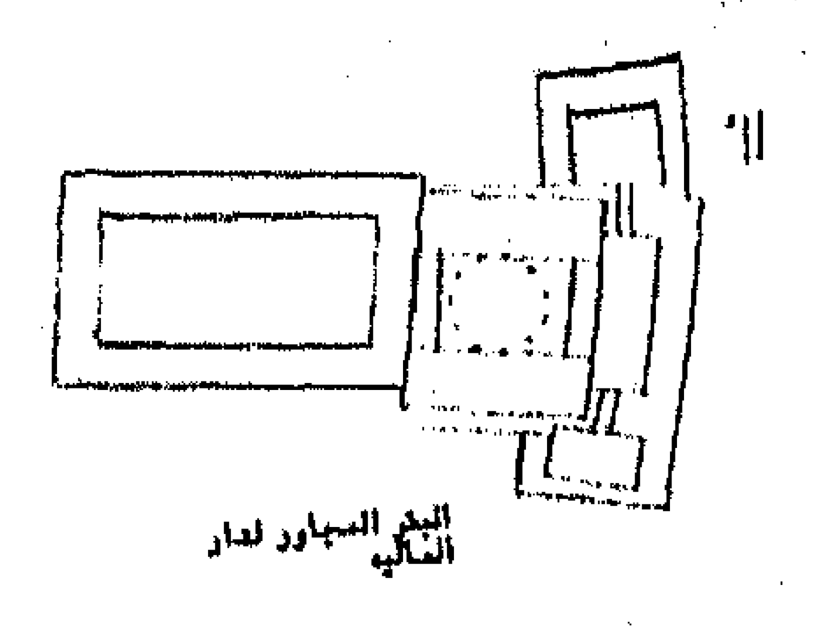




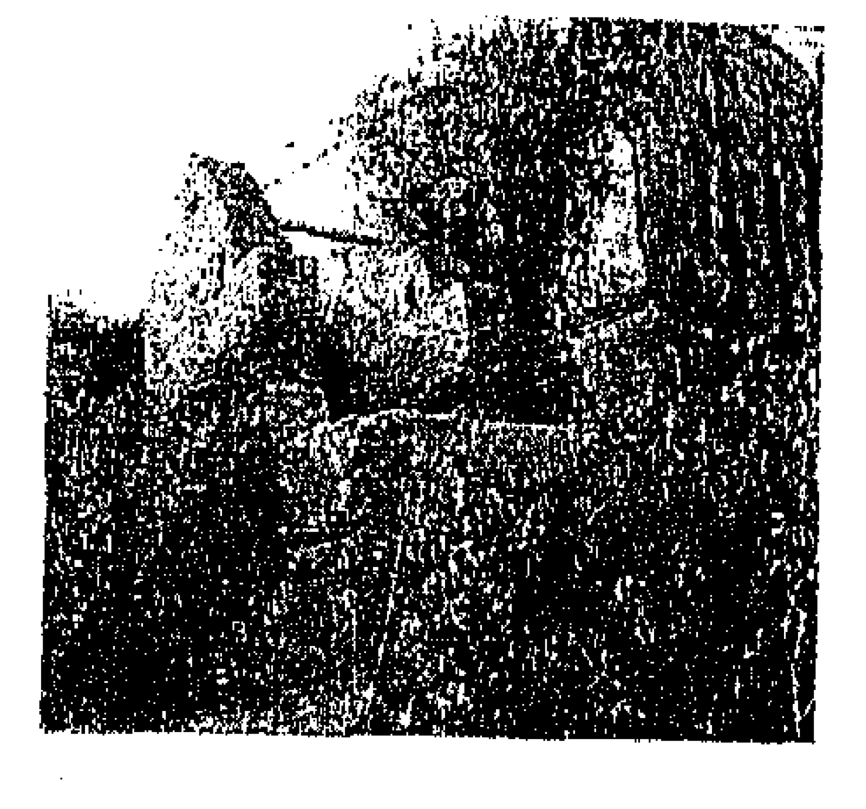
(شكل 44) قناطر أحمد بن طولون بالقاهرة، وقناطر مدينة إب باليمن.

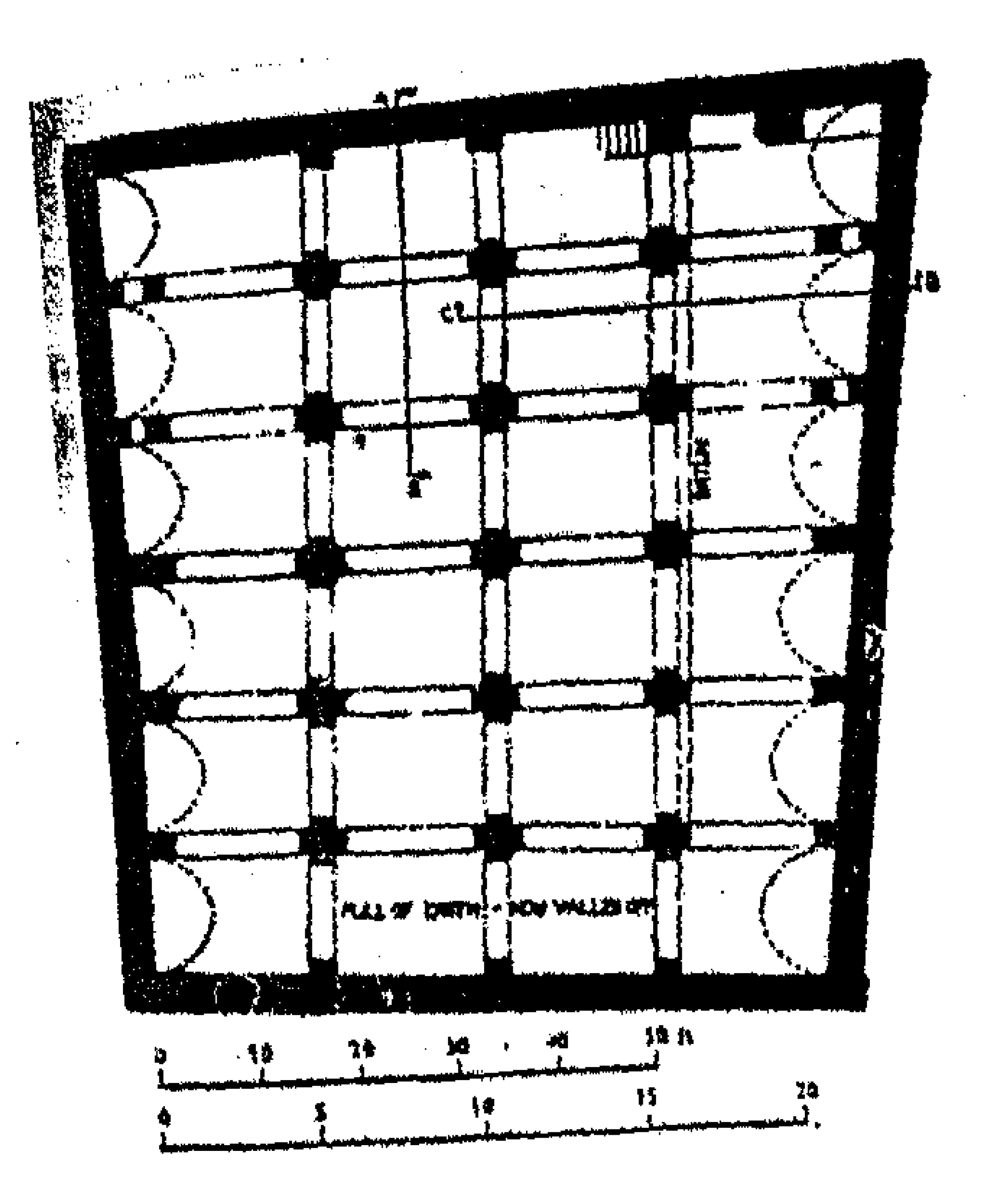


(شكل 45) البركة التي كانت مجاورة لسور قلعة زبيد من الخارج

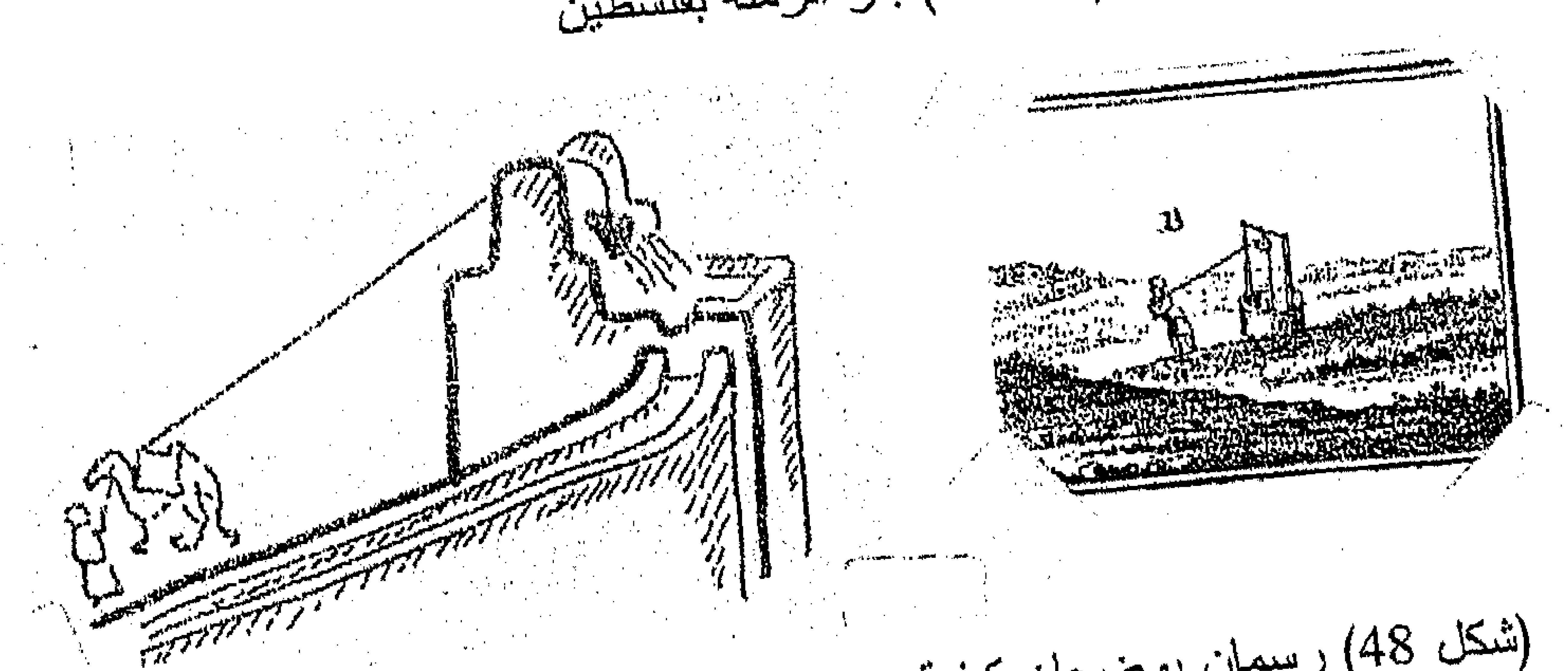


(شكل46) إحدى آبار قلعة زبيد وحوضها

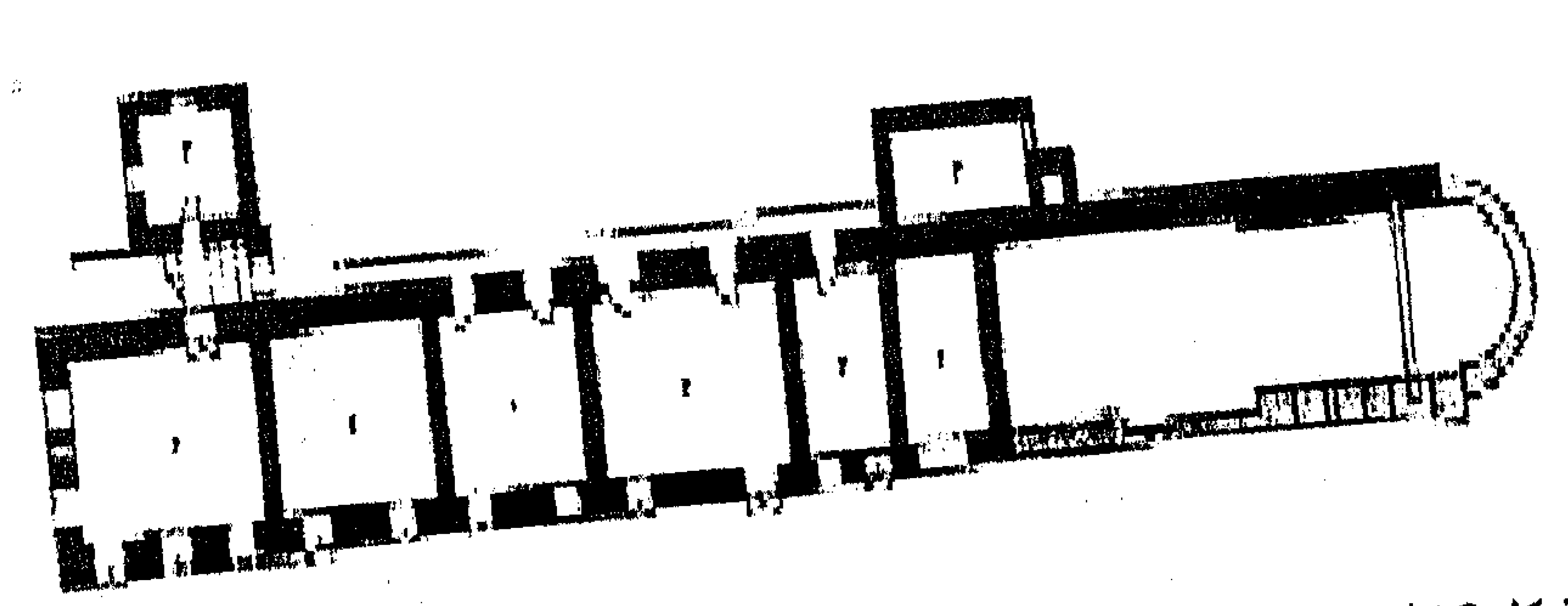




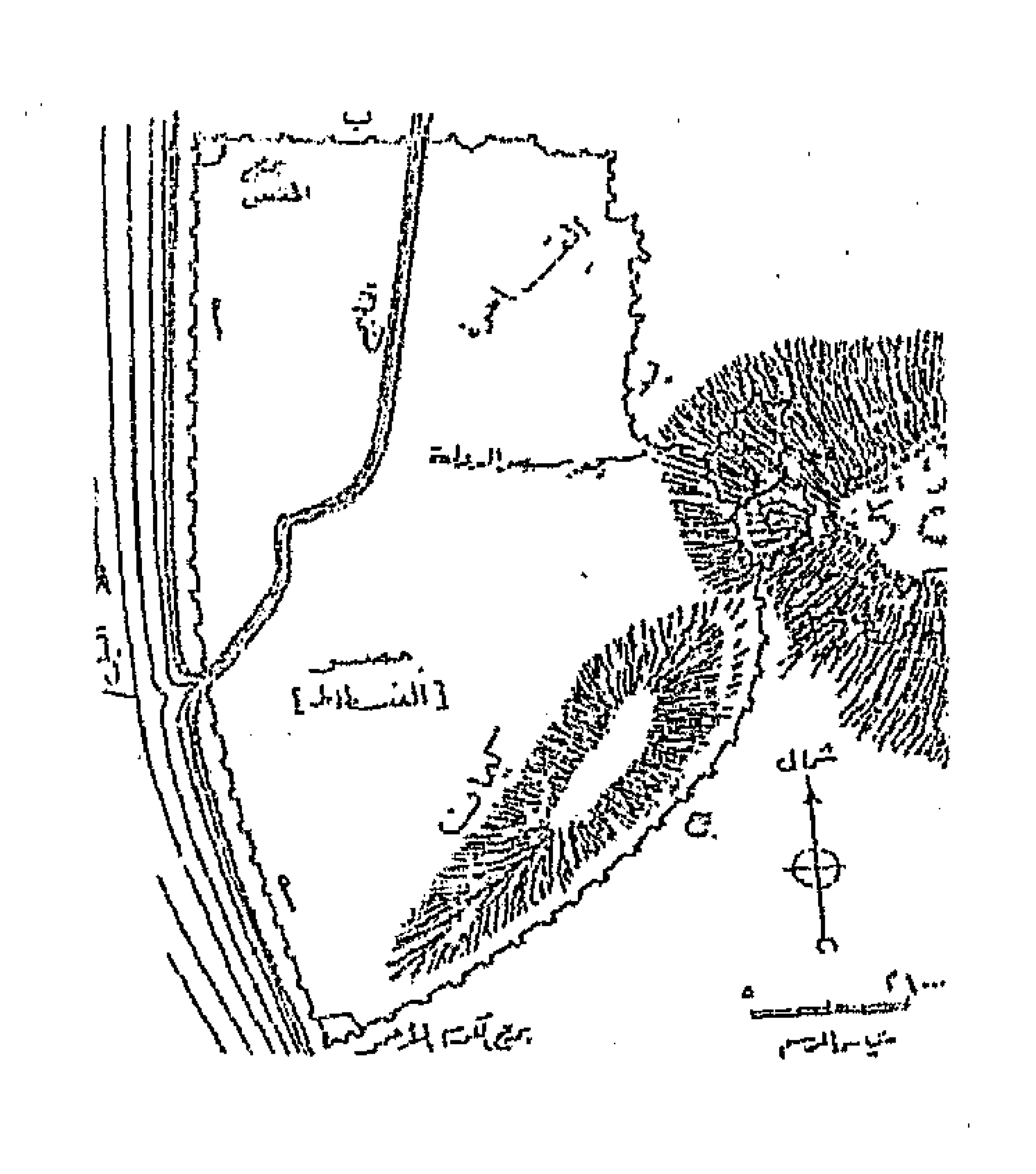
(شكل 47) بئر الرملة بفلسطين

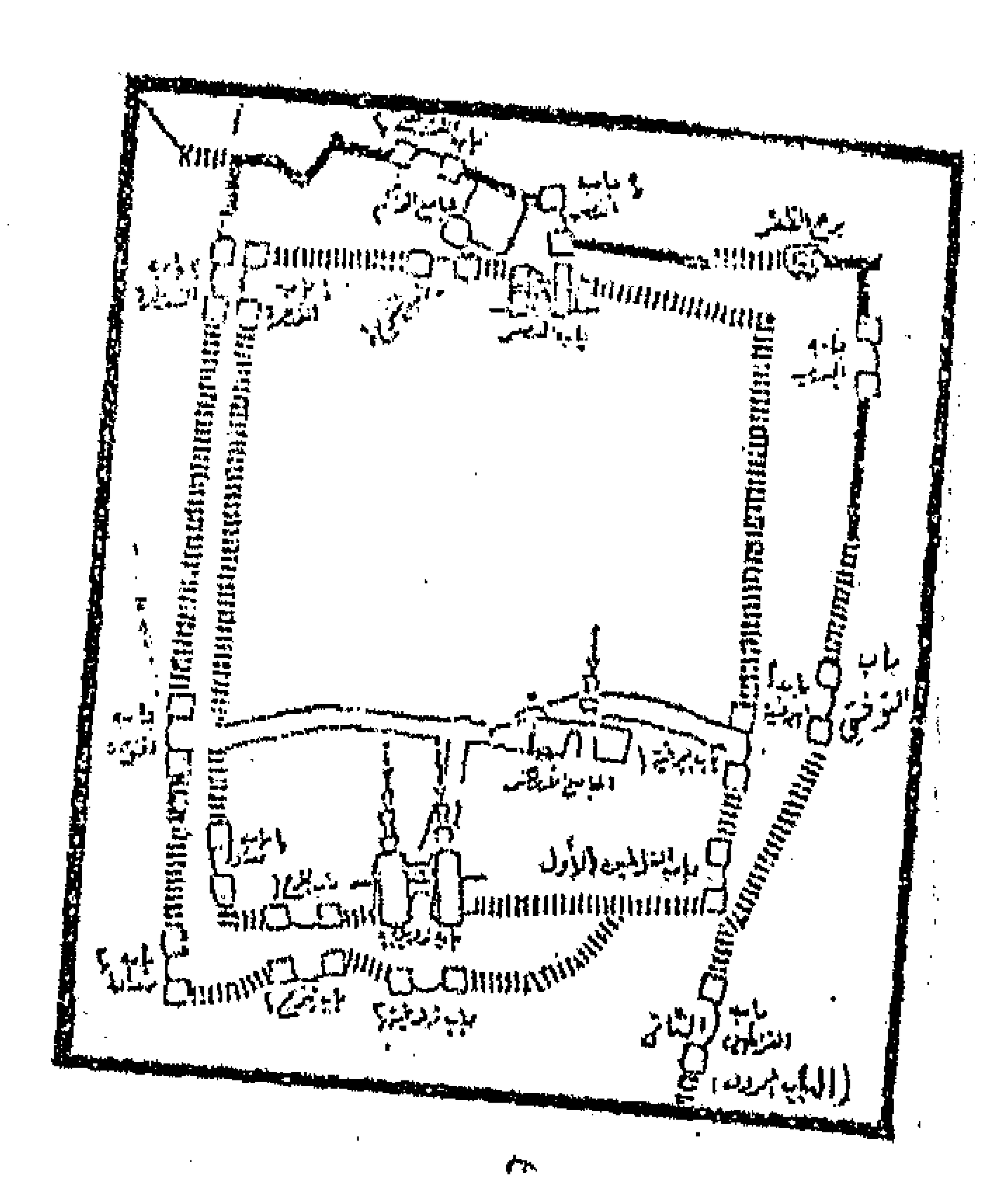


(شكل 48) رسمان يوضحان كيفية سحب المياه من البئر بواسطة الإنسان والحيوان



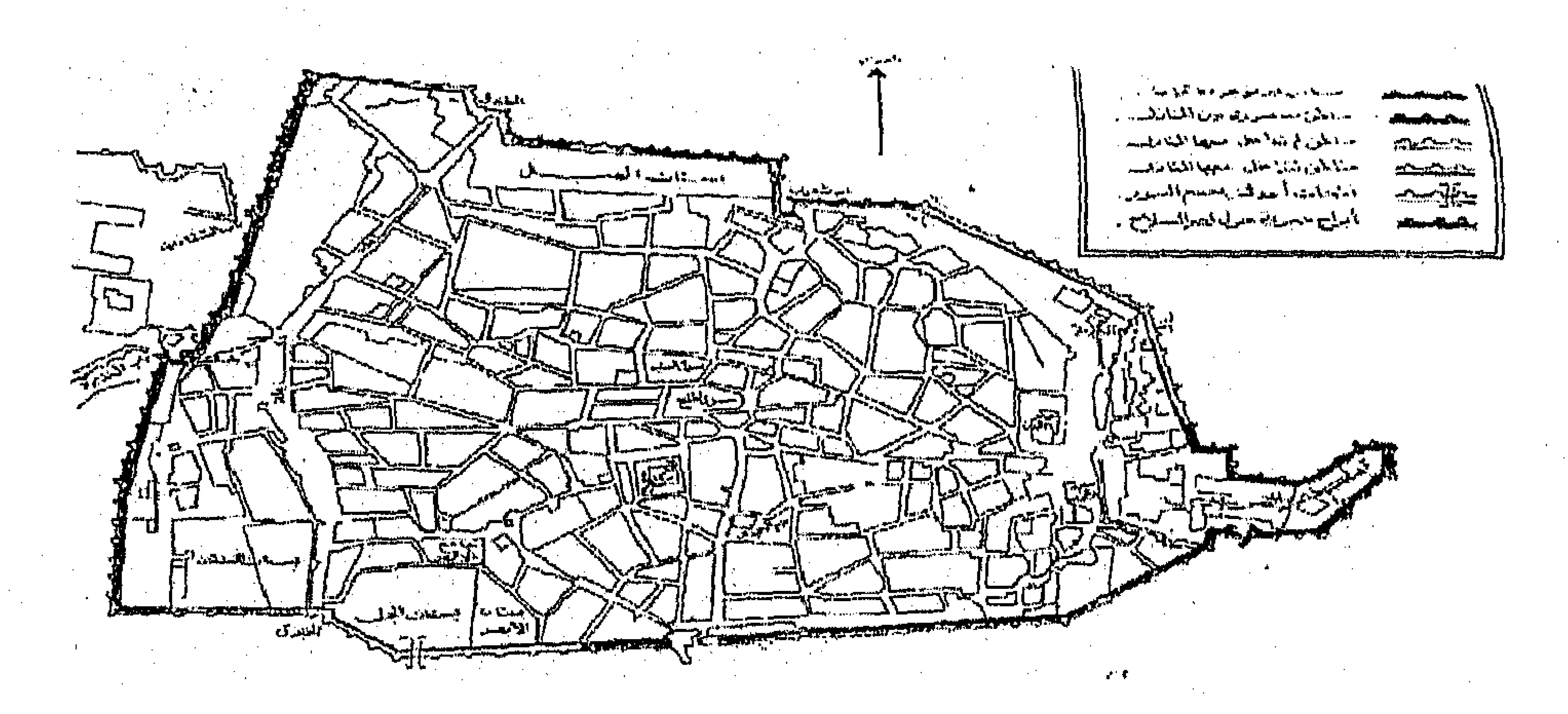
(شكل49) مرنع (ممر سحب الماء) بئر مسجد طلحة.



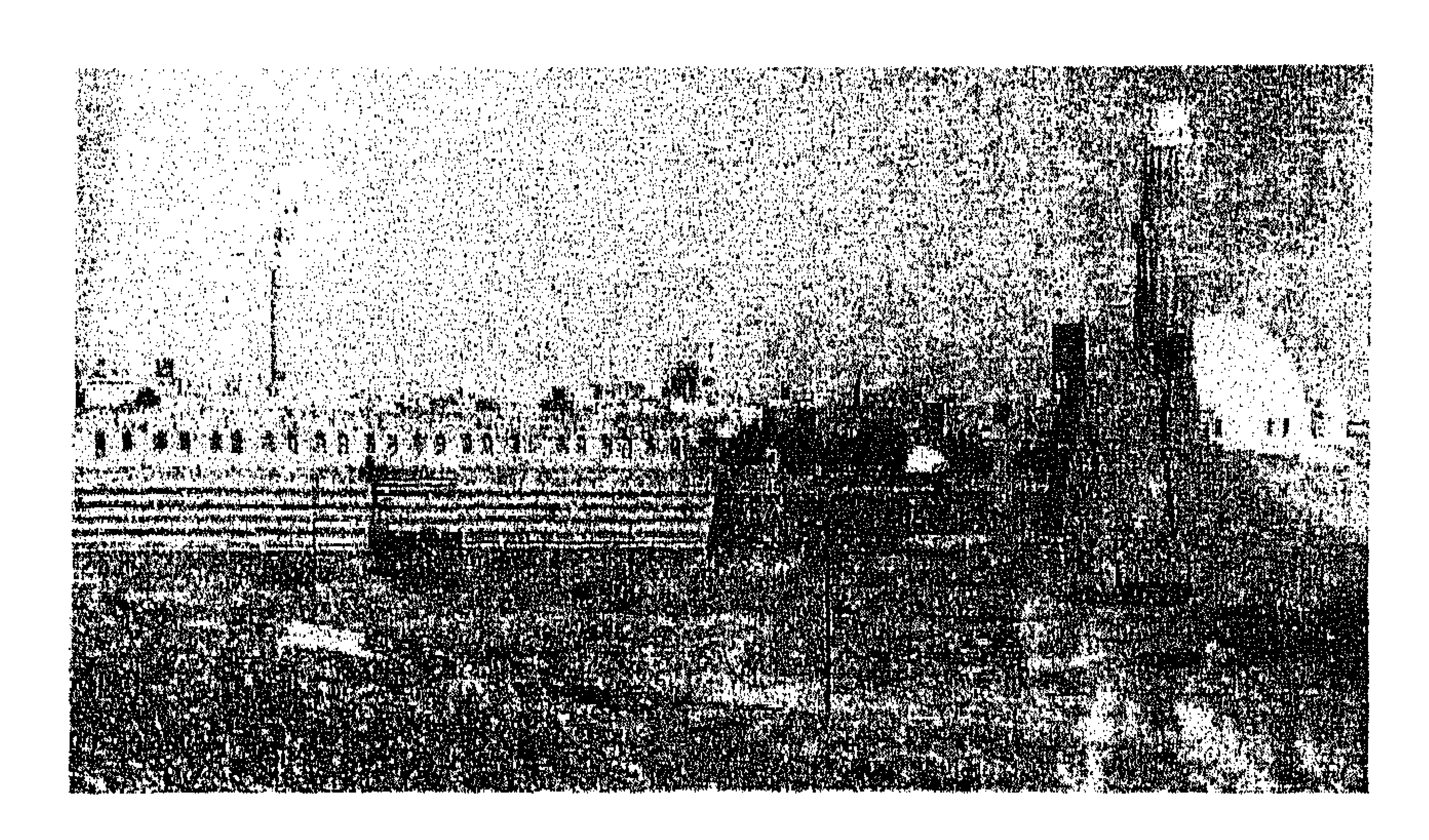


(ب)   (أ)

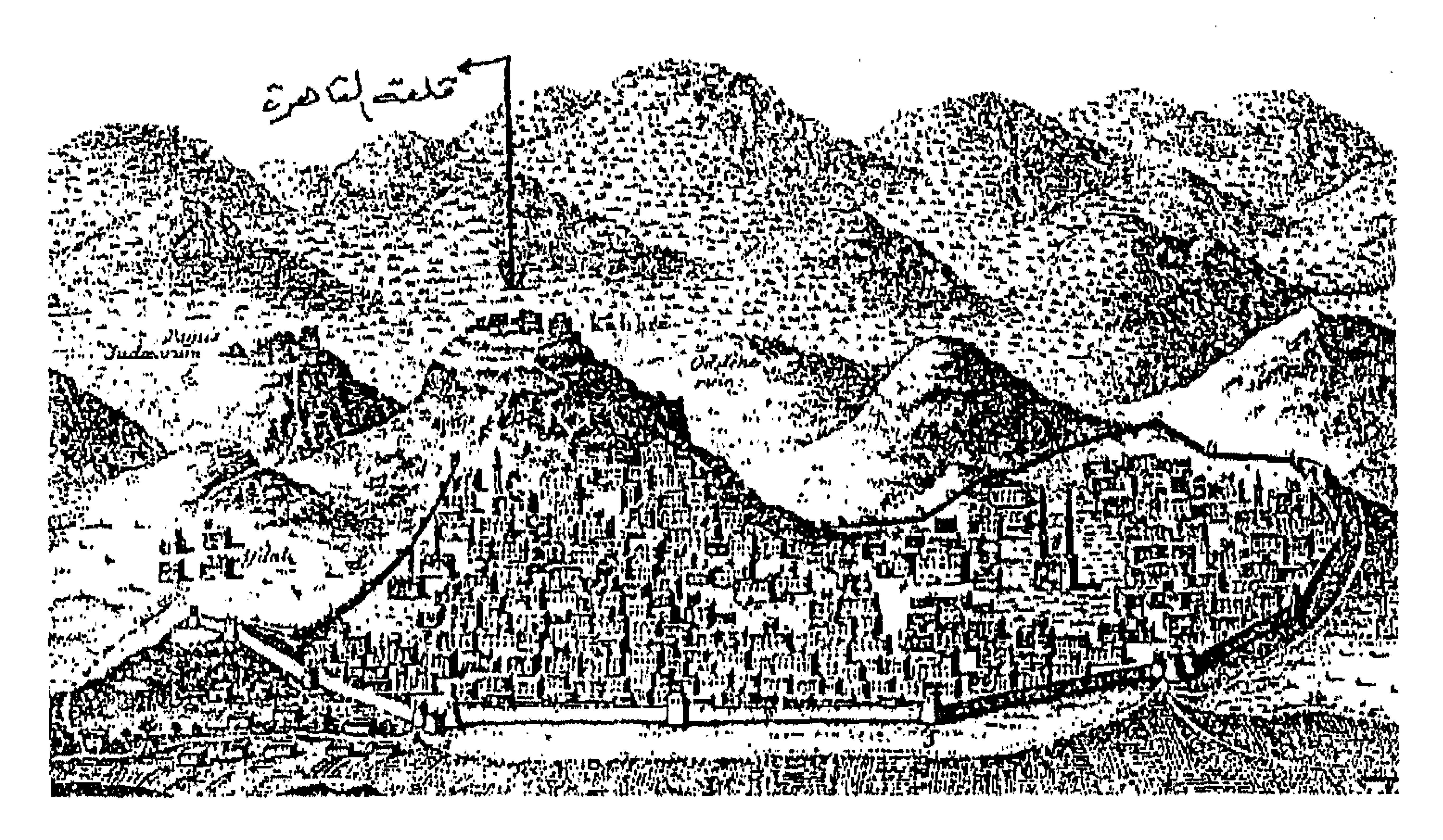
(شكل 50) سور مدينة القاهرة: أ- في العصر الفاطمي، ب- في العصر الأيوبي



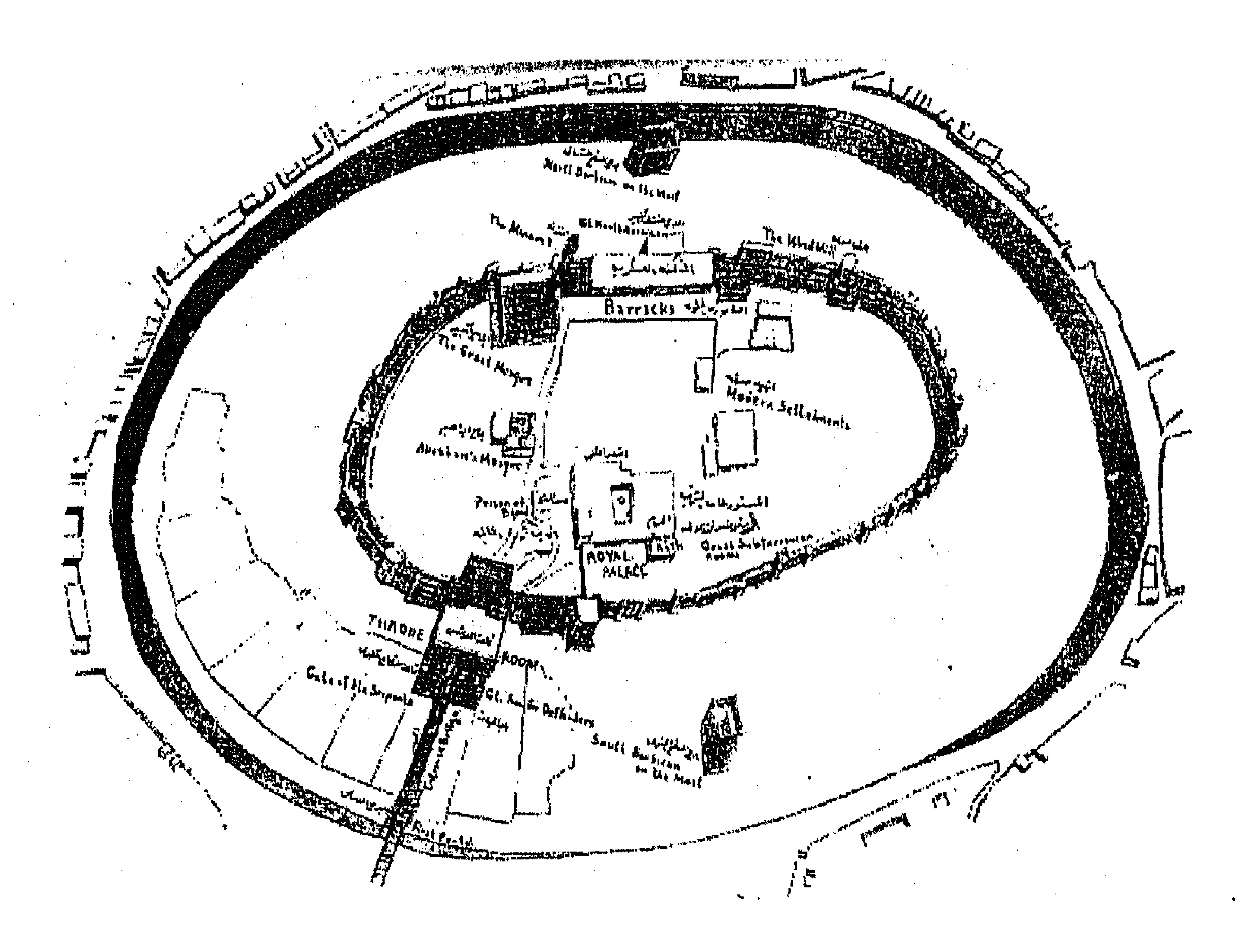
(شكل51) تخطيط مدينة صنعاء القديمة وأسوارها وحاراتها



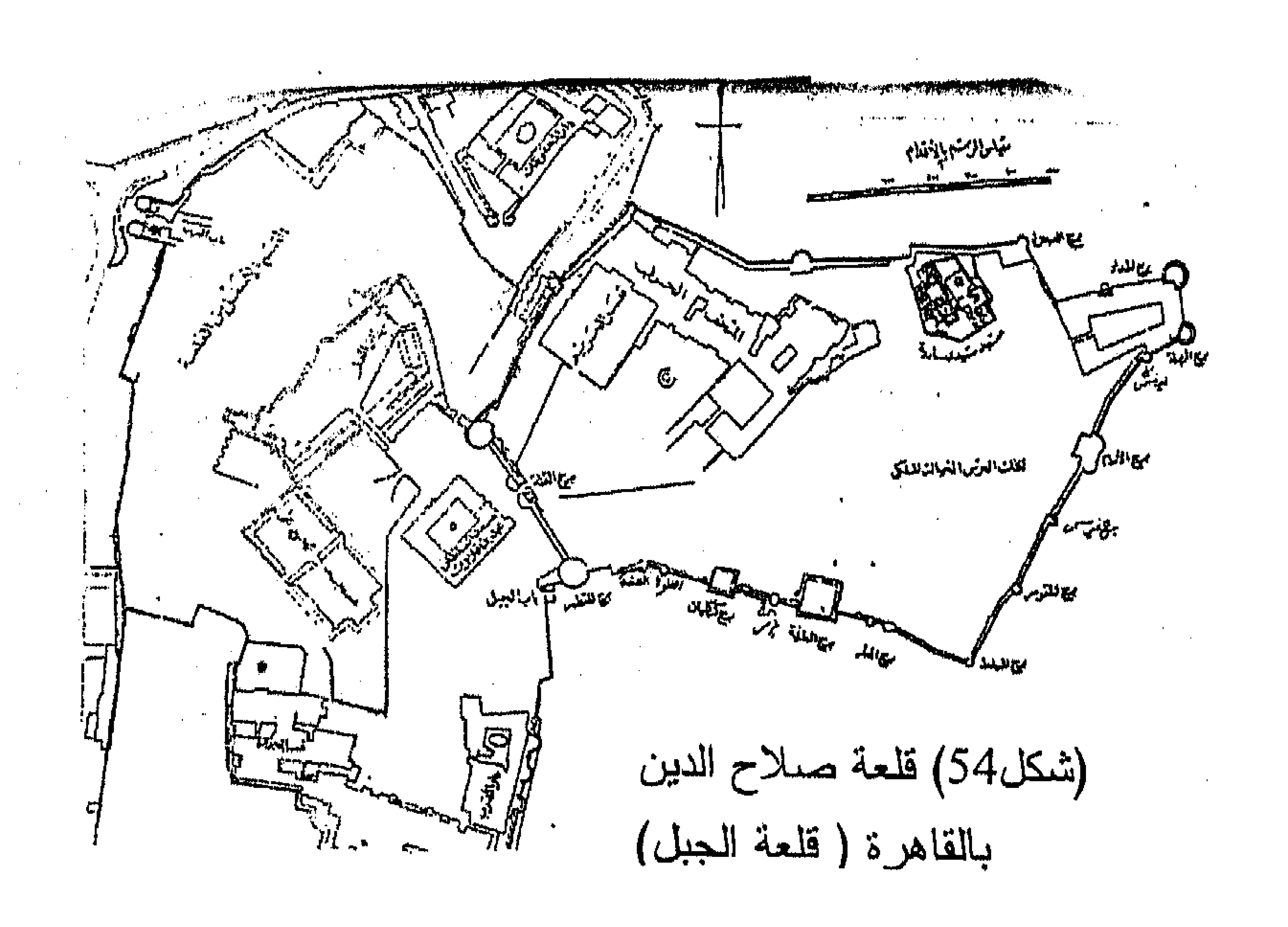
(شكل 51 ب) جانب من سور مدينة صنعاء القديمة



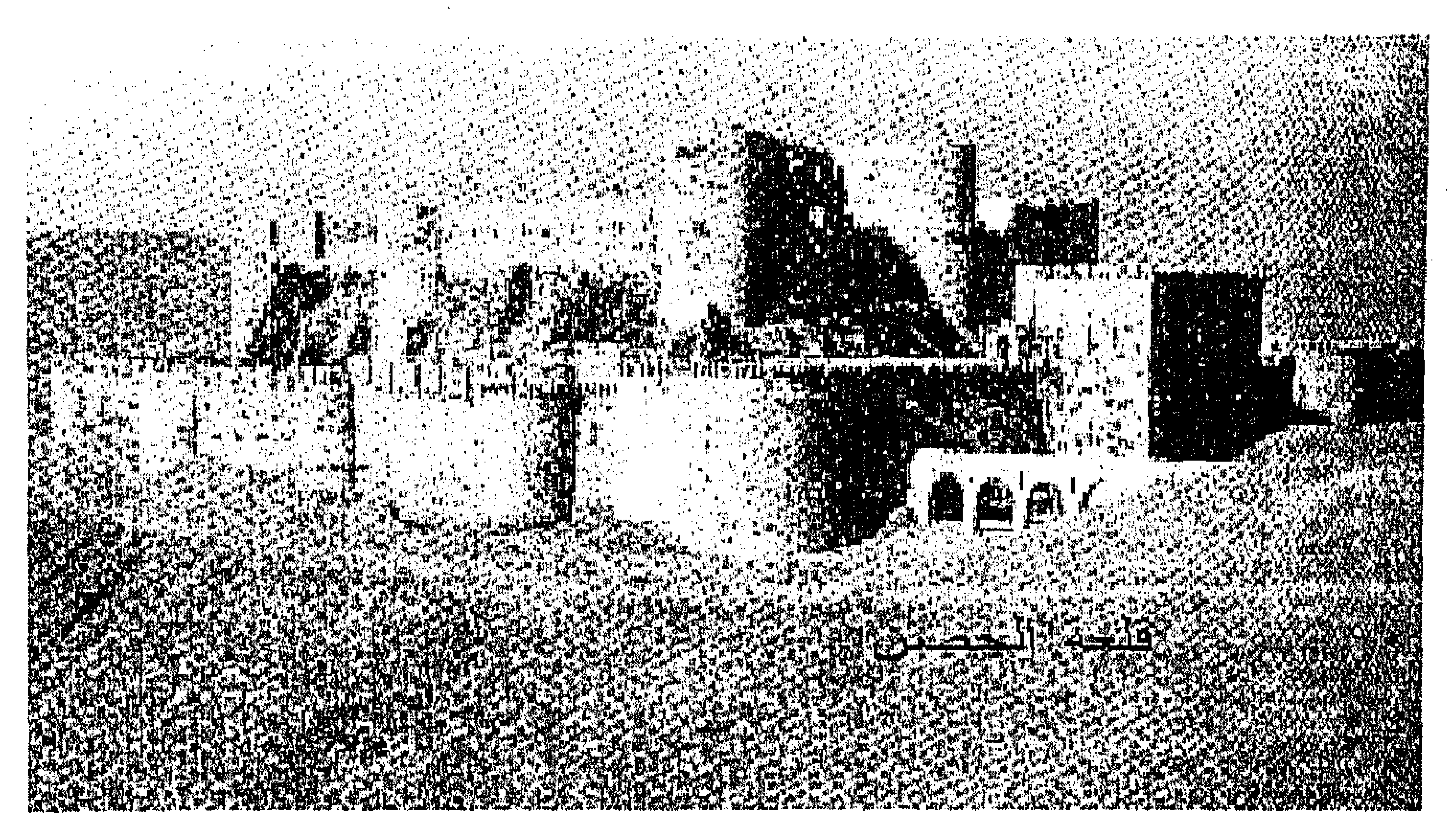
(شكل 52) سور مدينة تعز وقلعتها المعروفة باسم قلعة القاهرة.



(شكل 53) قلعة حلب بسوريا



(شكل54) قلعة صلاح الدين
بالقاهرة (قلعة الجبل)



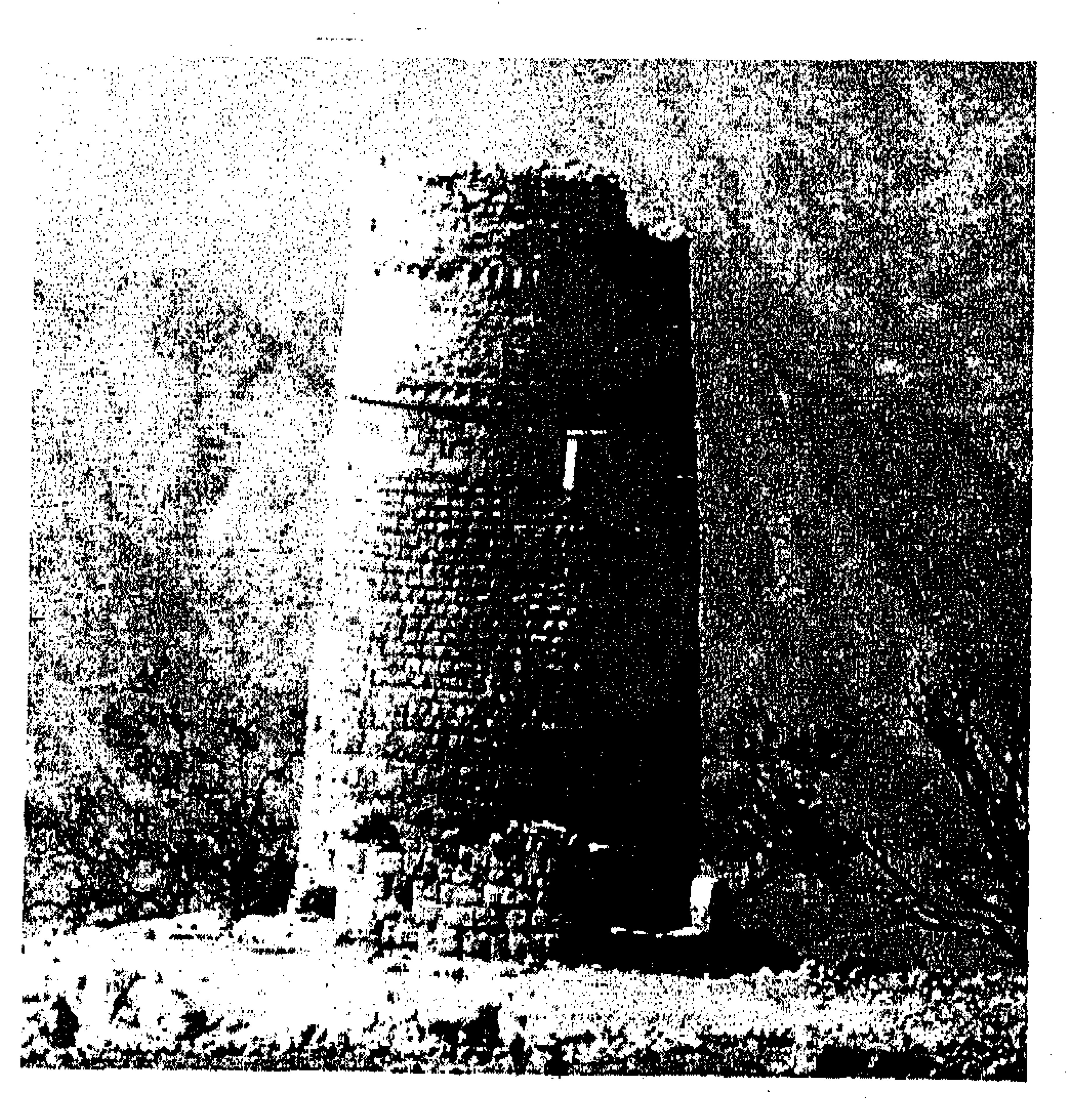
(شكل 55) قلعة الحصن بالأردن



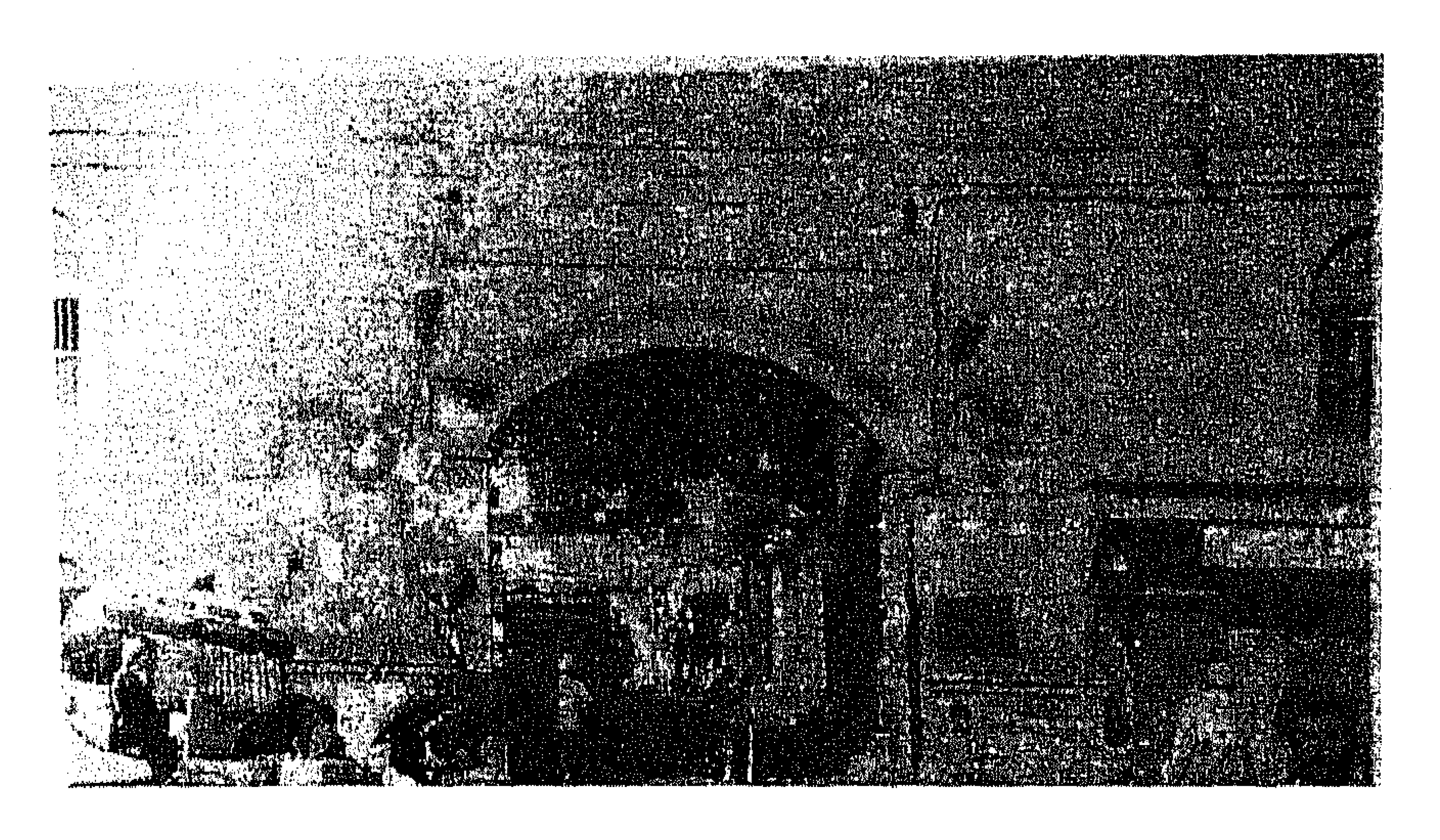
(شكل 56) حصن مدينة ثُلا باليمن



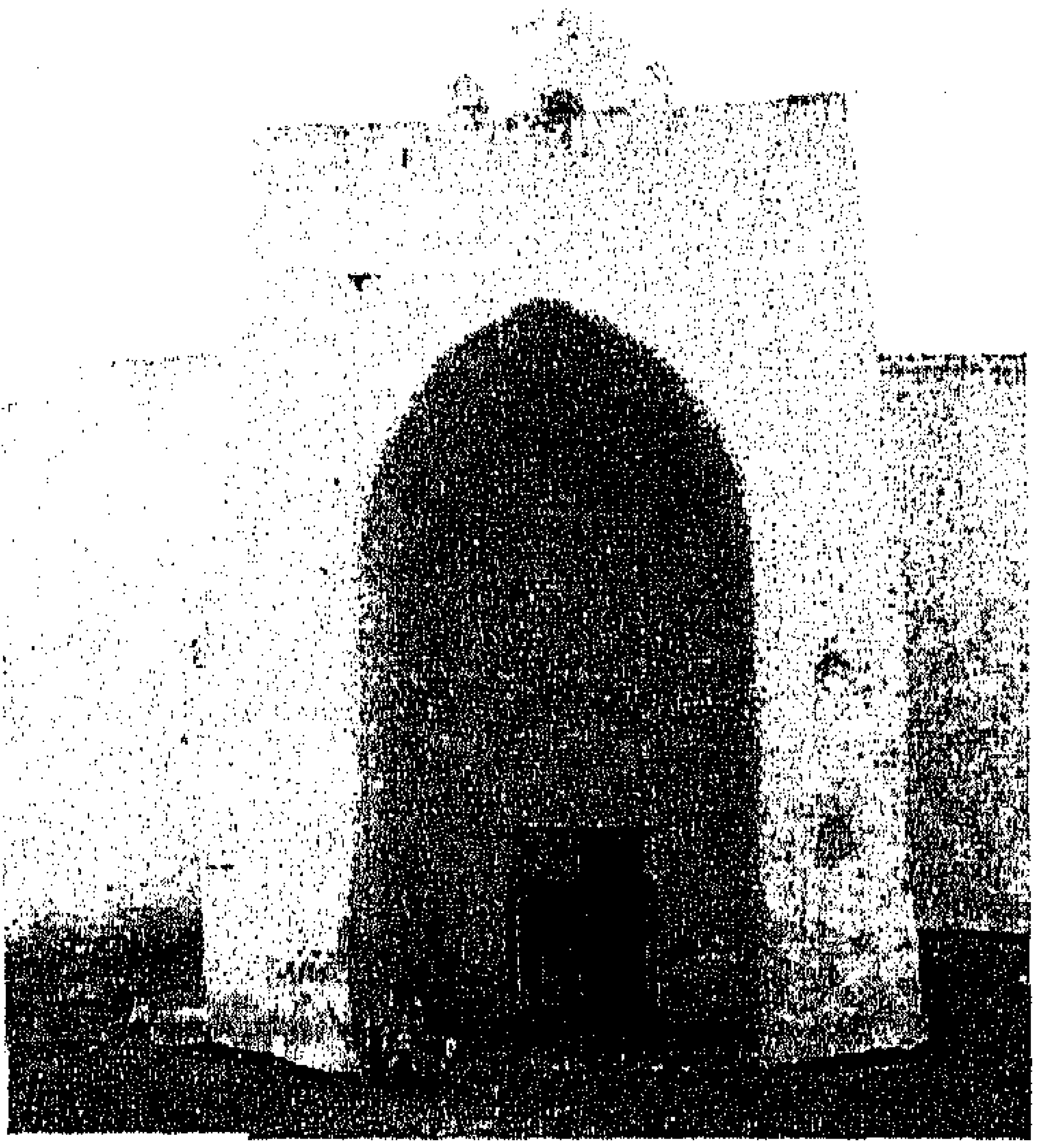
(شكل 57) بقايا خندق
مدينة زبيد



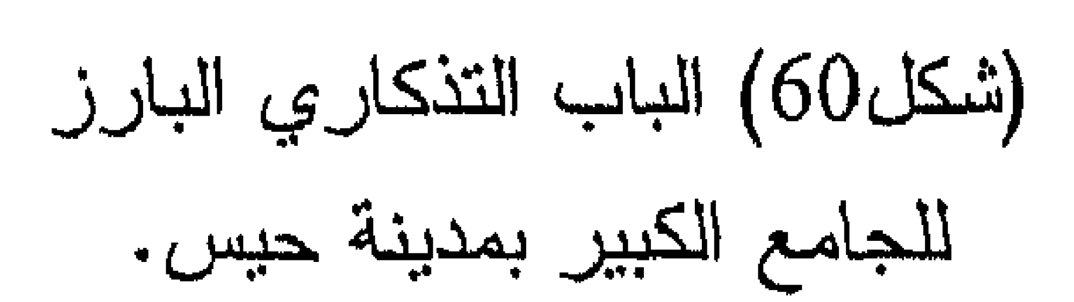
(شكل 58) نموذج لأحد
أبراج المراقبة – قرية
القمة



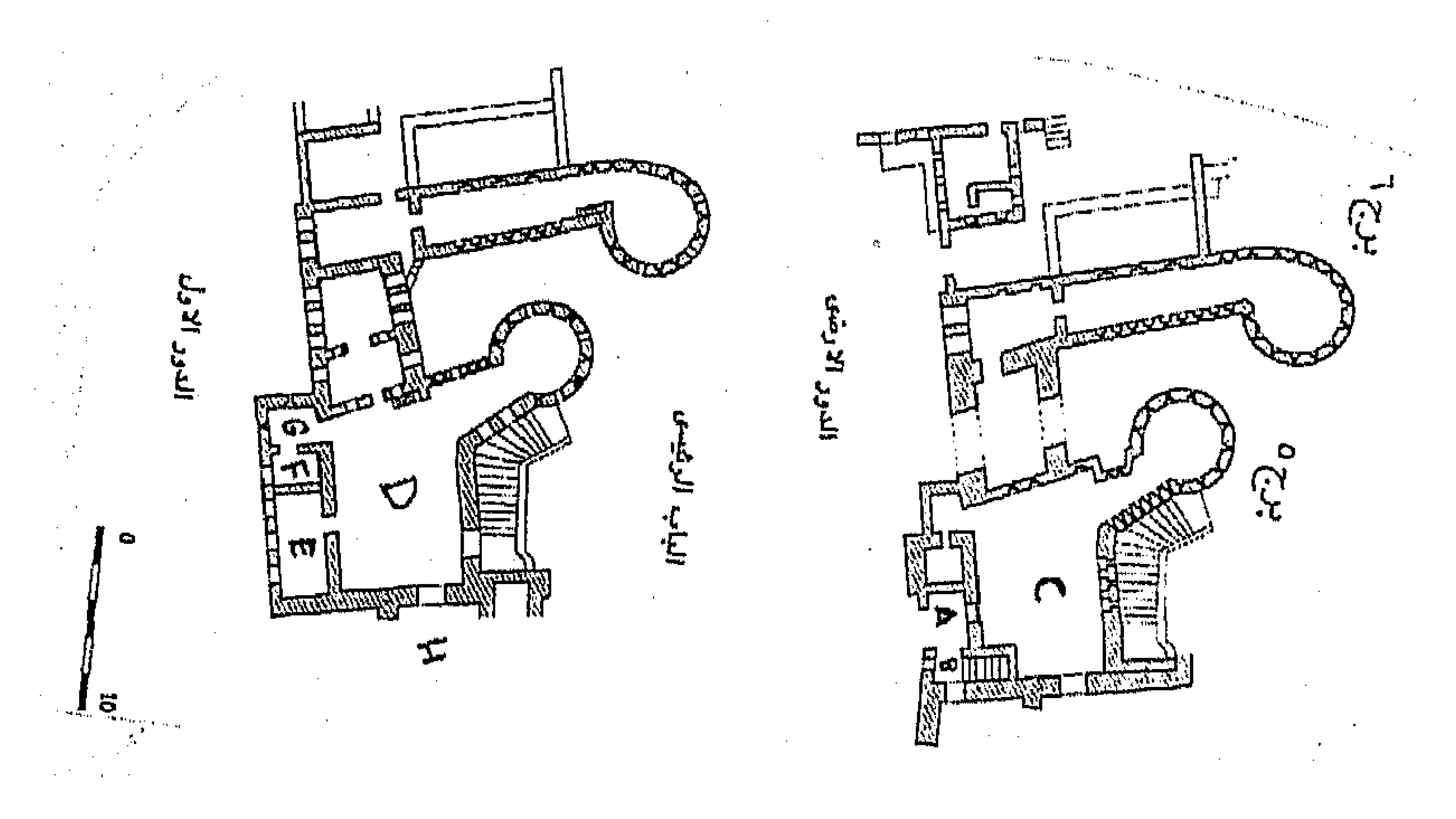
(شكل 59) الباب الكبير بمدينة تعز (باب مباشر)



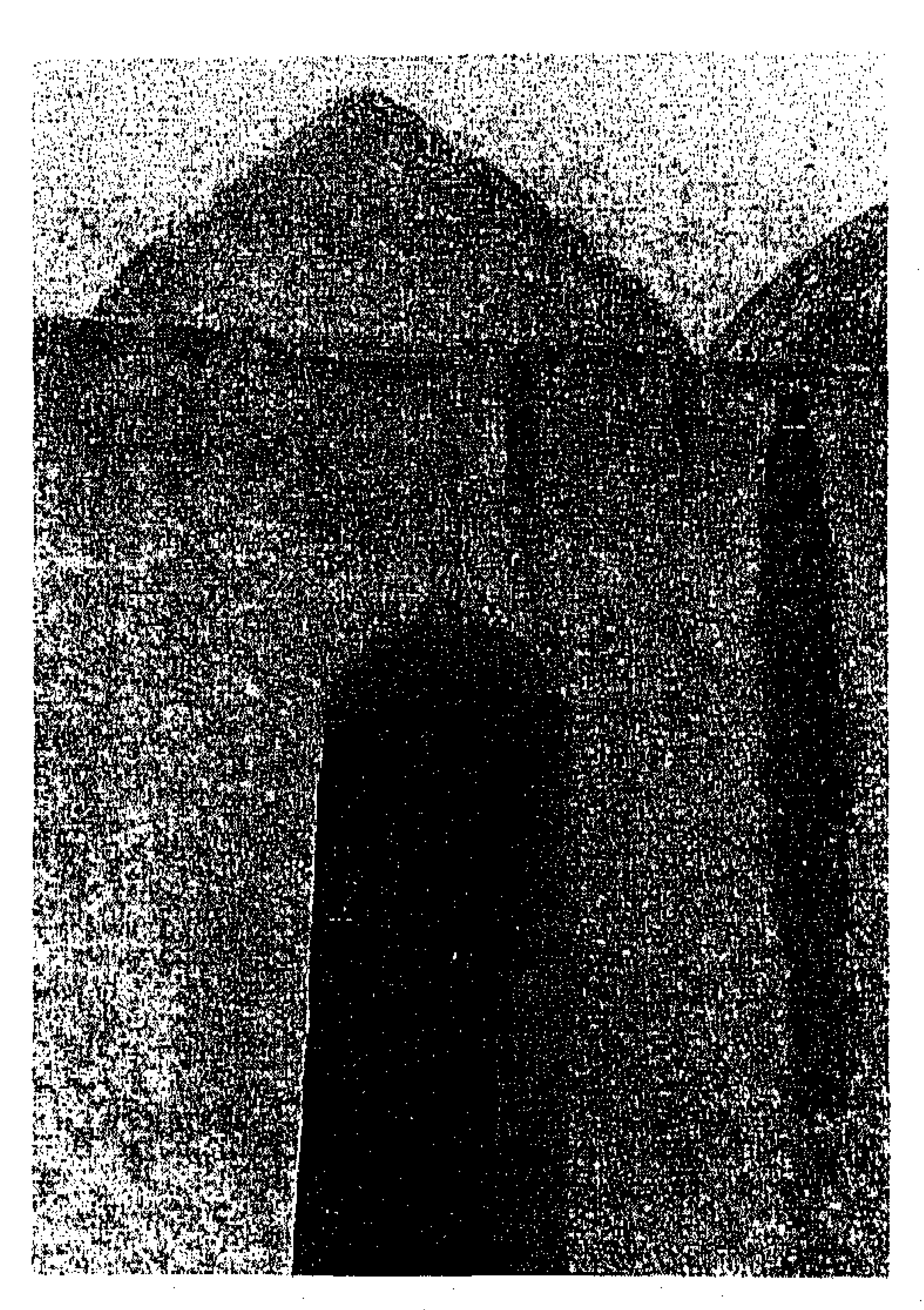
(شكل60) الباب التذكاري البارز للجامع الكبير بمدينة حيس.

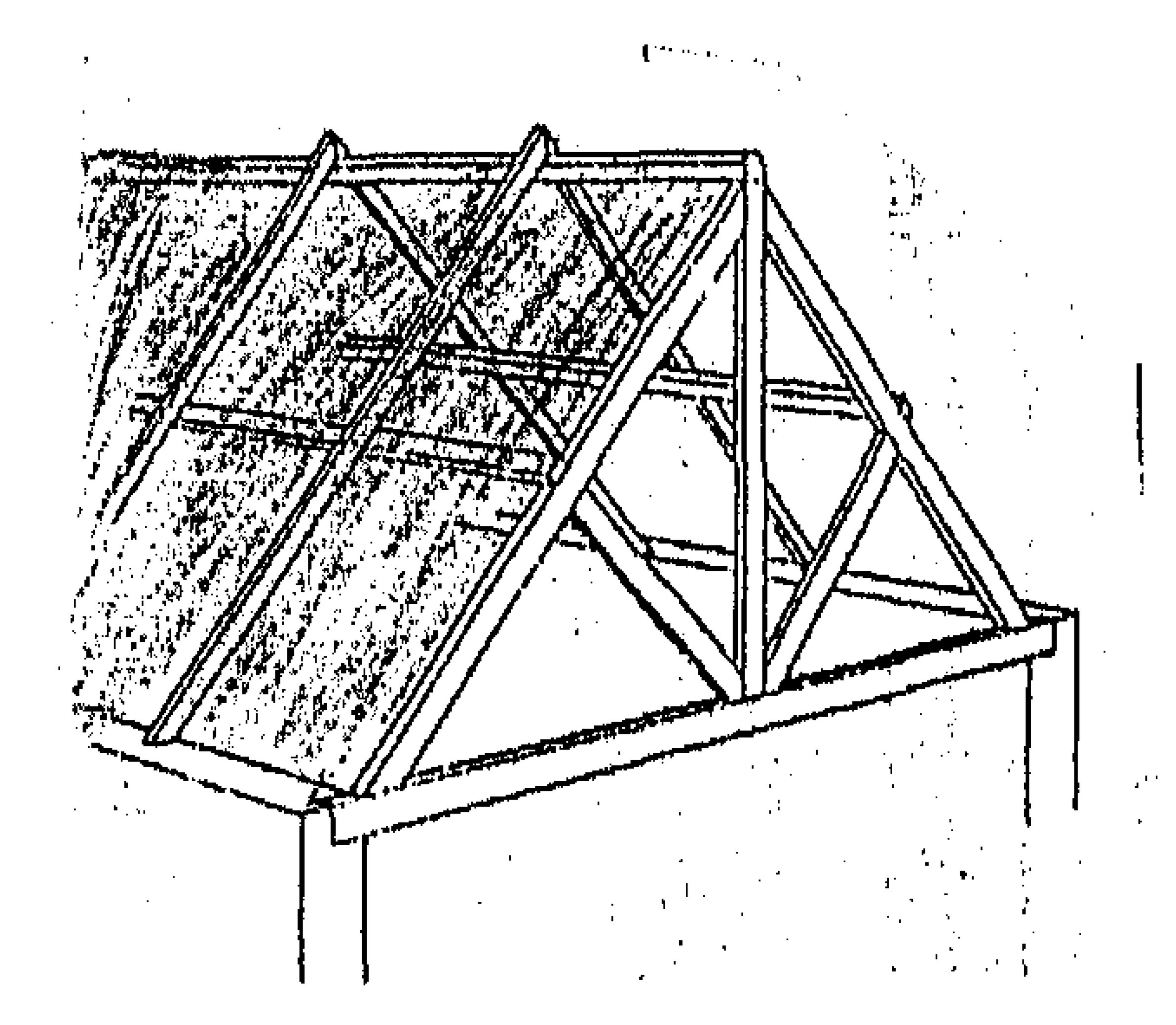


(شكل 61) المدخل المنكسر بمدينة بغداد



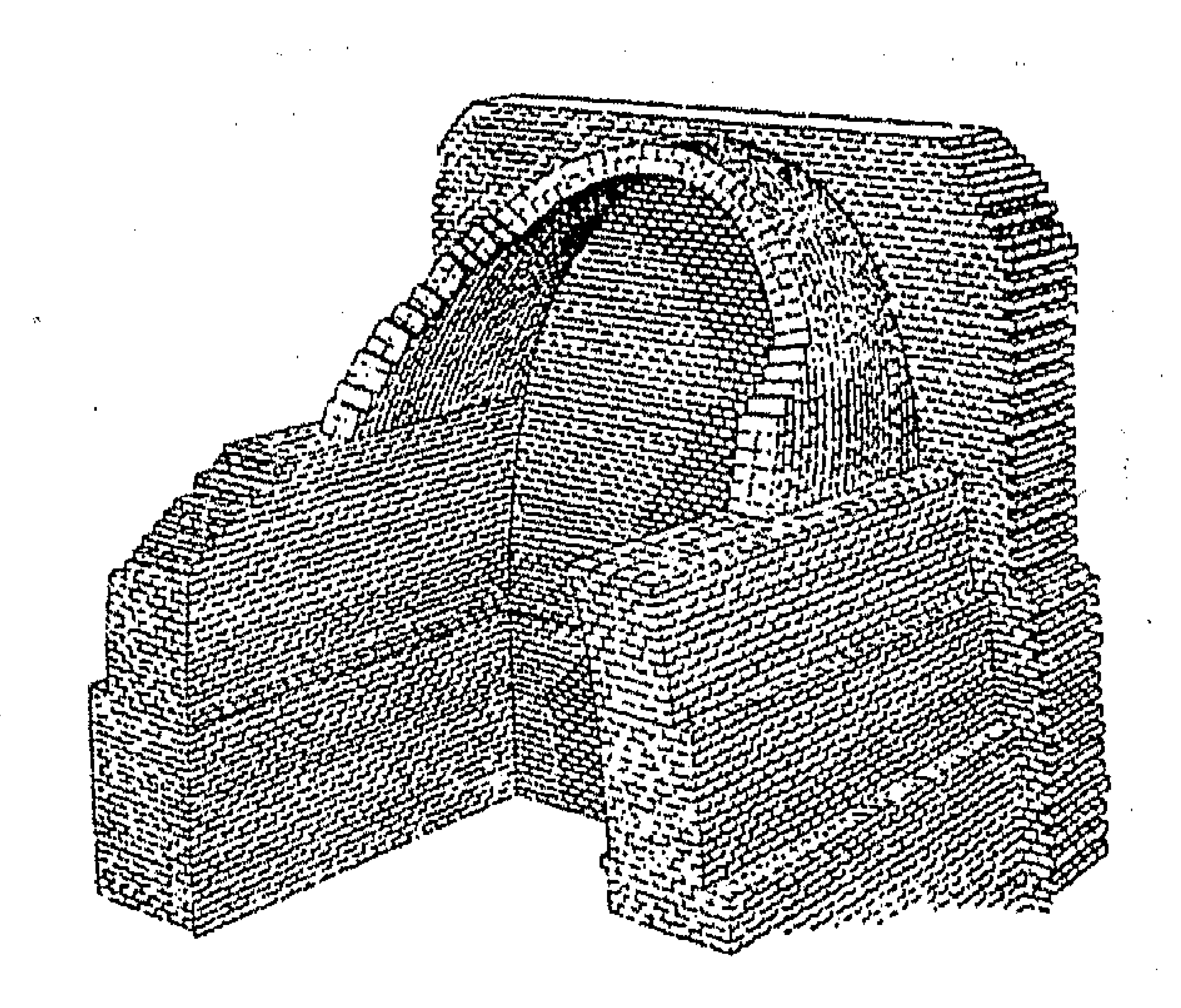
(شكل 62) المدخل الموروب بقلعة مدينة زبيد

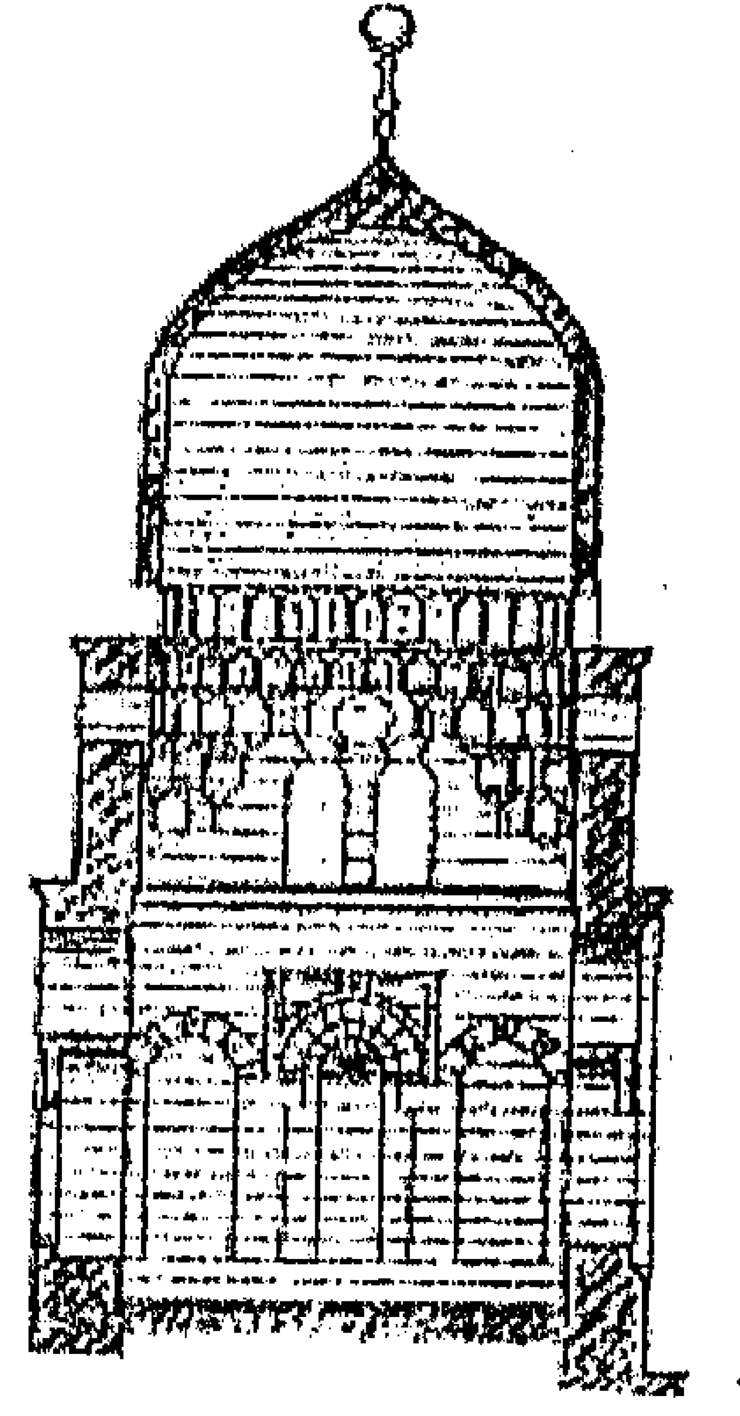


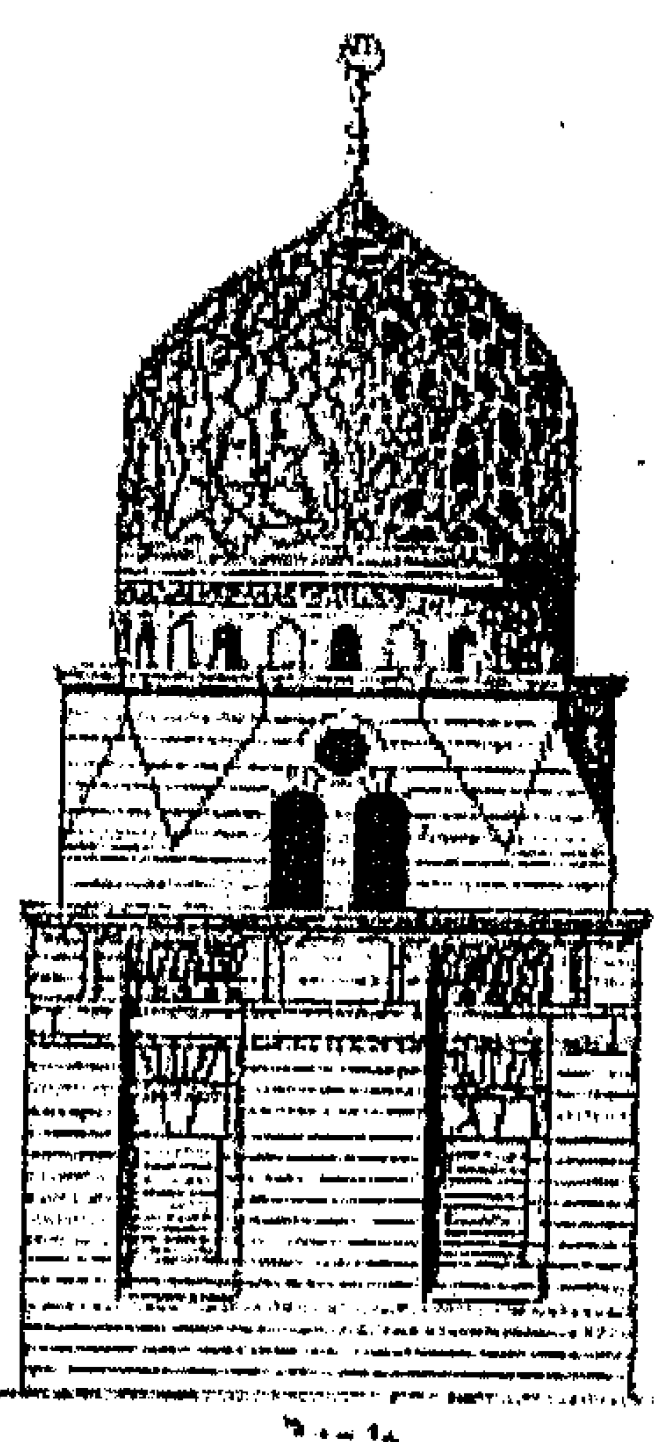


(شكل 63) نموذج للسقف الجملوني الخشبي وسقف جملوني بالمدرسة الإسكندرية بمدينة حيس اليمنية

(شكل 64) القبو
وكيفية بنائه

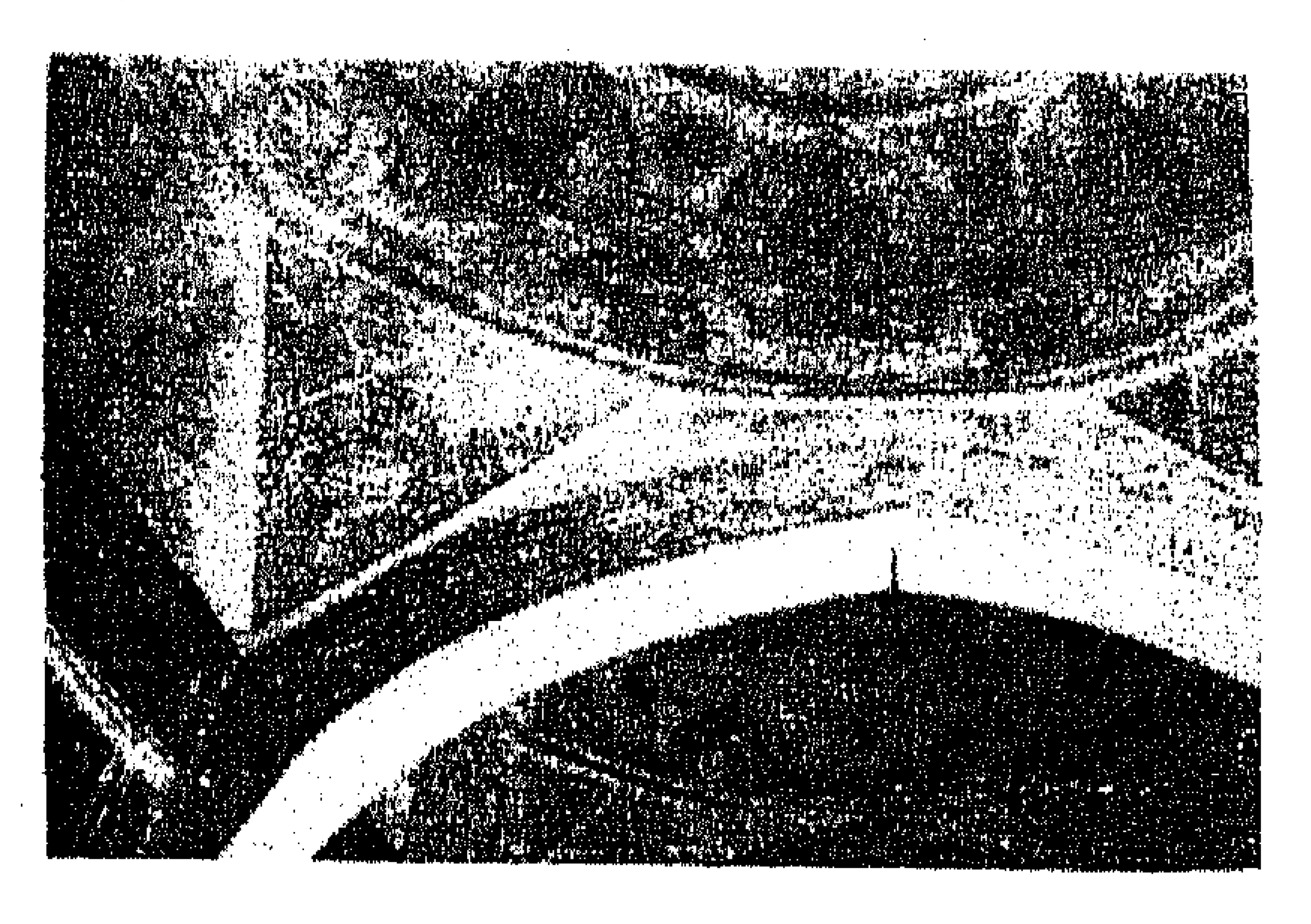


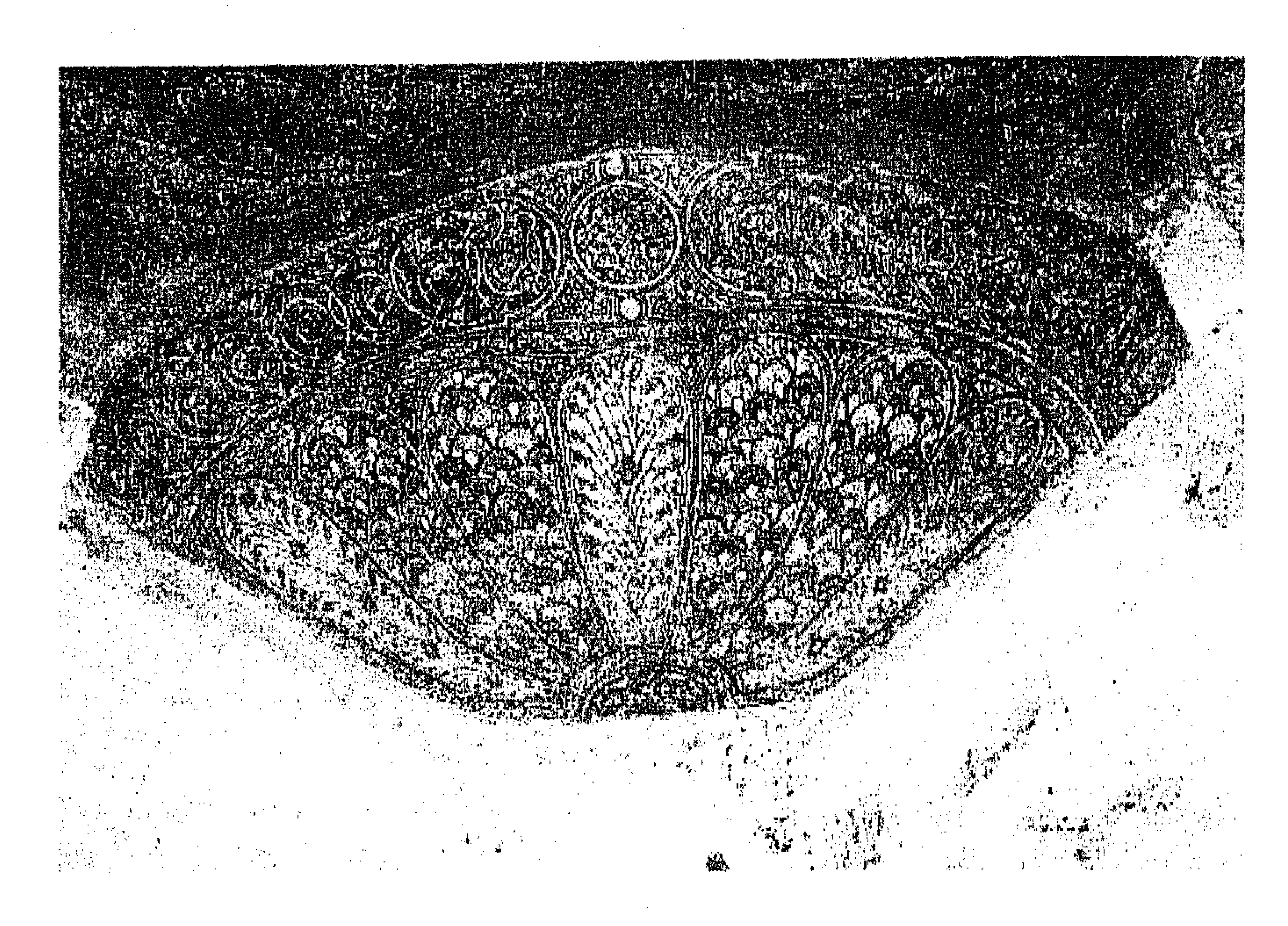




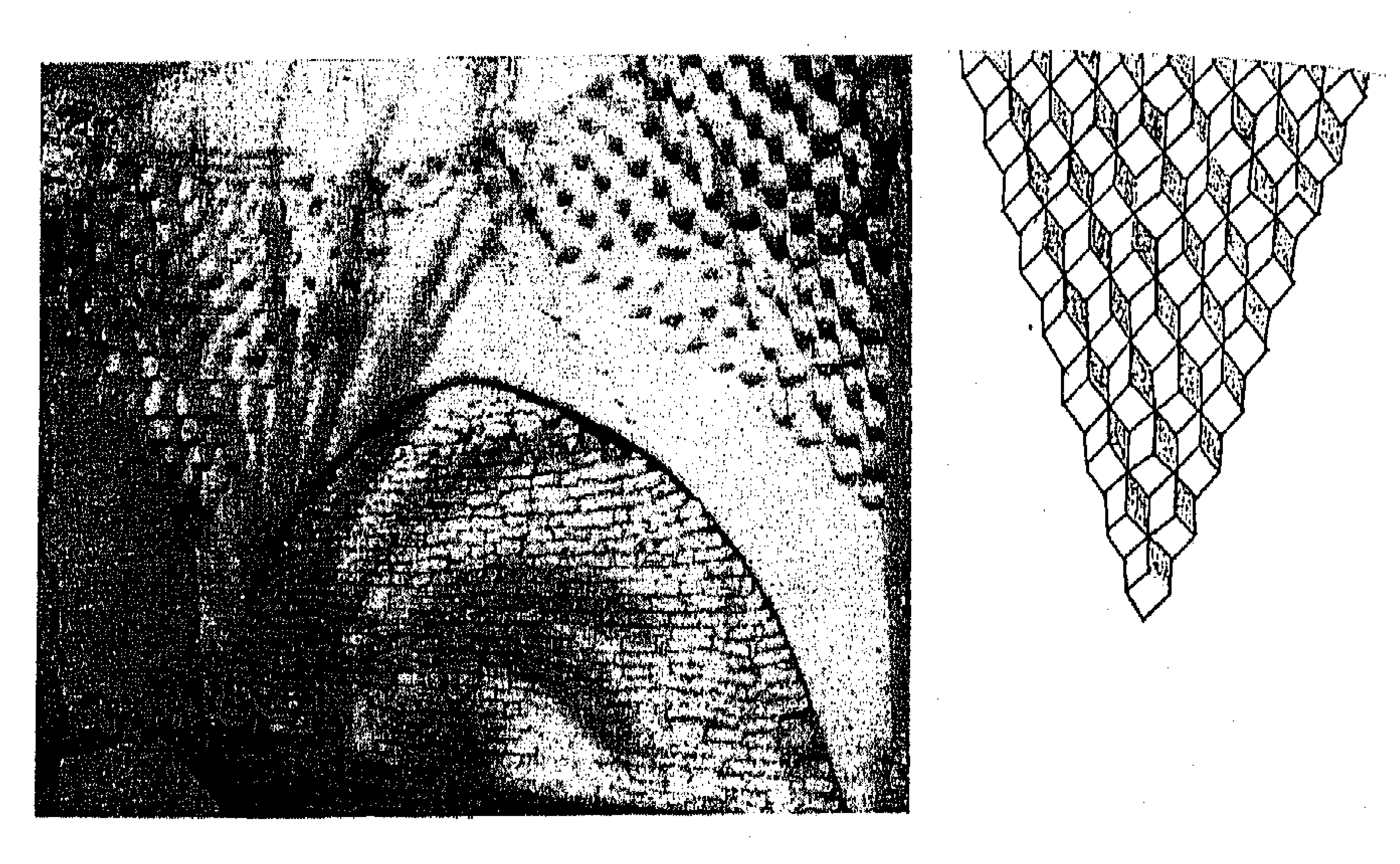
(شكل 65) القباب
واجهة، وقطاع رأسي

(شكل 66) مناطق الانتقال
المعروفة باسم
المثلث الكروي

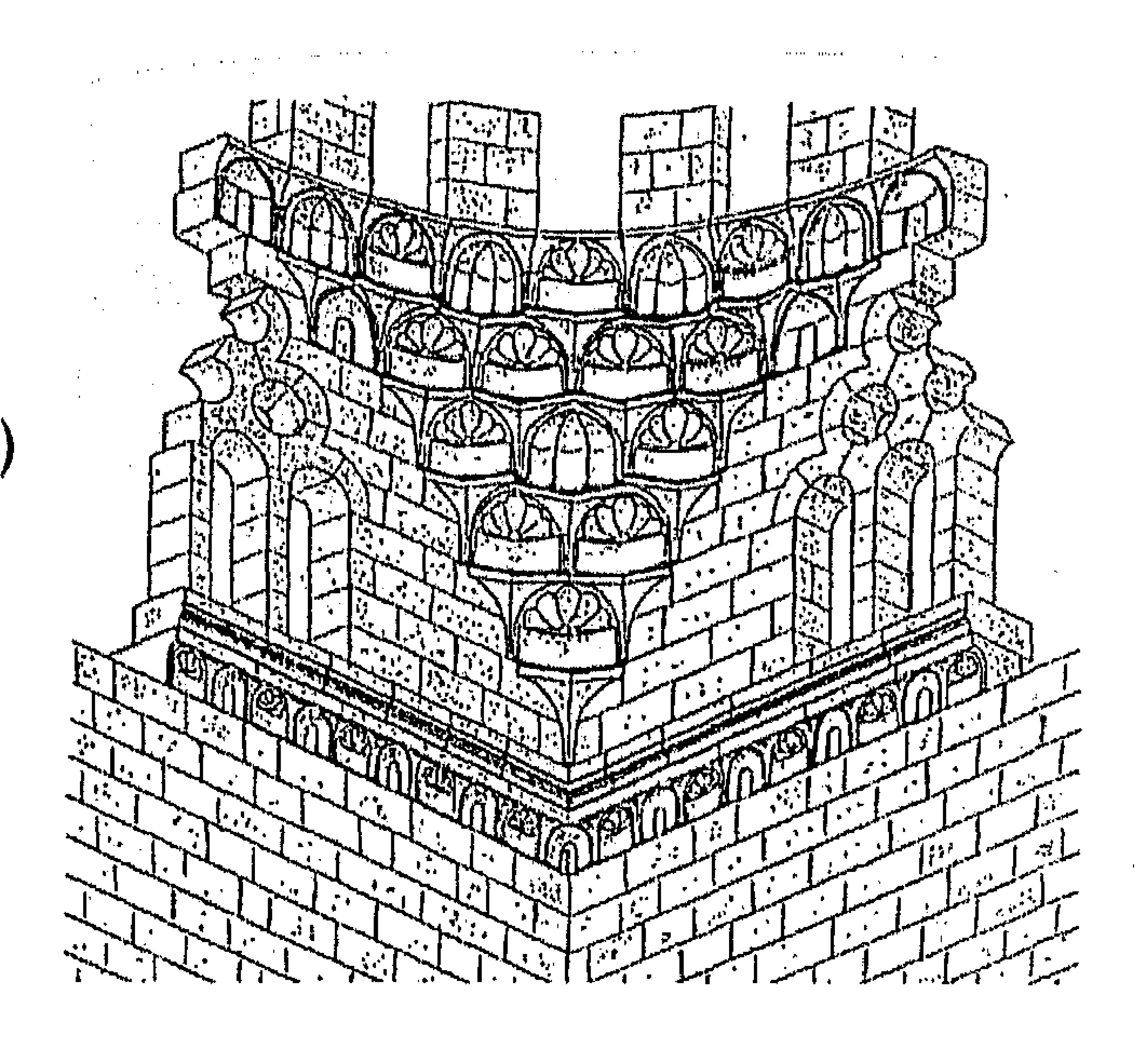




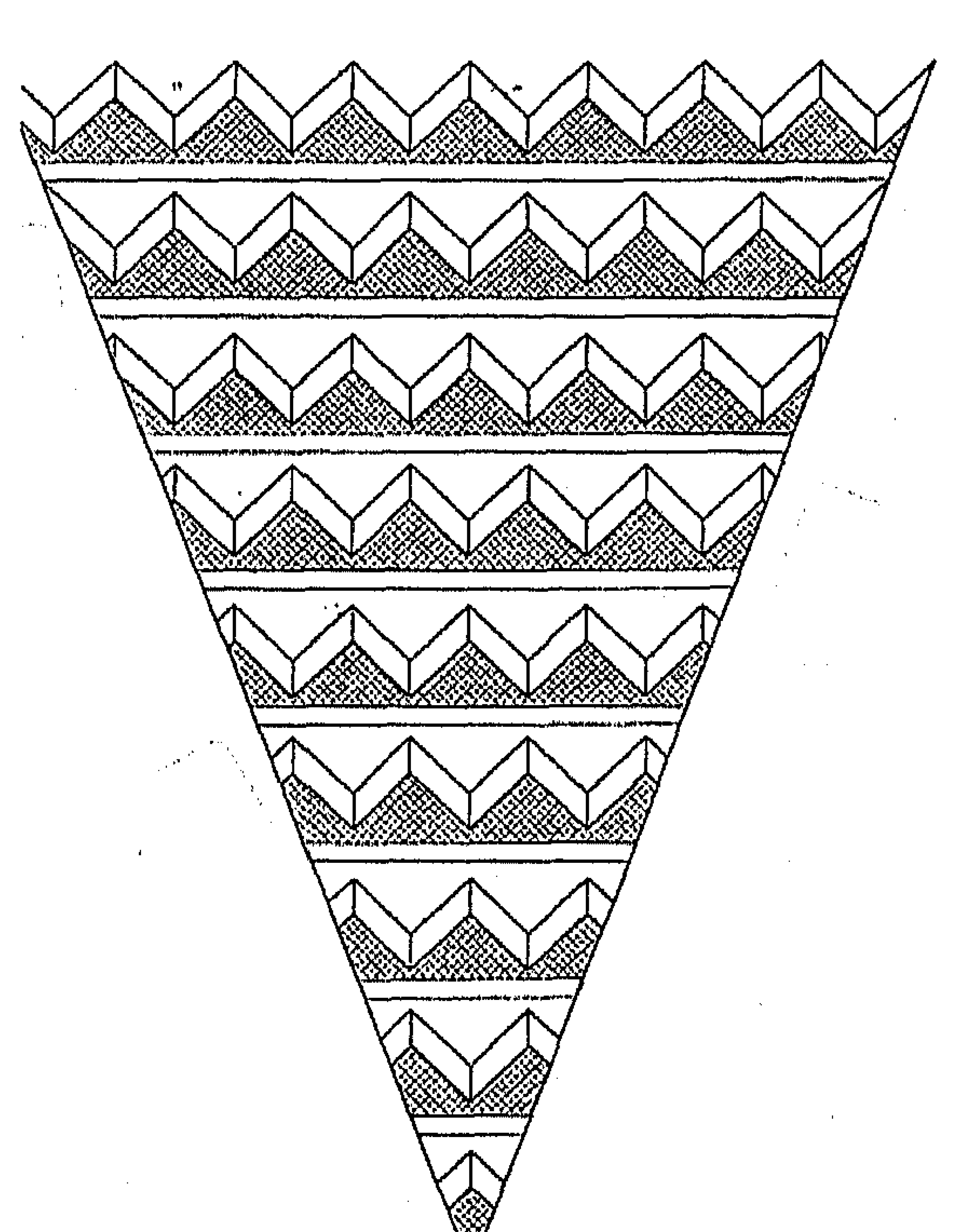
(شكل67) مناطق الانتقال المعروفة باسم الحنايا الركنية



(شكل 68) منظر عام وتفريغ للمقرنصات المخروطية



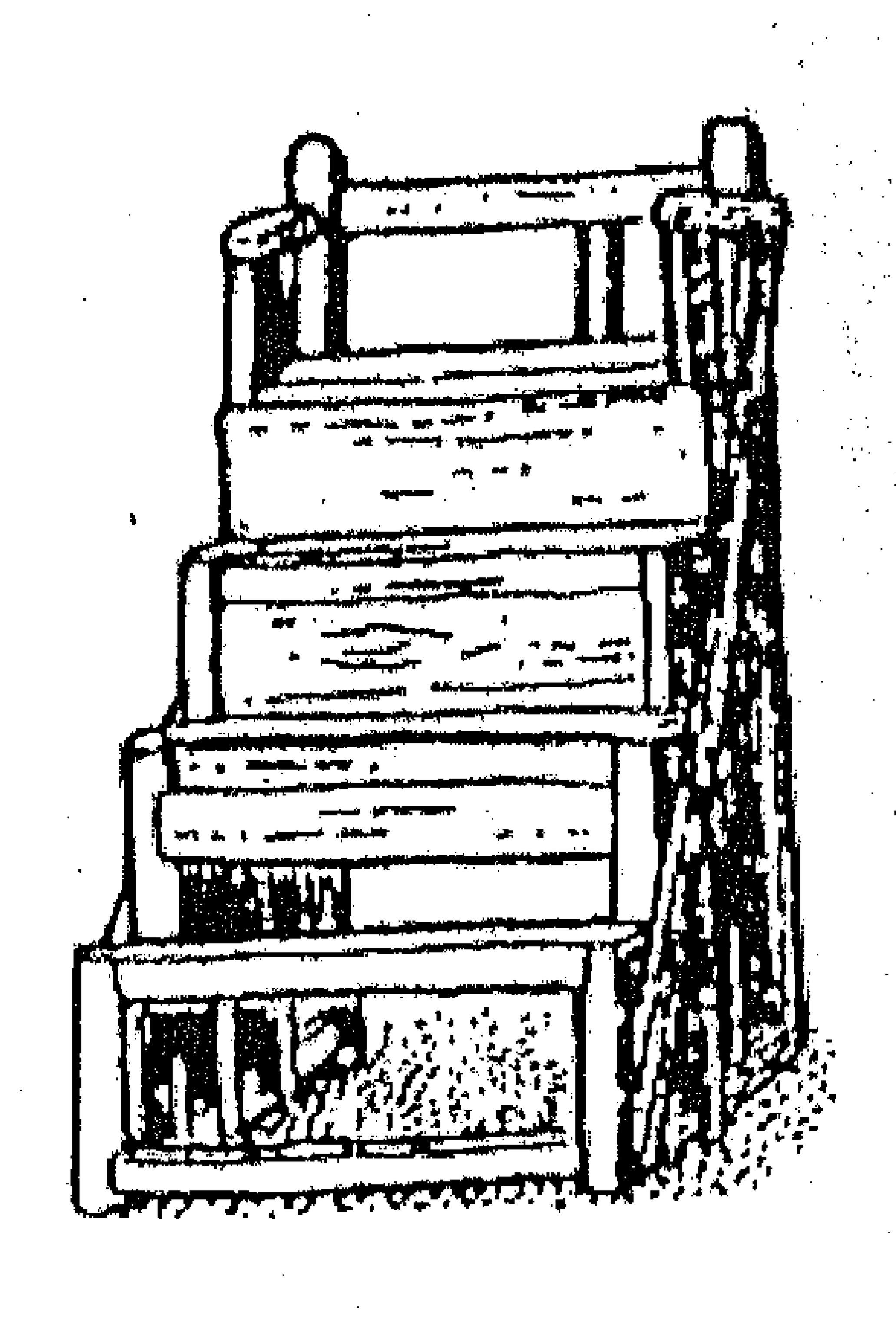
(شكل 69) المقرنصات
ذات الحنايا
متعددة الطبقات



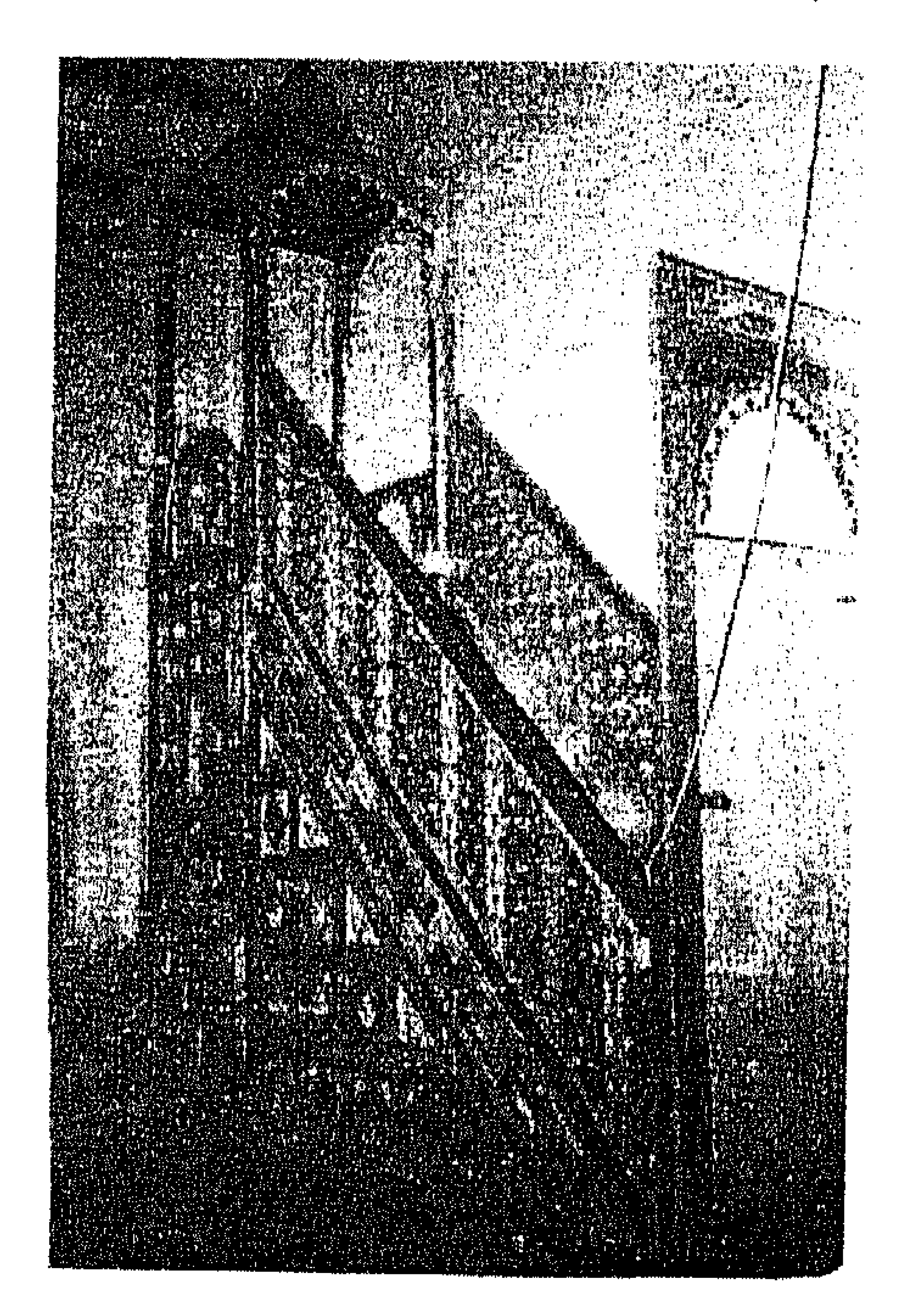
(شكل 70) المقرنصات
الدالية (أو أسنان المنشار)



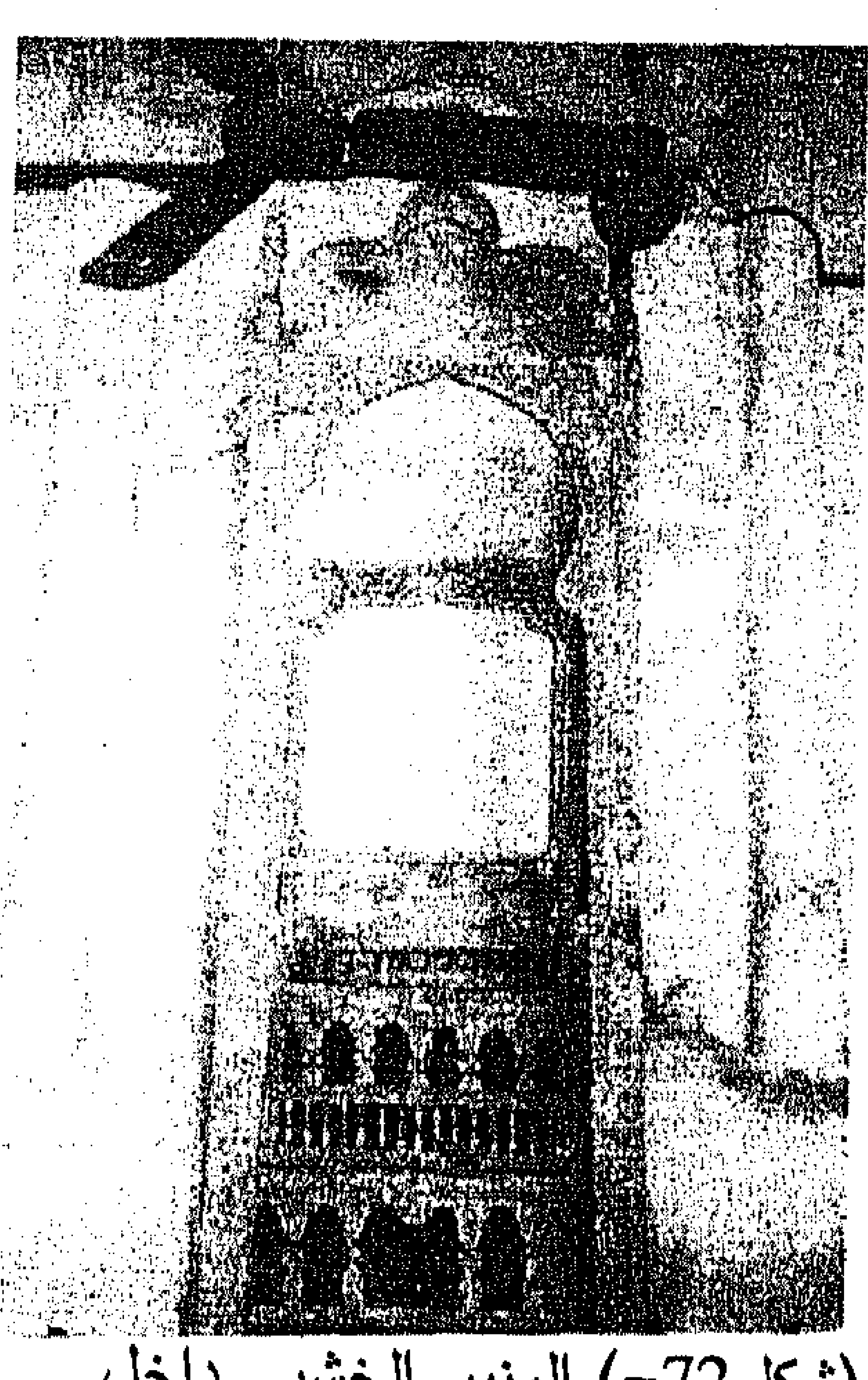
(شكل 71) نموذج للمحاريب



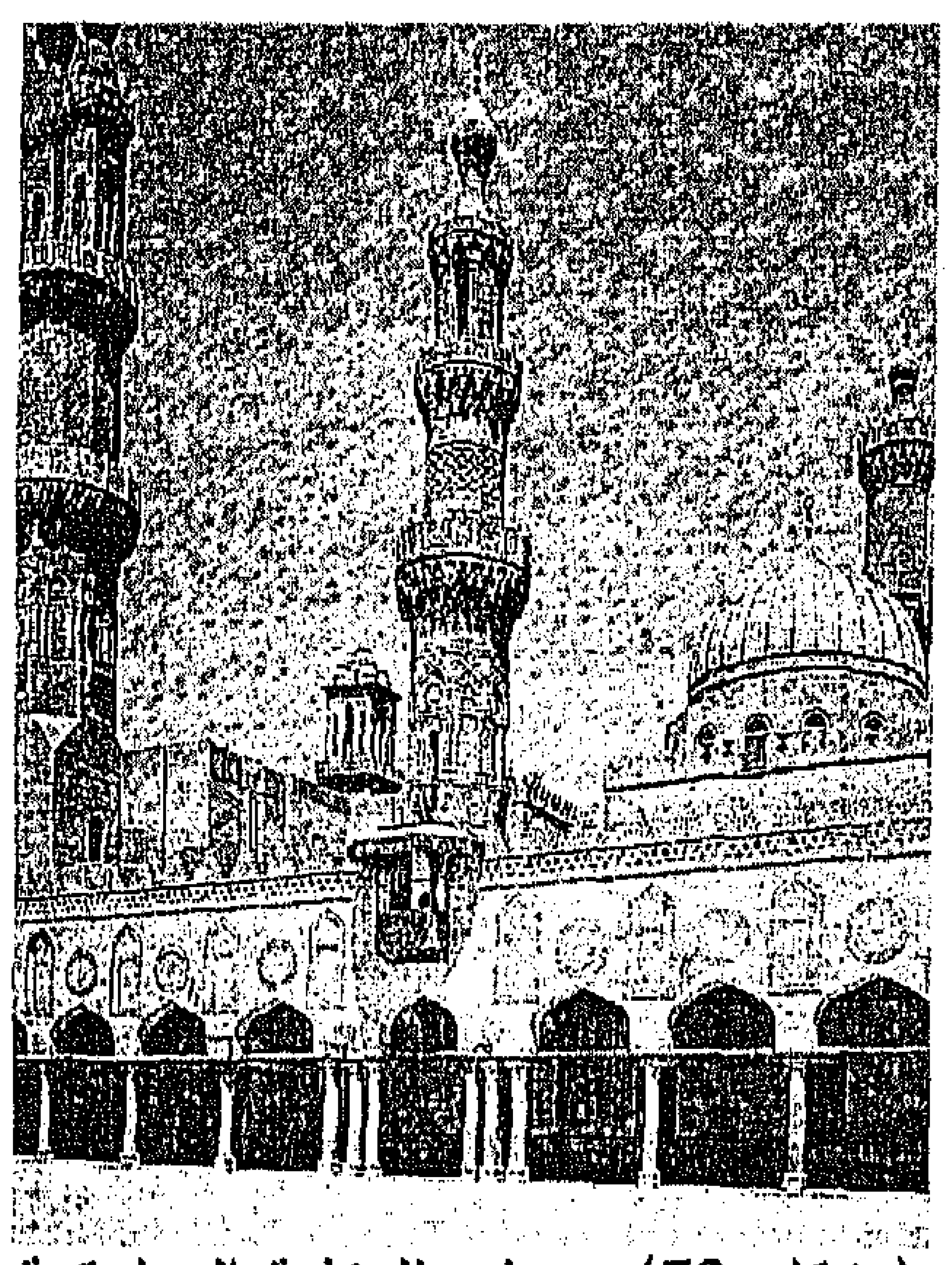
(شكل 72أ) المنبر الشبيه بمنبر الرسولﷺ



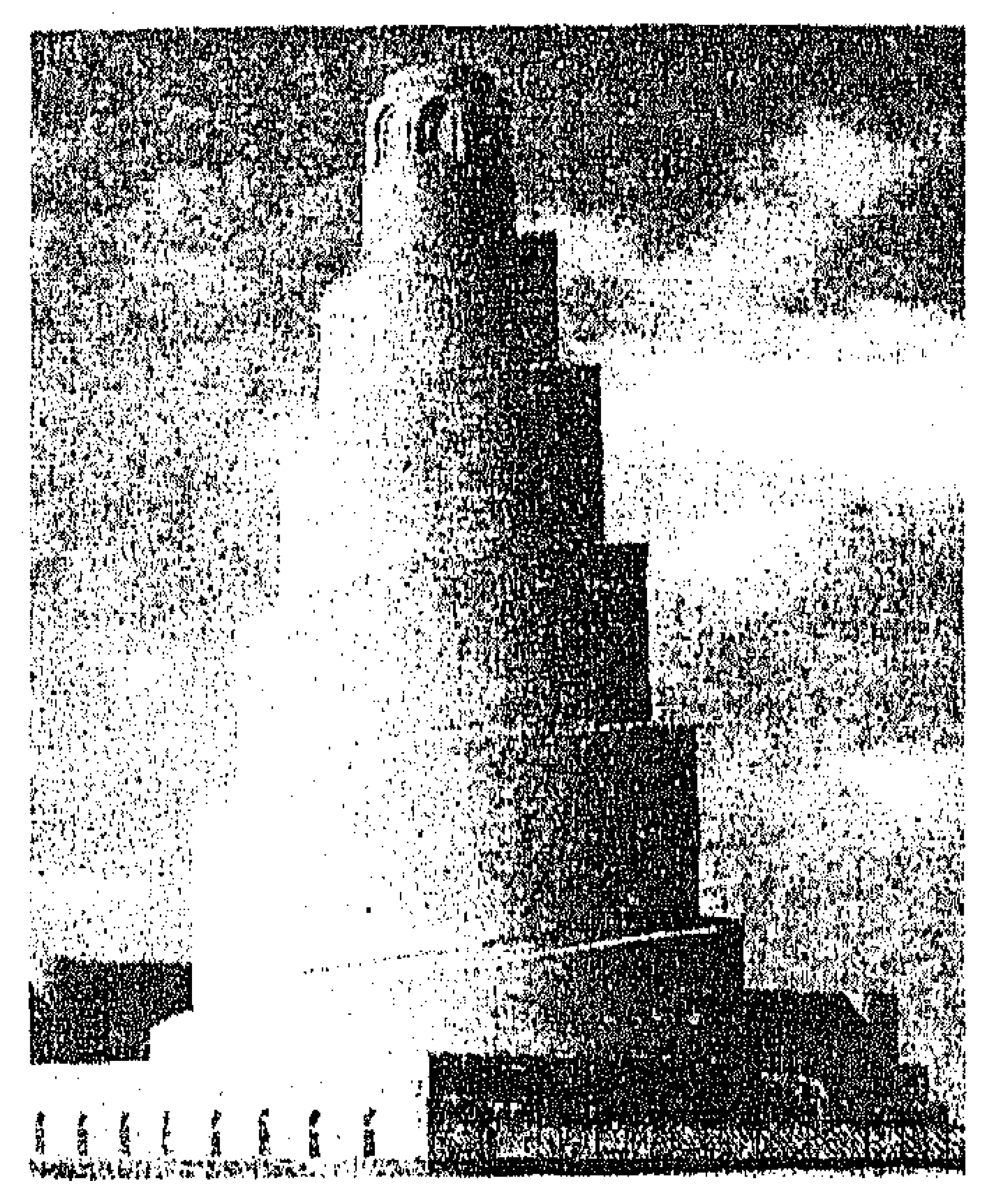
(شكل72 ب) المنبر الخشبي المتكامل.



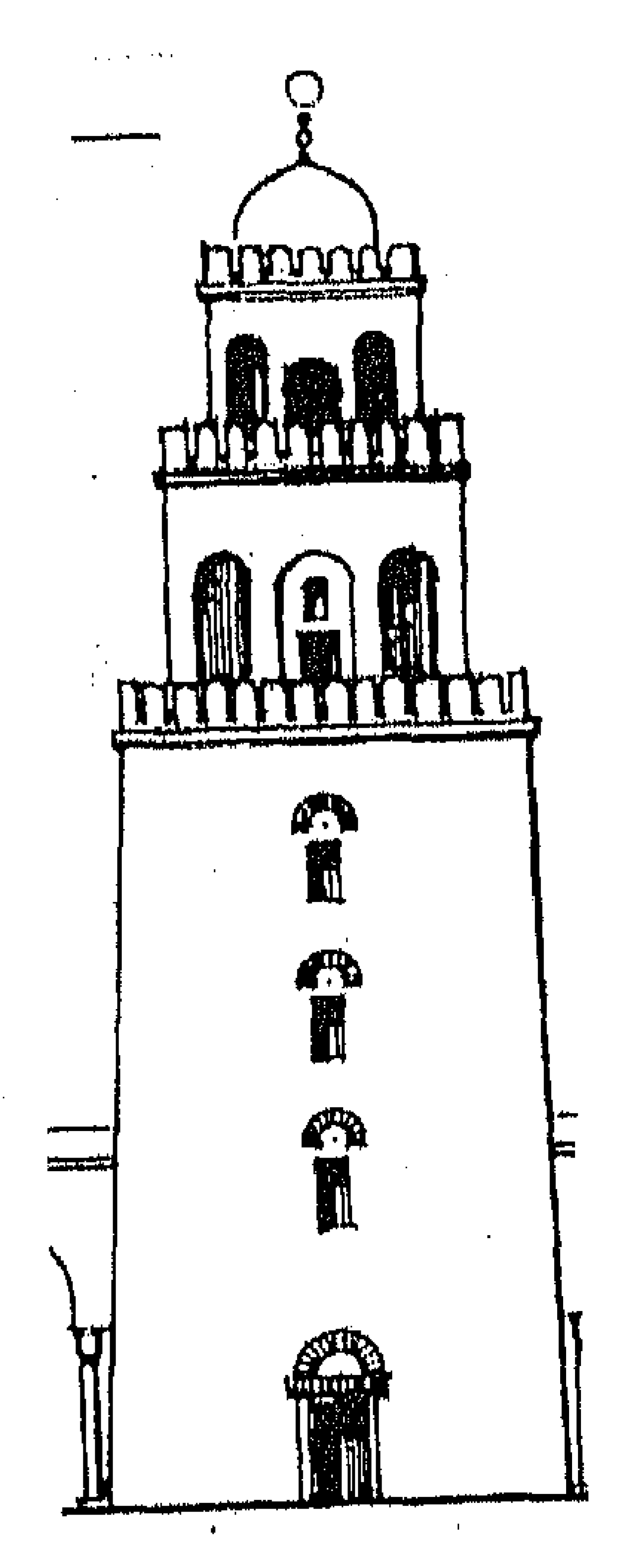
(شكل72ج) المنبر الخشبي داخل حنية غائرة



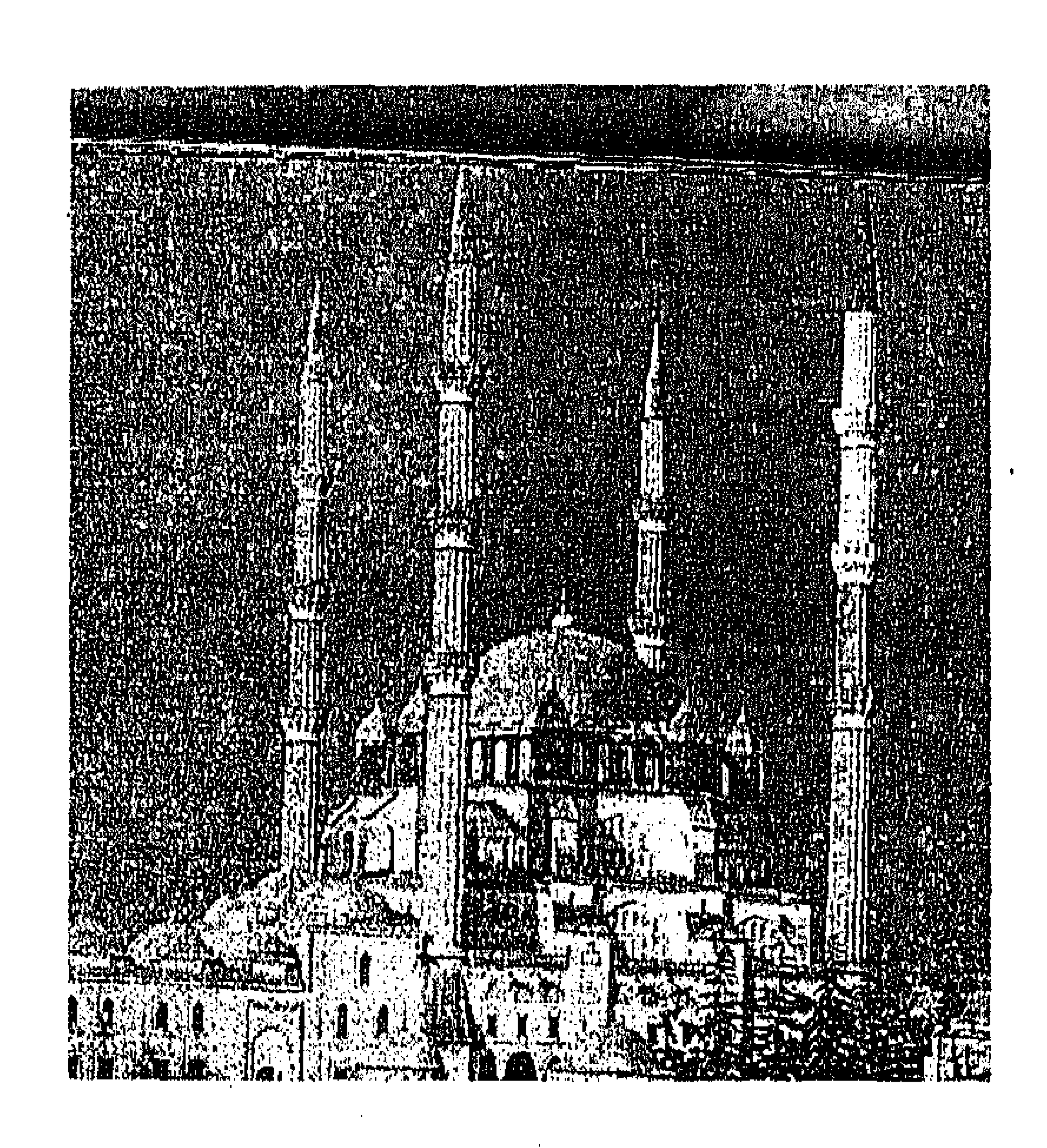
(شكل 73) نموذج للمئذنة المملوكية



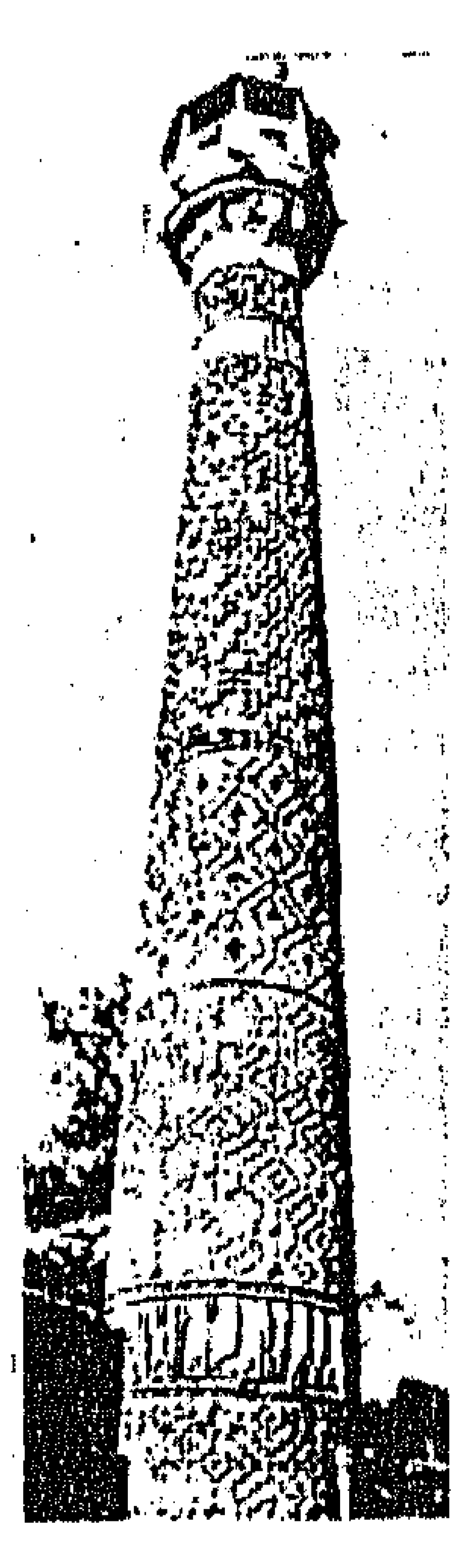
(شكل74) المئذنة الملوية – سامراء



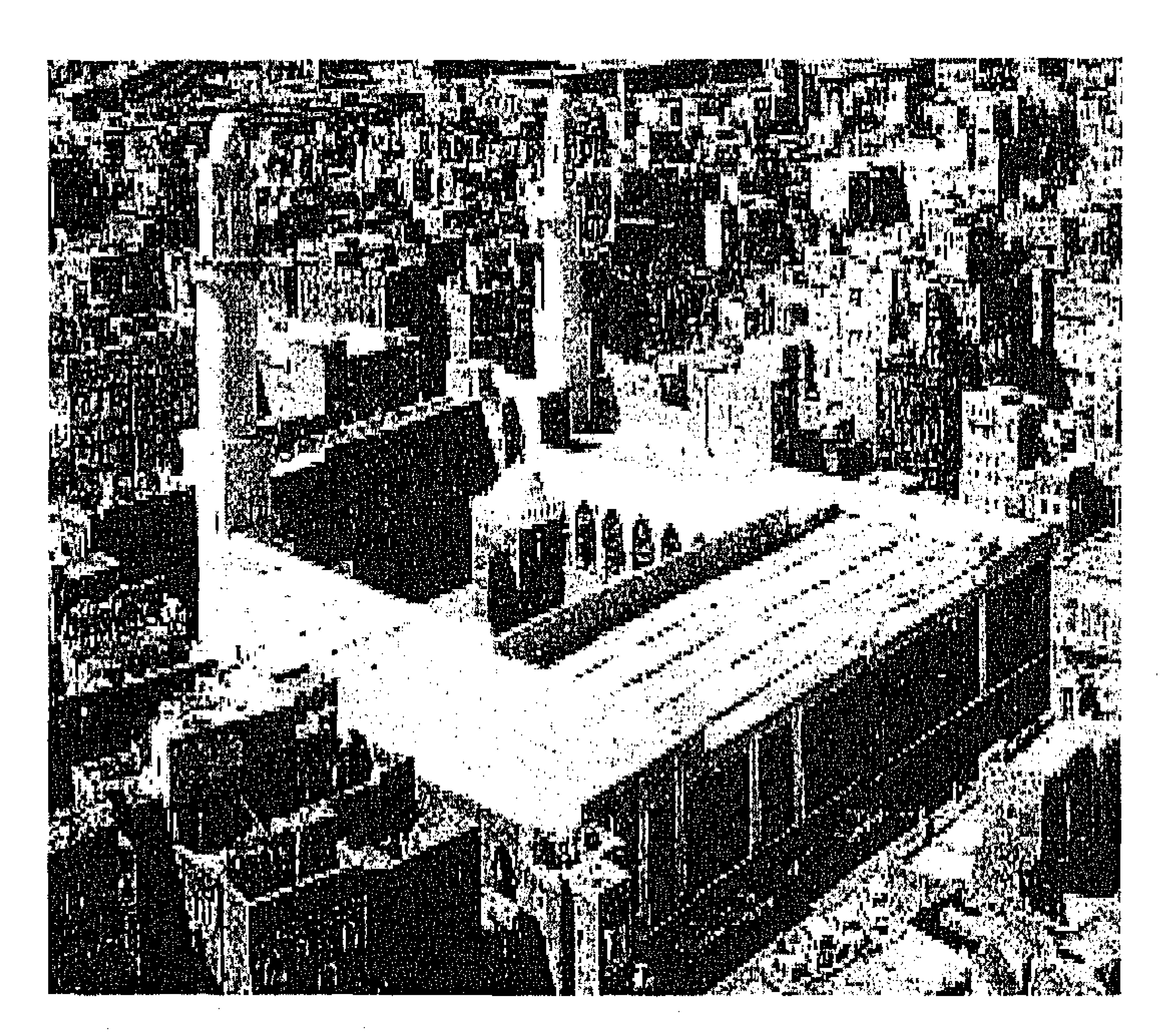
(شكل75) مئذنة جامع القيروان



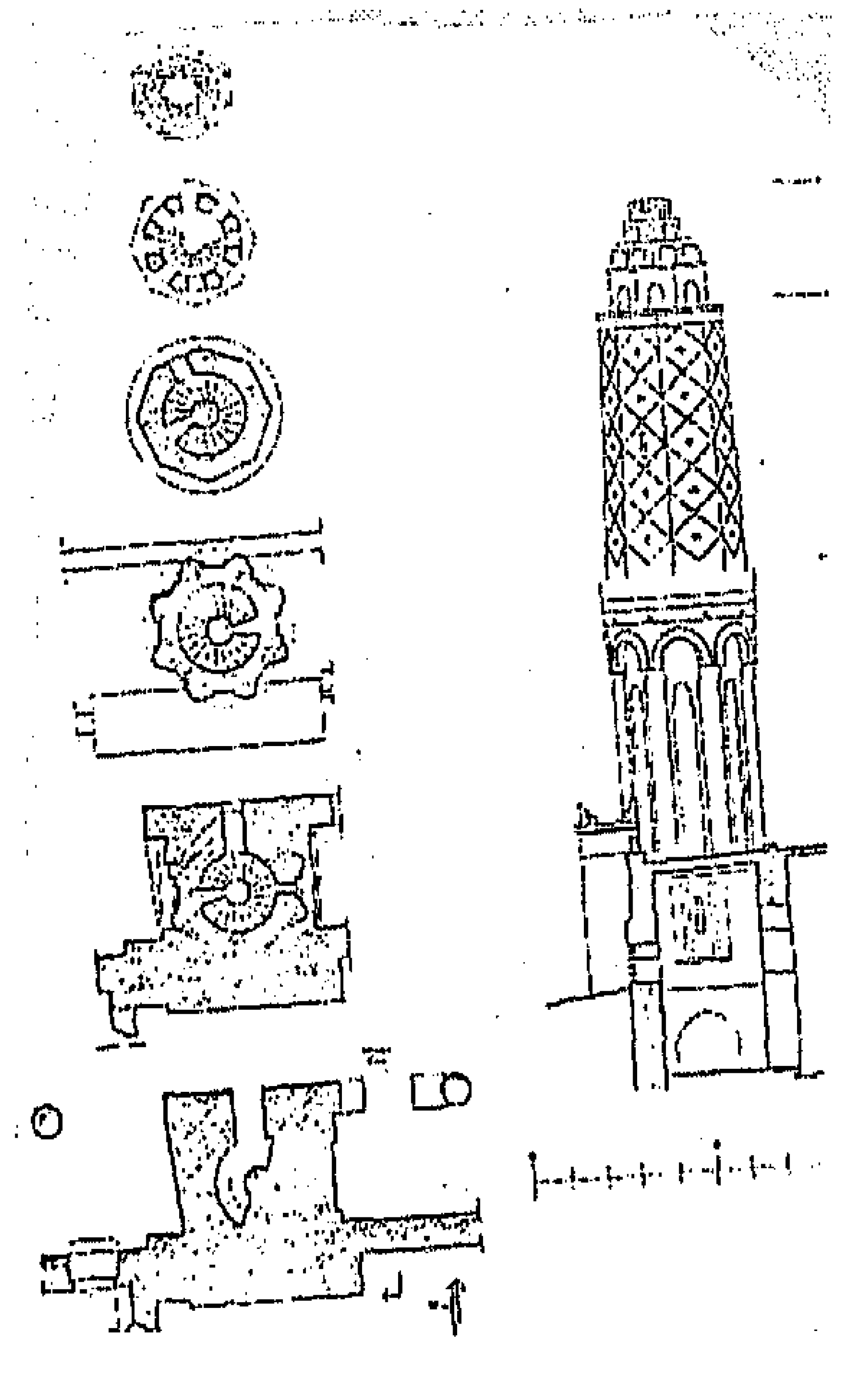
(شكل 76) نموذج للمئذنة العثمانية



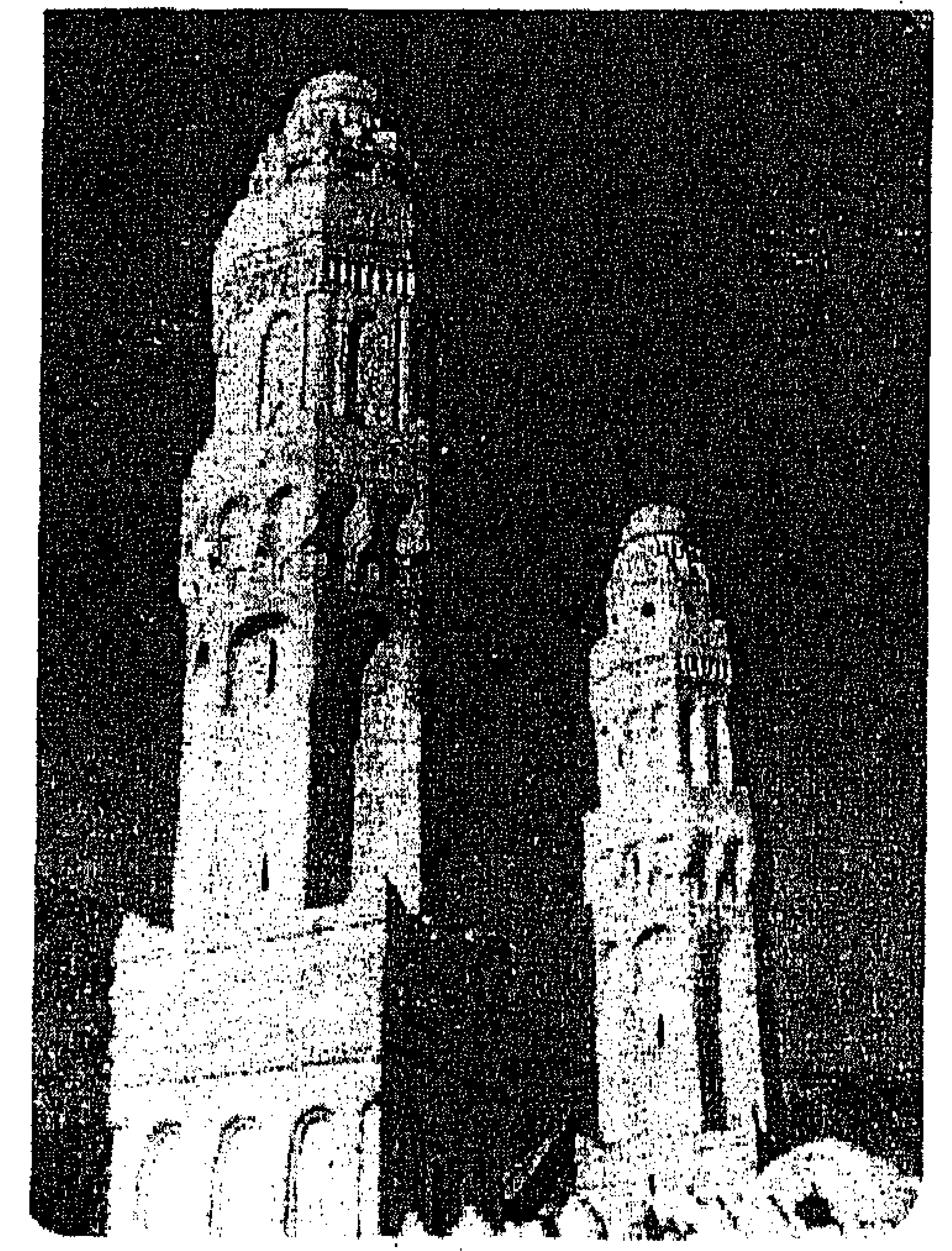
(شكل 77) المئذنة الأسطوانية بالموصل



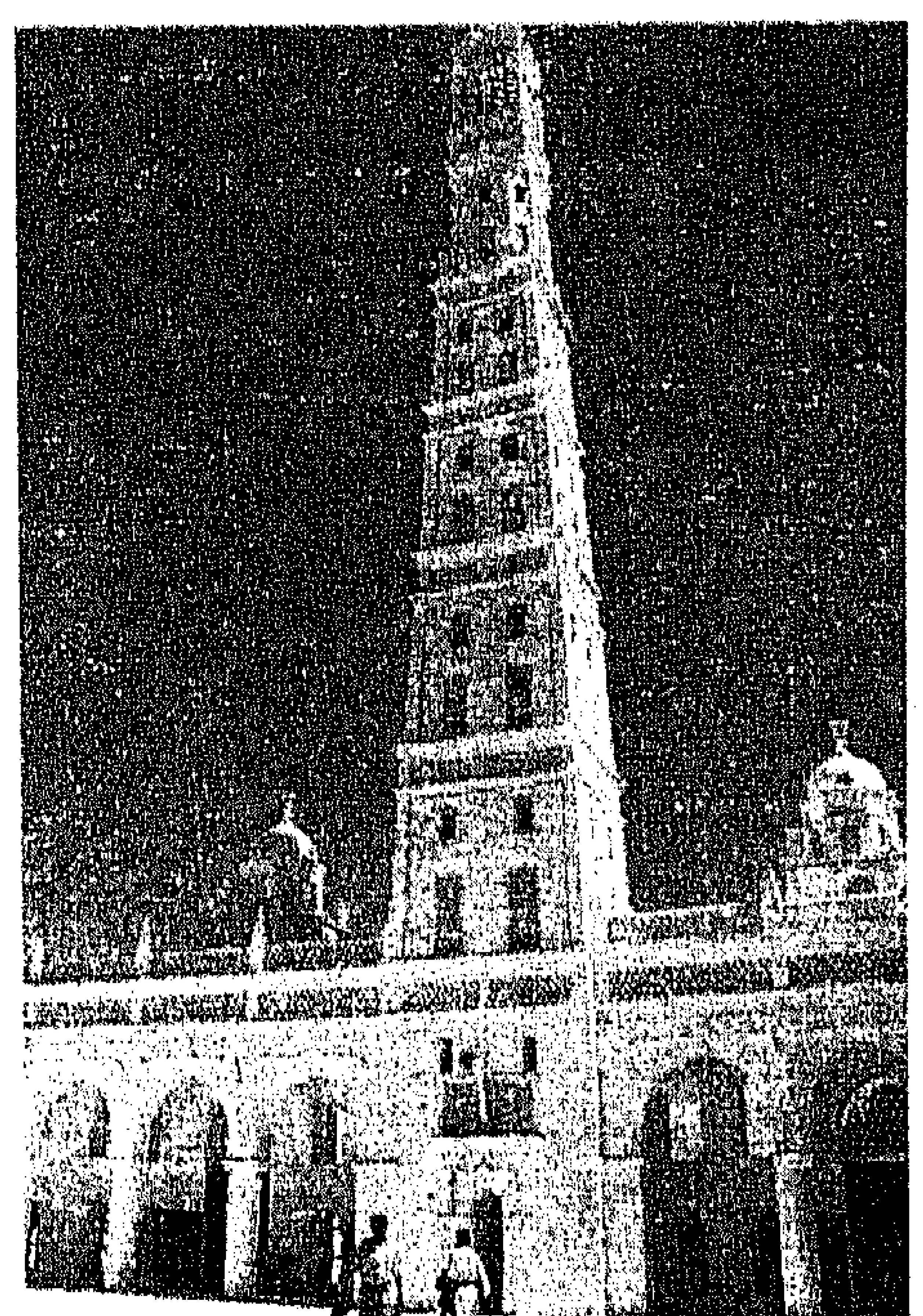
(شكل 78) الجامع الكبير بصنعاء، ومآذنه



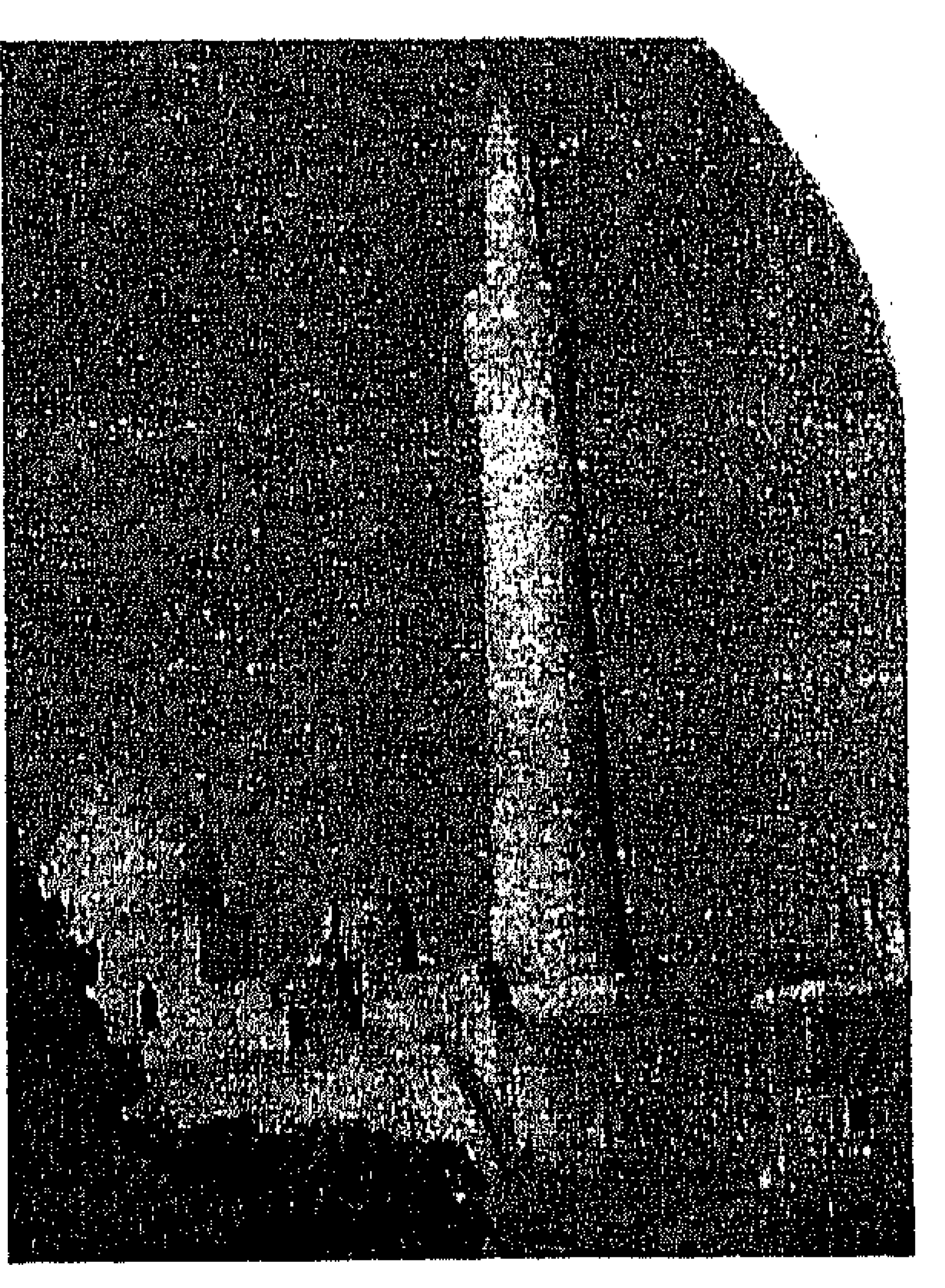
(شكل 79) مئذنة جامع المهجم

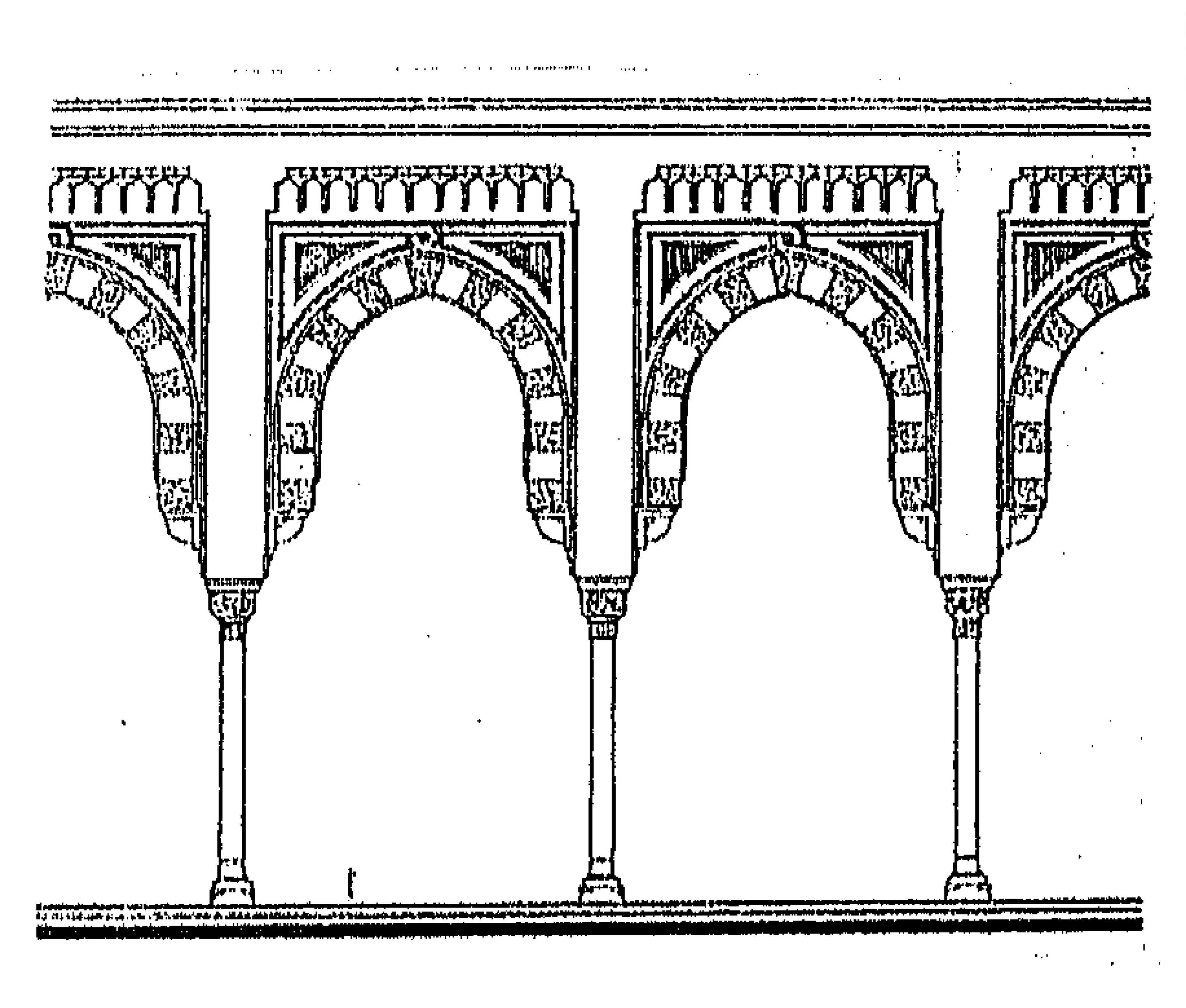


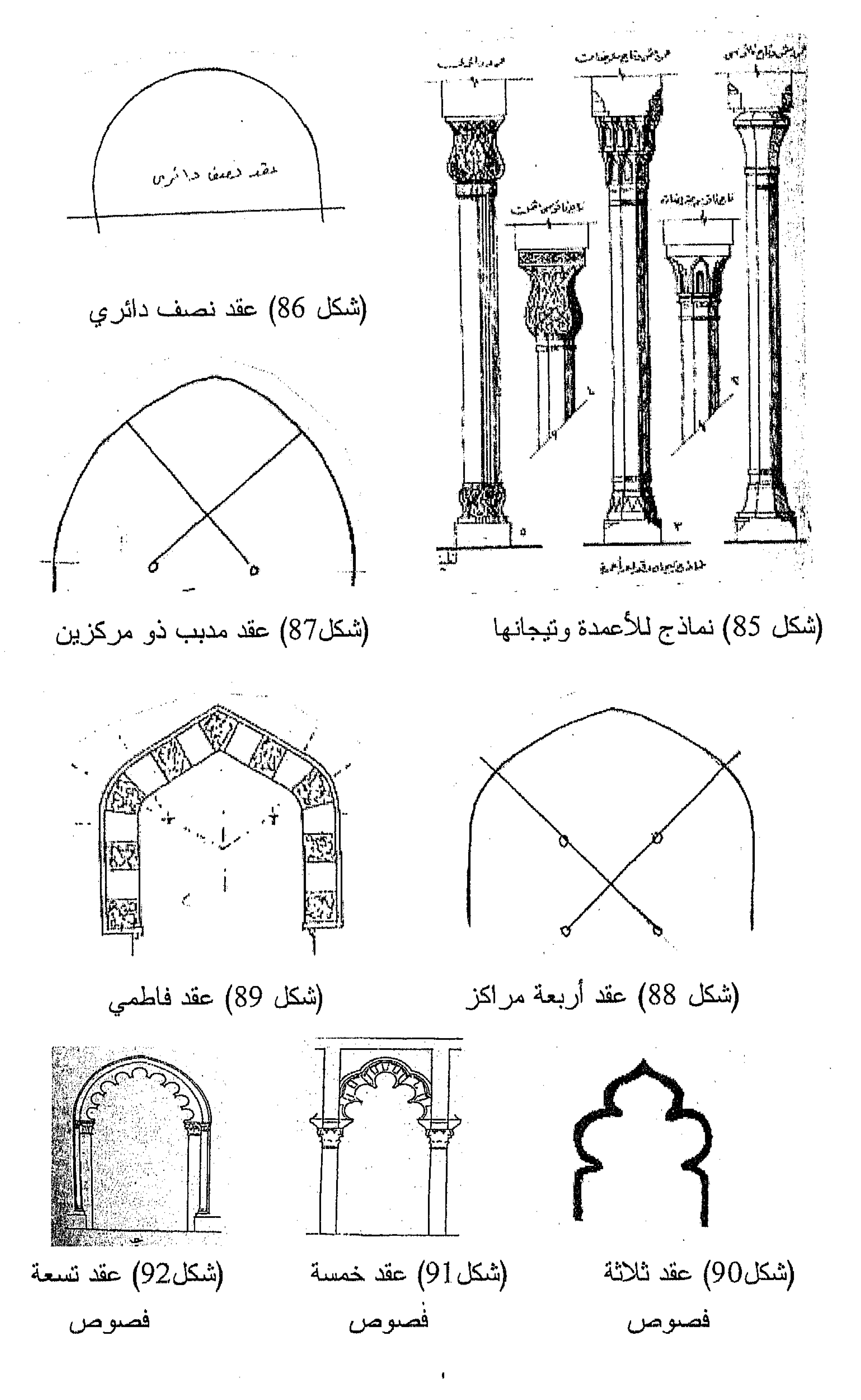
(شكل 80) مئذنتا المدرسة الأشرفية بتعز


(شكل 81) مئذنة جامع المحضار بتريم


(شكل 82) المئذنة المنبرية بحيس


(شكل 83) مئذنة المدرسة الإسكندرية بزبيد


(شكل 84) نموذج لعمارة البائكة



(شكل 86) عقد نصف دائري

(شكل 85) نماذج للأعمدة وتيجانها

(شكل87) عقد مدبب ذو مركزين

(شكل 88) عقد أربعة مراكز

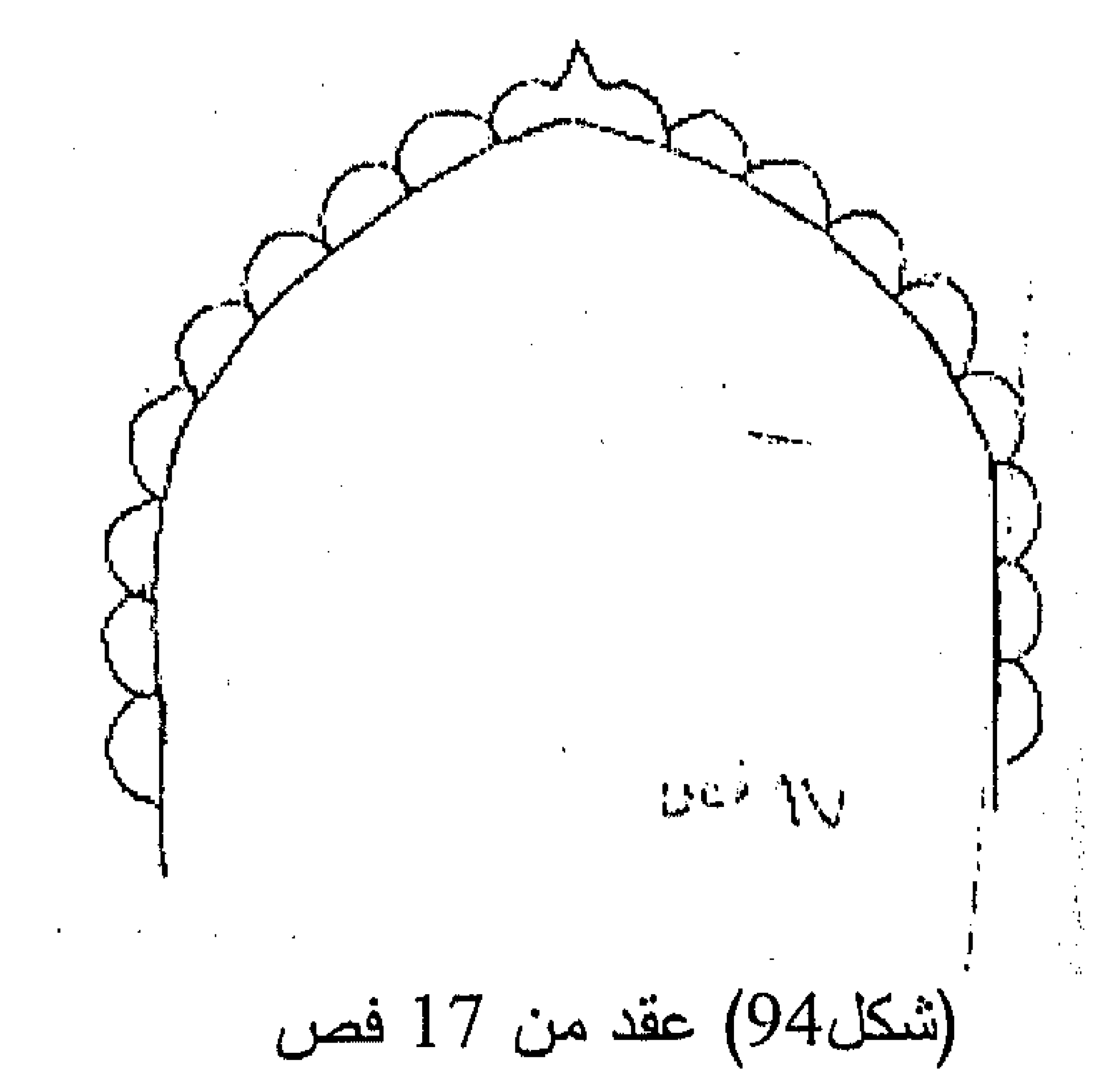
(شكل 89) عقد فاطمي

(شكل90) عقد ثلاثة فصوص

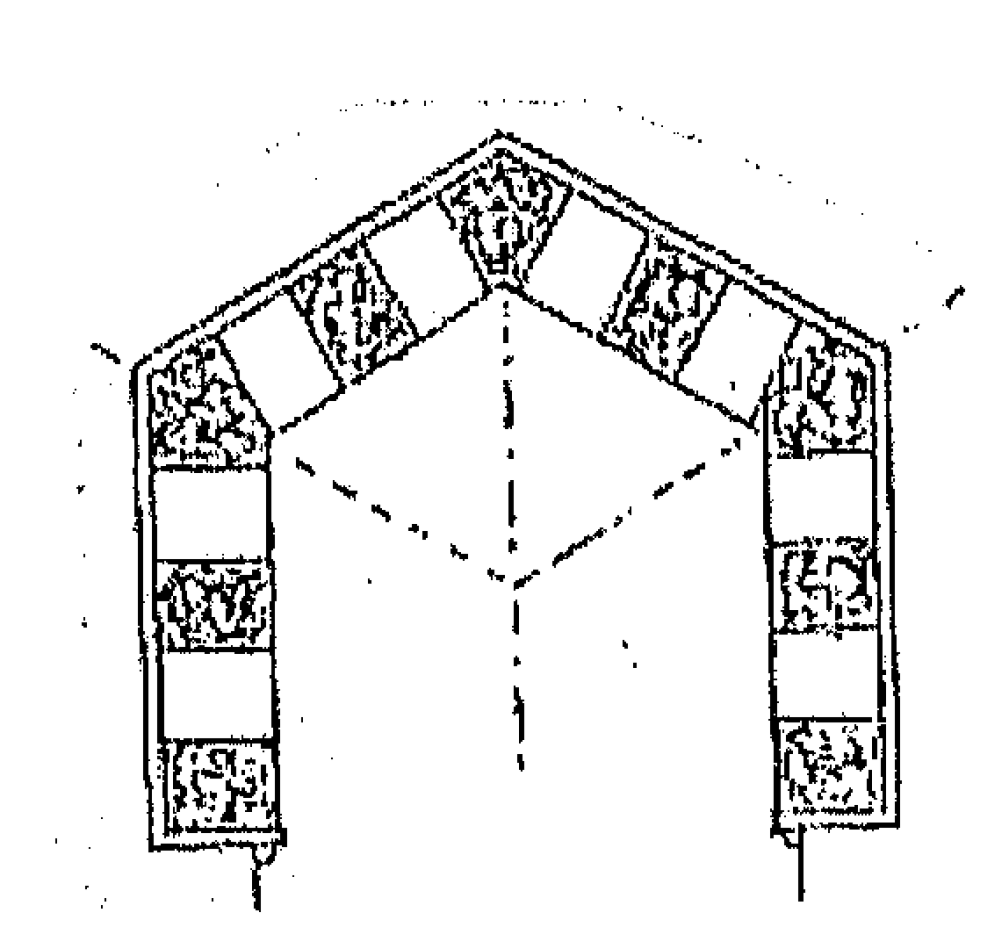
(شكل91) عقد خمسة فصوص

(شكل92) عقد تسعة فصوص

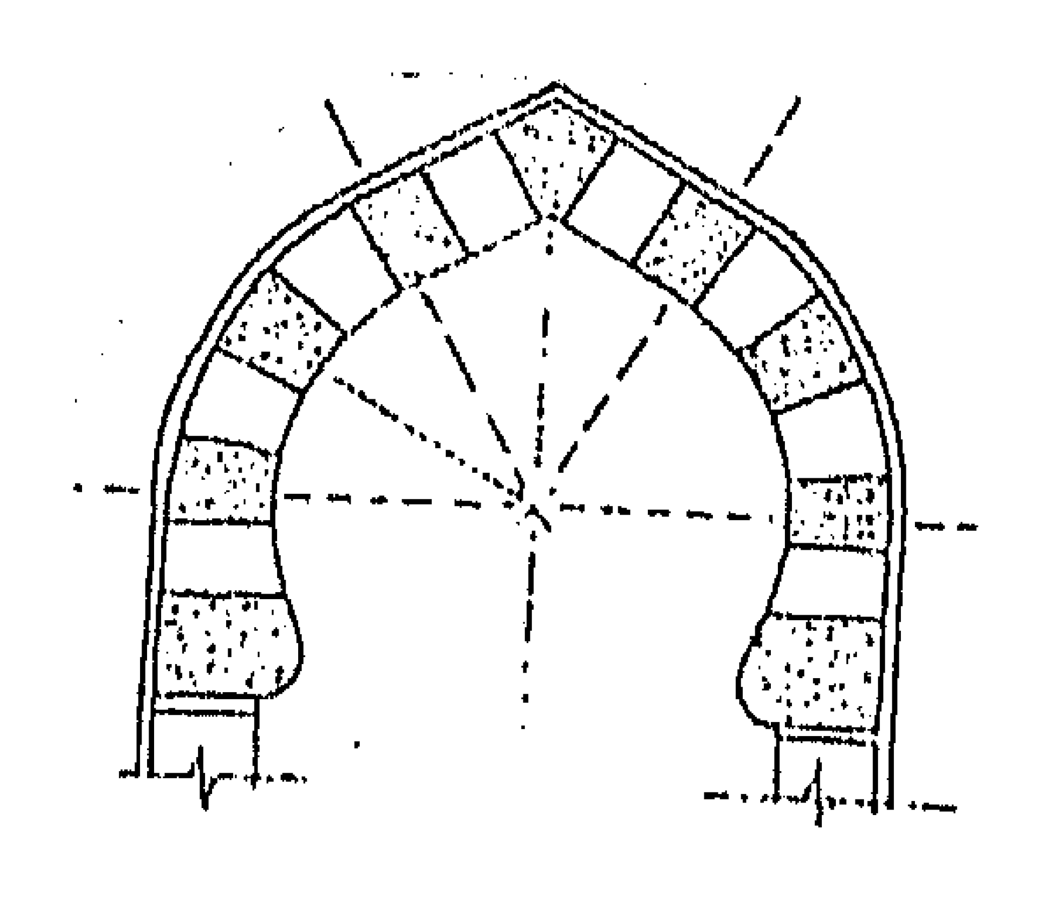
(شكل 93) عقد من 11 فص



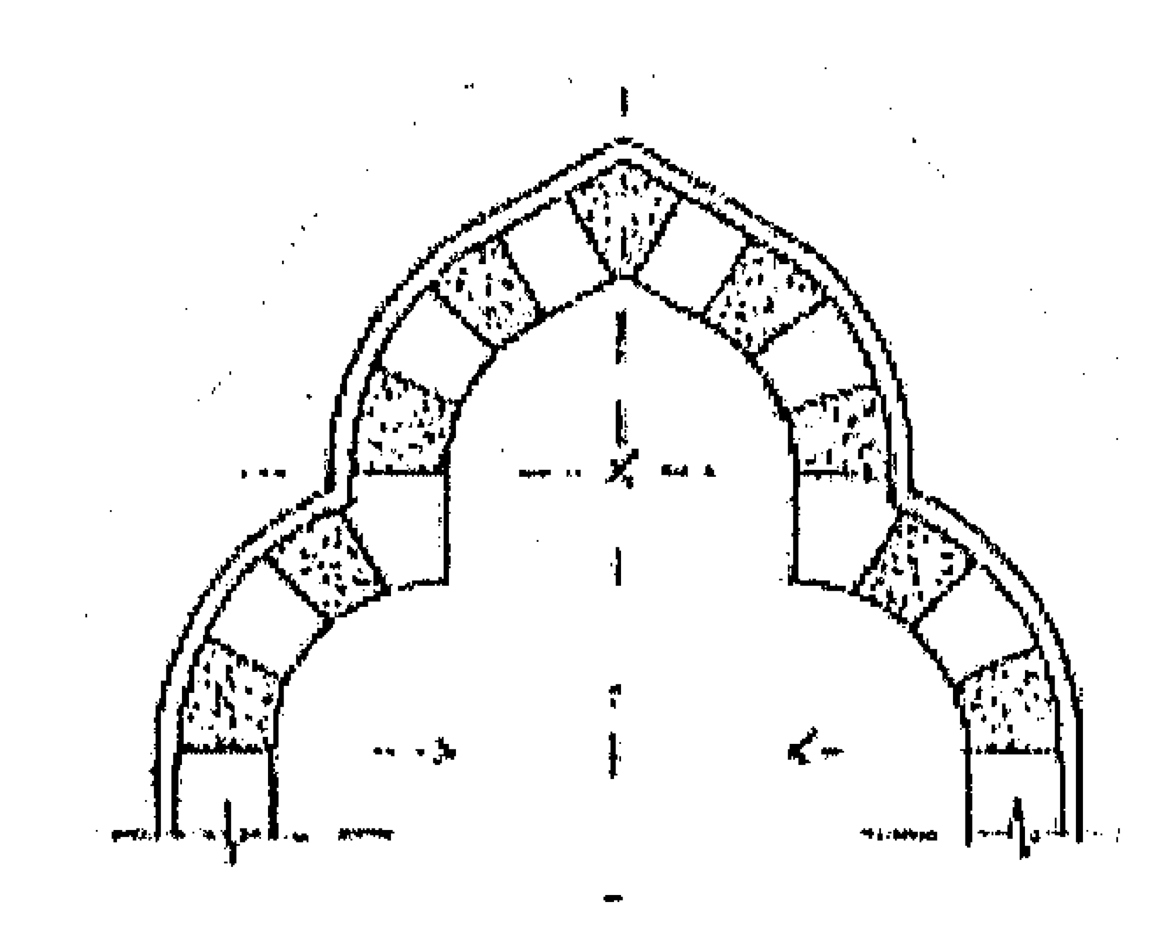
(شكل94) عقد من 17 فص



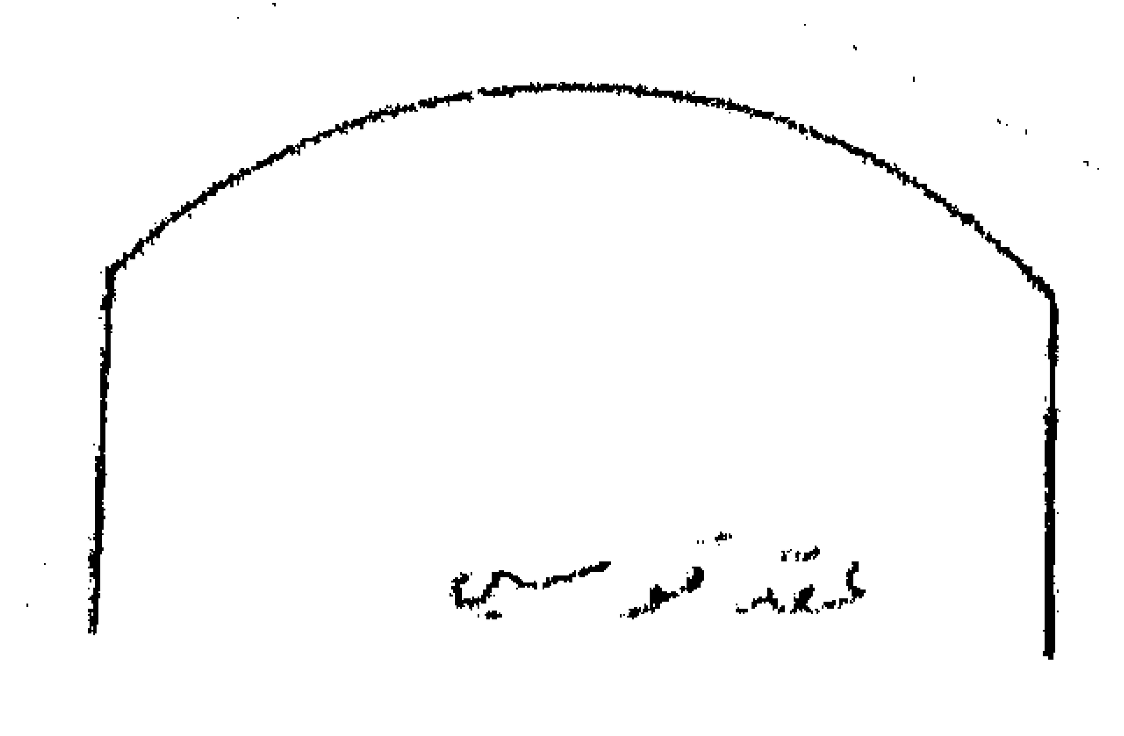
(شكل95) عقد منكسر



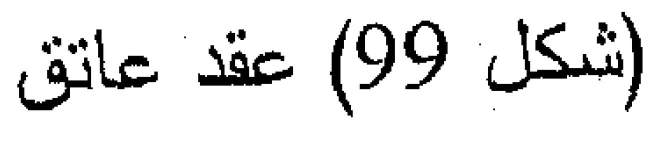
(شكل96) عقد حدوة فرس



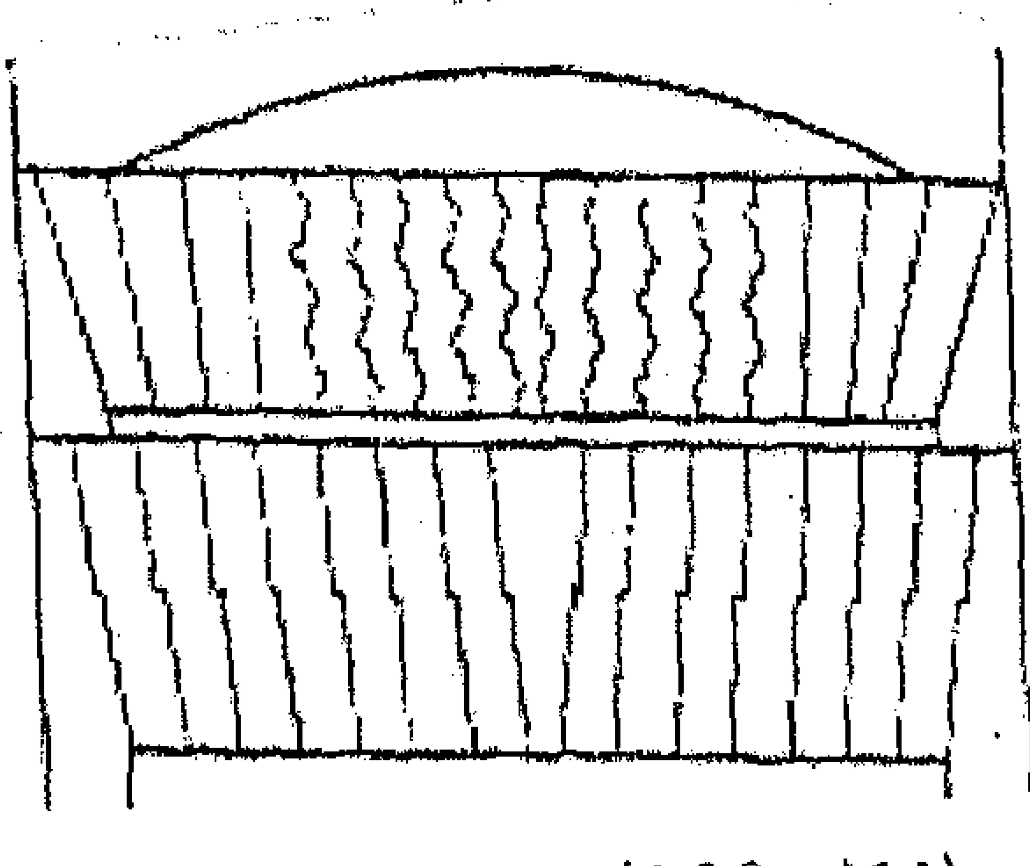
(شكل 97) عقد مدائني



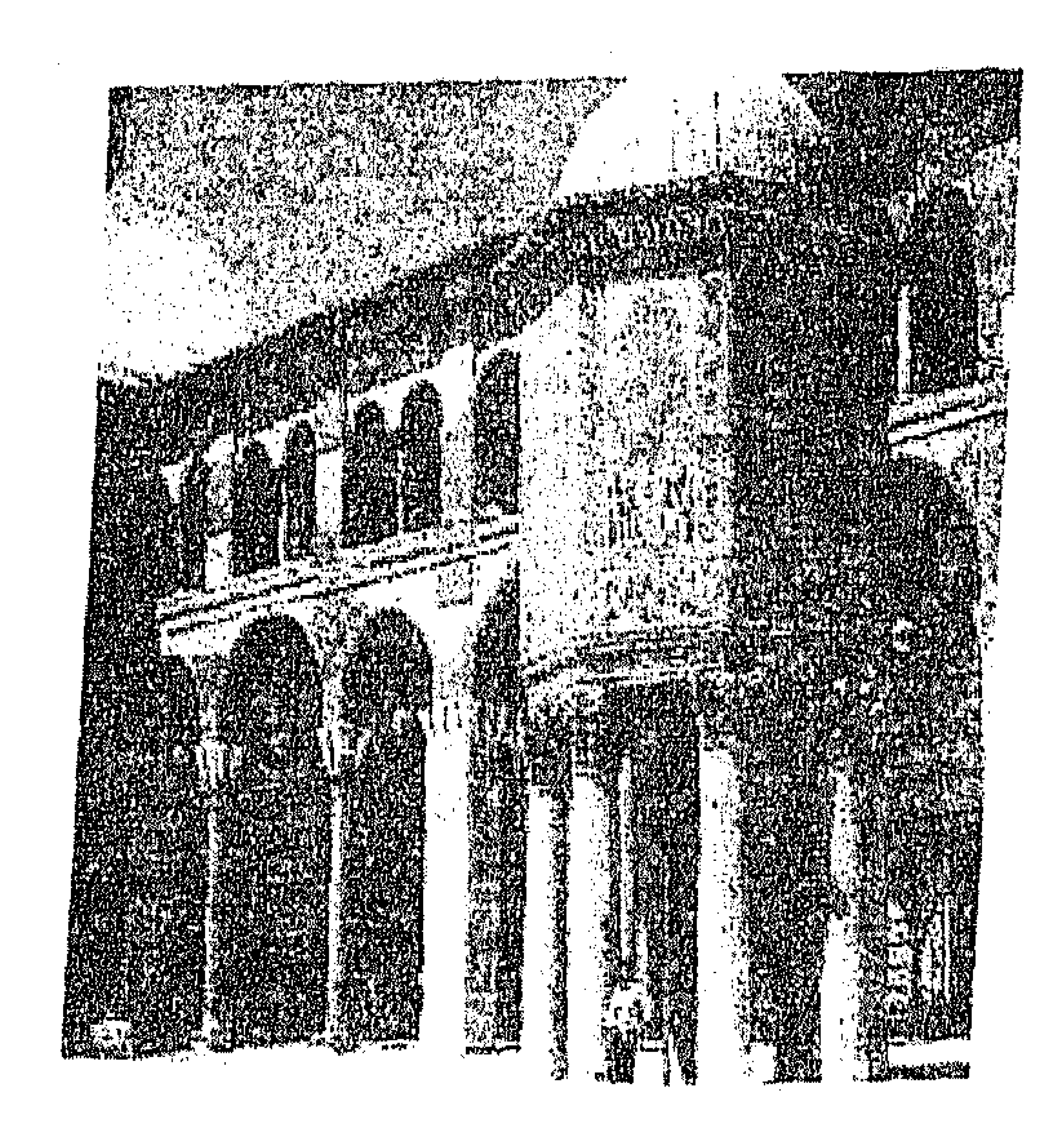
(شكل 98) عقد قوسي



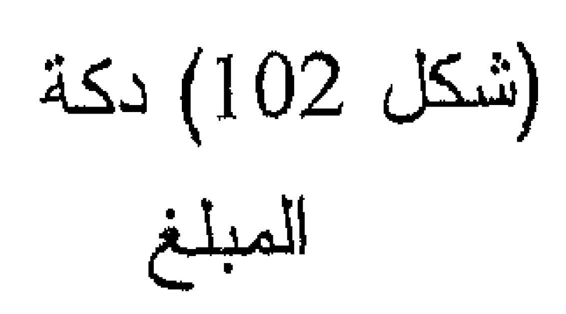
(شكل 99) عقد عاتق

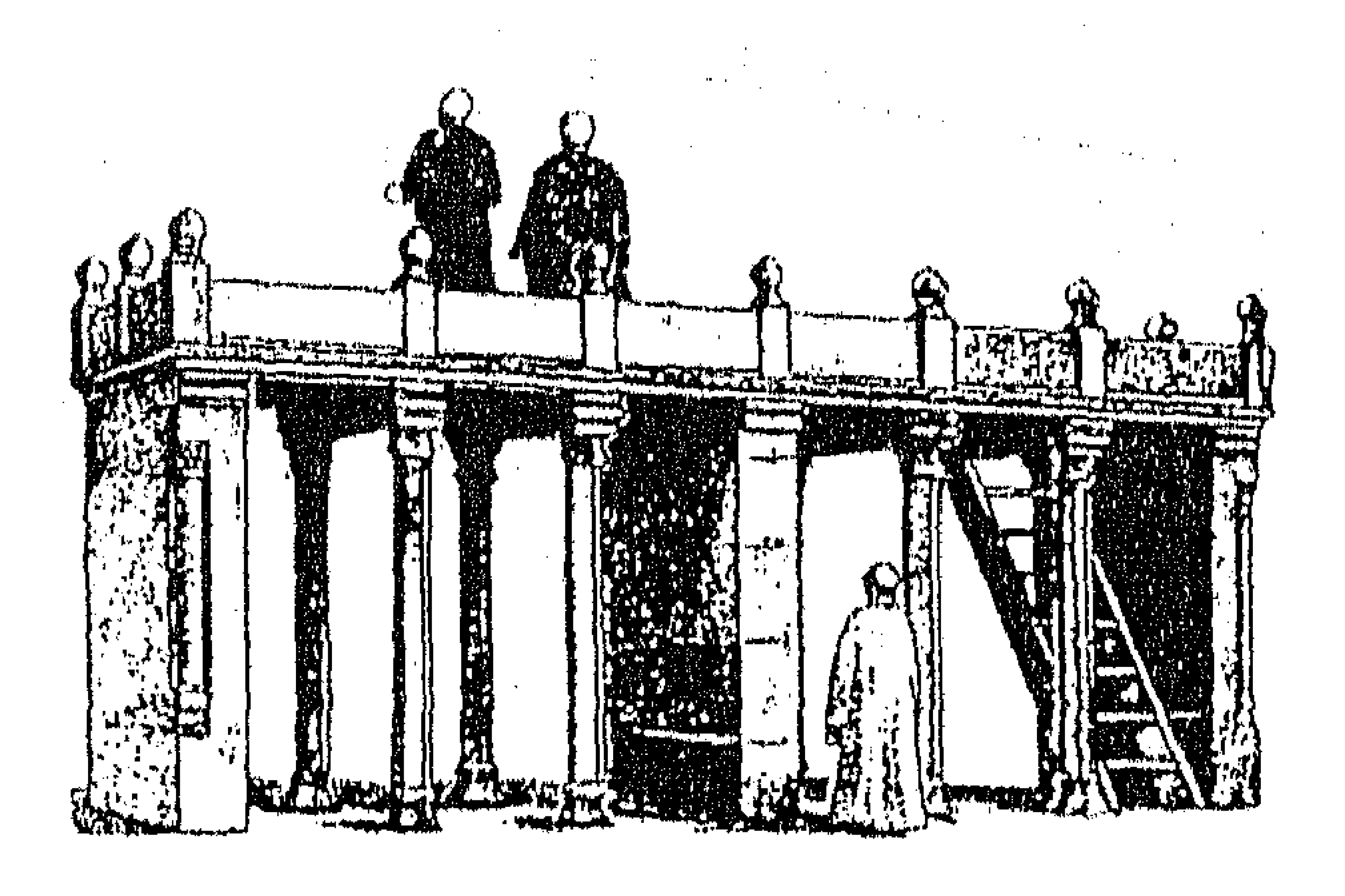


(شكل 100) عقد مستقيم

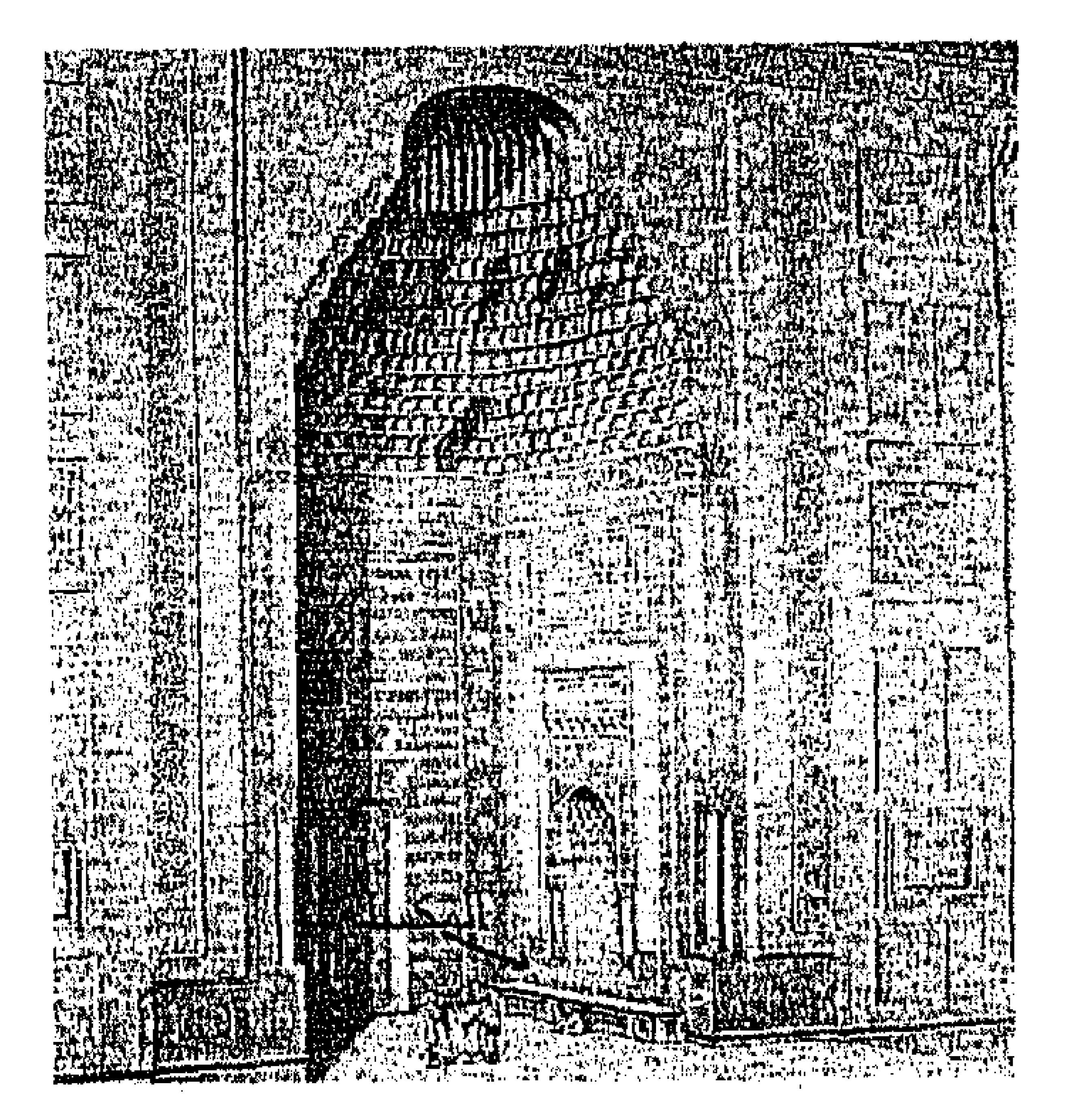


تكل 101) نموذج لبيت المال
بصحن الجامع الأموي
بدمشق

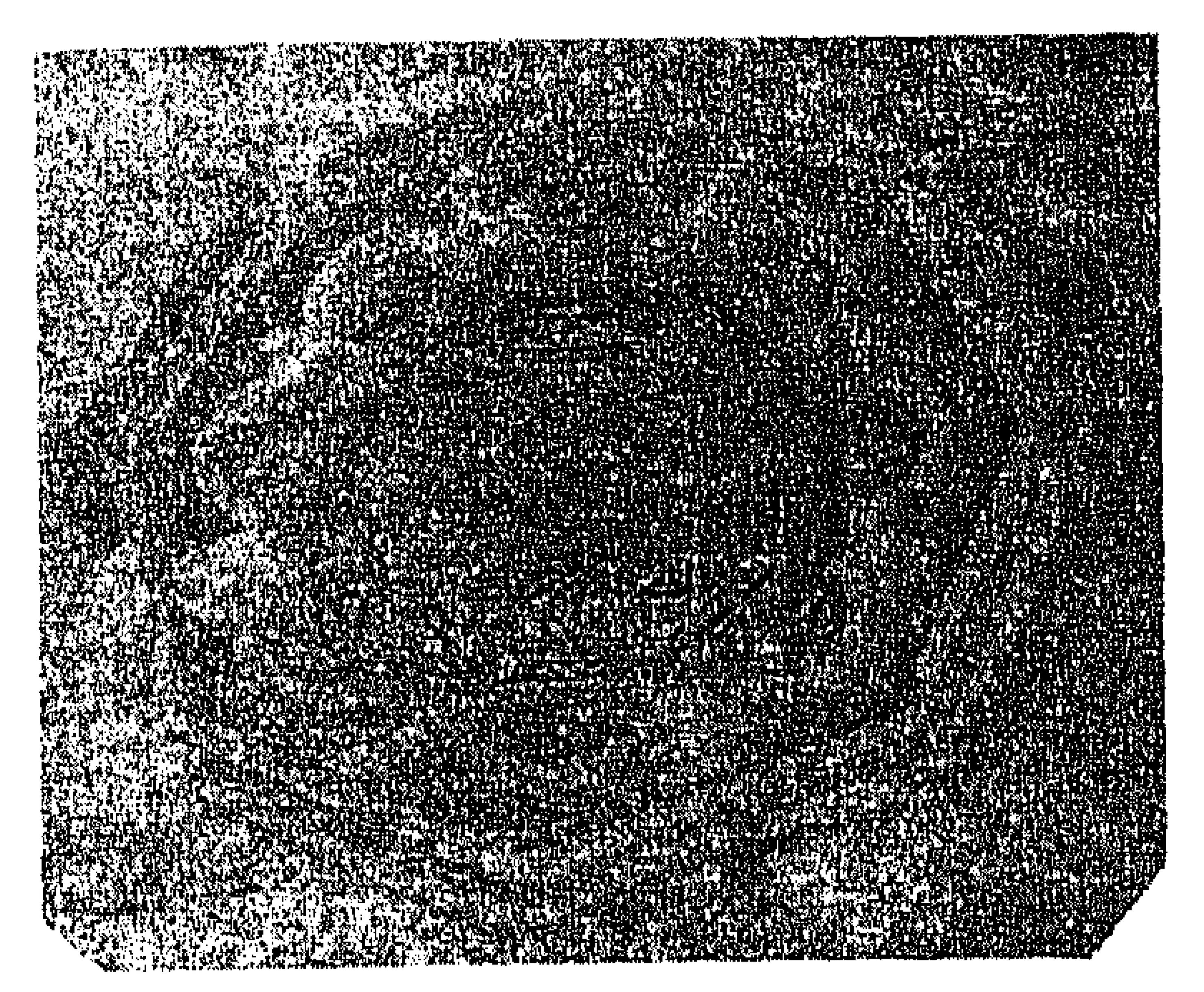




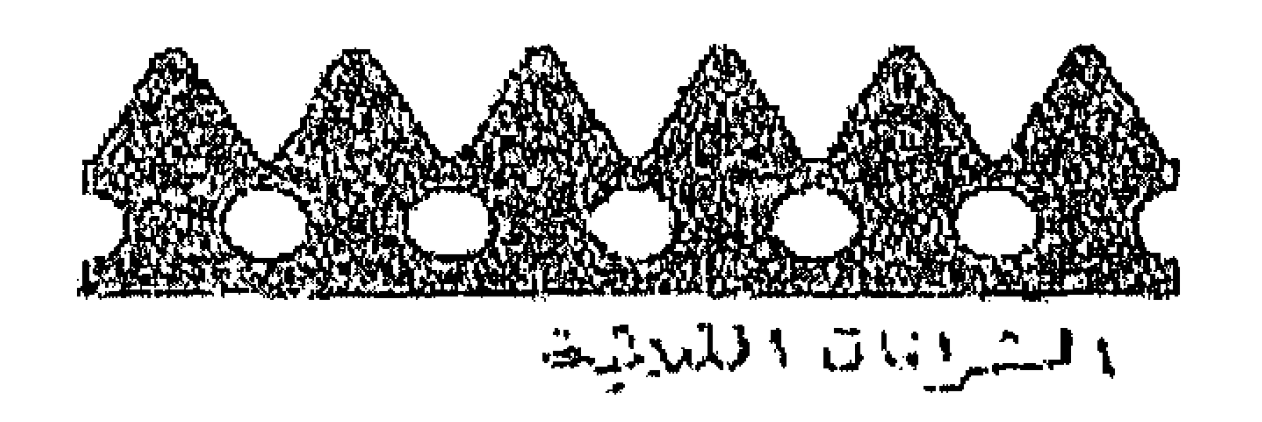
(شكل 102) دكة
المبلغ



(شكل 103) نموذج للمكسلة

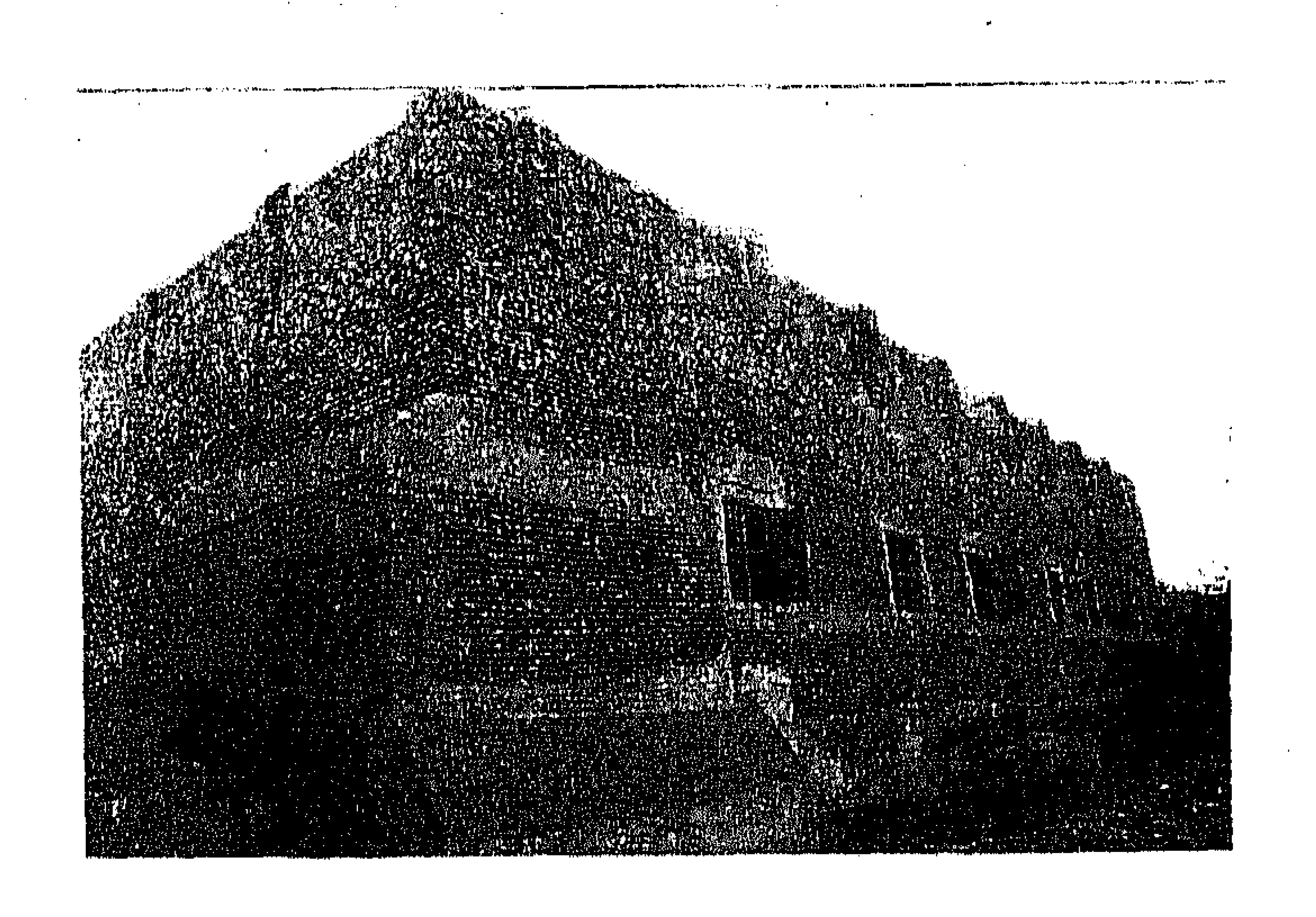


(شكل 104) فسقية المدرسة الإسكندرية زبيد

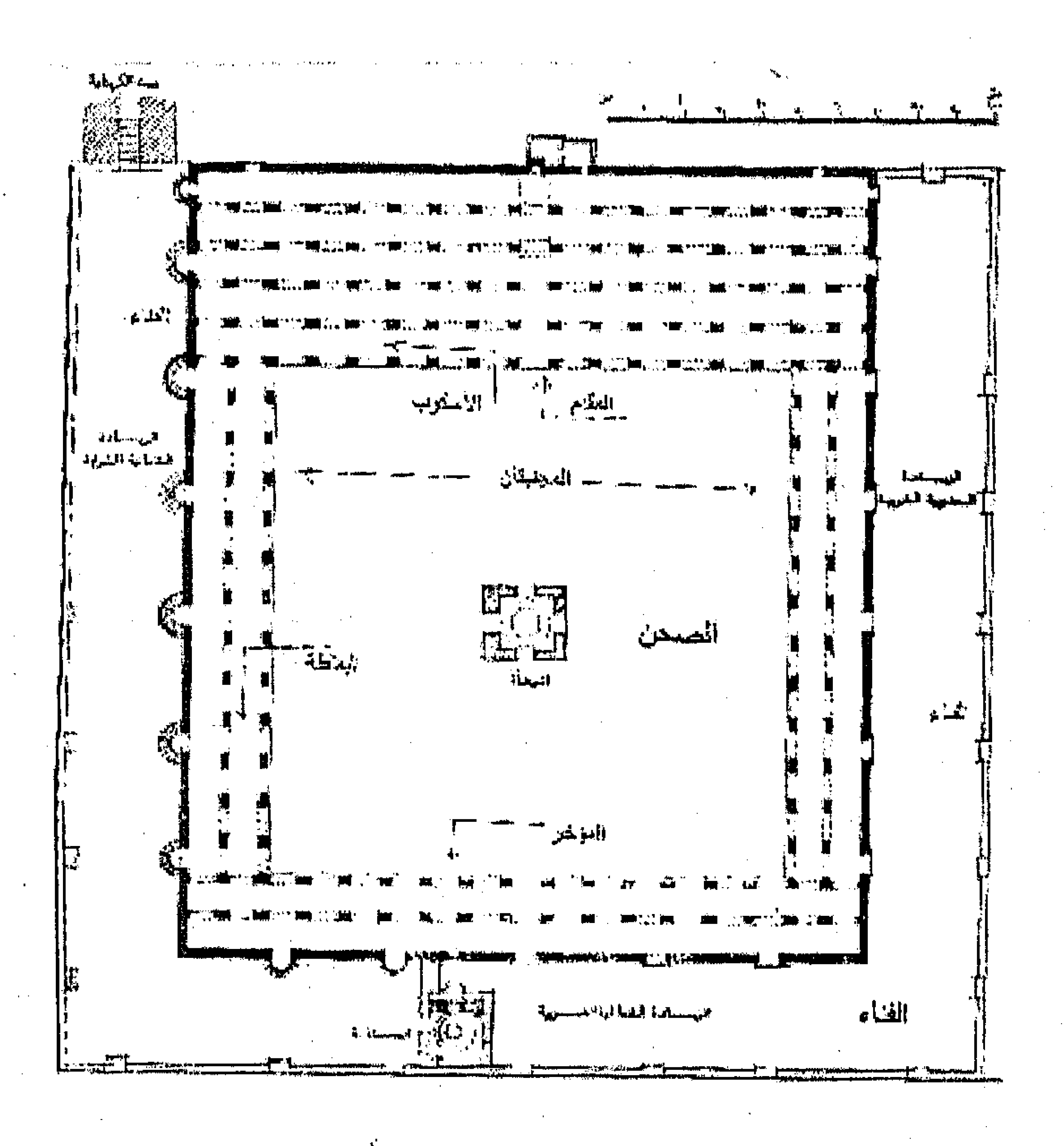




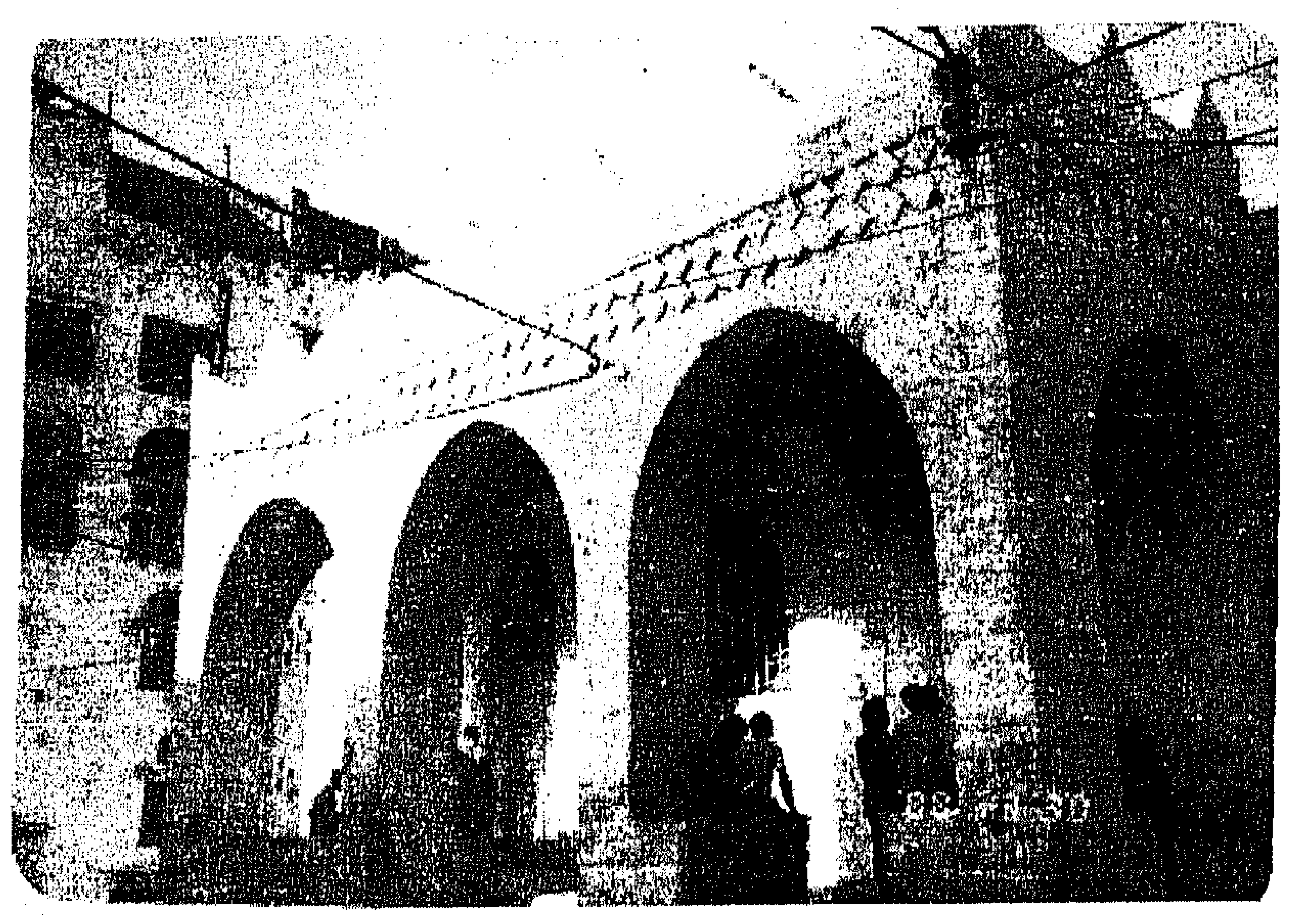
(شكل 105) نموذج
للشرافات



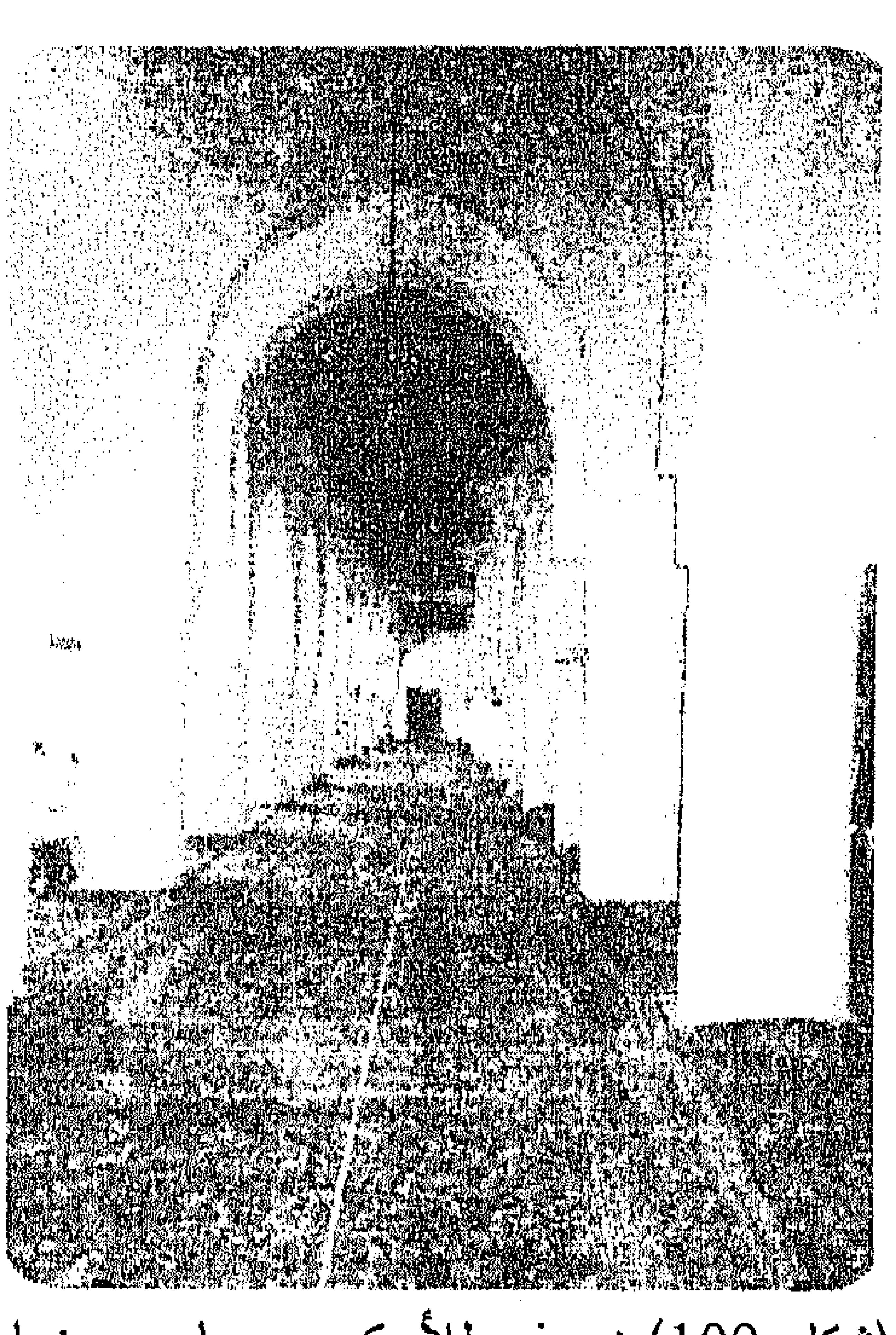
(شكل 106) نموذج
للجدار الساند لركن
ثكنة باب الشبارق بزبيد



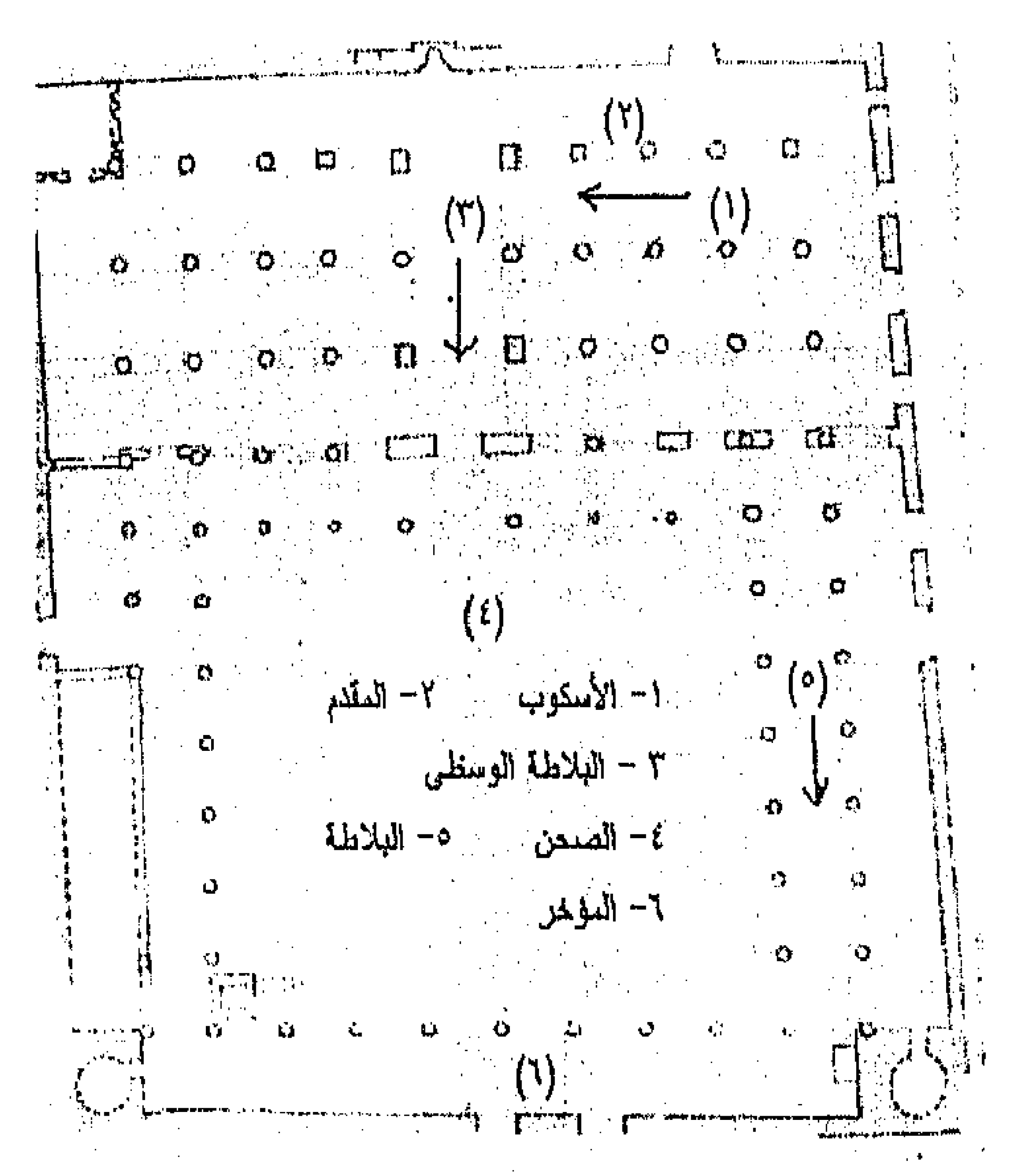
(شكل 107) تخطيط جامع أحمد بن طواون نموذج لتقسيم تخطيط الجامع.



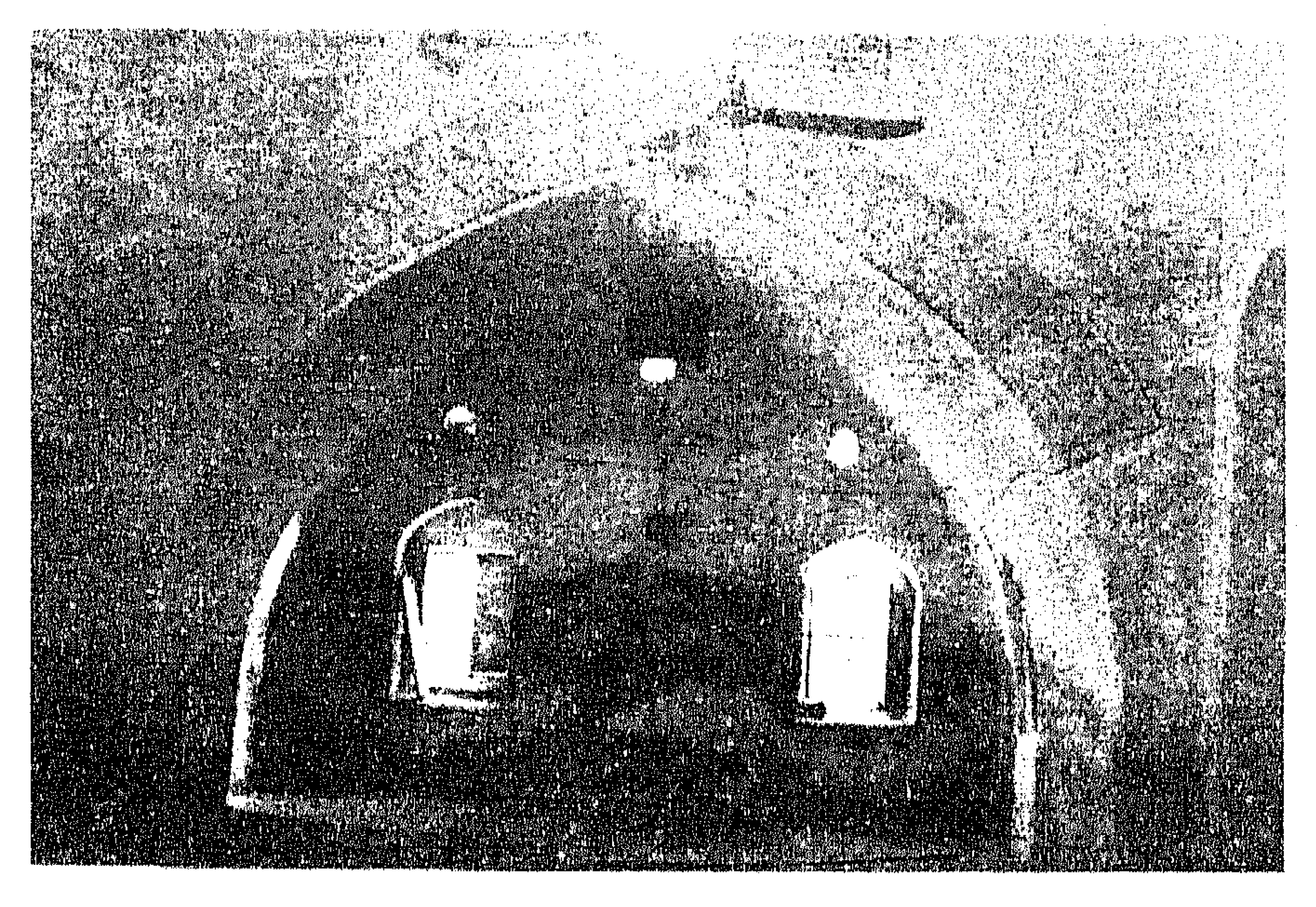
(شكل 108) الظلة التي تتقدم مدخل جامع إب



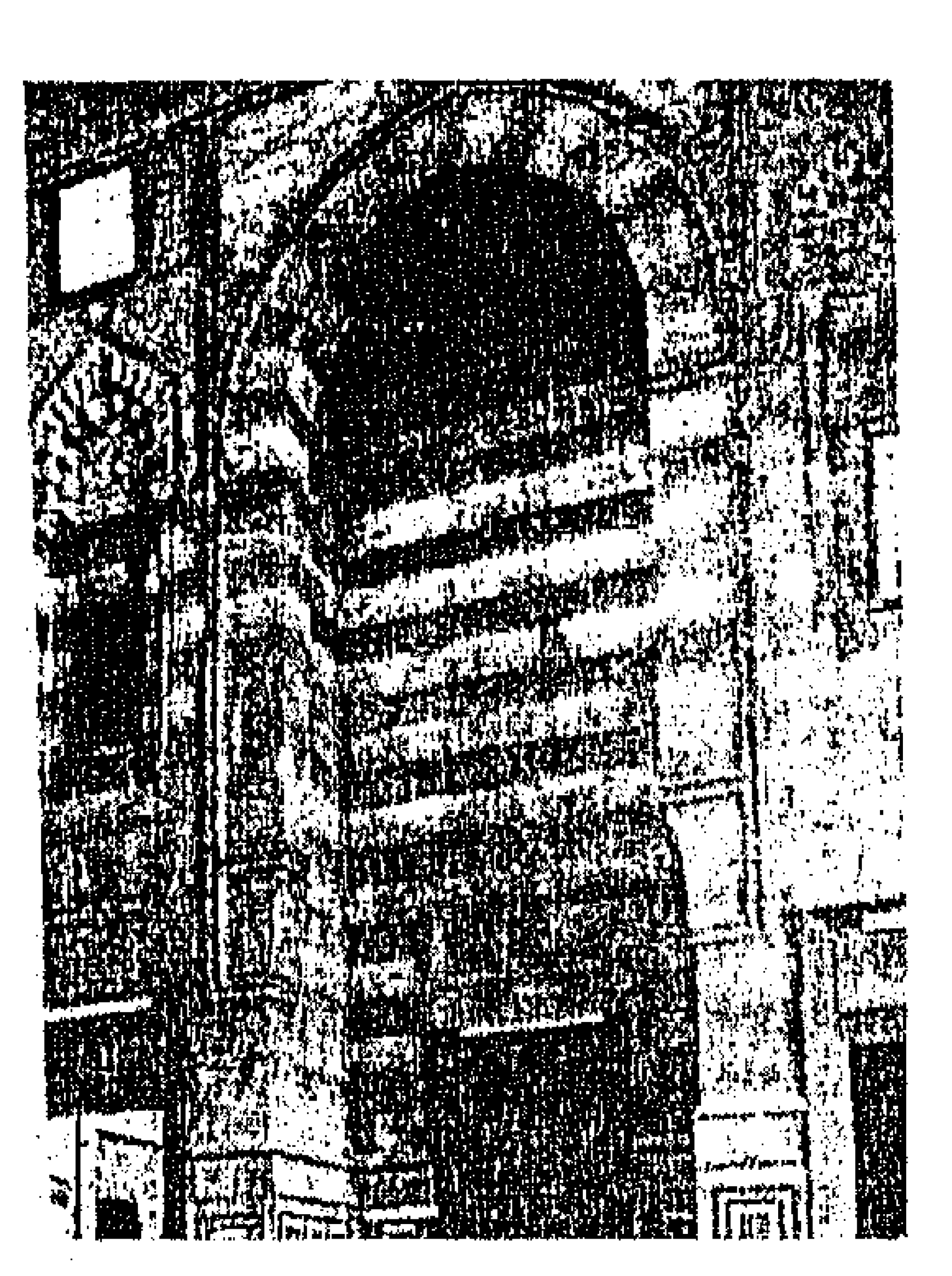
(شكل 109) نموذج للأسكوب بجامع صنعاء



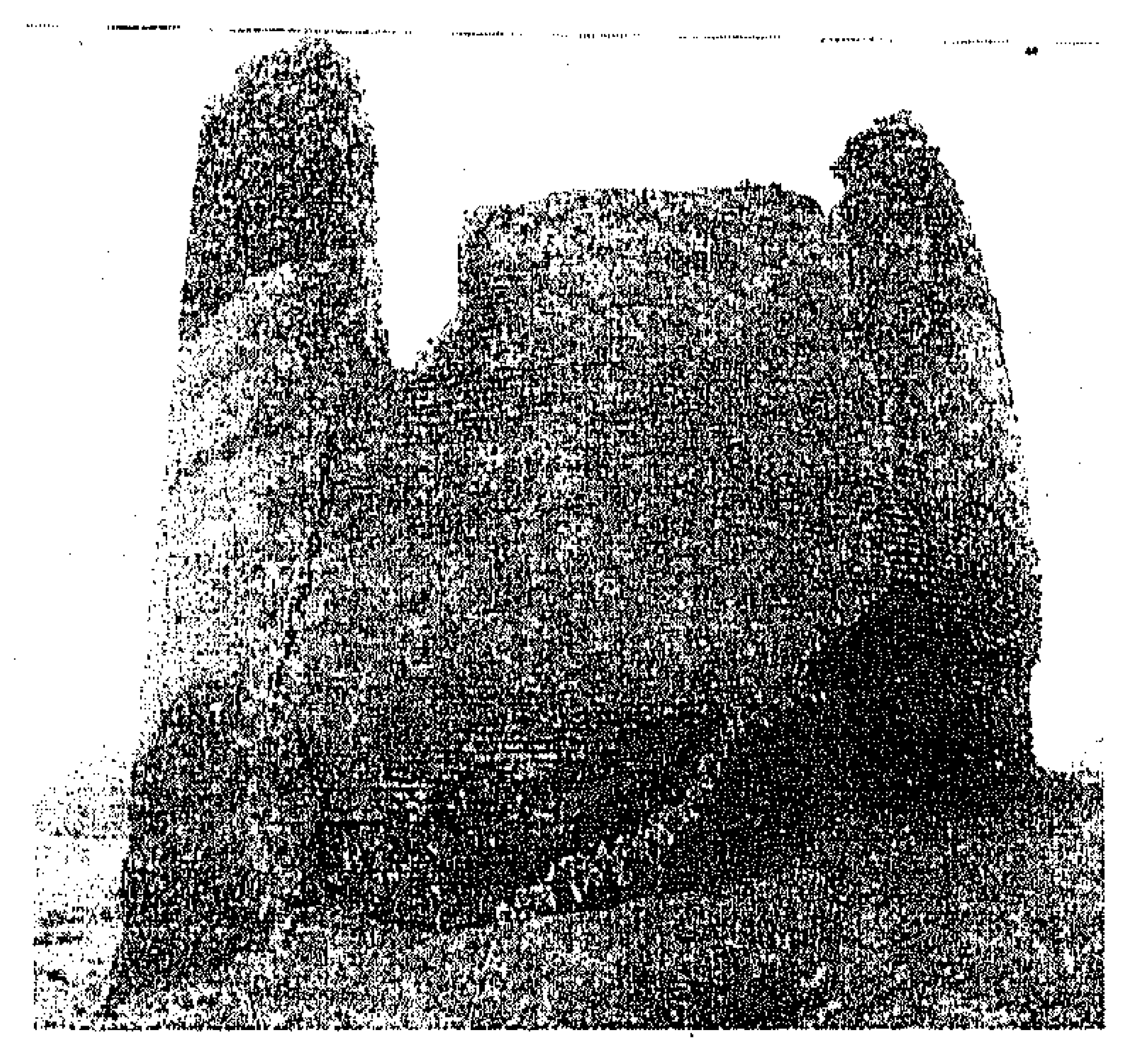
(شكل 110) تخطيط جامع جبلة وتقسيماته



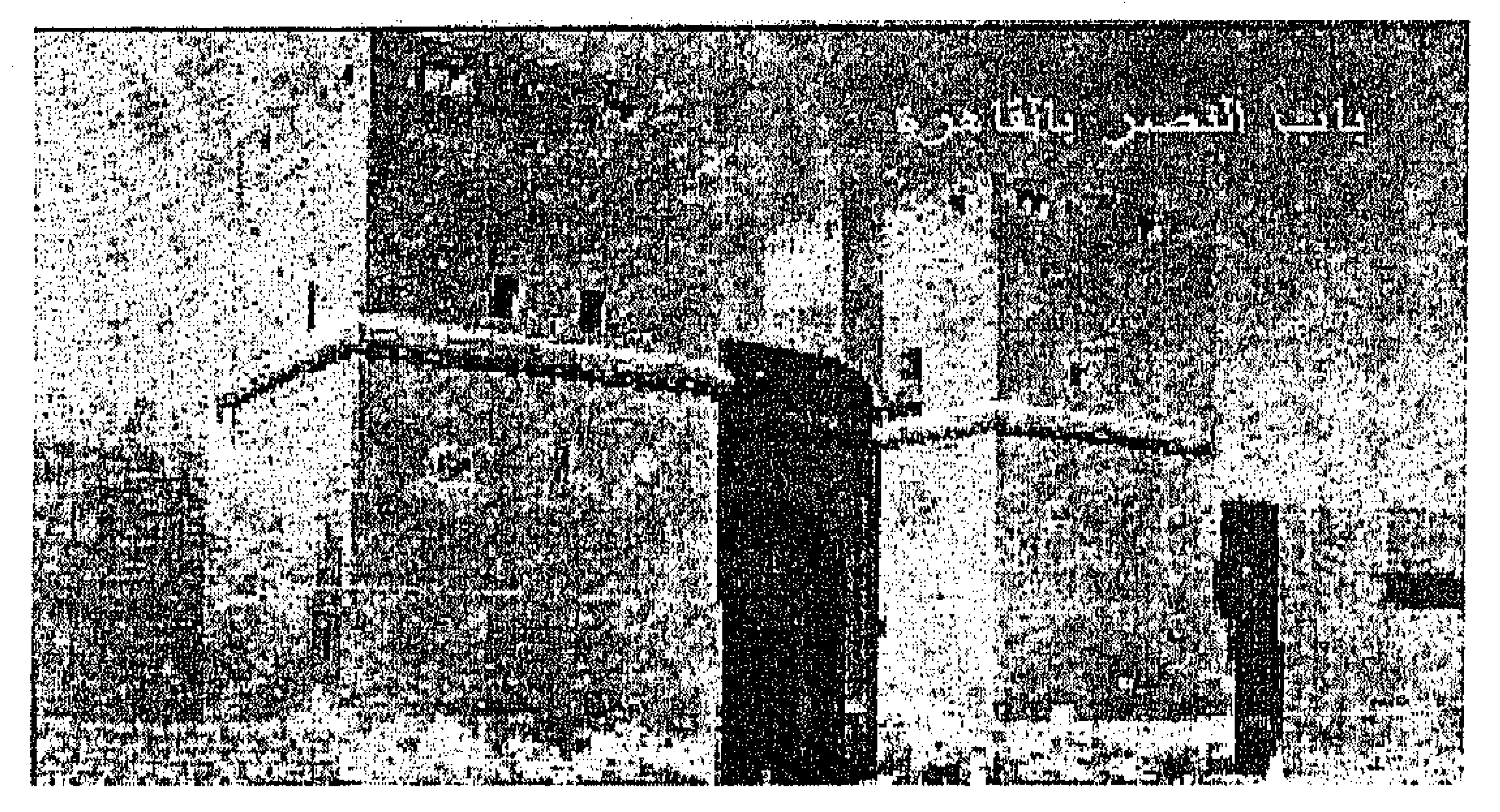
(شكل 111) أحد إيوانات المدرسة الإسكندرية بحيس



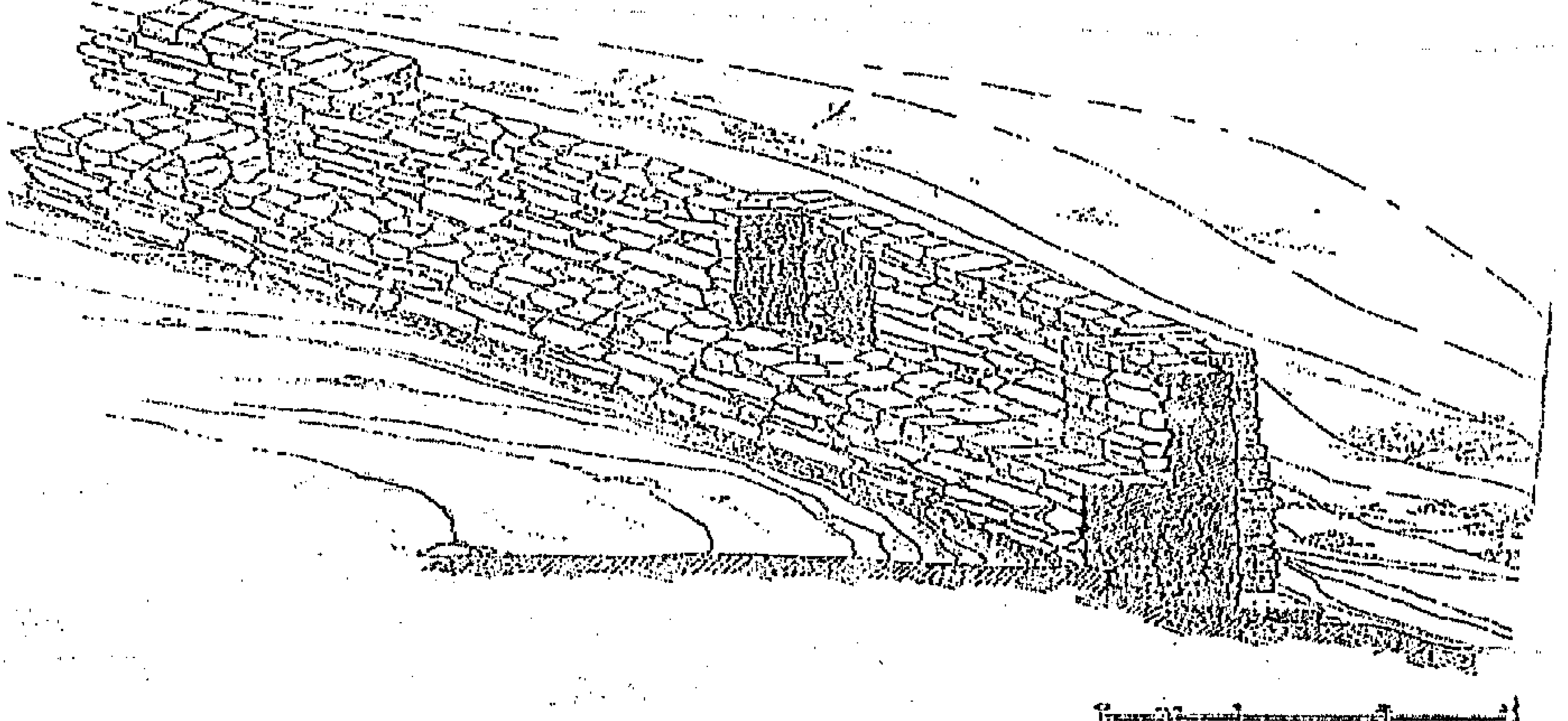
(شكل 112) نموذج للسدلة



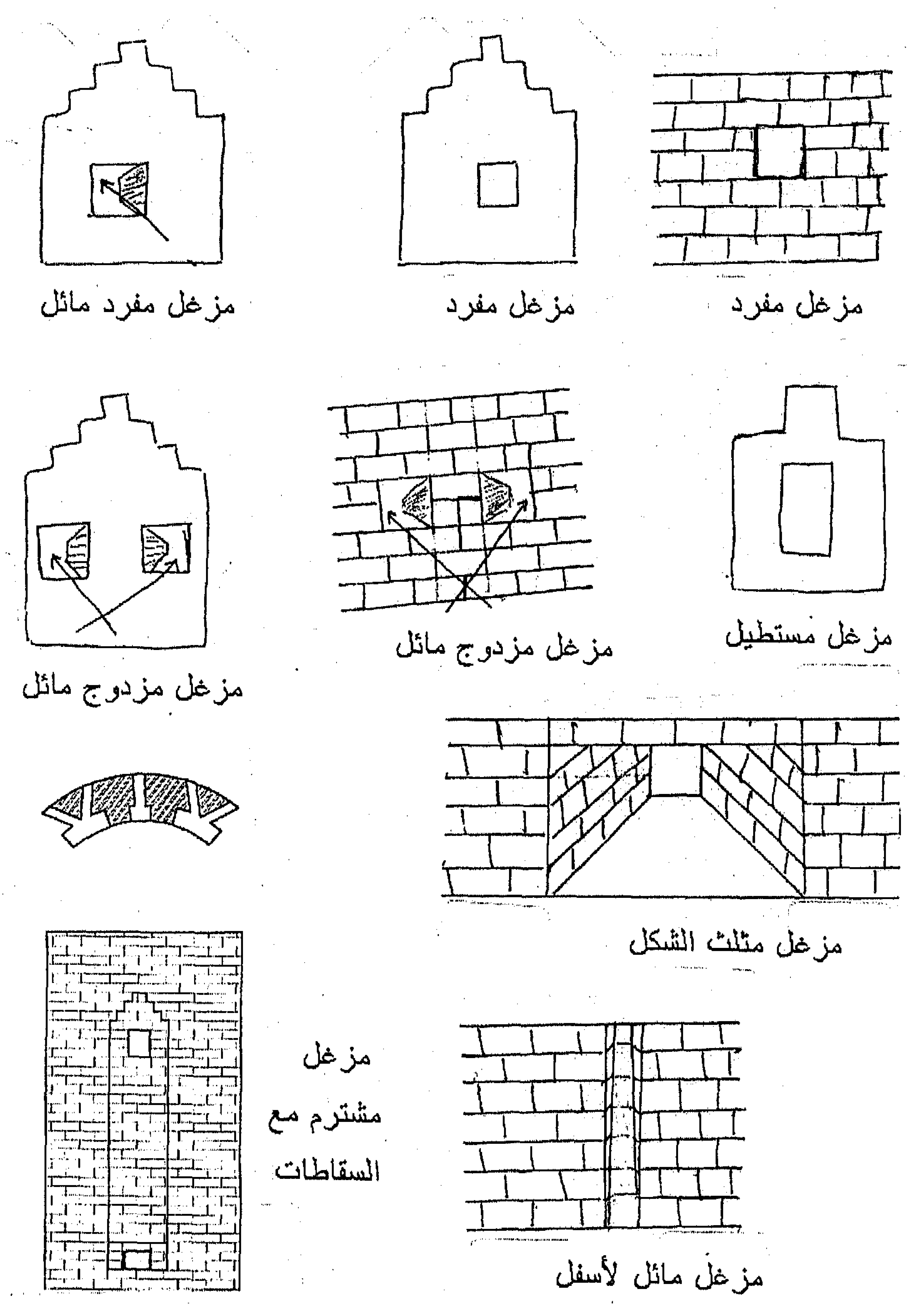
(شكل113) نموذج للبرج الدائري



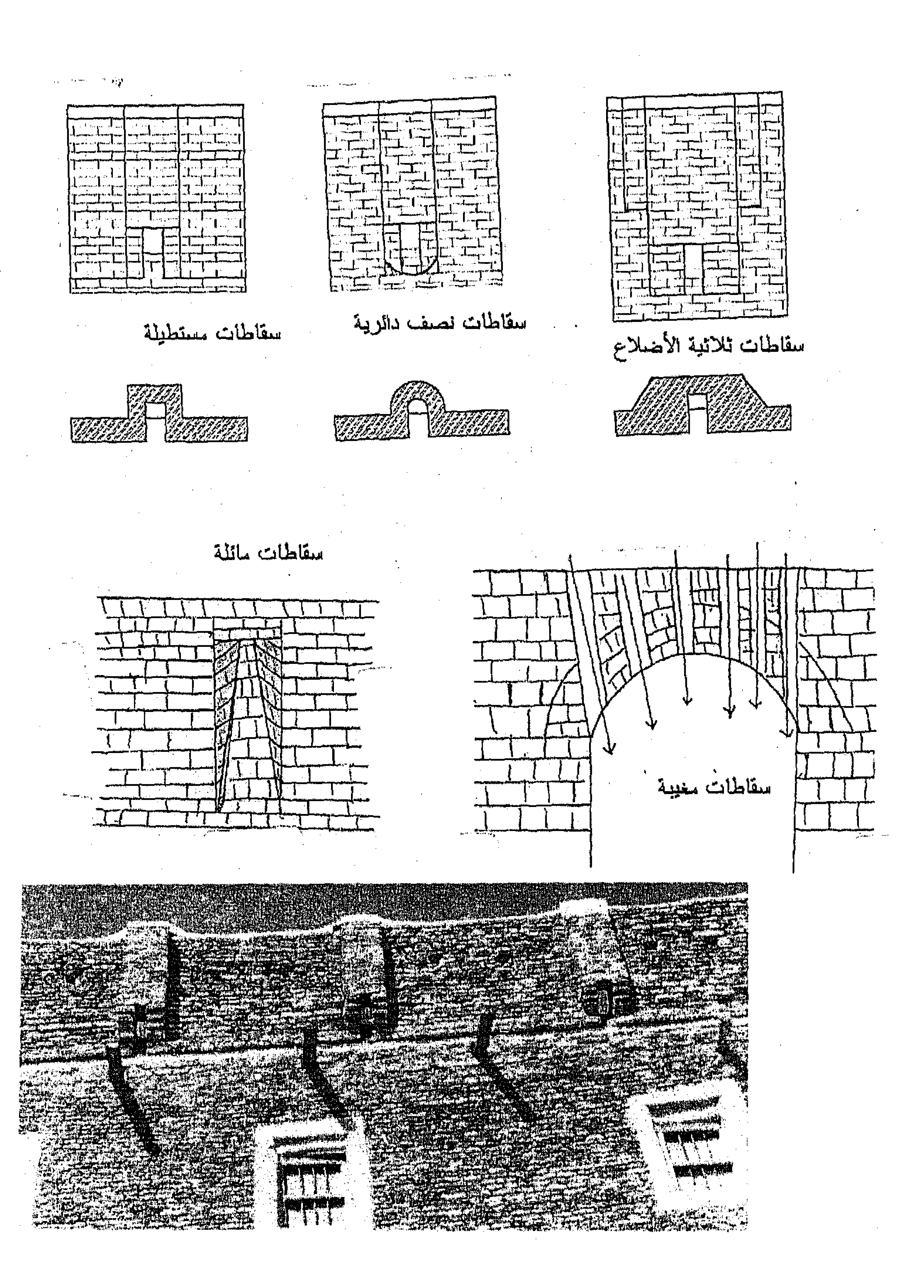
(شكل 114) نموذج للأبراج المربعة.



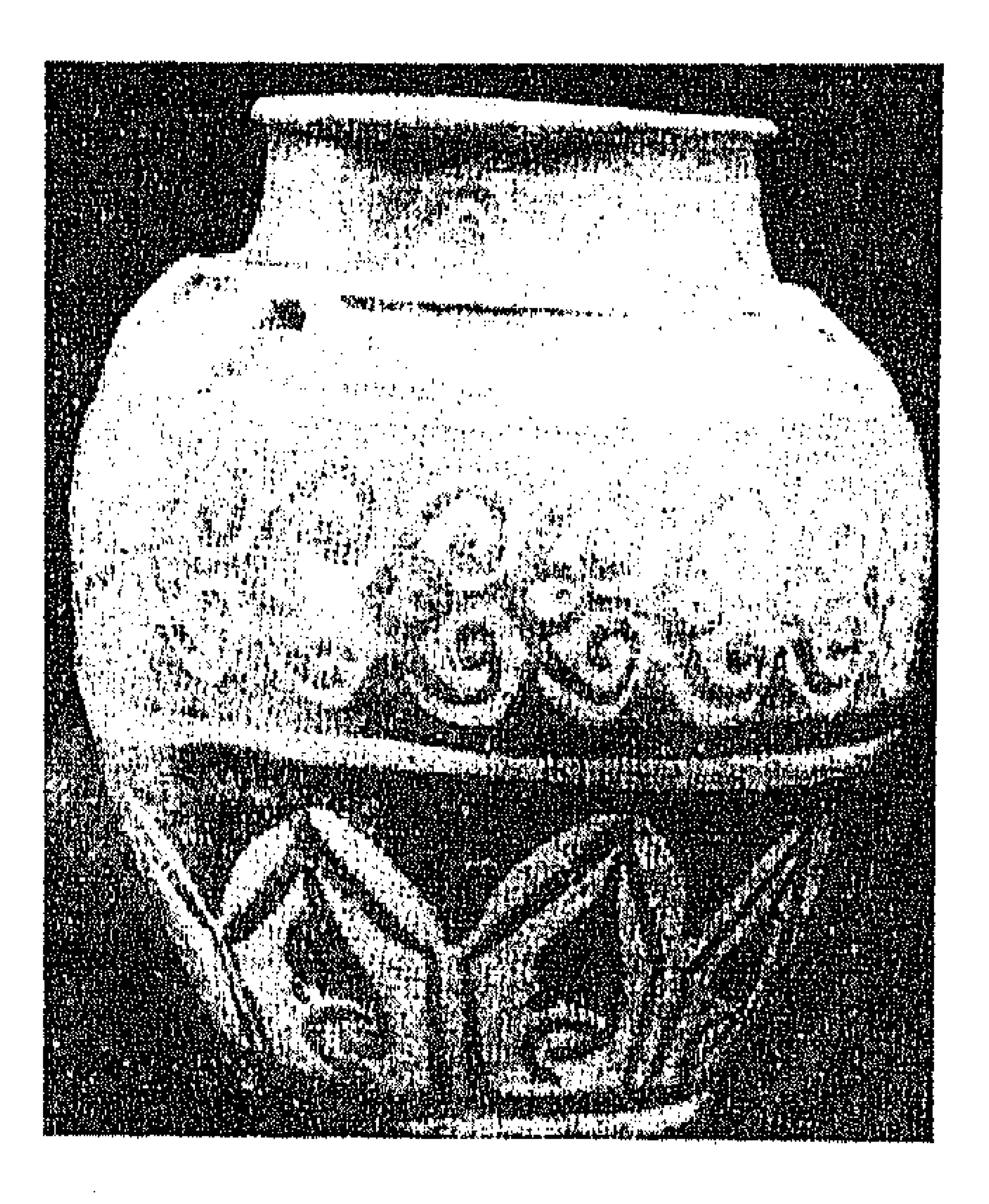
(شكل 115) الجدار الساتر والممشى



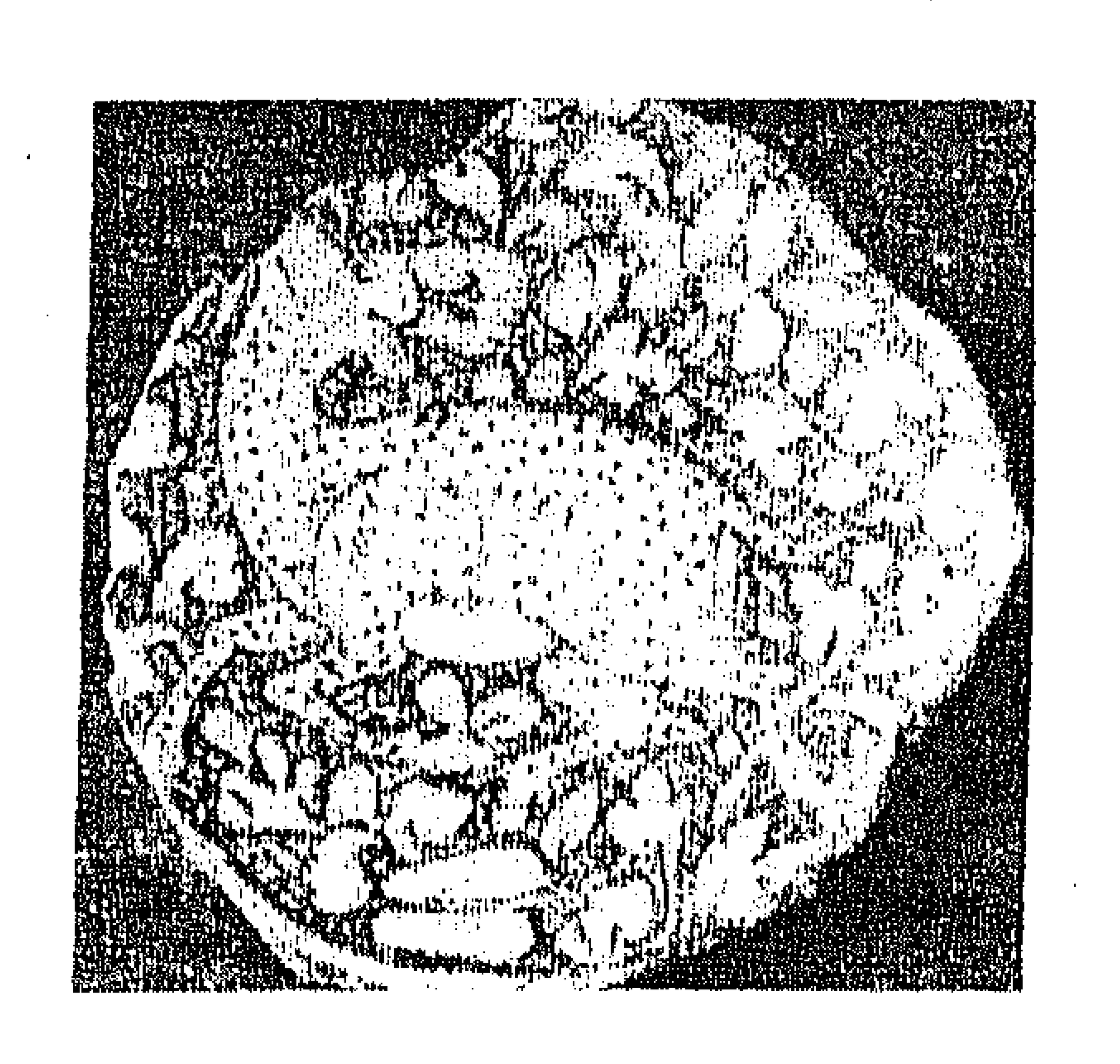
(شكل 116) نماذج لأنواع المزاغل على العمائر الحربية



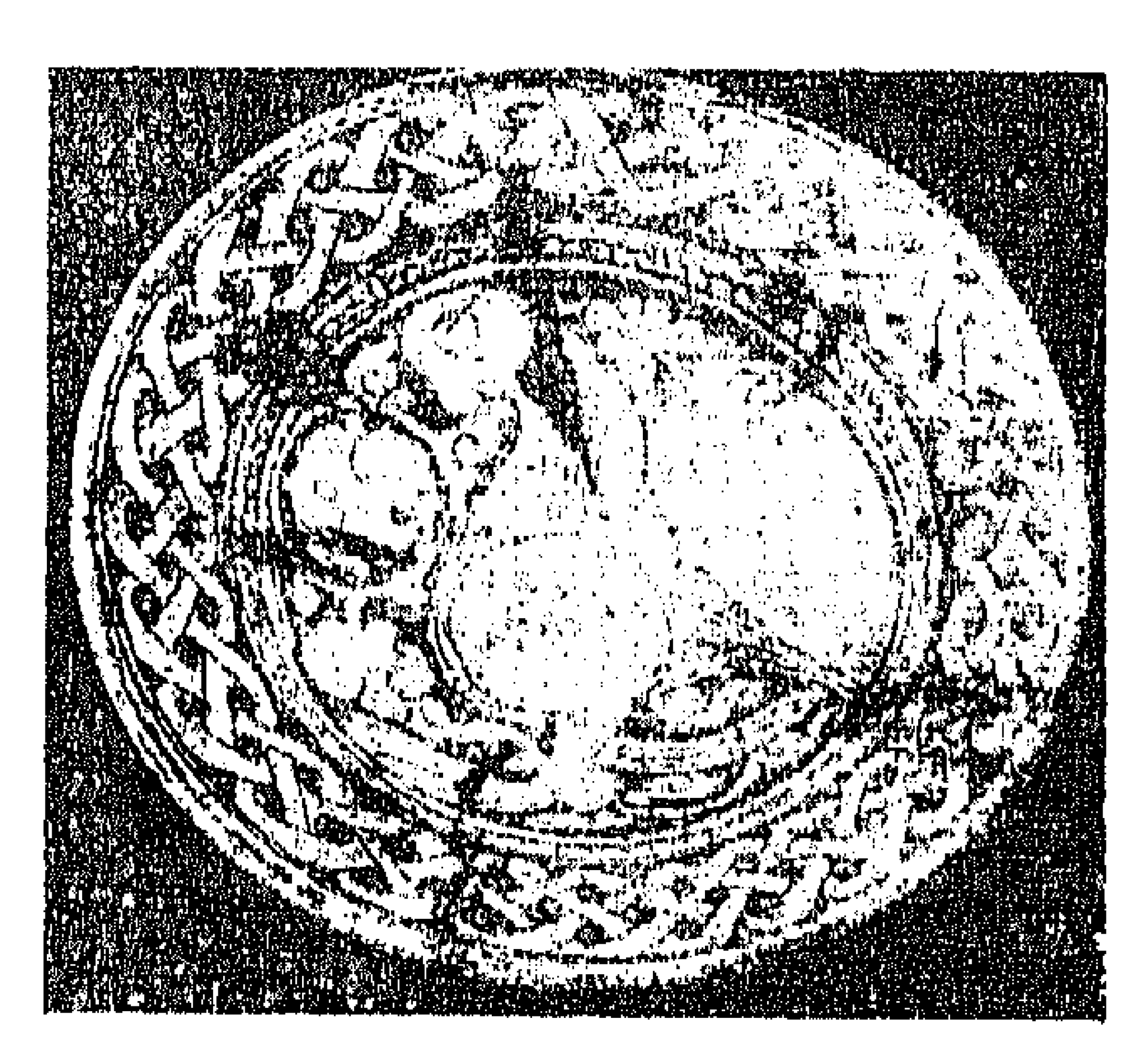
(شكل117) نماذج للسقاطات على العمائر الحربية



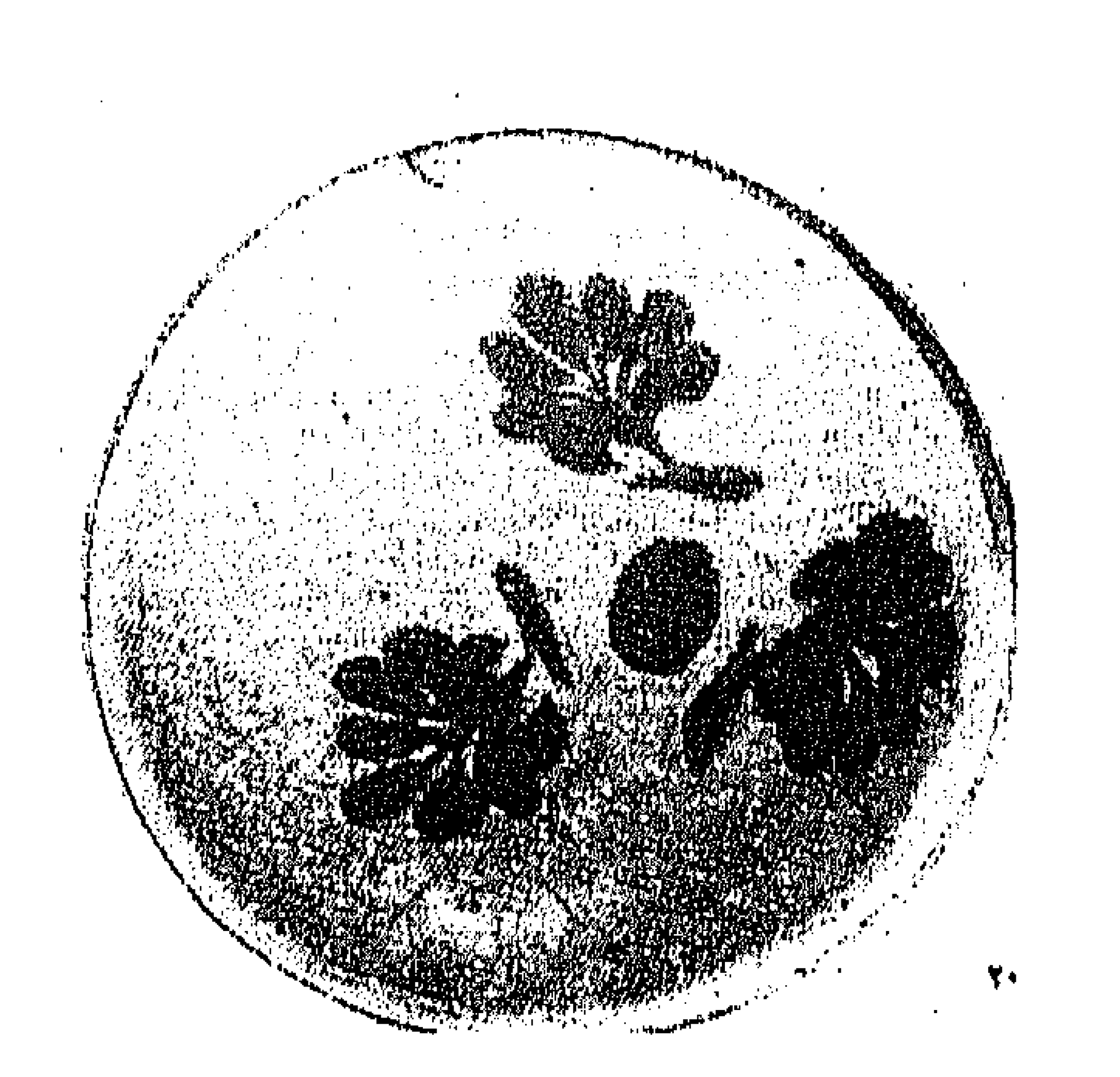
(شكل 118) قدر من للفخار الملون



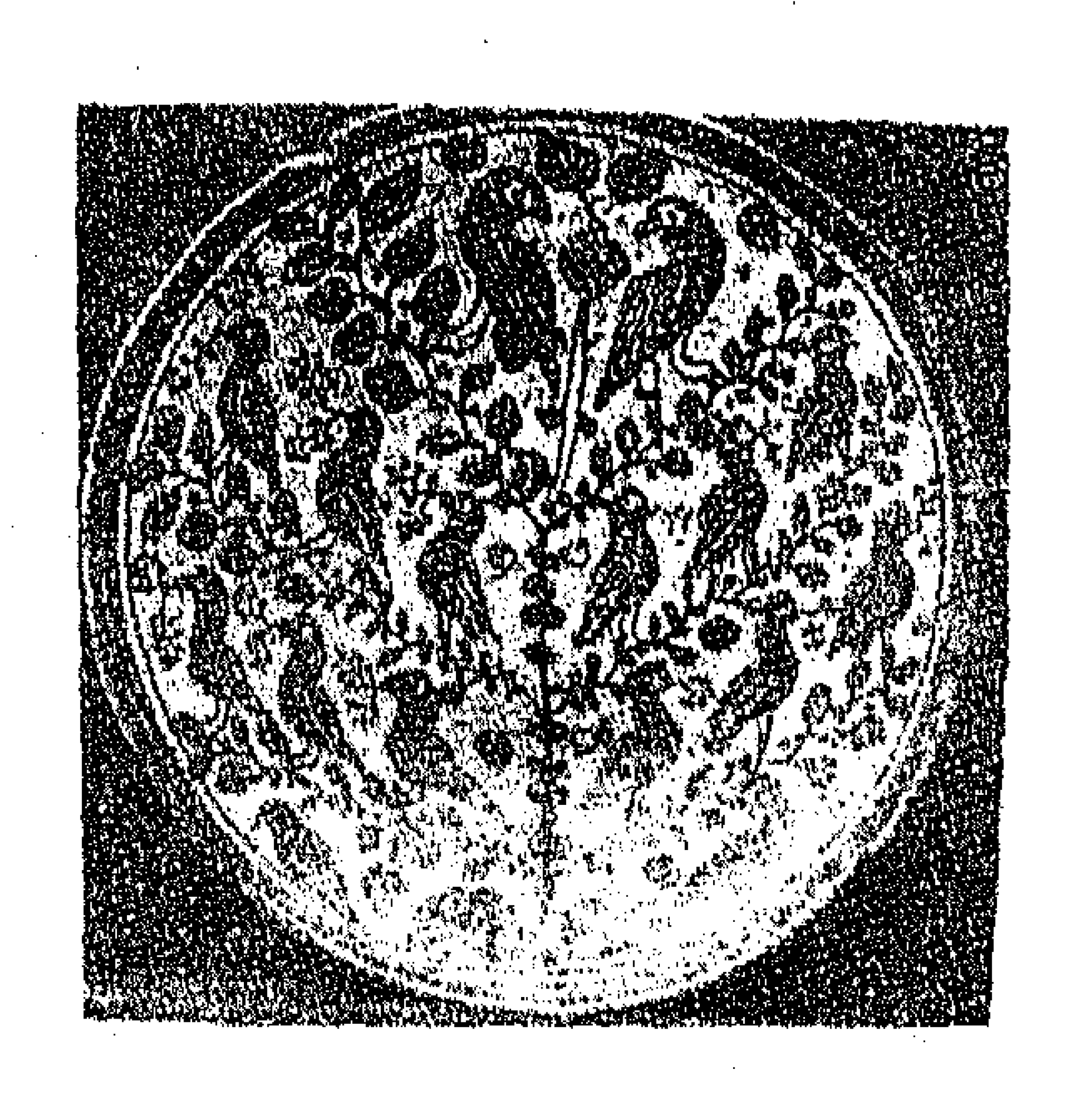
(شكل 119) صحن من
الخزف البارز



(شكل 120) صحن من الخزف
المحزوز (الجبري)



(شكل 121) صحن من الخزف
المرسوم تحت الطلاء



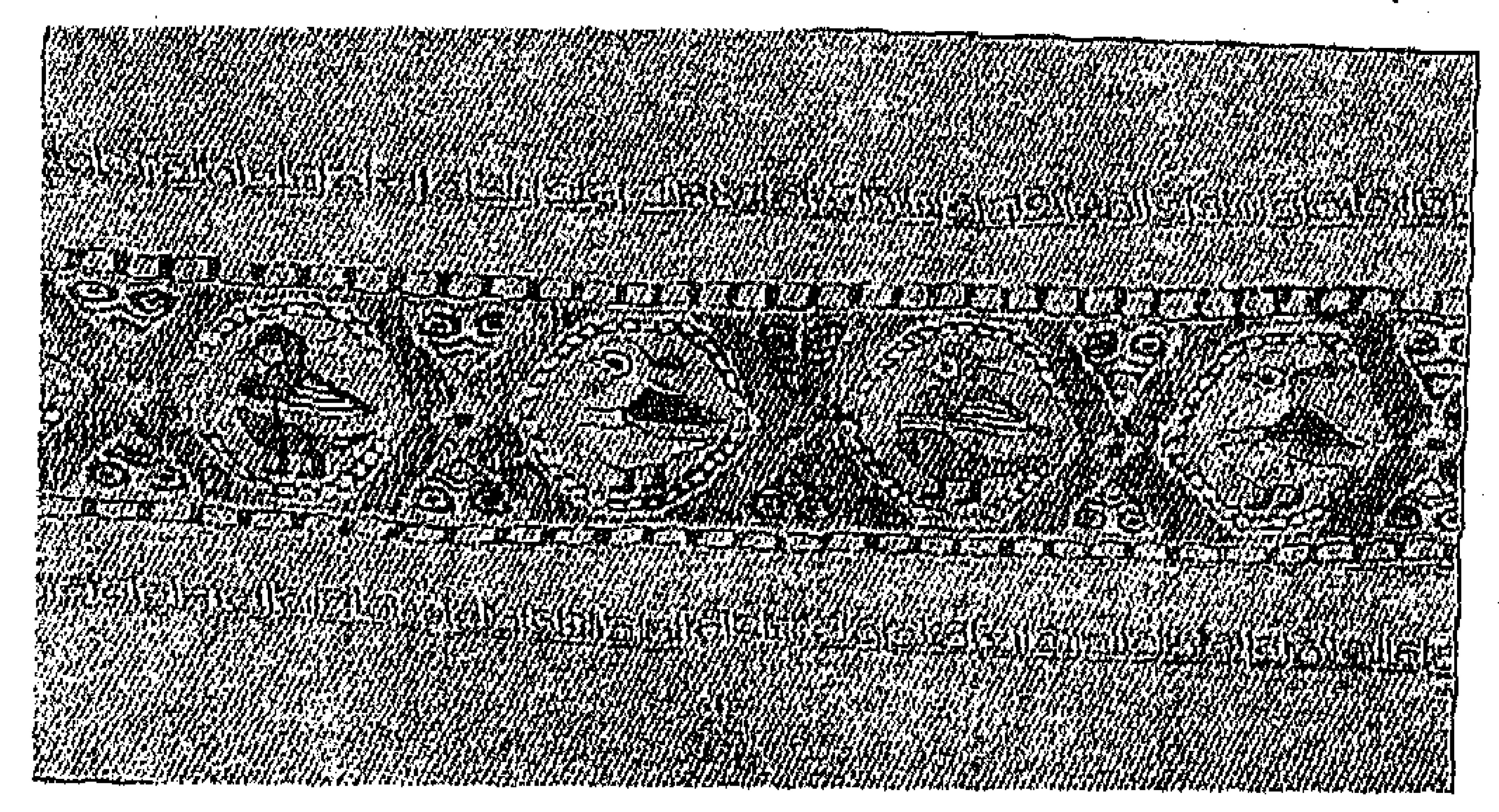
(شكل 122) صحن من الخزف
ذو البريق المعدني



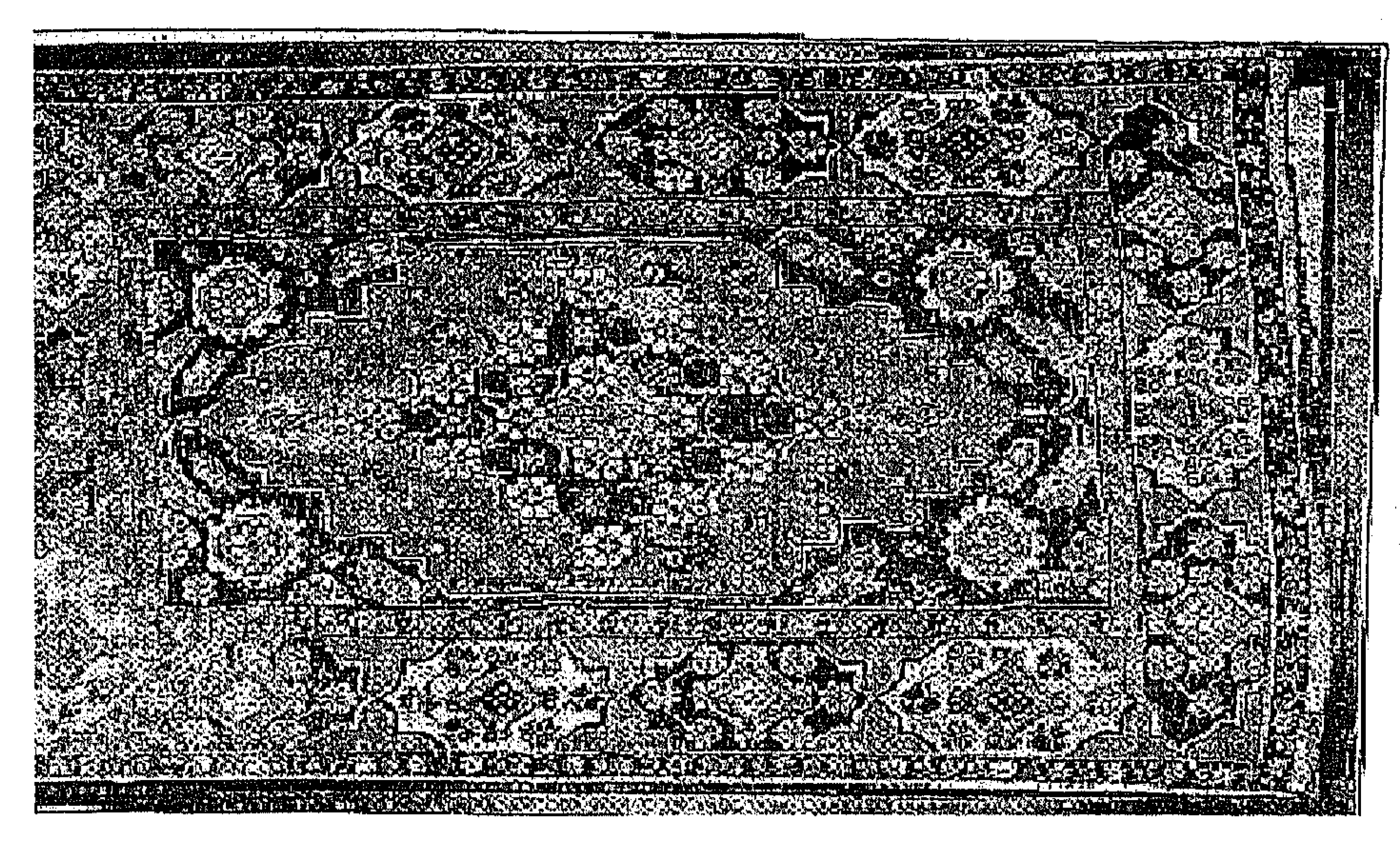
(شكل 123) إبريق معدني ينسب لمروان بن محمد



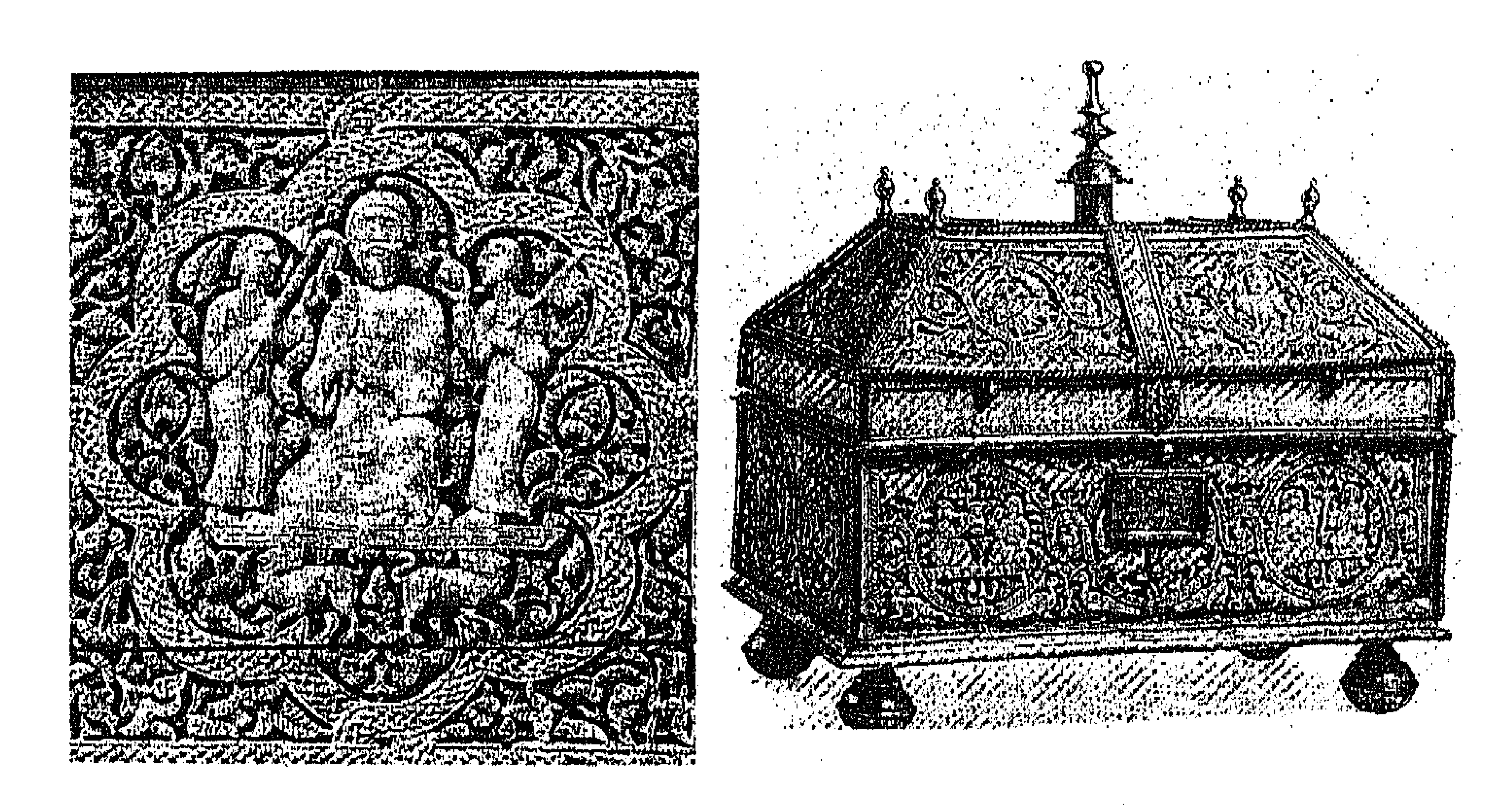
(شكل 124) خشب مزخرف



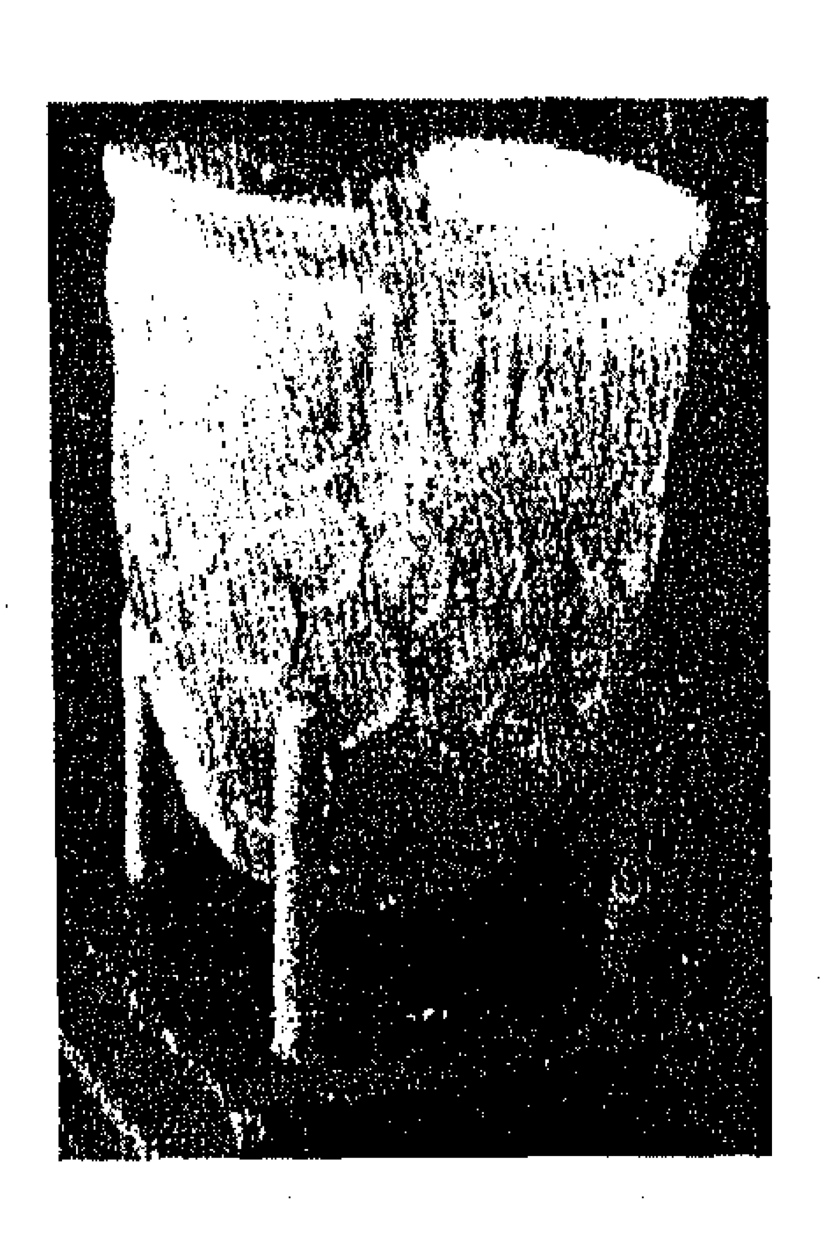
(شكل 125) نسيج مزخرف



(شكل 126) سجادة مزخرفة



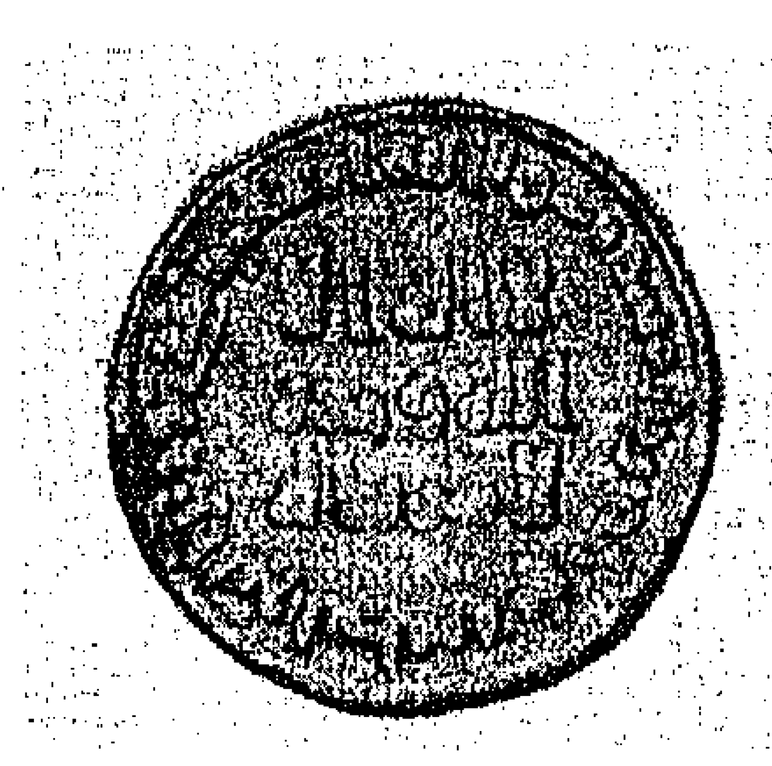
(شكل 127) صندوق من العاج، وزخارف لإحدى علب العاج



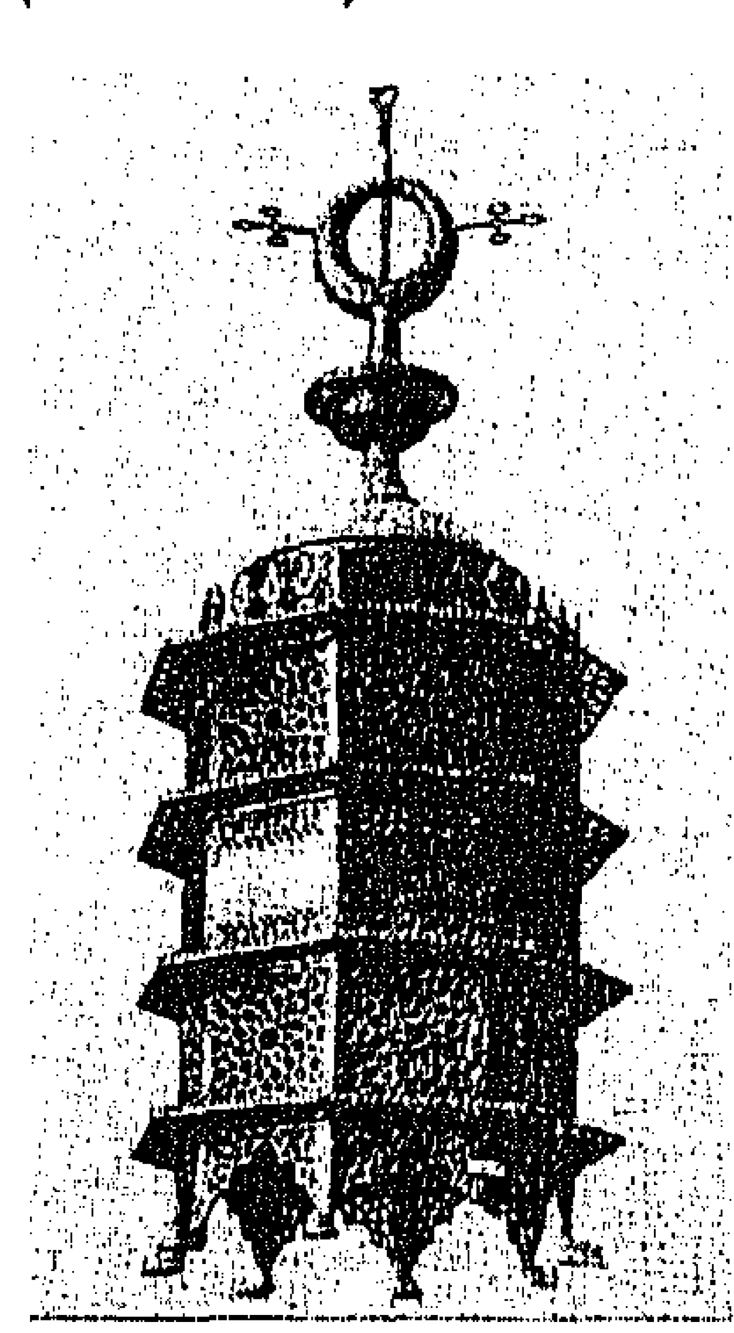


(شكل 128) آنيتان من الزجاج المنفذ بالقالب، والمموه، ومشكاة زجاجية

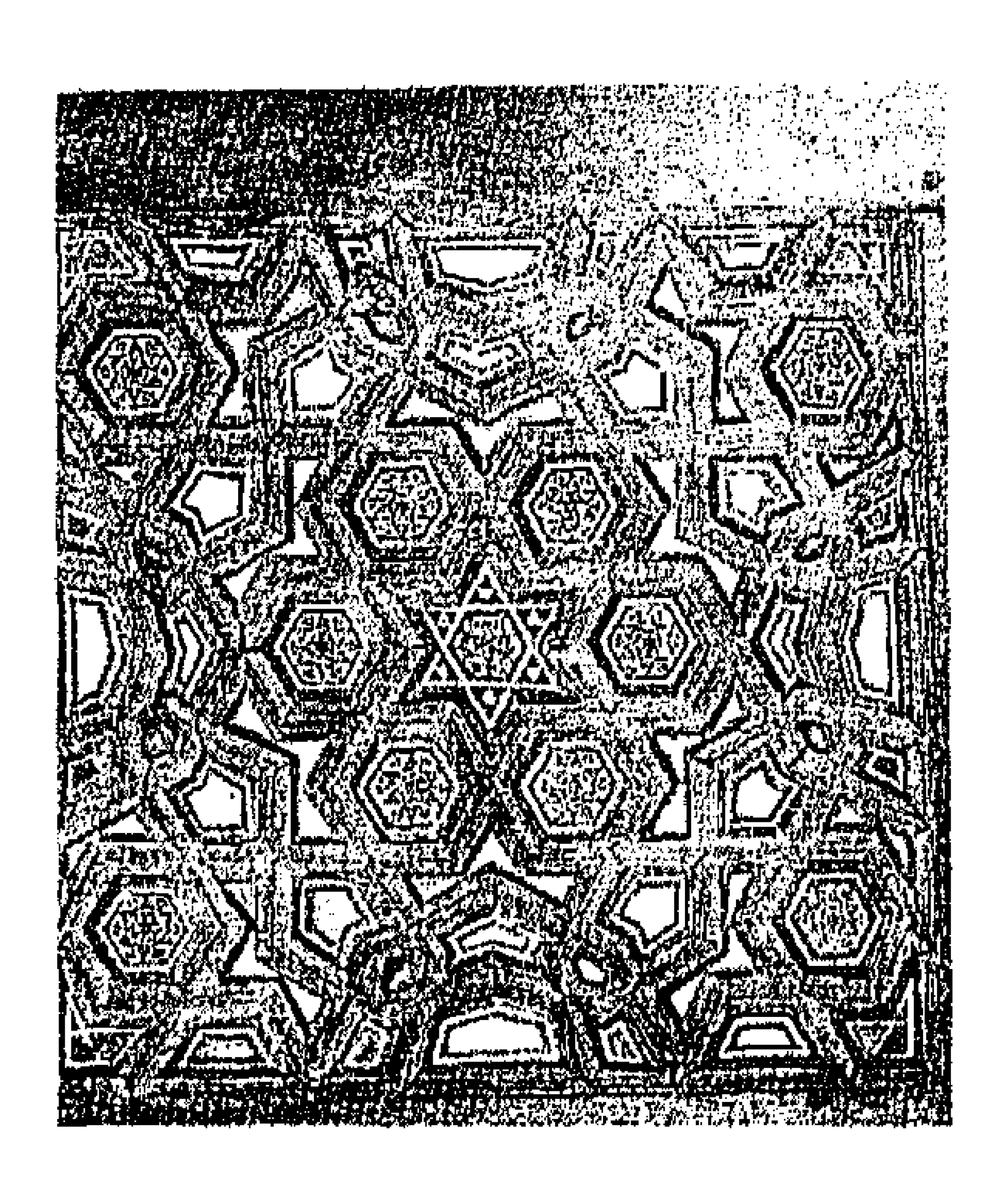




(شكل 129) وجهان لدينار أموي، ودرهم أموي

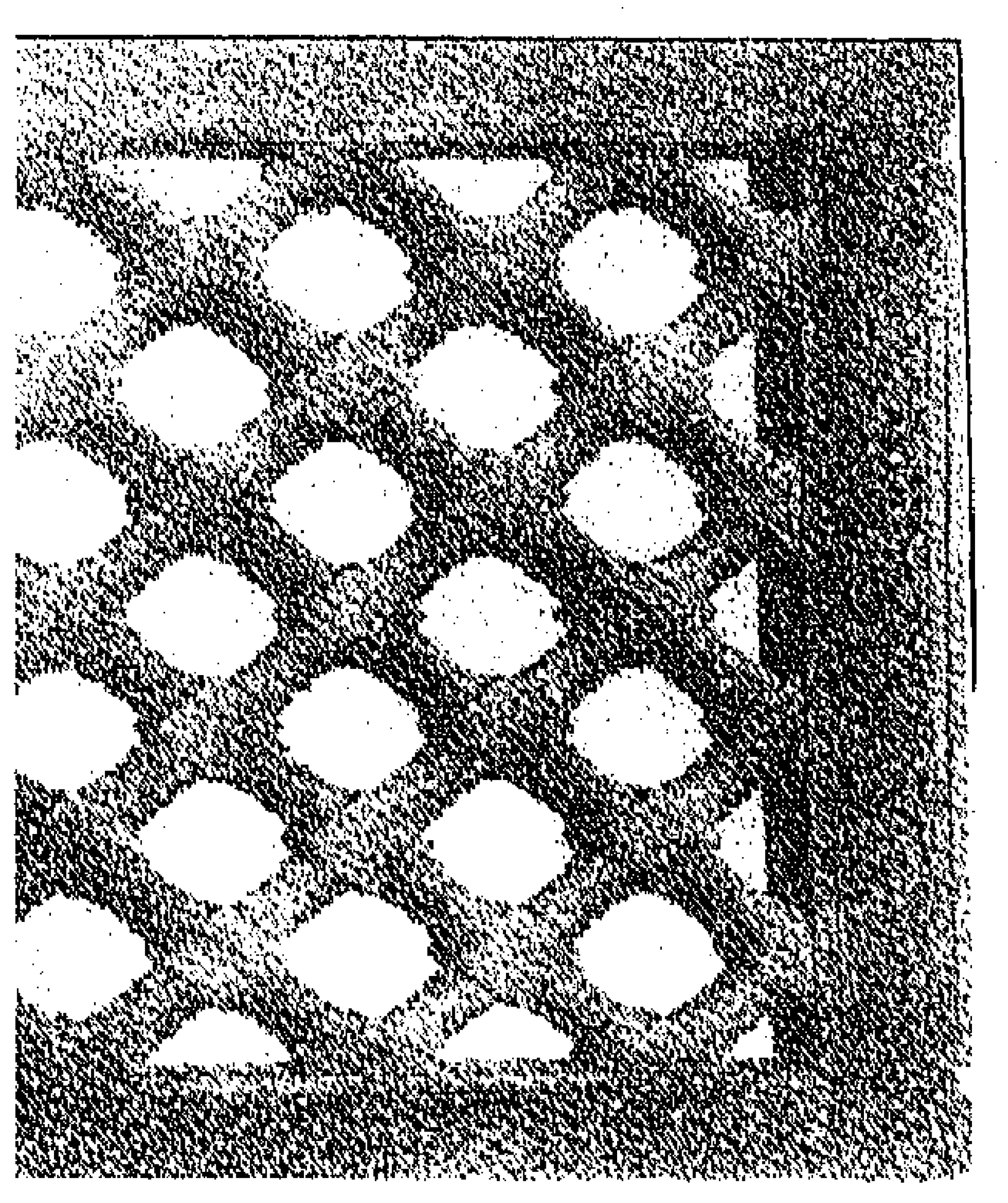


(شكل 130) تنور معدني بزخارف مفرغة

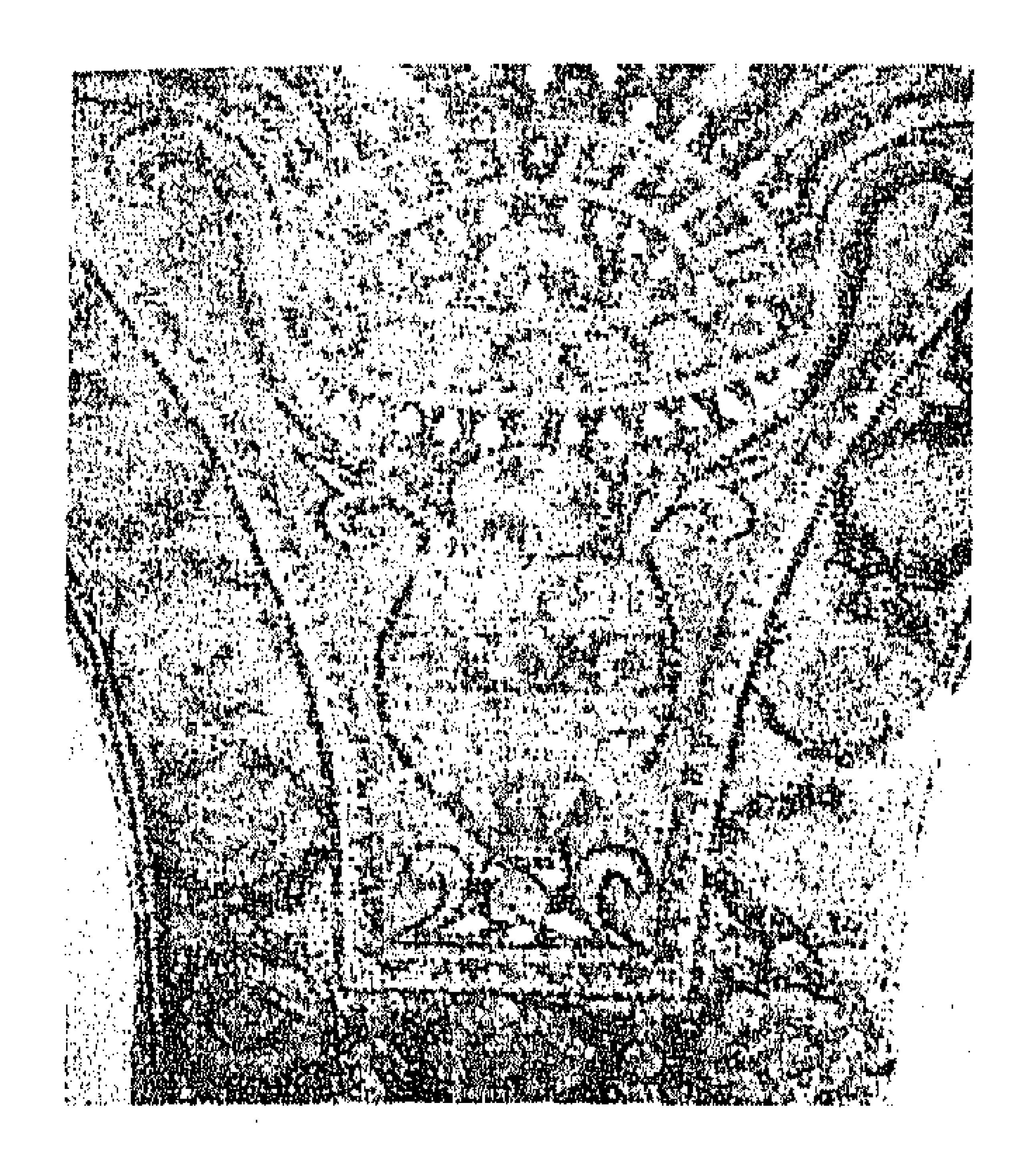




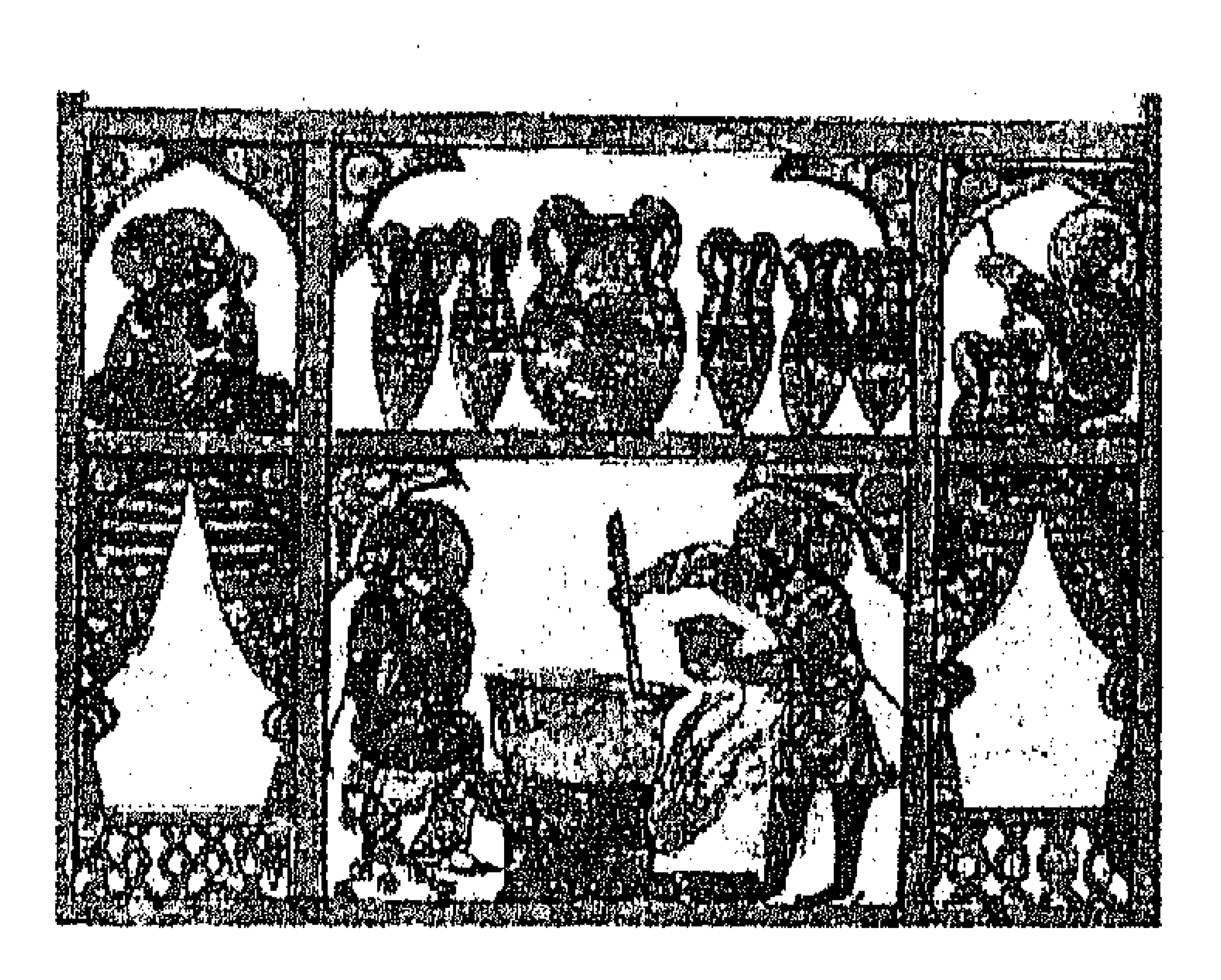
(شكل131) خشب مطعم بالعاج



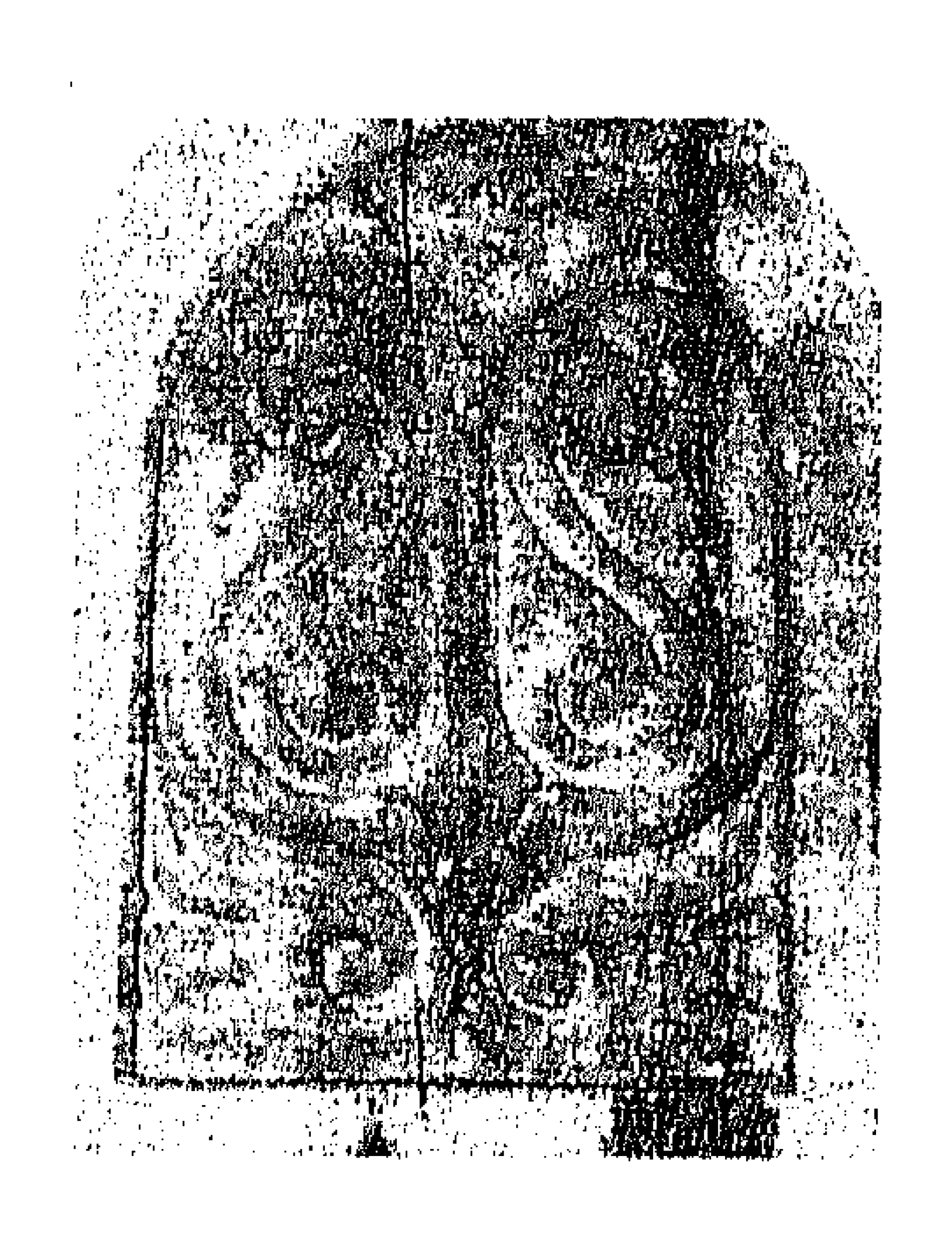
(شكل 132) خشب الخرط.



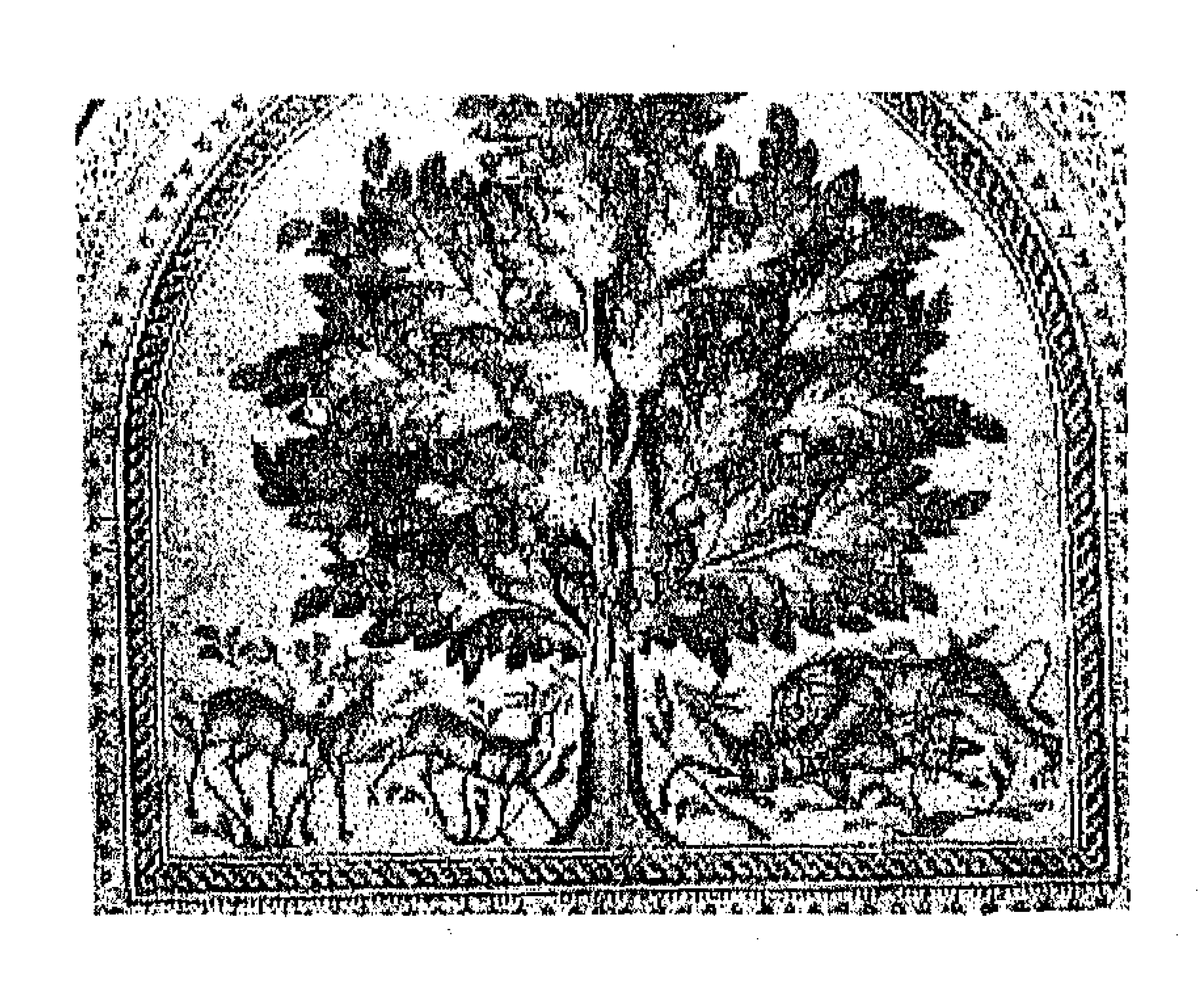
(شكل 133) فسيفساء قبة الصخرة



(شكل 134) صورة إسلامية تبين كيفية صناعة الأدوية



(شكل 135) خشب مزخرف على طراز سامراء



(شكل 136) زخارف نباتية وحيوانية على
فسيفساء خربة المفجر

الخط الكوفي

الخط الديواني

خط الرقعة

الطغراء

الخط المغربي

خط حروف التاج

الخط النسخي

(شكل 137) نماذج للخطوط

فهرس المحتويات

المؤلف في سطور

* من مواليد 1963م، تعز - اليمن.
* ماجستير في الآثار الإسلامية، كلية الآثار جامعة القاهرة، 1995م
* دكتوراه في الآثار الإسلامية، كلية الآثار جامعة القاهرة 2000م.
* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة صنعاء.

صدر له من المؤلفات والأبحاث:

• مدينة حيس اليمنية، تاريخها وآثارها الدينية، سلسلة المدن التراثية رقم (5) دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
• مدينة صنعاء، تاريخها ومنازلها الأثرية، سلسلة المدن التراثية رقم(2) دار الآفاق العربية، القاهرة، 1999م.
• الاستحكامات الحربية بمدينة زبيد (تحت الطبع).
• تاريخ الفن منذ ما قبل التاريخ وحتى العصر الإسلامي، (تحت الطبع).
• الاستحكامات الحربية الإسلامية في اليمن، دراسة تاريخية أثرية، العدد السنوي الخاص لمجلة المنهل السعودية، التراث المعماري في الحضارة الإسلامية عدد 571، مجلد 61، السنة 66 يناير/فبراير 2001م.
• المدرسة اليمنية، نشأتها وظائفها عمارتها أنواعها، العدد السنوي الخاص لمجلة المنهل السعودية، التراث المعماري في الحضارة الإسلامية عدد 571، مجلد 61، السنة 66 يناير/فبراير 2001م.
• مدرسة التكهية بمدينة حيس، دراسة أثرية معمارية، مجلة الإكليل، صنعاء، صيف 2002م.
• استحكامات مدينة زبيد الحربية وعناصرها الدفاعية والمعمارية، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الأول، كلية الآداب جامعة الحديدة (زبيد وصلاتها العلمية بال والإسلامي)، 17-14 ديسمبر 2002م.
• تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأيوبي في مؤتمر الخطوط والنقوش والكتابات في العالم عبر العصور، 27-24 أبريل 003م
• أثر تخطيط مدينة بغداد على تخطيط المدن الإسلامية في اليمن في العصر الع "مدينة زبيد نموذجاً" الندوة الخامسة لتاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية الدولة العباسية حتى نهاية القرن 4هـ/10م، جامعة الرياض 10-8 أكتوبر 03م

